

دليل الهجرة: خطوات امرأة بين سوريا وكندا

**Migration Guide: A Woman's Journey
Between Syria and Canada**

Jacqueline Salam^٢

جاكولين سلام

دليل الهجرة:

خطوات امرأة

بين

سوريا وكندا



رقم الإيداع الدولي - ISBN

978-1-326-16861-2

تصميم الغلاف والأخراج الفني :

ياسر عبد القوي

Cover and Book desgin : Yasser Abdelkawy
Abdelkawy.yasser@gmail.com

الفوتوغرافيا المصاحبة للقصائد
بعدسة الشاعرة / جاكلين سلام

Photography : Jacqueline Salam

إهداء:

إلى الإنسان الذي لم تجعله الغابة
ذئبا بعد

مقدمة

دليل الهجرة: خطوات امرأة بين سوريا وكندا
الإبداع في مواجهة التابوهات والطغاة

"أنا محظوظة، أعيش الديمقراطية، لذلك وعلى الأقل لم ألق
في السجن، ولم يتم إلقائي من طائرة"
مارغريت أتوود

طغاة كبار.. حريات ناقصة
لم أكن محظوظة في أن أولد في بلد ديمقراطي حر نسبياً كما الكاتبة الكندية
مارغريت أتوود، لكن اختبارات الحياة قادتني للهجرة إلى كندا كي أعيش
تجربتي مع الديمقراطية وأتعرف على الشاعرة الروائية المعروفة عالمياً
مارغريت أتوود وجهاً لوجه في حوارات وقراءات وتوقيع كتب. هذا وبالإضافة
إلى قراءة رواياتها وحواراتها التي تأخذ حيزاً من هذا الكتاب كأيقونة كندية
إلى جوار عوالم كندية متعددة الألوان والإبداعات. ومن هنا جعلت الكتابة
والقراءة غايتي وغوايتي وملذات ماندتي اليومية. فقادني الشغف إلى لقاء كبار
كتاب العالم في تورنتو ومنهم: أمبرتو إيكو، وول سوينكا، آزار نفيسي، ألبرتو
مانفويل، سوزان سوان، مارغريت أتوود، مايكل أونداتجي، أليس مونرو، جون

رالستون سول، والكثير من الأيقونات العالمية في حقل الفنون والآداب والسينما والشعر والرواية. ولكل منهم شهادة وأفكار تطرقت إليها في هذا الكتاب الذي يجمع أقطاب الحضارات الشرقية والغربية في نسق الفعل الإبداعي الإنساني الخلاق دون قيود وأقفاص. للأسف فقدت الكثير من صور المناسبات وقبل أن يصبح الهاتف الجوال، كاميرا الحدث اليومي. فالحضارة كتاب ومعرفة متبادلة لا تُستَر ولا تُنكر مهما حاول الطغاة وكتبتهم تحريف التاريخ. الحضارة قيم جمالية وإنسانية سامية. الجمال يدون بكل صيغ الفنون والآداب والعلوم الإنسانية منبر لكل أفراد الكون دون استثناء، رغم كل ما يعترض عشاق الكتابة والقراءة من تحديات حين يقفن خارج القطيع.

عزيزي القارئ، اعطني عقلك وخذ بحلمي إلى باب وعيك. دعنا نتبادل أنخاب المعرفة والحرية كفعل إبداعي ورويا إن استطعنا.

أكتب هذه السطور الآن في الشهر الثاني من عام 2025 وأنا أشهد بفرح ناقص نهاية حكم الأسد الأب والإبن الطاغية الذي فاق الخيال بحجم الخراب الذي جلبه للغالبية العظمى في سوريا، معنوياً ومادياً. ذلك القمع مارسه الديكتاتور الأسدي (الأب والإبن) وطل القمع العلاقات الفردية والأسرية في صميمها المادي والاجتماعي في سوريا. لكان الحرية كانت وما تزال كلمة طوباوية مثالية بعيدة عن أرض الواقع الشرقي، مستوردة من بلاد الآخرين وبمقاسات لا تناسب أهواء العقلية العربية بدرجة أو بأخرى. وهذا يثير لدي الدهشة والحسرة أحياناً وفضول البحث عن المعرفة. كنتُ وما زلتُ أبحث عن الكتب التي دينها ودينها الإبداع دون آلهة وأقفاص وسدود مغلنة أو مبطنة.

كل ما فعلته في مشروع حياتي وحتى بداية العقد السادس من عمري هو أن ألا أكون مجرد ضحية ورقم، بل أتبع طموحي وجموحي الذي جعلني غنية وباحثة عن قسمتي من الفرح الذي يمدد خريطة وجودي ويمتد إلى شركائي في حفر الطرقات العسيرة للخروج من كل الأنفاق الواقعية والمظلمة.

طغاة صغار في الطريق إلى الكتابة والتعبير بحرية

حين أحرق الرجل الذي عشقته مسوداتي وكتابات سرية خاصة في العشرينات من عمري عرفتُ أن الكتابة تشكل خطراً على الفرد والجماعة، وأدركت أن شجرة التحدي تتجذر في ولن أكف عن هذا الشغف حتى وإن احترق جلدي ولساني مادام نداء الحبر يغويني وأبواب المعرفة تضيف متعة خاصة لعقلي

وشعوري.

كان الخوف في بلدي يشدني إلى الصمت في سوريا حافظ الأسد. ولكنني تماديت في تأمل الكتب والقراءة والكتابة على هوامش الكتب... ووضعت نقاطاً وحروفاً على دفاتري الخاصة. لاحقاً وبعد كل مرحلة كنتُ أمزق قصاصات أفكارني لأسباب شتى ومنها أنني كشفت لنفسي طبقة من لاوعيي وهذا مهم كتدريب على الشعور بجدوى المكاشفة والتعرف على بعد آخر من الروح وطبقاتها. وهناك فارق جوهري بين أن أختار بنفسني تمزيق ورقة وبين أن يمنعني الآخرون من ممارسة حرية النقد والتعبير.

لماذا يحرق رجل "متقف" كقارئ نهم أوراق حبيبته؟! المبرر الأول الذي قاله رجلُ أحبني ولم يعرف كيف يحافظ على حبي له: أخاف عليك من حريتك في ظل حكومة تتعقبننا ولا تسمح بحرية التعبير. وثانياً لأنني أحبك، لا أريد أن تحاصرَك العيون لأنك شاعرة أو كاتبة في مجتمع لا يرحم امرأة ورجلاً حراً. لقد كان زواجنا بعد حب عاصف لم يصمد في وجه الزمن في منتصف سنوات الدراسة الجامعية. فشلنا في الحب وفشلنا في المقدرة على التأقلم مع القمع العام والخاص الشخصي. نجحنا في الهجرة إلى بلاد الآخرين بحثاً عن خلاص من الأصفاد غير المرئية التي تلاحقنا وربما نجحنا في هدم مؤسسة الزواج الذي اخترناها بمحض القلب، وافترقنا في حكاية مأساوية بعد الهجرة إلى كندا.

ماذا فعلت بسنواتي التي عشتها في كندا حتى شتاء 2025؟! واصلتُ الكتابة والتأليف بحرية نسبية بعد هجرتي إلى كندا 1997. كتبت ونشرت في مختلف الصحف العربية في كندا وفي الشرق الأوسط وكانت أمامي التحديات كبيرة لأنني بعيدة ولا رابط لي مع أصحاب السلطات الثقافية والمنابر المؤثرة عربياً. ألقيت قصائد وكلمات في محافل كندية واشتغلتُ بداية في مقهى ثم أصبحت مترجمة في كندا (عرب-انكليزي). اشتغلت حسب الطلب في مأوى للنساء المعنفات وشاركت في مهرجاناتهم وحفلات جمع التبرعات. كتبت في أوقات الفراغ وفي كل الأيام الحزينة والسعيدة ، في الباصات والقطارات، في طريقي إلى معرفة العالم كامرأة على كاهلها خرائب الوطن الأول-سوريا، وشقاء الوطن البديل-كندا. في كندا مارستُ حرية الانتخاب والإفصاح عن أفكارني عبر مقالات الرأي والكتابات المتفرقة التي كانت حصيلتها ستة مجموعات شعرية، وكتاب حوارات ومقالات يشكل بانوراما ثقافية فكرية أدبية. انغمستُ في المكتبات العامة ومستودعات الكتب المستعملة وفي

الكتب الصادرة حديثاً بالانكليزية كي أفهم درس الحضارات من قصص الشعوب وأنسج من خلالها ما يتقاطع مع حلمي وأحلام بنات وأبناء جيلي الذي ما يزال ضحية صراعات تنتهك أبسط مقومات العيش الآمن الحر.

قرأت وأنا أنقب عن معاني الكلمات في القاموس حين لم يكن لدي ثمن قاموس عربي-انكليزي. صار عندي عشرات القواميس التي لم تعد تلزمني إلا ما ندر وخاصة في مرحلة وفرة المعلومات عبر الشبكة الالكترونية وبعد أنت تطورت ذخيرة معرفتي مع الوقت، صرت أترجم فوراً في كل القضايا الإنسانية والقانونية والاجتماعية والصحية. وما زلت أتعلم كيف أصعد السلم وأقطف الغيوم وأجعلها حبراً وحباً وقصائد.

بعض اهتماماتي تمحورت في صفحات هذا الكتاب وبعضها الآخر في دواوين الشعر الذي أخذ المقام الأول من الاهتمام. في الفصل الأخير شهادات على تجربة الكتابة كأم ومهاجرة وامرأة مستقلة في المنفى. صفحات متشعبة المواضيع ويمكن اعتبارها يوميات الرحلة المهجرية السورية الكندية. اخترت ما أعجبنى دون إملاءات، وانتخبت لهذا الكتاب المقالات والمواضيع التي شغلت وقتي في المنتديات والمهرجانات والكتب الكندية والمهجرية العربية على مدى عقود.

في هذه الصفحات لن تجدوا سيرة ذاتية بل معابر في معرفة العالم وموقعي فيه ما بين الهامش والمتن. تستطيع يا صديقي القارئ أن تبدأ بأي فصل أو موضوع يغويك ثم تضع الكتاب جانباً لتعود إليه. إنه يومياتي في قراءة العالم وكتابته من أجل الوصول إلى قرارة جاكليين وهي في طريقها إلى أناها، إليك وإلى الآخرين.

أتأمل هذه الورقة وأريد الخروج من ثقل التركيز على سيرتي الإبداعية وهذا العالم الشائع الشرس والجميل. أنظر من الشرفة العالية إلى الثلج المتراكم في الشارع والذي يصل الى 25 سم اليوم. بياض شاسع أقتسمه مع وحدتي وأقول لنفسني: الذي يقول لي إننا جننا إلى هنا للسياحة والاستجمام، سأقول له: اللعنة على الكذاب، لقد هاجرنا حين فقدنا الأمل هناك. أتأمل رحلتي وأبتسم لأنني لم أعمل في قطاع المرتزقة وصانعي الطغاة وأتباعهم.

أرى سيارات عدة معطلة في الشارع الفرعي قبالي بسبب العاصفة الثلجية، وأقول شكراً لجهود رجال يجرفون الثلج عن الطرقات كي يذهب الناس بسلام إلى البيوت وإلى العمل. وشكراً لخدمات رجال الإطفاء الذي يعملون اليوم وعلى مدار العام لإطفاء الحرائق ومنهم ابني الوحيد سلام (دون تشديد اللام) الذي تخرج من جامعة يورك الكندية، وأصبح أباً

وجعلني جدة لأجمل حفيذة.

شكرا لصديقي الفنان والناقد ياسر عبد القوي مدير منشورات "الضفدعة المُنَحَّحة" للجهد واللمسات الفنية في صناعة وتصميم أكثر من كتاب لي ، وآخرها هذا الكتاب "دليل الهجرة: خطوات امرأة بين سوريا وكندا" إلى القراء الذين لديهم وقت للإنغماس في القراءة لاستكشاف معالم هذا الترحال المغموس بالشغف والشك والمتعة بلغة الأدب والجماليات الإنسانية التي قمت بتسليط الضوء عليها من خلال كتب صادرة بالإنكليزية، حررها مفكرون وأدباء وصانعي معرفة من أصقاع العالم وكندا. وبين الفصول نتعرف معاً على صور الطغاة الصغار والكبار وصراعهم مع المفاهيم المدنية والحريات.

فبراير-شباط 2025

إضافة وخاتمة صيف 2025

لم ينشر الكتاب في الشتاء بعد كتابة المقدمة الأولى والآن وفي شهر (تموز) صيف 2025 وبعد أيام من عودتي من رحلة طويلة إلى اوروبا لزيارة أهلي وأخوتي هناك أعود إلى كتابي، إلى عزلتي الجزئية وفي قلبي وذهني فيض محبة وسلام ومعارك صغيرة مع هذا العالم الذي لم يعطِ لأحد كل ما يستحق.

الأرواح الحرة لا تجيد العيش في الأقفاص طويلاً حتى لو كانت من ذهب، وهذه قد تكون معصيتي أو حكمتي، أو مأزقي الوجودي، أو كما لا أدري بعد!

جاكولين سلام، تورنتو، كندا

هذا الكتاب:

دليل الهجرة...خطوات امرأة بين سوريا وكندا

لماذا نكتب الكتب؟ يمكن إعطاء عشرات الإجابات عن هذا السؤال، وكلها صحيحة، نكتب الكتب من أجل المال، الشهرة، مقاومة الوحدة، علاج الإكتئاب، نشر أفكارنا، ممارسة العدوانية، تفنيد الأكاذيب، صنع الأكاذيب... إلخ...

لكن ما هي الكتب؟ ما هو الكتاب تحديداً؟

إنه شيء نقوله للآخرين، إنه تحديداً امتداد للرغبة العميقة في نفوسنا كبشر لأن نقول شيئاً للآخرين، تلك الرغبة التي جعلتنا نطور أكثر لغات التواصل تعقيداً وتركيباً في كل الأنواع الحية، فنحن نتكلم لا لنوصل معلومات غالباً، بل نتكلم لنكون دليلاً لأنفسنا، ولنوصل للآخرين صورة عن أنفسنا. صحيح أن الطيور المغردة تصنع أحياناً معقدة لتعبر عن وجودها، لكننا البشر نفعل شيئاً أكثر تعقيداً وعمقاً وربما أكثر مكرأً، نحن لا نريد فقط أن نقول: هذا أنا، بل نريد أن نقول: هذا أنا، وهذا هو العالم كما عرفته وكما رأيته. هذا هو العالم عبر عيني، وهذا ما يفعله هذا الكتاب.

إنه نوعاً ما (سيرة ذاتية)، لكنه ليس سيرة ذاتية إعتيادية، فالكاتبة تحكي سيرتها الذاتية من خلال كيفية رؤيتها للعالم، كيف تفاعلت مع أحداثه، كيف قرأتها وكتبت عنها، إنه ببساطة سيرة إدراك الكاتبة للعالم عبر سنوات المهجر، هكذا اختارت أن تحكي قصة حياتها مع العالم، عبر تفاعلها ككاتبة وشاعرة ومتقفة. إنها ملاحظاتها الخاصة على هامش العالم، هذا هو العالم من زاوية الثقافة والأدب كما رآته شاعرة كبيرة وكاتبة مليئة بالفضول والرغبة في الكشف والتفكير والإشتباك. وهذا هو الكتاب الرابع الذي يكون لي حظ التعاون فيه مع جاكليين بالإخراج الفني والنشر، أحب فكرة أننا أصدقاء، أصدقاء قلم كما هي العادة القديمة المندثرة، لم نلتقي أبداً وجهاً لوجه، وربما لن نلتقي، لكنني أظن دائماً أنني أعرف جاكليين سلام جيداً، لكن كل مرة أعمل فيها على أحد كتبها

أكتشف خطأ هذه الفكرة، فكرة أنني أعرفها جيداً، فكل كتاب يكشف لي مساحات شاسعة جديدة، سواء أكان ديوان شعري أو كتاب مقالات وحوارات، هناك دائماً المزيد الذي يمكنك أن تعرفه، وتكتشفه، هناك رحلات يمكن لكتابات جاكولين سلام أن تكون دليلك خلالها، هناك أبواب جديدة ستفتحها لك كتاباتها دائماً.

هذا الكتاب هو بشكل ما رحلتها في المهجر، ليس لاستكشاف المهجر، بقدر استكشاف نفسها في ذلك المهجر، أعتقد أن سؤالا لم يكن: ما هو هذا المكان؟ بل بالأحرى كان: من أنا في هذا المكان؟

تحب جاكولين التصوير الفوتوغرافي، والحقيقة أن وعيها أيضاً يعمل ككاميرا الفوتوغرافية، فهي تلتقط صوراً للعالم حولها، أو لنفسها وسط العالم حولها، وكمصور فوتوغرافي مبدع، هي تختار الزاوية التي تلتقط منها الصورة العقلية، زاويتها هي الخاصة، سواء أوضعت نفسها كمراقب خارج الكادر، أو في وسطه كمشارك، ثم هي بعد ذلك تضيف ملاحظاتها الخاصة، تلك الهوامش أو الخواطر كما تحب أن تسميها، اشتباكها الشاعر غالباً مع وقائع العالم وحقائقه، الإضاءة الإضافية التي تسقطها على الموضوع، وهنا تكمن أهمية هذا الكتاب، فهو حقيقة مهم وحيوي الآن، وسيكون مهماً وحيوياً بعد قرون، فكما يقول توماس كارلايل: "الكتاب الخالد لا يُقرأ فحسب، بل يُعاد اكتشافه مع كل جيل، لأن ما فيه من حقيقة لا يصدأ." وهذا الكتاب سيعيد كتابة نفسه دائماً تقريباً، فما قيل عن تلك الظاهرة الثقافية أو الأدبية منذ عشرون عاماً مثلاً، إكتسب الآن معانٍ جديدة وأبعاداً إضافية، وبعد عشرون عاماً سيقرأ وقد أضاف الزمن له أبعاداً جديدة، إنه فعلاً دليل، على كيف يمكنك اكتشاف العالم في مكان جديد، في وطن جديد، كيف تتجنب الوقوع في فخ الإنشطار بين من كنت في وطنك الأصلي ومن ستكون في وطنك الجديد، بل تبقى واحداً، يتطور ويتفاعل، يضيف للعالم الجديد بقدر ما يسمح للعالم الجديد أن يضيف إليه.

أنا أحب أن كتاباً كهذا موجود في العالم، بقدر ما أحب أن شخصاً كجاكولين سلام موجود في هذا العالم، ويسمح لنا بأن نشاركه رؤيته المبدعة والمميزة للعالم.

ياسر عبد القوي
الإسكندرية يوليو 2025



مارجريت أتوود كما عرفتها

تخريب أسطورة ديونيسيس وبنلوبي على يد مارغريت أتوود

الشاعرة والروائية الكندية مارغريت أتوود تكتب البينلوبية -نسبة إلى بنلوبي زوجة عوليس- وبعد أكثر من ثلاثة قرون وذلك بنقض وإعادة تركيب أسطورة "الأوديسة" التي ألفها هومر الإغريقي حوالي عام 850 قبل الميلاد، وفق منظورها الفكري وحساسيتها الفنية وذلك ضمن مشروع ثقافي قامت به إحدى دور النشر التي طلبت من بعض الكتاب اختيار أسطورة ما من تراث الشعوب ونسج نسخة مغايرة-بتصرف- للنسخة الأصلية. " سلسلة أساطير كانونغيت" بدأت مشروعها عام 2005 بتوثيق ثلاثة كتب حققت شهرة واسعة في كندا، أمريكا، انكلترا، استراليا ونيوزيلندا. كتاب أتوود الذي حمل عنوان "البينلوبية" كان في عداد هذه السلسلة الشهيرة وتمت ترجمته إلى 28 لغة عالمية من قبل 33 ناشراً حوال العالم. ثم قدمت عروض مسرحية في مدن كندية من صميم هذه الـ"نوفيلات" التي تعيد سرد الأوديسة على لسان بنلوبي وحسب وجهة نظرها المناقضة لما جاء على لسان زوجها عوليس أو أوديسيسوس الذي اختفى بعد حرب طروادة، وبقيت هي في انتظاره تواجه قدرها، نسيجها الشهير، وتتحايل على الخاطبين الكثر الذين تقدموا لطلب يدها لظنهم أن ملكهم قد قضى عليه.

في هذه القصة-الأسطورة المضادة- تحتل بنلوبي المركز وهي "ميتة" تخاطبنا من عالمها السفلي فنرى أوديسيسوس كاذباً مخادعاً وما رواه من بطولات لم يكن إلا مبالغات وابتكارات مخيلته. تسرد بلغة امرأة بسيطة من الطبقة الأدنى اجتماعياً وثقافياً. امرأة قد تصادفكم على مصطبة بيت ما في حارة شعبية فقيرة. تبتكر أتوود فصول الرواية مرة على لسان بنلوبي، ومرة على لسان الجوقة المؤلفة من 12 خادمة تعرضن للشنق في النهاية، وتعرضن للاغتصاب وسوء المعاملة أثناء خدمتهن

في القصر الملكي الذي يملكه أوديسيوس، العائد إلى إيثاكا بعد طول تشرد وصراع مع الوحوش والكائنات الخرافية واغواء الفاتنات.

اخترنا هذه المقاطع من بداية القصة حين يطالعنا صوت بينلوبي وهي تستنكر صورتها وما ورد من شائعات بحقها وهي على قيد الحياة. وفي المقطع الثاني تخبرنا عن بعض هذه الفضائح وتقدم النسخة "البنلوبية" عن الحقيقة، وكما نشاء لها مخيلة أتوود الباذخة الأسرة.

الآن وأنا ميتة، عرفت كل شيء. هذا ما كنت أتمنى حدوثه، ولكن أغلب أمنياتي فشلت ولم تصبح حقيقة. عرفت فقط بعض الحقائق التي لم أكن أعرفها من قبل. أنه ثمن باهظ جداً ما ندفعه لقاء الفضول، ولا حاجة للقول. منذ أن مت، منذ أن حزت على هذه الحالة من كوني بلا عظام، بلا شفاه، بلا ثديين، تعلمت بعض الأشياء التي لم أكن لأعرفها، كحال شخص ينصت من خلال النافذة أو يفتح رسائل الآخرين. هل تعتقد أنك تحب أن تقرأ العقول؟ فكر ثانية.

هنا في الأسفل، كل شيء يأتي مرفقاً بكيس، كالأكياس التي تستخدم لحفظ الريح، ولكن كل من هذه الأكياس يكون ممتلئاً بالكلمات. كلمات أنت قلتها، كلمات سمعتها، كلمات قيلت عنك. بعض الأكياس صغير جداً، وبعضها كبير، كيسي معقول الحجم. رغم أن أغلب الكلمات تتعلق بزوجي الواسع الشهرة. كم جعل مني غبية، يقول بعضهم. لقد كان من اختصاصه أن يستغبي الآخرين. لقد استطاع الفرار من كل شيء، وتلك كانت خاصته الأخرى: الفرار.

كان قابلاً للتصديق دوماً. كثيرون صدقوا الأحداث كما أوردها هي النسخة الحقيقية، أخذ أو إعطاء بعض القتلة، بعض الحسان المغريات، بعض الأشرار. بعين واحدة. حتى أنا صدقته من وقت إلى آخر. كنت أعرف أنه مخادع وكاذب. لكنني لم أتوقع أن يمارس خدعه ويجرب أكاذيبه عليّ. ألم أكن مخلصاً؟ ألم أنتظر، وأنتظر، وأنتظر، رغم الاغراءات. الرغبة تقريباً. بأن أفعل غير ذلك؟ وما هذا الذي انتهيت إليه بعد أن أخذت النسخة الرسمية مكانها على الواقع؟ أسطورة مفيدة. عصا تضرب بها نساء أخريات. لماذا لا يستطيعن أن يكن مسؤولات، موضع ثقة، متحملات للعذاب كما كنت أنا؟ هذا هو السطر الذي التقطوه. لا تتبعن مثالي، أريد أن أصرخ في أذانكن- نعم، انتن. ولكت حين أحاول أن أصرخ، يصبح صوتي كالبومة.

بالطبع كان لدي بعض التوقعات الواهية حول عدم دقته، مكره، حالته الثعلبية، وهذه التي- لا أعرف كيف اسميها؟ عدم التزامه الأخلاقي. لكنني تظاهرت بالمعاء. أخرست فمي. وإذا حصل وفتحته، ذلك لأغني لمجده. لم أحفر عميقاً. أردت نهاية سعيدة في تلك الأيام، وأفضل طريقة لتحقيق نهايات سعيدة يكون بإقفال الأبواب الحقيقية والذهاب إلى النوم حين اشتداد العواصف. ولكن بعد أن انقشعت الأحداث الرئيسية وأصبحت الأشياء أقل أسطورية، توضح لي كم من الناس كانوا يضحكون عليّ من خلف ظهري- ينعنونني بصفات شتى، يولفون نكاتاً عني، بعضها قدرة

وأخرى نظيفة. كيف جعلوا مني قصة، أو حكايات، وليست تلك القصص التي أنا أحب أن أسمعها عن نفسي. ماذا بإمكان امرأة أن تفعل حين تسافر الشائعات الفضائحية حول العالم؟ إذا دافعت عن نفسها، ستبدو مذنبية. لذلك انتظرتُ المزيد.

الآن وقد انقطع نفس الآخرين، جاء دوري لأجتهد قليلاً وأحيك قصة. أدين بها لنفسي. عليّ أن أحضر نفسي لها... (ص 4-1)

عند هذه النقطة أشعر أنّ عليّ أن أشير إلى النقاط المتعددة من هذه التقولات الفضائحية التي ماتزال تدور منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

هذه القصص ليست صحيحة على الإطلاق. كثيرون قالوا ليس هناك دخان بلا نار، ولكن هذا جدل غبي. كلنا سمعنا شائعات تبين لاحقاً أنها خالية من الصحة كلياً، وهذا هو حال الشائعات حولي.

الانتهاكات التي تتعلق بأحوالي الجنسية. انها افترضت مثلاً بأنني نمّت مع امفينومس، الأكثر تأديباً بين الذين تقدموا لطلب يدي. الأغاني تقول أنني وجدت حديثه مقبولاً، أو أكثر قبولاً من الآخرين.

صحيح أنني فتحت الباب للخطاب وقدمت وعود سرية لبعضهم، ولكن كانت هذه مسألة تدبير. من الأشياء الأخرى، أنني استخدمت جرأتي المفترضة لتحصيل بعض الهدايا غير الثمينة منهم. نذر يسير مما يأكلوه وينفقوه سدى. وألفتُ انتباهكم بأن أوديسيوس كان موافقاً على ذلك.

الرواية الأشد غيظاً هي تلك التي تقول بأنني نمّت مع الخطابين جميعهم، واحداً بعد الآخر. أنهم أكثر من مائة. ومن ثم ولدتُ الإله العظيم "بان". من بمقدوره أن يصدق هذه الخرافة الشيطانية؟ بعض هذه الأغاني كثير عليها النفس الذي وضع فيها. بعض المعلقين شهدوا-حماتي- أم زوجي، التي لم تقل كلمة عن الخطاب عندما تحدث معها اوديسيوس في جزيرة الموت. صمتها أخذ كدليل. بعضهم قال، لو أنها نوهت إلى الخطابين، في هذه الحال عليها أن تشير إلى خيانتني أيضاً. ربما كان قصدها أن تزرع بذرة مسمومة في بدن اوديسيوس. ولكنكم تعرفون حساسيتها اتجاهي. ربما كان ذلك آخر لمسة حادة نحوي.

آخرين سجلوا حقيقة أنني لم اتخلى عن ولم أعاقب الخادمت الوقات الأثني عشرة، ولم أقفل عليهن داخل مبني ليشغلن في طحن الذرة، وإلا لكنت منغمسة بنفسي في هذا العهر. لكنني أوضحت كل ذلك. الاتهام الأكثر جدية هو أن اوديسيوس لم يكشف لي عن نفسه عندما اجتمعنا للمرة الأولى. قيل أنه لم يثق، وأراد أن يتأكد من أنني لم أجعل القصر مرتعاً لملاذاتي. لكن السبب الحقيقي هو أنه كان يخشى أن أغرق في دموع الفرح وأبتعد عنه. بصورة ممانلة، قد أغلق عليّ مع بقية النسوة في ساحة النساء فيما كان يتخلص من الخطاب وبمساعدة "ايريكلينا" وليس بمساعدتي. ولكنه كان يعرف جيداً- قلبي الرقيق، عادة الغرق في الدموع والسقوط في العتبة. ببساطة لم يشأ أن يعرضني للخطر

أو لمشهد لن أوافق عليه. بالتأكيد هذا هو التفسير الصريح لتصرفه.
لو أن زوجي عرف شيئاً عن تلك الشائعات المهينة ونحن على قيد الحياة لمزق بعض الألسنة.
ولكن لا فائدة من الحزن على فرص ضائعة. ص 143

المرأة وأسباب الحروب:
الكثير من الأدبيات التاريخية العالمية تركز على الملاحم والحروب، والكثير منها يلقي اللوم على المرأة ويعتبرها سبباً في إثارة الحروب تحقيقاً لنزوة أو قصة حب. ولكن الذي لا يشار إليه عادة هو أن الحرب يشنها الرجال بسبب رغبتهم في الحيازة على المرأة الجميلة والذكية، وفي هذه الحروب، تكون النساء ضحية أولى إذ يترملن، أو يصبحن سبايا. الصفحات الأدبية من الشرق والغرب تدور حول محور استلام السلطة بين المجتمع الأبوي والأمومي. وفي نهاية المطاف، نحن نتعلم ونكتسب خبرة وفكرة ونحن نقرأ بمتعة هذه الأدبيات التي قد نعشق أبطالها وقد نكره أفكارهم وحريرتهم واختلافهم عنا. أما حروب هذا العقد فهي تجري بشراسة سببها الحيازة على السلطة المادية والثروات حتى لو كلف ذلك سحق شعوب بأكملها، وللأسف تجار السوق العالمية لا يقرأون الأدب.



مارغريت أتوود تسرد قصص الإعتلال الأخلاقي



ما الذي يشغل عالم أتوود القصصي وأين يكمن الاعتلال والعلل؟

في المجموعة القصصية الأخيرة "اعتلال أخلاقي" التي صدرت للأدبية الكندية الذائعة الشهرة مارغريت أتوود عن مطبوعات "مكلياند & ستيوارت" الكندية أواخر عام 2006 نقف حيال عالم مضطرب معتل ذهنياً إلى حد ما، ترصده الساردة من خلال شخصيات تتكرر بالاسم وتتباين في زمن الحدث، وترتكز في أغلبها على شخصية امرأة تدعى "نل" وذلك من خلال علاقتها مع زوجها "تيغ" وأولادها وإشكالية الحياة المتنقلة مابين الريف والمدينة. يبدو العنوان متصالحاً تماماً مع أجواء القصة حيث يسود الاضطراب بمعناه النفسي والوجودي، حيوات شخوص القصة التي يحتار المرء في تصنيفها ضمن خانة الرواية أم القصة. فتكرار السرد من خلال شخصيات بعينها، يمنح هذا العمل الإبداعي بعداً روائياً، وحالة عدم الترابط الزمني الواقعي والثغرات في هذه الحيوات، تجعل من العمل قصصاً متفرقة، بينها خيوط قائمة ومريضة، قاسية ولامرئية، تتطلب من القارئ مهارة في قراءة النص. القارئ يقف مشدوداً أمام تفاصيل الشخصية "الأتوودية" التي ترسمها بمهارة ماهرة، فكاها بارعة، قسوة وجفاف وأجواء تخلو من البعد الوجداني الذي قلما نراه في عالم أتوود الروائي.

في هذه المجموعة القصصية التي تتألف من 11 قصة تمتد على 225 ، تقوم أتوود ببناء خرافات تعنى بحياة فرد أو أفراد، بخلاف روايتها الشهيرة "خرافة الخادمة" التي تعنى بالمستقبلية وتكهن ما ستؤول إليه الوقائع في بلاد عظمى. تتناول أتوود في قصصها هذه المكتوبة غالباً بضمير "الأنثى"

مراحل متباينة من حياة الفرد، فتارة تأخذ القارئ إلى الطفولة البعيدة، إلى مدرستها وعلاقتها مع بنات صفها وذلك من خلال توصيف دقيق جذاب وسبر لأغوار الطفلة والمراهقة في تلك المرحلة، مع مقارنات ووصف للبيوت والأمهات والآباء، بمهارة توقف في القارئ شيئا من أحداث طفولته الغائرة في قعر الروح. وتارة تقفز إلى مابعد الطفولة والشباب إلى الشيخوخة ومابعد التسعين، وذلك دون الوقوف عند ترتيب "كرونولوجي" لكأن الحياة هي هذا الاعتلال واللاترابط.

ويتجلى ذلك بمهارة سرد وتصوير حالة شخص مصاب ب"الزهايمر" وشخص مصاب بالاضطراب النفسي ولديه قناعة بان "الاشباح" تقاسمه السكنى في البيت الجديد الذي اشتراه. وخلال هذه المراحل العمرية المتباعدة والمتباينة تعالج القاصة مسائل من قبيل الزواج والطلاق والعلاقة بين الأبناء، مفارقات العيش في مزرعة بعيدة عن المدينة ومن ثم الانتقال إلى العيش في مدينة ضخمة كتورنتو، فقدان الذاكرة ومحاولة العودة إلى الماضي من خلال اليوم الصور الفوتوغرافية التي تحفظ سجلا لتاريخ العائلة الشخصي، وتارة لتأخذنا إلى عمق الإشكالية بين الإنسان والحيوان والأمومة من خلال القصة التي أخذت عنوان الكتاب "اعتلال أخلاقي" حيث تقيم العائلة المكونة من "نل وتيغ" الزوجين الذين انتقلا للعيش في مزرعة جديدة وضمن شروط معيشية قاسية، تضطر المرأة أن تعتني بالخروف الوليدة داخل السكن الذي تعيش فيه، فتنشأ علاقة حميمة بين الخروف والمرأة، تتطور إلى عداوة بين الخروف وزوج المرأة بسبب الغيرة، وتنسحب إلى إشكالية لاحقة في عدم قدرة الخروف ذاك على التعايش مع باقي القطيع من بني جنسه.

تكمُن قوة الساردة هنا باستخدامها اللغة المبالغية والمفردات القائمة على المتناقضات، والإحالات العميقة الخالية من الحكم والخطابة، بل تستقي قصصها من اليومي المهمش، فتحقق بذلك نجاحها في المزج ما بين البساطة والعمق، ما بين السخرية والألم. ففي قصة بعنوان "الدوقة الأخيرة" تضعنا أمام درس الشعر في مرحلة الدراسة الثانوية، من خلال انطباعاتها عن معلمتها أستاذة الأدب الأنكليزي وطريقة معالجة وتحليل قصيدة. فهناك التكهم الذي يجري سراً بين الطلبة أنفسهم اتجاه المعلمة، وبين الطلبة فيما بينهم وما ينشأ في تلك المرحلة من علاقات غرامية مراهقة. الفتاة الموهوبة في التقاط المعنى الشعري للقصيدة، تحاول أن تترجم حبها لفتاها "ابن صفها" في حل معضلة الشعر والتأويل والمجاز، وتبذل جهداً ووقتاً لمساعدته في فك مغاليق القصيدة ومضمونها، مرة تدرس معه تحليل القصيدة في مقبرة على الطريق ومرة تزوره في البيت. لكن الشاب ذو العقل الرياضي الصرف الذي يرى في هذه القصائد مضیعة للوقت وللطاقة إذ هو يعجز عن التقاطات اشارات الشعر ويضيق صدره ويشعر بالدونية حين تحول "الحبيبة المراهقة" أن تقشر له القصيدة كي يجتاز الامتحان النهائي بنجاح. في هذه القصة أن تذكرها بدرس الشعر الهام من خلال ترداد ماقالته المعلمة "السطر الأول في القصيدة مهم جداً يا طلاب". وهكذا يبدو الدرس

الذي تعملته على مقاعد الدراسة مطبقاً بحذاقة وإتقان في السطور الأولى من قصص هذه المجموعة. وخاصة في القصة الأولى التي بعنوان "الأخبار السيئة" إذ تقول على لسان بطلتها: "إنه الصباح الآن، الليلة انقضت. وقت الأخبار السيئة. أفكر بالأخبار السيئة كأنها على هيئة طائر ضخم له أجنحة غراب، ووجه معلمتي في الصف الرابع... في بيتنا تصل الأخبار السيئة من خلال الصحف السيئة، يحملها لنا "تيغ" ... وتبدأ بسرود وقائع يومها وما تسمعه وتغني لها الأخبار السيئة القادمة من العالم، مستخدمة ضمير المتكلم. ولا تكون الخاتمة أقل موهبة وحذاقة من المقدمة إذ تقول "إنه يوم جميل. له رائحة الزعتر، أشجار الفاكهة عابقة بالزهر. ولكن هذا لا يعني شيئاً للبرابرة، في الحقيقة هم يقومون بالغزو في مثل هذه الأيام الجميلة. إنها توفر لهم رؤية أوضح ليسلبوا ويرتكبوا المجازر... هؤلاء هم نفس البرابرة الذين سمعت عنهم..."

أتوود اسم كبير في عالم الأدب الكندي والعالمي، ونجحت سابقاً في إخراج الأساطير من رموزها القديمة المتعارف عليها، وأعطتها أبعاداً مغايرة من خلال قصائدها سردها، كما تخطت في سردها الفاصل المتعارف عليه بين الشعر والنثر وفن المقالة، فكتبت ما يلتبس مقطوعات تستعصي على التصنيف، كما نجحت في هذه المجموعة على المزج مابين فن الرواية والقصة والمباغثة الشعرية، إلى جوار استحالة التفريق مابين الذاتي والمتخيل في كتاباتها.

حين سنلت أتوود في إحدى اللقاءات لماذا لم تكتب سيرتها الذاتية بعد؟ فكان جوابها مكرراً مغلفاً بابتسامة: لماذا أكتب سيرتي، حين نكتب أدباً يقولون، هذه سيرة، وحين نكتب السيرة يقولون هذا كذب وتزوير.

الكاتبة مارغريت تقاسمت حياتها مع زوجها الروائي غريم جيبسون الذي أخذت عنوان مجموعتها هذه من رواية له بعد أن توقف عن الكتابة ولم يكملها. حازت الكاتبة على جوائز عالمية مرموقة في كندا وخارجها، وترجمت أعمالها إلى أكثر من 35 لغة.

صحيفة الحياة 11/5/2008

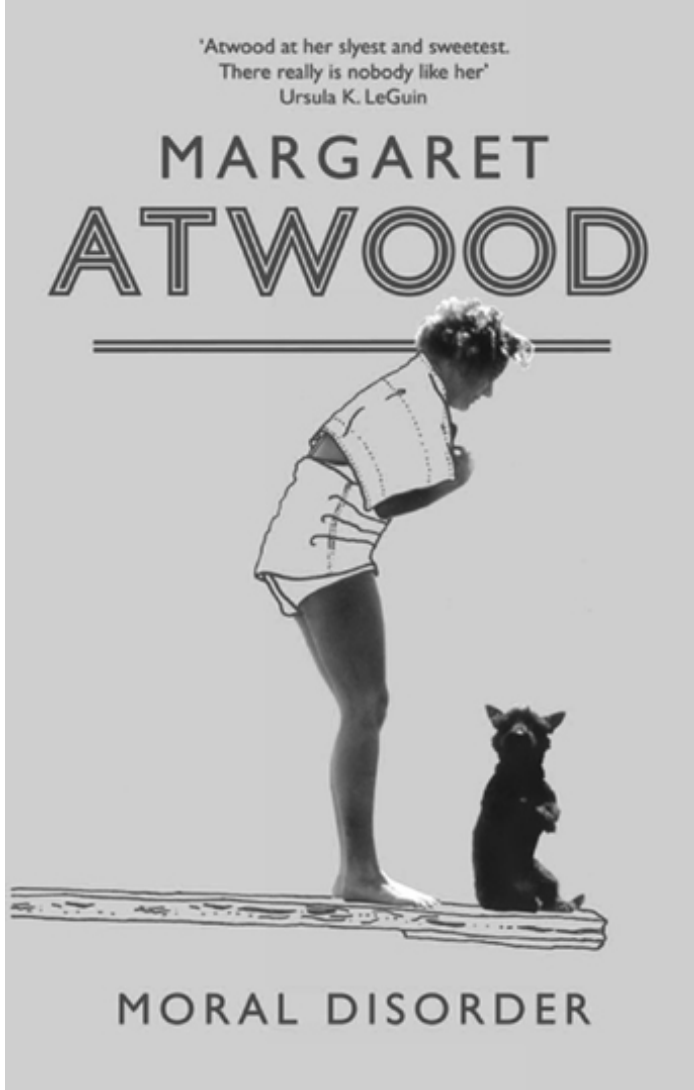
* **

سؤال اليوم: هل قمت كصحفي أو صاحب سلطة ثقافية في البيت العربي بمساعدة كاتب مبتدئ ومميز للوصول إلى القراء من أجل القيمة الأدبية بعيداً عن المصلحة الشخصية؟
أعود إلى أجوبة مارغريت أتوود في هذا المجال:

"على الكتاب مساعدة الكتاب" قالت مارغريت أتوود في حوار طويل معها على يوتيوب جاء في سياق حديثها عن بدايات انطلاق الكتابة والنشر في كندا. لم يكن نشر الكتب دارجاً في كندا إلى ما بعد الحرب

العالمية الثانية.

أما كيف تتم المساعدة، والمقصود منها الترويج للمنتج الإبداعي، نقده، الإعلان عنه والاحتفاء بقيمته الفكرية.



مارغريت أتوود وعقوبات وأدبيات اسئدانة المال وعدم الإيلاء به

حين قرأت هذا الكتاب تذكرت العلاقات الشخصية التي يدخل فيها المال وتتعرض للتشويه، وتصل إلى المحاكم في حالات الميراث، وفي حالات الطلاق وتقاسم الملكية وما يعقبه من مآسي سمعتها شخصياً أثناء عملي في حقل الترجمة للعرب والمسلمين. في هذا الكتاب لا تتطرق الكاتبة إلى ثقافة الاستئدانة في المجتمع الشرقي والإسلامي تحديداً لأنه الأبعد بالنسبة لثقافتها ولقلة المصادر العربية التي تبحث في هذا الجانب.

شخصياً تعرضت لمواقف عدة بعد الهجوة فحواها الابتزاز والخيانة والاستئدانة مني دون إيفاء الدين، وتعرضت لإشكالات إسريرة وعائلية تتعلق بالميراث وخيانة الأصدقاء للأمانة، وكان دوماً يقابلها الوفاء بالمعروف من قبل بعضهم ممن تعاملوا بوفاء وكرامة بلا قيد وشرط. ربما ترد هذه الحكايات يوماً في كتاب المذكرات. ولنتوقف هنا مع بانورما أتوودية وتفنيد لرحلة الإنسان مع المال والثروة. الجانب المظلم للثروة والدين

الكاتبة الكندية مارغريت أتوود وخلال مسيرتها الإبداعية الطويلة لم تتوقف عند نوع أدبي معين، بل خاضت في كل جوانب الكتابة بما فيها الخيال العلمي والكتابة للأطفال، إلى جوار النقد الأدبي والمقالات الناقدة التي تعكس مواقفها حول السياسة والفن. وفي هذا الكتاب تذهب بنا إلى منطقة أخرى وهي الثروة والديون وأثرها في حياتنا الشخصية والعامة. لهذا الكتاب أهمية استثنائية كونه يتناول الثروة ووجوهها الخفية والظاهرة وخاصة في هذه الحقبة التاريخية المعاصرة المتميزة بعواصفها الاقتصادية العاتية. وبمنظرة سريعة على الاقتصاد الأميركي والعالمي سنتعرف على ما تلعبه الثروة من تأثير على استقرار الأمم والأفراد.

الكتاب الذي صدر في كندا عن «أناناسي برس» أواخر عام 2008 في 224 صفحة بعنوان «دفع الدين» وعنوان فرعي «الدين والجانب المظلم للثروة» جاء على شكل محاضرات أُلقيت في جامعات كندية وتم الاحتفاء به من خلال راديو كندا «سي بي سي».

ولا تخلو صفحات الأدب من مسألة الدين بأكثر من حكاية ورمز.

نرى الأضحية السلبية في ديستوبيا جورج اورويل 1984 حيث نجد شخصية «وينست سميث» الذي عوقب وأرسل إلى الغرفة 101 التي فيها أقبح وأسوأ الأشياء في العالم، حيث كانت الجرذان الجائعة تنتظره. لكن سميث يصرخ ويطلب أن يعفى عنه وأن يأخذوا «جوليا» الحبيبة العشيقة عوضا عنه. راح سميث يصرخ «افعلها بجوليا، افعلها بجوليا، ليس أنا، لا يهمني ما تفعل بها، مزق وجهها، قطعها حتى العظام. ليس أنا، جوليا: ليس أنا».

وحديثا يتكرر ما يشبه ذلك الموقف على لسان الأم في رواية «رحمة» لتوني موريسون حين يأتي المزارع جاك فاراك كي يسترد دينه من الأم المعدمة الفقيرة، فتبكي وتتضرع تطلب منه أن يأخذ ابنتها إيفاء للدين وتقول «خذ فلورانس، خذ ابنتي، لا تأخذني أنا» ويحقق لها ذلك ويأخذ فلورانس الطفلة التي تكبر وتموت بعيدا عن أمها.

في الفصل الأول تناقش اتوود نظام دفع الدين والاستدانة، وكيف نشأ في عهد السومريين وفي مصر الفرعونية، حيث كان ميزان العدالة في يد المرأة كما يظهر في الحفريات والمنقوشات. وتذهب بنا المؤلفة أيضا لنعاين هذه المعادلة من خلال شخصيات الأساطير اليونانية والفرعونية، وتحلل ما ترمز إليه صورة المرأة التي كانت رمز العدالة وهي تحمل الميزان. ويقال إن ما بعد الموت كان يوضع القلب في كفة، وفي الكفة الأخرى يوضع رمز العدالة الصدق. ولاحقا وحسب الديانة المسيحية توضع الروح مقابل أفعال الإنسان - الخير والشر.

في الفصل الثاني تتطرق الكاتبة لمسألة حساسة في تاريخ البشرية وهي «الدين والخطيئة» وما ترتب على الإنسان حتى اليوم من تبعات لها تأويلها المتقارب والمختلف من دين إلى آخر، ومن نظام إلى آخر.

ونرى في العصر الحديث كيف صار الحديث عن الخطيئة والسياسة شائعا هذه الأيام ونلمسه في خطابات السياسيين في الغرب وأميركا على وجه التحديد، كما في خطابات الرئيس الأمريكي جورج بوش، وكذا خطاب الإرهابيين في العالم الذين يتخذون من الدين ذريعة.

في عالم اليوم لا يمكننا أن نتيقن من المثل الذي يقول «الموت يدفع كل الديون» وهذا لا يصح لأن الدائن سواء أكان حكومة أو فردا يمكنه أن يطالب باسترداد دينه، كما أن المقولة «لن تستطيع أن تأخذه معك» قد لا تكون صحيحة.

تقول اتوود في الفصل الثالث: الدين حكاية. من دون الذاكرة ليس هناك دين. ودون دين ليس هناك

قصة، إذن أي دين يضعنا في مواجهة قصة. من هو الدائن؟ ولماذا استدان، ومتى؟ وهل كانت النهاية سعيدة أم حزينة؟ وكيف تم دفع الدين؟ وهذا الدين يختلف حسب طبيعة المجتمعات.

فهناك مسألة شراء العروس ودفع ثروة ما لأهلها، وشراء البيوت بالتقسيط، والاستدانة من البنوك لشراء المفروشات، السيارات، وبطاقات السفر، والخضار واللحوم والأدوات الكهربائية.

وهناك قانون مكتوب وشفاهي مستمد من السلطة الدينية أو المدنية بموجبه يتم إيفاء الدين أو المطالبة به، وهناك عقوبة على الطرف الذي يخل بتنفيذ العقد، وتكون العقوبة بدفع فوائد أو بأشكال أخرى.

تشير أتوود إلى أن هذه المسألة حاضرة في قديم الأدب العالمي وتذكر مثالا شخصية ابنزير سكروج في رواية تشارلز ديكنز «ترانيم الميلاد»، إذ تطالعنا شخصية سكروج التي أصبحت شائعة ومعروفة ومتحولة وقد نصادفها في الأفلام وعلى المسرح وفي الشوارع، أي أنها شخصية مستمدة من الواقع.

وتطالعنا هناك الدعاية التي تقول: أعط بسخاء كما سالتنا كلوز/ عليك بالتقتير مثل سكروج.. وتذهب أتوود في التذكير بذرية سكروج ومنهم شخصية الدكتور فاوست في مسرحية كريستوفر مارلو (القرن السادس عشر) المعروفة بهذا الاسم. ومن المعروف أن فاوست باع جسده وروحه للشيطان بموجب عقد مكتوب بالدم.

الدكتور فاوست ليس لعينا. إنه يريد أن يحقق أحلامه ومتعه الشخصية ولا يبخل على أصحابه. ومن خلال السلطة والأموال يعد بأن ينقذ من الموت إنسانا على الأقل. هذه الحكايات قد تنقلب من كونها حكاية للتسلية والمتعة إلى أن تصل إلى القتل وتصبح اللعبة قذرة.

ينقلب البطل في ألعاب الأطفال والفيديو إلى متحكم بفكر الطفل واليافع، وتنقلب لعبة الدائن والمستدين إلى حرب وضحايا، رشى وابتزاز، وانتقام وعقوبات، وتجد لها مكانا في حياة الأفراد كما في تاريخ المجتمعات.

وما أكثرها حروب هذا القرن والحروب التاريخية التي كانت ولا تزال تجري تحت أغطية مختلفة؛ كنشر الديمقراطية مثلا، فيما الثروة هي الوجه الآخر والحقيقي للعبة التي لم تعد قصة خيالية، بل واقعا ترزح تحته شعوب وتنهار حضارات. ونشاهد ذلك اليوم على شاشات التلفزيون ونحن ندفع ثمن ما نشاهده.

ندفع للقنوات الفضائية نقدا أو «بالفيزا كارد». نستدين كي نشاهد أفلام الحب والحرب، ونستدين كي نشاهد قناة تاريخية أو عالم البحار، أفلام الجنس والعنف. أحيانا نعجز عن الدفع أو نتهرب. هذا ما تبحث فيه أتوود في الفصل الرابع من الكتاب تحت عنوان «الجانب المظلل من الثروة» وفيه تطرح

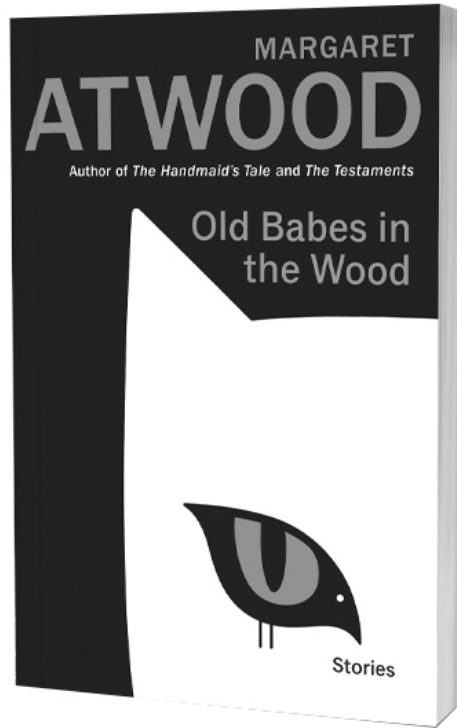
سؤالا رئيسيا «ما الذي يحصل حين لا يدفع الناس الدين المترتب عليهم؟

ماذا لو كانوا لا يريدون الدفع، أو لا يستطيعون، أو يمكنهم الإيفاء بطرق أخرى؟ وبالطبع، طرق

وأاليب إيفاء الدين متشعبة وتختلف باختلاف المجتمع والثقافة».

وتتساءل أتوود «متى سينتهي كل هذا؟» والجواب هنا يعتمد على ماذا تقصد بـ«كل»؟
الثروة في ظاهرها وتحت ظلالها يترنح العالم اليوم. وهو العالم الذي ترنح منذ بدء الخلق ومنذ قصة
هابيل وقايل. اليوم نقرأ في كل صحيفة ونسمع في كل نشرة أخبار مستجدات عن عجز شركات عن
الإيفاء بديونها وما يترتب على ذلك إشكالات. نقرأ عن بنوك تنهار، وصغار العمال يذهبون إلى بيوتهم
حاملين عجزهم عن إيفاء ثمن السيارة والبيت الذي اشتروه بالتقسيط. العجز الاقتصادي يحمل تبعاته
إلى مائدة الأسرة وسرير العائلة. فالرخاء الذي نكسبه لوهلة ونحن نستدين يتحول إلى كابوس حين
يأتي وقت «الإيفاء بالدين».

25 يونيو 2009 صحيفة الشرق الاوسط اللندنية.



مارغريت في مواجهة مع جورج اورويل والفيلاسوفة هيباتيا

بعد أن بلغت مارغريت أتوود 83 من عمرها، أنجزت خلالها 74 عملاً أدبياً وفنياً؛ تُرجم بعضها إلى لغات عالمية، ها هي تعود إلى القراء بمجموعة قصصية جديدة صدرت مؤخراً بعنوان: «الأحبة المعمرون في الغابة». محور المجموعة شخصيتان أساسيتان من كبار السن هما (نيل وتيغ) يتشابكان في بيئة أسرية، في البرية، في خضم الحياة على اختلاف منعرجاتها. في نهاية هذه القصص، يموت (تيغ) الشريك وتبقى «نيل» أرملة؛ لتعاني الفقد وأشجانه التي تظهر في قصص عدة ومنها قصة «أرملة» وقصص أخرى تسلط الضوء على تغير حياة الشريكة بعد رحيل رفيق دربها. وهذا ينطبق في جزء منه على حياة الكاتبة مارغريت أتوود التي فقدت زوجها الذي عاشت معه 50 عاماً وكان روائياً أيضاً. على الرغم من الحزن فإننا نجد في النصوص فكاهة وسخرية كثيفة، وهذه مهارة تجيدها أتوود في حواراتها وأحياناً في قصائدها.

المجموعة تتضمن 15 قصة تتناول حياة الأزواج وتقلبات الأمزجة مع التقدم في العمر، إلى جوار قصص ذات محتوى فكري وتاريخي. في بعض القصص شخصيتان محوريتان (نيل وتيغ)، وهذان الاسمان سبق أن وردا في مجموعة قصصية أقدم من هذه.

سرد تكثر فيه التفاصيل لتفتح للقارئ عالم الحكايات الطويلة الممتدة عبر الأزمان والأمكنة. الكاتبة لا تكتفي بتشخيص إشكاليات كبار السن، بل تنفض الركام عن وجه شخصيات عالمية عبر الأزمنة كان لها أثرها في الخلق الفكري الإبداعي منذ القرون الأولى في التاريخ عبر شخصية (هيباتيا) الفيلسوفة الحكيمة، عالمة الرياضيات الإسكندرانية المصرية اليونانية، التي تعود لتقول لنا كيف قتلت، ولماذا،

وصولاً إلى حوار متبادل مع الكاتب الشهير جورج أرويل. مثل كل الكتب التي تصدر في الغرب نقرأ مقتطفات عن الكاتب والكتاب على الغلاف الخارجي والمقدمة. هناك مختارات من صحفيين ونقاد وكاتبات معروفات عالمياً ومنهم كاتبة القصة أليس مونرو الملقبة بـ«تشيخوف كندا».

شهادة أليس مونرو، صديقة أتوود في الرحلة الإبداعية، من ناحية العمر والجغرافيا ومرحلة انطلاق الأدب الكندي إلى العالمية، قالت عن القصص: «من السهل أن نتعرف إلى القيمة الإبداعية في أعمال مارغريت أتوود بقوتها وتنوعها وطلاوتها. حين أفكر بهذا كله، وبمهارات الكتابة وموهبتها، أشعر بالفرح والدهشة».

عودة الفيلسوفة المصرية هيباتيا

ما غاية مارغريت أتوود من تدوير قصة هيباتيا ومن اللقاء مع جورج أرويل بعد وباء الكورونا؟ من هيباتيا، الشخصية التي تتحدث عن طريقة موتها في قصة «الموت بالأصداف»؟ هيباتيا (مواليد عام 350م) أول شخصية نسائية مفكرة، فيلسوفة بتوجهات أفلاطونية، عالمة رياضيات وفلك، وكان لها السبق في اختراعات علمية. ورثت عن أبيها العلوم وكانت تحاضر في مكتبة الإسكندرية. كانت امرأة فاتنة، اتهمت بالسحر والإلحاد، وتَعَقَّبَتْها جماعات مسيحية متشددة. رُبط جسدها إلى عربة سحلتها في شوارع الإسكندرية بعد أن تعرض لها حشد من الرجال لتصفيتها بوحشية على مرأى من العالم، ثم سُلخ ما تبقى من جلدها بالأصداف الحادة.

كان عليّ عند قراءة القصة أن أعود للبحث عن هذه الشخصية لأجد أن قصة هيباتيا صارت فُلماً بعنوان «أغورا»، وهناك تسجيلات وثائقية عدة عن هذه الشخصية التي قضت حياتها في الإسكندرية/ مصر، حيث نسبها يجمع بين المصرية واليونانية في العصر الروماني. تبدأ القصة بهذه الجملة «هيباتيا الإسكندرانية تتكلم». ثم تبدأ البطلة بسرد تفاصيل طريقة تعذيبها، سحلها، العصابة التي اعتدت عليها، موقف الرجال والنساء وهم يشاهدون جسدها تجره العربة في شوارع الإسكندرية الوعرة. تخبرنا بلسان (الأنثى) حكايتها مثل حكايات العصور الحديثة، وتسخر في مقاطع متفرقة من صورتها التي رسمها الفنانون: شعر أحمر وفتنة لا مثيل لها، وتفاصيل لا حقيقة لها إلا في مخيلة مبدعيها. أدوات السرد ومحاوره الفنية

كي تكون القصة مقنعة على الكاتب أن يكون ماهراً في إيراد الدلالات والصور وليس الأحكام والصفات، وهذا ما تفعله أتوود. لا تقول الساردة: إن هيباتيا قضت حياتها وماتت بطريقة لا إنسانية بشعة، بل تصف هذه البشاعة بتفاصيلها على لسان بطلتها، القتيلة التي تحدثت من سقف مخيلة الكاتبة. تتحدث عن ثيابها، لون شعرها، تقطيع جلدها بنوع من الأصداف يسمى (صدفة البطلينوس) وهي صدفة حادة الطرفين. وفي بؤرة العذاب تسخر وتجبر القارئ على الابتسام. وهذا يثبت مقولة القاص الساخر الناقد الأميركي مارك توين وفكرته النقدية الساخرة «لا تقل لي إن البطلة حزينة وتصرخ، أحضر البطلة هنا واجعلها تصرخ». هذا ما شعرت به وأنا أقرأ القصة التي تصل إلى 16 صفحة.

لم تعط الكاتبة آراء مع وضد، ولكنها تصف بلسان البطلة ما حدث لها: «لم يتقدم أي من النسوة المتفرجات على مساعدتي. بل كنّ يثبتن الغطاء على وجوهن ويمضين كمن لا يسمع ولا يرى. وأنا لا ألومهن، فلو دافعن عني لأصبحن ضحايا أيضاً...».

تتحدث بالتفصيل، عبر الصورة واللون، عن العنف اللفظي والجسدي الذي تعرضت له المفكرة من جانب جماعة من الكنيسة. وتشخص الصراع بين المفكرة الحرة والسلطة الدينية ووقوفها في وجه المرأة، وبخاصة حين تكون عالمة وحكيمة لها حضور يتعارض مع رغبة أتباع السلطة الحاكمة.

حوار ميت بين مارغريت أتوود وجورج أروويل لماذا اختارت أتوود في هذه القصة أن تجري حواراً افتراضياً مع جورج أروويل تحديداً؟ قالت في إحدى حواراتها: إنه طُلب منها مرة أن تُجري حواراً مع شخصية مؤثرة، من عصر آخر، فاختارت اللقاء المتخيل مع الروائي جورج أروويل. فكتبت القصة في 14 صفحة كما لو أنها مكاشفة تاريخية سياسية فكرية بين شخصيتين، وأديبين هما أروويل وأتوود.

هل يصح أن تتخلّى القصة عن السرد وتقتصر على أن تكون دIALOGUE بين شخصين؟ هذا ما فعلته قصة مارغريت أتوود باسمها الحقيقي، وجورج أروويل عبر «ديالوغ» حر يحرض على طرح الأسئلة الكبرى الممتعة والثقافية في آنٍ.

ربما يعلم كثيرون أن رواية أتوود «حكاية الخادمة» جاءت متأثرة برواية جورج أروويل 1948م. في هذه القصة تصرح الكاتبة لجورج أروويل بأنها تأثرت به، وأعتقد أنها قصة لقراء النخبة؛ إذ هي

محملة بثقافة عالية ومعلومات وثائقية عن المرحلة السياسية التي كتب فيها أورويل. تتحدث فيها عن دكتاتورية ستالين وبعض أطراف اليسار التي تحاملت على أورويل في حينه. وتسلط أضواء على مرحلة صعود الاتحاد السوفيتي، والأيدولوجيات اليمينية واليسارية المتحاربة، والأفكار المثالية التي حملها الفكر الاشتراكي، وانهيارها على أرض الواقع.

لكي يستمتع القارئ بالحكاية يجب أن يكون لديه خلفية ثقافية واطلاع على المجريات السياسية في الغرب، واطلاع على أعمال أورويل الشهيرة؛ إذ يتكرر التنويه إلى «الحذاء العسكري» الذي يسحق وجه البطل «الأورويلي»، واهتمام أورويل بالبيئة والأشجار والزهور، مع تحليل لخطاب الرجل للمرأة، ومفهوم النسوية والذكورية آنذاك، وما توصلت إليه الحركة النسوية الآن. ختاماً، الإبداع لا يموت مع التقدم في العمر. القصص في 250 صفحة ثرية ومتنوعة للأدب العالمي وتربطني هذه الحكايات ما بين الشخصي، الواقعي والمتخيل. سرد يحرض على التفكير وإطلاق مزيد من الأسئلة الكبرى حول قضايا الإنسان المعاصر والموغل في القدم.

هذا ما نشر في مجلة الفيصل السعودية عدد يناير 2024

سؤال اليوم: ماذا تقرأين الآن وما هو أجمل كتاب قرأته؟ سؤال وجهه صديق صحفي عام 2023 هذه الأيام أقرأ كتاباً صدر بالانكليزية عن المفكرة الفرنسية سيمون دو بوفوار عام 2012، يحوي الكثير من المقالات وبعضها لم ينشر. كما يشمل سيناريو فيلم كتبه ويعالج مسألة التقدم في العمر ومعاناة كبار السن في دور العجزة في فرنسا.

أجمل كتاب قرأته؟ قرأت كتاباً جميلة كثيرة، ولكنني مؤخراً قرأت كتاباً بالانكليزية بعنوان: "الكتابة بلا خوف" لكاتب أمريكي "وليام كينور" والكتاب محور لتحسين الكتابة الإبداعية والثقة بالنفس بالتغلب على الخوف والرقابة. لغة بسيطة وعميقة من خبير في فن الكتابة. تمنيت لو أنني كاتبة ما يشبه هذا أو على الأقل مترجمته إلى العربية.

كيف تم تكريم الأيقونة مارغريت أتوود في كندا

آخر مرة التقيت بها في سبتمبر 2024، والتقطت بعض الصور في افتتاح جلسة حوار حول البيئة وواجب الدول والافراد للحفاظ على سلامة الكرة الأرضية من التلوث والخراب المتسارع. التقطت الصور وكتبت مقالا عن تلك حوار الحافظ على البيئة من الدمار والتلوث. لم أقل لها بأن هناك عدة طوابع بريدية معلقة فوق مكتبي. الطابع البريدي بالأسود والأبيض وعليه صورتها. اشترت الطوابع قبل أن تختفي من السوق ولم أرسل بريداً لأحد. إذ تم تكريمها في بلدها عام 2022. حين يصيبني التعب وأفقد الأمل في معنى الكتابة والنشر بالعربية، أنظر إلى الصورة على مستوى رأسي وأعلى وأقول لنفسني هيا ما يزال في رأسك كلام كثير يا جاكليين. كلام يزعج. كلام يغري. كلام ينفر الآخرين الذين لا يعجبهم الاختلاف. كلام يعشق. كلام بلا بوصلة. كلام يحدد القارئ بوصلته ووقعه وجدواه في الزمن والوقت المناسب.

"كلمة بعد كلمة بعد كلمة، تتجسد القوة" كتبت مارغريت أتوود، في قصيدة لها وجاءت على الطابع البريدي. ولكن البرابرة في كل مكان ويتغولون كل عام ويشعلون الحروب في الأيام الجميلة والقبيحة.

كتاب مقالات: أسئلة محترقة

في كتاب متنوع لماغريت أتوود بعنوان: أسئلة محترقة تجد عددا من مقالاتها وكتاباتهما والمحاضرات التي ألقتها في مناسبات شتى في كندا وأوروبا وأمريكا. تتحدث في فصول من الكتاب عن البيئة. ونعرف من خلالها أنها كانت وزوجها تذهب في رحلات استكشافية لمناطق نائية وباردة في كندا للتعرف على البيئة. كان زوجها الروائي "غريم غيبسون" أيضا ناشطاً في هذا الحقل ومغرم بدراسة

الطيور وعالم الطبيعة.

ويعرف عن نشأتها بأنها قضت سنوات حياتها الأولى مع والدها في مزرعة بعيدة عن المدينة وكان والدها عالما وباحثا في قطاعات مختلفة. وكانت الأم قوية ولا تفرق بين الولد والبنت في تربيتها وفي أداء المهام المنزلية واللعب والعمل خارج البيت.

الفقر...والكتابة التي صنعت ثروة بالملايين

وجاء هذا التكريم في أعقاب احتفالها بعيد ميلادها (82). وهنا أذكر فقرات من حوار مع أتوود. مارغريت لم تتردد في أن تذكر بداياتها وتقول بأنها كانت تشتغل نادلة في مقهى، حين كانت تدرس، ولم يكن عندها فستان مناسب حين ذهبت لتوقيع كتابها الأول الذي صدر في السبعينات، وربما الستينات. هناك الكثير من العرب بعد أن يهاجروا الى هنا يقدومون أنفسهم للآخر على أنهم أبناء ملوك وجاه وثروة أهلهم لا تأكلها النيران.

وعن توقيع كتابها الأول في الشعر، تقول للمذيع بمرح، انها استعارت فستان صديقة تسكن معها كي تذهب إلى حفل التوقيع... وكانت تحمل حقيبة الكتب وتساfer في الباص كي تقرأ الشعر. وهي الآن من ألمع وأغنى نجوم الكتابة وربما الأغنى ماديا ككاتبة لأن مبيعات كتبها كانت هائلة وتم تحويلها الى أفلام ومسلسلات عاد اليها بمرودودي كبير .

ديوان الشعر والعشق بعد وفاة الشريك 2020

في آخر ديوان شعري صدر لها بعد وفاة زوجها بعنوان " المحبوب" تتحدث في قصيدة طويلة عن ألم الفراق وما يخلفه من الأسى على الشريك. ولأن بعض الأصدقاء الكنديين يعرفون عشقي لكتبها وصلني نسختان هدية في عيد الميلاد في نفس العام. وفي عام 2024، صدر لها مجموعة الأعمال الشعرية المختارة والجديدة. نجدها في منتصف الثمانينات من العمر تنتج إبداعا وما تزال نشيطة وتتنقل من بلد إلى آخر وتنجز مشاريع وبرامج لخدمة البيئة والأدب والإنسانية وتنقل بعض محطاتها إلى صفحاتها العامة على فيسبوك وتويتر.

ومع انتشار التسجيلات الصوتية ونقل الأفكار صوتا وصورة قمت بتسجيل قصير عبر الفيديو أتحدث فيه عن هذه الكتب والأفكار التي تناولتها الكاتبة وبتوسع أكثر. بعد ذلك وصلني الاتصال من صديق عزيز يقول: لقد غفوت البارحة وأنا استمع إلى صوتك وأفكارك. ونصحتني بالاستمرار في تعميم مثل هذه الافكار صوتا وصورة. وقمت فعلا بذلك بين فترة وأخرى وحسب الوقت والمزاج.

ولي أمنية أن تلتفت الحكومات العربية لدعم المنتج الأدبي الإبداعي وكل أبواب المعرفة لأنها الطريقة الوحيدة للتقدم، لقتل الجهل، ولتعميم المحبة والتآخي والعلم للجميع.

سؤال اليوم: نحن في المنطقة العربية نقوم بكل هذه الأنشطة مجاناً، لأن الحلم لم يمت فينا ورغبنا في إصلاح العالم وإنقاذه من العته والوضاعة والعنف تجعل الكثير منا متطوعاً في جبهة النضال السلمي، الفكري والأدبي. بينما مارغريت أتوود وصلت إلى قائمة الأثرياء بين الكتاب في العالم. نحن عالم يستحق الشفقة حين نقارن حال ثقافتنا بثقافات أخرى.

صاحبة مقالة رأي في القضايا النسوية والبيئية والسياسية احياناً. كتبت رسالة عام 2003 الى رئيس امريكا حين قرر الحرب على العراق تعترض على خطته العسكرية. لها مواقف داعمة للفن والأدب الكندي لا تخفى على أحد. بعض كتب أتوود تم سحبها من رفوف المكتبات العامة في امريكا لاعتراضهم على المحتوى الجنسي للرواية. في الحضارات والثقافات التي تعاني من الاعتلال بصور شتى





بانوراما مارغريت أتوود في الشعر والسرد والحوار والنقد والبيئة

ما الذي يشدني إلى أمسيات المهرجان العالمي للمؤلفين في تورنتو لعام 2024 يجري في مدينة تورنتو الكندية كل عام في سبتمبر. ويقع بين يوم 19-29 سبتمبر هذا العام 2024؟ لا بد أن الإيمان بالفعل الثقافي لإحداث تغيير وخلخلة في بنية العالم هو الذي يدفعني كي أعطي من وقتي وأستمع وأكتب شهادتي الأدبية.

حضرت عدة لقاءات مع كتاب من كندا وأمريكا وأوروبا/العالم في اليوم الأول والثاني. وكان لي شرف المشاركة في هذا المهرجان عام 2023. وأحضر هذا العام فقط كصحفية لديها شغف وفضول المعرفة. وهذه بعض ملاحظاتي ومشاهداتي:

1 - جلسات اللقاء والحوارات ليس فيه إلقاء خطابات طويلة وأوراق بحث قصيدة النثر والرواية والتجريب وحكايات مضي عليها نصف قرن. إلقاء كلمة من قبل كاتب أياً يكن مقامه (هو-هي) حتى مارغريت أتوود لا يتجاوز ١٠ دقائق لا أكثر. كانت كلمتها في افتتاح جلسة عن حماية البيئة وخطر التلوث البيئي قصيرة. وكانت الجلسة تكريماً وتذكيراً لزوج الراحل غريم غيبسون الذي رحل عام 2019، وهو كاتب وروائي كندي معروف وكان ناشطاً في حقول حماية البيئة والعمل على الحد من التلوث، وهو مع شريكته حياتته أتوود وغيرهم هم من أسسوا اتحاد كتاب كندا في السبعينات من القرن 20.

2 - هناك جلسات حوار حول الأفكار محددة مسبقاً وحول كتب نشرت حديثاً، وكل الجلسات قصيرة من ساعة إلى ساعة ونصف كحد أقصى يجري فيها محادثة كاتب أو كاتبين معا وليس أكثر.

3 - الذي يحاور وي طرح الأسئلة لديه إطلاع جيد على الكتاب الذي يتم الحديث عنه، ولديه اطلاع على الموضوع المطروح للحوار، وليست أسئلة عمومية كمثّل (ما رأيك بقصيدة النثر، هل هي شرعية

أم لقيطة ومستوردة؟)

4- التقديم للمشاركين في أي حلقة يكون مختصراً جداً فيما يخص السيرة الإبداعية. الاسئلة مباشرة وواضحة، الإجابات تعتمد على ذكاء الشخص ومدى معرفته بالموضوع المطروح. ولا يوجد تسفيه ولا تمجيد فارط وفاقع لأي كان ولا تقليل من أهمية أي منتج. المبالغة السلبية والايجابية تنقلب إلى ضدها أحيانا وأراها تحدث في مراكز ثقافية عربية.

في جلسة مدتها ساعة، يعطى للحضور حوالي 15 دقيقة للتعقيب والسؤال. ثم يتم توقيع الكتب في ساحة خارج الصالون. أصابتنى الغيرة أو الحسرة حين رأيت طابور الواقفين وبيدهم الكتب للحصول على توقيع الكاتبة. ذهبت كي ألتقط صوراً للكاتبة فقال لي رجل يقف هناك كما لو أنه حارس: (التصوير ممنوع)

قلت له: أنا أصور الكاتبة فقط وليس أنت أو هو ممن يشترون الكتب. ابتسمت وخرجت مستغربة لأنني في سنوات عديدة كنت أحضر هذا المهرجان وألتقط الصور ولم يكن هناك أي تحذير. طبعاً، امتعشت. أنا صحفية وأريد أن ألتقط صوراً في مثل هذه المناسبات.

هامش ومقاربات: بخصوص الوقت والسيرة الأدبية وجلسات عربية : مرة حضرت ندوة اونلاين، كانت تقام في بلد عربي. كان هناك وقت للدكتورة (سين) كي تقدم نفسها للحضور، وبدأت تتكلم عن انجازاتها منذ كانت في الابتدائية وكيف أخذت شهادة حسن سلوك وشهادة في الطبخ وشهادة في العمل الطوعي ثم عدت اسماء الأبحاث التي كتبتها وعناوين الكتب، ورغم انها حائزة على شهادة دكتورة في الأدب وليست بحاجة الى هذه القافلة من التذكارات التي تستهلك وقت المستمع ولا تفيده في شيء علمي أو أدبي أو فكري. يعني استهلك وقتي وتثابنت وخرجت من الجلسة ولم أحضر ثانية جلسة اونلاين.

5 - يحضر المشاركون على الموعد الى الصالة بالتوقيت المحدد تماماً ويغادرون القاعة كما هو محدد في الجدول . وبعض الحضور الذين يتأخرون في دخول الصالة، يقوم متطوعون بأخذهم إلى المقاعد الفارغة في الخلف وبهدوء شديد كي لا تتم مقاطعة المتحاورين. حتى في جلسات النهار، تكون اللقاءات في غرف معتمة كما صالات السينما، والأضواء مسلطة فقط على المسرح حين يجري الحوار. كرسي ابيض من الجلد، وطاولة صغيرة ومزهرة فيها وردتان أو ثلاثة فقط. وهناك ماء لكل محاضر.

6 - الحضور يدفع ثمن التذاكر لكل جلسة أو يشتري تذكرة يوم كامل لحضور جلسات النهار كله على تنوعها. أنا اشتريت بطاقة عبور لكل أيام المهرجان. وأحاول أن أفهم شيئاً جديداً من أي حوار.

وسوف يجد كل شخص موضوعاً يهمه في هذا الحقل الإبداعي أو ذاك. حضور الشباب أقل بكثير من عدد كبار السن أو المتقدمين في العمر. هذا يعني أن القراءة عند جيل الشباب تنحصر في كل مكان بسبب استخدام الموبايل والتكنولوجيا الحديثة التي تقدم الكتاب المسموع، واللقاءات صوتاً وصورة-اونلاين. 7- حضرت جلسة البيئة والتلوث تحدثت فيها الكاتبة مارغريت اتوود عن أهمية هذا الموضوع، وثم دار النقاش بين كتاب وناشطين في هذا الحقل ودار الحوار المذيعة والكاتبة المعروفة هنا (نهلة عايد) التي تقدم برنامج أفكار في راديو كندا سي بي سي .

8- الكتب الصادرة بالانكليزية متواجدة في ساحة للبيع داخل المبنى، وهناك ركن في ساحة هاربرفرونت سنتر لبيع الكتب الخاصة بدور النشر الصغيرة وبلغات غير الإنكليزية ومنها العربية لعرض بعض الكتب العربية للبيع. وسيكون ديواني الجديد (أشجار إنخيدوانا) متوفراً للبيع هناك. خاص للجالية العربية في تورنتو: يوم ٢٨ سبتمبر سيكون مخصصاً في حيز كبير منه للأدب العربي، سيحضر الكاتب العراقي سنان انطون، والروائية المصرية الكندية نور نجى، داني رمضان، وهناك الشعر المحكي لأصوات من الإمارات. وفي يوم آخر هناك جلسة حوار ستجري مع الكاتب اللبناني الكندي رجا خوري وضيواف آخرين وسيكون محورها ما يحدث في المنطقة العربية وكيف نتحاور في مثل هذه الظروف.

هذه المهرجانات هي فرصة كبيرة لدور النشر التي تباع كتباً بأعداد هائلة وحسب شهرة الكاتب الذي يتم استقدامه سواء من كندا أو من أوروبا وأمريكا. وكل مشارك في الجلسات يحصل على مكافأة مادية معينة مسبقاً. ولا يطلب منه سوى الحضور بأفكاره كلها وروحه العالية. وهناك غرفة مخصصة للكتاب حيث يجدون شراباً وبعض الصندويشات الخفيفة وماء وقهوة وعصير ونبذ. وهناك كان لي فرصة اللقاء بعدد من كتاب العالم وكندا في سنوات سابقة.

ومن الأسماء التي يحتفى بحضورها الشاعر والروائي الكبير مايكل اونداتجي صاحب رواية المريض الانكليزي، والذي عاد هذا العالم الى إصدار مجموعة شعرية جديدة ويعتبر واحداً من القامات الفاعلة والمميزة في الأدب الكندي. قصيدته الأخيرة تأخذ شكلاً سردياً حكاياً على شكل كتلة تلوذ بالقص وتمسك خيط الشعر برهافة.

نشر يوم 29 سبتمبر 2024

كلمة اليوم: سمعتُ حوارات لمارغريت أتوود تقول بصراحة أنها تنتقد بقوة أحداث سياسية واجتماعية لأنها لم تعد تخاف على لقمة عيشها من أن تتأثر فيما لو كانت تعمل لحساب شركة أو جهة معينة. لقد اجتازت تلك المرحلة عمرها وماديا ولها ثقل إذا تصدرت لموضوع ما. وتلك المكانة حجزتها لنفسها بموهبة ومهنية وذكاء ونباهة نادرة. لذلك هي لا تلوم من لا يستطيع أن ينتقد ظاهرة خرقاء ما لأن بعض الكتاب محكومين بالخوف من الرقابة وأشياء أخرى.

هل هذا يعني ان الحرية هنا ليست مشاعاً ومكفولة للجميع بلا قيد ولا شرط؟ بالطبع هنا قيود خفية وأخرى معلنة وتتغير من عقد إلى آخر وفق الحراك المدني والديني والسياسي المسيطر على العالم.





الفصل الثاني

أفكار ملونة

ديكتاتورية المثقف وهزيمة المخبر في الحوار المعاصر

"أكبر خطر على الحرية هو غياب النقد"
ول سوينكا

كن محاوراً ناقداً ولا تكن عدوانياً لعيناً
كتب ول سوينكا، وهو روائي نيجيري وناشط سياسي، شاعر حائز على نوبل "أكبر خطر على الحرية هو غياب النقد"
وتبقى طريقة النقد وكيفية إدارة الحوار دليلاً على سمو صاحب القلم الذي له ملكة استخدام مجساته الفنية لاستخلاص أفكار جديدة لم يصرح بها الطرف الآخر. وهي الغاية من التحوار عن قرب وعن بعد. فالعدوانية ليست نقداً بل ممارسة مرفوضة أخلاقياً وأدبياً.
عالم اليوم شديد التقيد لكنه ليس أذكى مما كان في السابق أدبياً وإنسانياً. الآن تتصارع وتتلاقح الحضارات والأديان والقوميات والآراء متعددة في منصات التواصل الاجتماعي المعاصر بشكل لم يسبق له مثيل. وبحكم السفر والهجرات واللجوء والإقامة بين هذا البلد وذاك، أصبح الفرد مضطراً أو مخيراً على أن يكتسب من ثقافة الآخر، يتعلم أن يحاور دون أن يقاتل، ينتقد دون أن يشتم ويلعن بشكل مبطن وصريح. كما على الإنسان المعاصر في أي ميدان أن يتقبل المختلف دون أن يتعدى عليه ويحاول تصفيته معنوياً وإبادته. وهذه إيجابيات تضاف إلى كونية المعرفة وسهولة انتشارها بالطرق المعاصرة، التقليدية والذكية. وإذا وجدت نفسك على منصة بحكم كفانتك أو بمكاسب انتهائية، كن مدافعاً عن رأيك ووجهة نظرك دون ضحايا. وبالطبع تستطيع أن تكون مبتذلاً في هذه الفضاءات

مادمت لا تملك أبجدية الفكر وأولوياته فيما أنت تحاول أن تبرر صوابك المطلق الذي لا يدحض.

"كلما نجح صديق، أموت قليلاً" غور فيدال

النقد الثقافي والتقييم الأدبي والاختلاف فكرياً ومعرفياً، له طرق وسلوكيات يعرفها أصحاب المهنة الذين شذبتهم التجربة والمعرفة والخبرة في مهارات الحوار والاختلاف دون طعن أو تسفيه أو انتقاص من شأن الآخر. بعض المثقفين العرب يذهبون إلى الحوار مع الآخر لغايات لا علاقة لها بمنتج الآخر بل لإبراز أنفسهم وتضخيم مقامهم على حساب المقابل. ويلجأ هؤلاء في الوقت ذاته إلى الكيل بمكيالين وحسب الشخصية التي يتحدثون أمامها. تراهم يتعاملون مع أدبيات المرأة التي لها جانب من السلطة الأكاديمية بطريقة مغايرة تماماً لكتابات المرأة التي لا سلطة لها إلا المعرفة الحرة دون تبعية. تثمين وتدليس حسب المقام وليس قوة الفكرة.

ويكون تقييمهم كذلك في تعاملهم مع الإبداع الذي يكتبه الرجل-صاحب السلطة الثقافية. هناك تثمين بفردة المنتج الإبداعي. وهنا لا تكون غاية المحاور أن يكتشف أعماق الكاتب ورويته الفنية وأدوات صنعته وكيفيتها، بل همه وغايته أن يتصدر المشهد فيكون الآخر وسيلة ليس إلا. أمثال هؤلاء عينة صارخة على الانتهازية وعدم المصادقية. يحدث هذا في الفضاء الافتراضي ويحدث وجهاً لوجه في الملتقيات الفضائية والمنتديات في المهجر وفي الميديا العربية.

عزيزي المثقف، حين تعتريك موجة عاتية من الحسد والغيرة لأن إحدى الصديقات أو الأصدقاء الكتاب أنجز كتابة جيدة وحاز تقديراً ونجاحاً مرموقاً، ما عليك إلا أن تغضب من نفسك قليلاً بينك وبين نفسك. إن كان لا بد- ثم تتوجه إلى الكمبيوتر وتحاول أن تكتب نصاً أرقى. حاول ألا تبدد طاقاتك في الدهاء والتذاكى. وعليك أن تقي نفسك من الموت حزناً وغيرة من نجاحات الآخرين. لا وقت للحقد والغيرة فكلنا نستحق الشفقة في شعاب الأدب العربي. واجعل من غيرتك محضراً إيجابياً متحرراً من أمراضك النرجسية وإيقاعات الإيغو العاتية.

قال غور فيدال، وهو روائي أمريكي عاش بين (1925-2012) : "كلما نجح صديق، أموت قليلاً" وكان كاتباً منشغلاً بالسياسة والمواضيع الاجتماعية والتاريخية في أدبه كما في حياته الشخصية.

المثقف الخائن للمدنية

محاولة التصفيات الجسدية والمعنوية والإبادات عمل إجرامي ترتكبه السلطات العاجزة عن استعمال اللغة والقول لخلق التفاهم بين الحضارات والأديان والقوميات. وليس لانقاً بأي فرد يشتغل في حقل

الأدب أن يمارس فعل إبادة فردي بكل قواه المعنوية والمادية لمجرد عدم تطابق بين أفكار و نظرية الأول والآخر. هناك مثقفون لهم نفوذ ويفعلون ذلك ويقبضون ثمن عملهم المأجور مع شهادات تكريم خلف الكواليس وأمام المايكفون.

السلطات العربية والدولية العثمانية والصهيونية ارتكبت عدداً من الإبادات والمجازر بحق الشعوب وبحق الأقليات التي تتعايش في نفس الحيز الجغرافي، ولسنا هنا في صدد حصرها وتلك السلطات خلفت ثقافة وعقليات فردية جاهزة لقتل بذرة الفكر المختلف. وهذا يدعونا للعودة إلى دراسة شخصية المثقف التابع والذي يخدم مصالحه بانتهازية مزدوجة.

حاول ألا تصبح عميلاً مأجوراً وسجادة للسلطان كي تحصل على سلطة ومكسب مادي وتحظى بالدعم، بمنحة أو وظيفة مرموقة في مكتب ما. الوقت في يدك فرصة لتحرير رأسك من الخوف الذي يدمر جدار الإبداع فيفقد الكاتب الموازنة بين الجمالي والإنساني الحر. الزمن ملائم في كل المنعطفات لتحرير الأقلام من صمت مفزع ما بين ديكتاتورية تنهار وأخرى تحل محلها وتكمل سلسلة القمع وبأدوات مختلفة.

الكاتب والديكتاتور وزملاء المهنة

بعض الكتاب يشتمون الديكتاتور، وبنفس اللسان وتلك اليد يشتمون زملاء المهنة من نساء ورجال إن حصل خلاف أو اختلاف في طريقة النظر إلى قضية ما، أدبية أو فكرية أو سياسية. بعضهم وبشكل نرجسي، يزيد معدل قبحه حين تكون قبائلته امرأة ناجحة لا تشبه أحلامه عن النساء. الجندرية تتمظهر من وراء الأقنعة. وهؤلاء لا يعول على صوتهم ضد الديكتاتوريات إن لم يقتلوا الطاغية الصغير الذي في رأسهم. وهؤلاء مؤهلون لأن يكونوا في مقام الديكتاتور إن سنحت له الظروف المستقبلية لذلك يبقى نضالهم خليباً.

لا تصبح جحيم من يختلف فكراً

الآخرون جحيمك حين تجعل ممن يختلف معك في الرأي عدواً تجهز عليه قبل أن يفعلها هو. نحن نردد ما قاله المفكر الفرنسي جان بول سارتر "الآخرون هم الجحيم" ونعلم أننا لا نستطيع العيش دون الآخر رغم أنهم يحضرون المجتمعات والأفراد لمرحلة سلطة الذكاء الاصطناعي على الإنسان الضعيف أمام جبروت قوة المال والتكنولوجيا التي تديرها سلطة رأس المال التي بلا روح.

مرارا سمعت وقرأت تعليقات لزملاء وأصدقاء عن مثل هذه الممارسات في بيوت الثقافة العربية ومنابرهما، وأقول: لم ينج أحد منا أدباء وشعراء وأفراد من مغبة مثل هذه السلوكيات. ويجدر بنا أن نذهب في العمق كي نفهم سيكولوجيا الأديب الذي في بطنه طاغية.

سيبقى النقد والحوار أهم الطرق في التفاهم والوصول إلى أركان البناء المدني الإجتماعي الإنساني.

كتب الأديب المهجري ميخائيل نعيمة: "كم من ناس صرفوا العمر في إتقان فن الكتابة كي يعمموا
جهلهم لا غير"

سؤال اليوم:

كم هناك من كتّاب عرب صرفوا وقتاً في القراءة والكتابة وكانوا على أرض الواقع أنذاً لا رغم المعرفة
التي جمعوها من استظهار الكتب والمقولات المنسوخة عن كبار فلاسفة العالم ومفكريه " !

نشر في صحيفة الصباح العراقية، 15 تموز 2024



الحرية في الشرق رومانسية وطوباوية



الحرية أكثر الكلمات رومانسية وطوباوية في البيت العربي. حين نريد أن نكتب بحرية، نحن نحاول أن نثقب الجدار المصمت بين الأول والآخر بقلم وكلمات فينتفض حماة جدران الجهل للابقاء على روح التخلف والعداء والعنصرية. الجدران منتصبه في بعض الأفواه الرؤوس قبل الواقع. راقب الحجارة التي في رأسك قبل أن تحاسب الآخرين على أفكارهم. تأمل قليلا في أفق الحرية الذي يتسع للجميع، لأنه جميل وأكرم مني ومنك.

*

أستطيع أن أتعاش معك حين تتخفف من وصاياك المقدسة وأبجدية الثواب والعقاب في خاتمة النقاش وأوله. ونستطيع أن نتفاهم حين تتخفف من إملاءات قوميتك الباهرة التي قد تصير مفاهيم دينية منغلقة لا تخدمك ولا من تعيش وسطهم.

*

أستطيع أن أتقبل أفكارك حين تتخفف من إملاءات طائفتك وقديسة منهجك الموروث وتقاليد أسرتك التي تريدك خادماً في عشيرة عصرية. أما الذي يريد نعالجاً ومريدين في القرن 21، سيدور حول نفسه وسينتهي به المطاف لأن يكون نعجة أو ذنباً في حظيرة سلطان ما من هذا الفضاء.

*

سأزهو بحبك حين يصبح فكرك نوراً وقلبك شعلة، وعينك منارة ترى إلى عيني ندأ لندي، وتسير قربي كتفاً إلى كتف يسند حين العثرات ويمضي في الطريق إلى الغد. ولي رأس تسرح فيه الأفكار تتبلور وأتخفف منها بين محطة وأخرى بكتابتها وإشهارها.

*

النور دين وديدن من قبل التنوير الروحي ليكون كائناً أسمى بغض النظر عن طائفة القوميات والعشائر والأديان، وفي ذلك يكون الفرد قد مضى خطوة في طريق السلام مع روحه ومحيطه.

العالم الجديد خليط ولم يعد هناك عرق أنبل من باقي الأعراق. لقد سافرت الشعوب عبر المحيطات والقارات، واختلط الدم بالدم، واللغة باللغات الأخرى. فلا تبصق في صحن من استضافك على علائك وفتح لك باباً ومحراباً وبيتاً. فكر لنفسك وستعرف مواطن عبثك المتلونة وضعفك المستور بأقنعة ملوثة.

*

هل تعرف مكونات العبودية التي تعيشها أو تمارسها بنفسك على من هم أصغر منك سلطة؟

وأتصور أن لا أحد ينجو من خرائبه الخاصة والعامة، بصورة أو بأخرى إذا كان لديه الوقت والصدق للتعرف على أشكال العبودية التراتبية البطريركية، الهامشية والعظمى التي يمارسها خلف الأقنعة في مجتمع التبعية الشمولية والسيادة الأحادية.

*

توحش الإنسان في بعض الحارات ولم تفقد الوردة شريعتها التي هي الجمال والعطر. ولم نفقد حاجتنا إلى ما يكفيننا من الخبز والورد، نتقاسم الخير معاً في ضوء شعلة هي مرسال النور والرؤية.

ألا تسأل، ما الذي جناه التاريخ من كل الحروب والايديولوجيات؟

لا شيء أكثر من الخسائر. ولكن هي يمكنهم العيش دون قتال؟

قالت: لا أدري، ماذا تقول أنت؟!

قال: أنا جانع. ما العشاء، لا أدري لماذا تتدخل المرأة في قراءة التاريخ؟!

قالت: حين تقرأ لغيرك كتاباً أدبياً أو فكرياً حاول أن تبعد قاموسك الايديولوجي عن وجه النص.

ابعد كتابك المقدس عن النص. وابعد قاموسك السياسي والأخلاقي الشخصي عن النص الإبداعي وعن الفكرة. العالم يستنجد بك وبهم كي ينجو من المجازر المكررة والحروب اليومية المضمرة، بينك وبينهم.

القاموسي كائن بلا مخيلة. القاموس كتاب بلا أحلام.

مفردات القاموس نصنع منها لغة للتفاهم. نصنع منها أدباً وفكراً يتجاوز إطار الكلمة بحد ذاتها.

*

ولكن، كيف وصل المجتمع إلى هذا الحد من القسمة العدائية العدوانية، الشللية المشلولة التي لا تأخذ بنا في دوامة الحلم الملتوي كافعى لا تعرف طعم التفاح ولكنها تشم رائحة الأجساد العاشقة عن قرب وعن بعد،

عن زهد. عن أدلجة. عن فقر وترهيب، وعن خداع ووعود بالنهايات الطوباوية السماوية.

عن خوف من ذلك النص الذي كلما سترناه بالورد والأوراق، يشف، ويعبر الأفق بكيمياء لها خلطة خاصة، رائحة مؤلمة، عطر مسكر، خطيئة لم ترتكب بكل حذافيرها، لا تقبل القسمة على نصفين. كعين تغمض روحها كي تسقط في بئر الروح الأخرى. كي تنام في رفاية اللغة التي ليست نصف رغبة. نصف رجل. نصف امرأة ونصف حب. الأنصاف ليست من الإنصاف.

الاكتمال دائرة الدرويش الذي يسقط من الإعياء وليس في ثوبه سوى التيه والتلاشي.

*

حزن الحكايات يبكيها ويشقينا ما انكسر من دمعها على كتابنا
نفي الحكايات عن حسها يقتل الصدق فيها وفيها.
نفي الإنسان عن حرية القول، قتل للغة والبيان ومنبع المعرفة.
لا تقتل إنساناً يقرأ الأرض والسماء والوجع في عيون الفقراء قبل الحرب وبعد.

*

الحصار الفكري والقيود على حرية المفكر والكاتب في العالم العربي، سيأخذ المنطقة إلى سبات عقيم واستهلاك للمقولات والأفكار المعلبة والبائدة ولسنوات قادمة. بتصوري، لن يصبح العالم العربي نقطة مؤثرة في العالم لأنه لم يسمح بمساحة لائقة من الحريات للباحث والمفكر والأديب. إنه يضع الجميع في قوالب وإطارات تخضع لأحكام السلطة الدينية والمدنية. ولو سمح للمعرفة والفكر العربي أن يستثمر كما هو مسموح استثمار آبار النفط والبتروول لصار للثروة الفكرية العربية قيمة عليا وكرامة على أرض كل القارات.

المفكر الغربي ليس لديه جينات أذكى من الكاتب العربي، لكن خلطة الحرية والقول والتجربة مسموحة بدرجات كبيرة، ولن نقول أنها حرية مطلقة بل تتراجع في العقد الأخير بنسبة ملحوظة. المؤسف والخطير، أن هذه السلطات المؤطرة والخائفة للتفكير الحر في الشرق تحاول أن تمتد بأدواتها القمعية إلى خارج الساحة العربية من خلال توابعها ومؤسساتها في الغرب، وتفرض تقنين الحريات بحجة المحافظة على الهوية الدينية والأعراف والتقاليد وتحت غطاء التعددية الثقافية، ذلك السلاح ذو الحدين في شمال أمريكا.

*

لا تقرأ الآخر كي تحاربه وتفسره في إطار نظرياتك التي لا تقبل المراجعة. اقرأ كي تقتل الأعمى الذي يحارب حريتك ويريدك شريكاً لمواصلة العيش في العصور الدامسة رغم التقدم التكنولوجي والهجرات وتلاقح الثقافات واللغات في كل مكان.

سؤال وأفكار...2023

هل الحروب اعتلال في الأخلاق أم المعتقدات أم أنها طفرة الجينات!
ستعثر على فلسفتك الخاصة للحياة حين تستوعب سطرأً، فصلاً، حقبة من معطيات حديقتك الكونية.
وبين السطور ستفهم ما لم يكتبه ويصرّح به الآخرون عنك وعنهم.
حين يتقدم بك الطريق وعلى الحافة ستصلك الرسائل التي كانت في قلبك وذهنك وكنت منشغلاً عنها
تنتظر تفسير حياتك من خارجها، من خلالهم. وهناك ستجد شخصك المحارب، والجبان، والمقتنع،
والحذر، والخائف، والعامل بثقة من أجل الشعلة والنور الكامن في ذاتك الحرة الوحيدة التي لم تستدل
عليها قطعاً الطرقات في هذه المجرة.

*

أيها الشتاء تأخر هذا العام أيضاً. ما يزال السوريون في فصل العتمة والحرب الكامنة والمتواصلة منذ
أكثر من عقد. لقد زاد عدد المهاجرين اللاجئين والقتلى السوريين عن عدد الضحايا والنازحين فلسطين
والعراق ربما، وكان العالم اعمى وما يزال.
لكل حرب كتاب وغاية. "والغاية لا تبرر الوسيلة" يا ماكيافيلي.

*

من يرتكب الحروب ويغذيها لا ضمير له، ويقاثل تحت شعارات الايديولوجيا التي يؤمن بها أو يسير
وفقها لتحقيق مصالحه القاتلة، أما الكتابة فهي اللغة السلمية المتبقية للعالم في زمن الحرب.
الجملة الأولى، المشهد الأول في كل كتاب، يقرر مصير الكاتب ونجاحه تقريباً. وكذلك تاريخ ومكان
وزمان انطلاق الصاروخ الأول في أي حرب. جولات الكر والفر والتحالفات والتقدم على الجبهات
المتعاركة، يطول ويزداد عد الضحايا الذي لا يخبرهم أحد بأنهم الجبهة و الضحايا العزل.

*

في كل كتاب، فصول وجولات (كر وفر) يديرها رأس الكاتبة من أجل أن تردم تلك الهوة الشاخصة ما
بين القول والفعل، ما بين الواقع والحلم.

شجرة ومعرفة...

في رأسي شجرة لم تنكسر

تسند إلى الرصيف أضلاعها
لا تطرح ثمارها المشتعلة بالرغبة أرضاً
في كفي تفاحة أخيرة تتشبث بي
تقبلها الشمس
تقبلها العيون
و أحلام عشاق الحياة
بحثاً عن المعرفة الضالة
وتقرباً من عمق المعرفة المضمرة في سيرة ادم وحواء-
أجدادنا وأحفادهم القتلة والمقتولين.



The Place of
FREEDOM

MAY 26 IN CONVERSATION
3:00 PM TO 4:30 PM WITH ARTISTS



JACKLEEN SALAM
PANELIST
WRITER

HAPPENING
MULTICULTURAL **LIVE**

MUSEARTS

PEN FREE EXPRESSION MATTERS

Canada Council for the Arts



3 حول الشعر ما بعد انخيدوانا

" بالشعر كما بالموسيقى، نلامس شيئا ما، جوهرها، وفي الشعر يستبعد الزمن فإذا أنت خارج الصيرورة، الموسيقى والشعر غيبوبتان متساميتان " المفكر إميل سيوران

لن يموت عشاق الشعر وكتابه الذين يواصلون التدوين منذ أن كتبت أنخيدوانا/شاعرة الكون الأولى ألواحها في سور/بابل وبمختلف التقنيات والصيغ الجديدة. ولكن هناك إشكالية في التلقي والتقييم ولا غرابة لأن العالم كله يعيش خراباً لا نظير له. الشعر، يتيم العالم وفقيده إلى أن يصبح له جائزة مادية مرموقة على غرار جوائز الشعر في أوروبا وكندا.

*

ماذا سنصنع بالشعر في هذا العصر الخراب؟
نصنع من الشعر كل ما ينقصني وينقصك من احتياجات روحية ومفاهيم جمالية يغزلها الخيال ويبسطها على الأوراق. تستطيع أن تصنع من القصيدة أذاء أو حمالات الأثداء، وتستطيع أن تصنع منها الشفاه والقبلات و القفازات، الأصابع أو اليد المبتورة بفعل قذيفة أو حادث في معمل. ويمكنك أن تصنع منه كمادات للوقاية من الفايروسات المعدية.

*

وقد تصنع من الشعر العطور والمقابر، وأشياء أخرى لا مرئية، متناهية في الصغر لا ترى بالعين المجردة، وتلك مآثرة الشعر. وهناك مقاربات بين الشعراء والغاؤون معروفة جداً. "والشعراء يتبعهم الغاؤون" ولذلك لا تقربوا الشعر كي لا يتبعكم الغاؤون إن لم يكن لديكم ما يكفي من أسنان في الرأس

لهضم المحتوى، والعودة بسلامة إلى ذواتكم.

لقد حاول الشعراء أن يصنعوا من الشعر القنابل المسيلة للدموع والقذائف لكنه لم يستوعب فكرة القتال ولم يذهب إلى الحرب معهم، بل كان أضعف الشعر، ذلك الذي أخذه للنضال والدفاع عن المستلب من حقوق الإنسان. بعضهم فعل ويفعل من باب الواجب والموقف اتجاه حدث أو قضية.

*

نصنع من الشعر ما عجزت عنه الموسيقى، وما فات عشاق اللغة من مجاز وأحجيات. ويصنع الشعراء من الشعر شذرات، أو كتلة كلمات متراسة دون تقطيع بالسطور إن أرادوا بدل الكتابة الموزونة على البحور المعروفة منذ قرون كما في شعر المعلقة، وكما فعل بسام الحجار وشوقي أبي شقراء وعباس بيضون، وديع سعادة وسركون بولص، عبد القادر الجنابي، في أيقونات لا تقرأ على المنابر ومنصات شعراء يحضرها الآلاف والملايين.

لا عيب في تذوق التراث والتفاخر به، ولكن الوقوف على تلك الأطلال إلى الأبد محدودية صيغة من صيغ التزمّت وقتل للتجديد. وكما تغيرت أدوات التدوين بين عصر وآخر، تغيرت كذلك أساليب وصيغ وأشكال التدوين شرقاً وغرباً.

الركون إلى ثوابت في الشكل واللغة والموضوع يفقد الشعر وجهه ويفقد القارئ تلك الدهشة التي أتى من أجلها إلى بيت الشعر. هذه الدهشة لا تتحقق إلا بالوصول إلى قدر من الحرية، حرية الخروج عن النسق بشكله ومعناه التقليدي، وهذا يستدعي ابتكار صيغة جمالية مفارقة للساند. وأرى أن الانعتاق من الثوابت له نفس أهمية الموهبة. والشعر الأجمل هو النص الذي يكتب بصيغة وصنعة تحقق الدهشة وتدفع للتفكير في جماليات وقبح الأشياء من حولنا.

*

لا أدري لماذا يرددون كثيراً عبارات مثل: موت الشعر، موت الكاتب، موت الشاعر، موت المؤلف، قتلت آبائي... وصولاً إلى موت القارئ وما إليه من إطروحات يتم تداولها.

نعم ربما أعرف بعضها، وقرأت بعض هذه الإطروحات من مصادرها. ربما كل هذه المقولات جرت في أوروبا وقالها شعراء ونقاد كبار، ولكن مسألة القتل ليست حقيقية. أنا وأنت نكتب لأننا قرأنا ما كتبه الجيل السابق. منهم تعلمنا وسنتعلم، ثم نحاول إن استطعنا أن نشق خطاً مفارقاً ولو بدرجات عن النسق العام. ما يثير الريبة أن شاعرة لم تكتب سوى ديواناً واحداً تطل على القراء لتقول: لقد قتلت آبائي، وهي في الأصل تتعزز على تناصات واقتباسات سابقة، وتأخذ باب إلى الشهرة بمساندة عدد من الآباء والكتاب الأكثر رسوخاً منها، ومن الذين تدعي أنها "قتلتهم" بمعنى تجاوزتهم إبداعياً وخلقت حداثة غير مسبوقة في العربية.

ومن الشعر نصنع سجادة سحرية ومكنسة الساحر الذي ستأخذنا عبر الأكوان في رحلة خارقة بعد أن نقبض على معايير الخلطة السحرية. فالشعر ملعب المجانين المولاهين بسحر معرفة ما وراء الأكمة والأفق، بيت الذين لم يفقدوا خط العودة الى الصفر، إلى قعر الوجود، إلى بؤرة خرائب الروح وانكسارات ومباهج الجسد.

الشعر ابتدأ من تعريف سيدة الشعر، أنخيدوانا لذاتها : أنا، انخيدوانا... وإلى أن صارت الأنا الذاتية، شعلة متقدة وموظبة على معرفة الأول والآخر وحتى آخر المطافات.





شعر

با کلین سلام

اشجار انجیر و انان

الكتابة كفعل تنوير واختراق للظلام

في مقدّمة الطبعة الثالثة لديوان الشاعرة نازك الملائكة الذي حمل عنوان "قرارة الموجة" والذي صدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عام 2001، تقديم كتبتها الشاعرة على شكل مونولوج بين ذاتها الآن، وذاتها في الماضي وجاء الحديث باسم (الأولى والثانية). تناقش مع نفسها مسائل مهمة كاختيار عنوان الديوان ليكون قرارة الموجة أو قمة الموجة، أو طريق العودة. وتهدي الديوان إلى أمها بهذه الكلمات "إلى أول شاعرية خصبة تتلمذتُ عليها" وأقتبس هنا صورة الأولى والثانية.

"الأولى:.... إنَّ العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاهرة عاشها الشاعر، ولا بد لكل فترة في حياة الشاعر الحق في اتجاه مميز، إنه شيء قائم وهو يحتم العنوان. الثانية: رأي متعنت. أنتِ جدية أكثر مما ينبغي. وبعد ذلك عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لا يمثل القصائد كلها، ففي المجموعة قصائد لا تقع تحت هذه الفلسفة.

الأولى: هذا حق. وأنتِ المسؤولة. لقد حذف نصف قصائد هذا الديوان. أنكري هذا. الثانية: إنني لا أنكر. هذه القصائد لم تعد تروقني وقد حذفتها..." ينتهي الاقتباس هنا. تعقيب: إذا، ومهما تقدم الشاعر في مهاراته الأدبية ستكون هناك مراجعة ذاتية ونقدية فيسقط بعض نتاجه من خريطة إبداعه ولذلك نجد (مختارات شعرية) يقوم بعض الشعراء بتنزيدها وإعادة نشرها. وليست مهمة النقد أن يقيس شعرية القصيدة بمقارنتها بما كتبه الشاعر منذ 10 سنوات أو 50 بل يكون الحكم على كل نص من داخله ومحموله الفني.

وهنا أذكر فقرة من نصوص للشاعر السوري محمد الماغوط:

"الطالب: عندك ديوان (قرارة الموجة) لنازك الملائكة؟

البائع: عندي ديوان (كيف تركب الموجة)

الطالب: تأليف من؟

البائع: أبرز الشعراء والكتّاب العرب.

الكتابة كفعل تنوير واختراق للظلام

العناوين الأدبية والرموز خادعة وذكية ولا تقرأ بأفقية ومرجعيات خارجة عن الأدب. تحجيم حرية الكاتب في انتقاء المفردات والمصطلحات تحدث في الأدبيات العربية والعالمية.

تبقى الكلمات والمصطلحات والحريات مجردة من المعنى إلى أن نضعها قيد الممارسة. وهناك هوة بين تعريف الحرية وتطبيقها، وسبل انتقالنا من المجرد التنظيري إلى الميداني والواقعي المُعاش المعاصر. هنا مقتطف للمفكر الشاعر أدونيس، من كتابه "النظام والكلام" الذي صدر 2010 عن دار الآداب: "الإبداع الفكري" "اختراق" وليس طرداً. أن تخترق شيئاً هو أن تعترف به وتتعرف عليه وتتخطاه. وأنت في هذه الحالة طالع منه، أن "تطرده" هو أن تجهله وأن تنفصل عنه وأنت في هذه الحالة غريب عنه وخارجه".

ولكن في حالات كثيرة شرقاً يجري العكس، يتم النبذ بالاعتراض على الأفكار والعناوين التي تمس الخطوط الحمراء العريضة التي يضعها الرقيب من منظور لا علاقة له بالأدب بل باعتبارات خارجة عنه كلياً. وأحياناً يكون الرقيب منطلقاً من باب الطائفة، الجنس، الدين، الحزب السياسي. والاختلاف ممكن فكرياً ومن خلال الحوار المتمدن. إذ إن الفرد قد يختلف مع نفسه أحياناً مع مرور الوقت.

عناوين

لا تروق لشيوخ القراءة

شخصياً تعرضت بعض نصوصي الشعرية واضطرت للتعديل في أكثر من نص وعنوان، وعلى سبيل المثال: رفض الناشر عنوان قصيدة "في حديقة الله" وجعلنا البديل: حديقة كونية. وفي نص آخر تم حذف كلمة (المسيح) وكلمات أخرى لها مدلولها ورمزيتها. قبلت التعديل في حينه كي يرى الديوان النور بعد طول انتظار. وحدث مثل ذلك من قبل أثناء نشر نصوص متفرقة لي في الصحافة العربية. مثال: حذفت كلمة نبذ ووضع الرقيب بدلاً عنها كلمة (ماء) ونشرها دون مراجعتي. وهنا أتذكر عنواناً جميلاً للشاعرة الإيرانية فروغ فرج زاد "عمدني بنبذ الأمواج". ولا شك أنها كانت شاعرة إشكالية في مجتمع مغلق، وذلك لم يستطع أن يحجم طاقتها للتخليق فوق محدودية الواقع وكتابة أجمل نصوص

العشق والوجد الإنساني الذي نتداوله في هذا العصر بنشوة.

الماغوط بين سياف الزهور

و“شرق عدن، غرب الله“

قرأتُ مرة أنَّ الشاعر السوري محمد الماغوط اضطر إلى تغيير عنوان مجموعته إلى “سياف الزهور” رغم أنَّ اختياره الأول كان “شرق عدن، غرب الله”. لا شك أنَّ مزاج الرقيب والطارئ السياسي الذي تلعبه القوى المتصارعة والمتحكمة يلعب دوراً في تحديد قيمة للأدب والفكر والمفردات بما يتناسب ومزاج السلطة الأكثر قوة، وإلا لما رأينا عشرات الكتب التي تسحب من الأسواق أو تمنع من الدخول إلى بعض الدول، بعد أن تكون قد طبعت أحياناً لأكثر من مرة (مثال رواية حيدر حيدر، وليمة لأعشاب البحر) وأصبح لها رصيد في ذهن القارئ ومكان على رفوف مكتبته الشخصية. يا حزن تلك البلاد تلك التي تفضّل عنف “سياف الزهور” على العنوان “شرق عدن، غرب الله” لمجرد أنَّ بوصلة الشاعر اخترقت الحيز الجغرافي المنظور.

الشاعرة الأميركية ريتا دوف

وحرية اختيار كتابة الشعر

في حوار على يوتيوب مع الشاعرة الأميركية السوداء “ريتا دوف” التي حصلت على منصب شاعرة البلاط في أميركا منذ عدة أعوام، كانت تتحدث عن بداياتها ووالديها وحرية الاختيار التي كانت مبذولة لها في أسرة متمدنة. قالت الشاعرة:

”حين قررتُ أن أصبح شاعرة، ذهبتُ إلى البيت وأخبرت أُمِّي فأجابت: اذهبي وأخبري والدك.“

”في طفولتي كانت أُمِّي في المطبخ تحمل السكين وتقطع الخضار وتنشد أبياتاً من مسرحية ماكبث لشكسبير وكنتُ أعتقد أنَّ كل الأمهات يفعلن ذلك.“

وقالت عن والدها: ”أبي تعلّم اللغة الألمانية والإيطالية بنفسه وحثّني على دراسة اللغات الأخرى وترك لي حرية الاختيار.“

وأقول: تلك الحرية في أن تختار العنوان، الجنس الأدبي، الشعر أو الرواية أو المسرح تبقى مقرونة بحرية أن تقول وتخيّل بأقل ما يمكن من المقصات ليكون الكتاب الجديد وعاء لفكر جديد وليس تكراراً لكل ما قيل من قبل.

كما أهدت نازك الملائكة الديوان لأُمّها، أهدى هذه الكلمات لروح أُمِّي التي لم تقرأ ولم

تكتب، وكانت تريدني أن أقتصد في الكلام وأن أمشي مع التيار والموجة.

2024/03/20

الملحق الثقافي في صحيفة الصباح العراقية



5 صرمة الثقافة والهويات البطريقة

عزيزي سين وعين، دعهم يتحدثون عن عبقريتك في التأليف أيها الكاتب. لا تتخربط في المهزلة وتقول: أنا عبقرى.

*

في الإبداع الثقافى والأدبى، المهم والأكثر أهمية بنظرى لا يقاس بالمفاضلة بين اسم كبير وأكبر وأكثر أهمية وأقل أهمية، وتافه وأكثر تفاهة. من المفترض أن يقاس الإبداع والإنتاج بجودة المنتج وأصالته إبداعيا وفكريا وحصرأ.

*

فقط في الثقافة العربية، يعرفون الكاتب بالكبير والكاتب والمغنى الصاعد، وهذا يستدعى حضور النقيض، من شاكلة الكاتب الصغير والكاتب والفنان الهابط والكاتب المرتزق مقابل المبدع النزىه.

*

من الهزل والضعف أن تضخم نفسك بتصغير الآخر ولكنهم في الساحة العربية يفعلون ذلك وباستخدام أسماء التفضيل الباهرة.

*

كن كبيراً ولا تكن بذيناً في تقييمك للفنون والمعرفة. وهنا يختلف أعيان المجتمع الشمولى في تعريف البذاعة والتفاهة كما يختلفون حول ألقاب الأمير والكبير والمتناهى في الكبر والمتناهى في الصغر والذي لا يرى بالعين المجردة لفرط صغره أو كبره.

*

في بداية شبابى قرأت بعضا من كتب طه حسين، وكتب فراس السواح وما قدمه في تحليل الأسطورة

والدين وألغاز عشتار ووجدتها ممتعة وتضيف معرفة وإضافات مهمة. ولم أكن ولست في مقام البحث فيما إذا كانت منسوخة أو مسروقة، وكذلك الحال بالنسبة للروائي المصري يوسف زيدان. أقرأ وأمضي ولا أرى في أحد إلها كبيراً وفوق الجميع وعبقريّة.

*

منظر الإنسان الآلي في الأفلام يزعجني وكذلك أنفر من الكتابات البلاستيكية والتي تحتاج إلى عملية قيصريّة كي تظهر في الرواية والقصة والشعر. تلك المحاولات التي تحتاج في مستوى آخر إلى إنعاش كالوليد غير المكتمل في حاضنة التفاهة تحت خانة الأدب. الأدب شيء والافتعال الأدبي والروبوت شيء آخر وللكل تعريفات وغايات ومهام مختلفة. وليست كلها في خدمة الحضارة. البساطة والعمق فن لا يقدر عليه إلا الموهوب الأصيل، أما عن إحداث القرقرعات اللغوية والألغاز التي في غير موقعها، فتلك دلائل على عجز الكاتب (هو/هي) عن تحرير المشهد قصة أو قصيدة أصيلة. الشاعر الفرنسي بول فاليري تحدث عن أهمية البساطة والعمق في الشعر، وأعجبني ذلك القول ولكن أن نعجب بمقولة شيء، وأن نكون مثل ما جاء في تلك المقولة أو الشذرة شيء آخر، وليس ذلك ممكناً على الدوام.

*

مجتمع القبائل... الصدمة والدهشة
هناك علم جديد لدولة اسمها دولة القبائل العربية. الواقع مذهش حد الصدمات وكذلك هذا الفضاء. في منصات التواصل الاجتماعي، مجتمع افتراضي يشبه القبائل الفيسبوكية القبلية في أعتى تجلياته. وليس المهم ما لديك من فكر ومعرفة، المهم: هل أنت من رأس في قبيلة سين، أم عمود في خيمة عين، أم فخذ في مائدة "ضاد" وعشيرته؟ هل أنت تابع ومريد من معارف "كاف" وشلته الطبقية والطائفية؟ ولكن للأسف، حين يصبح الفكر أنساقاً وشللاً لا تختلف عن القبلية في شيء، يفقد المثقف والمفكر حريته وصدق رسالته ومقدرته على التجديد. سين وعين وصاد وضاد، ليست إلا مجاهيل لتفادي ذكر أي اسم له دلالة وخلفية ثقافية أو دينية أو قومية.

*

ماذا عن المرأة في هذا السياق...
في هذا الخضم وبالنسبة للنساء، يفضل أن تكوني عزيزتي الكاتبة، جميلة وشابة ودلوعة ورشيقة

وعندك مقدرة على النط بالحبل وتسلق الجبال والأكتاف والرقاب. وبالإضافة إلى كل ما سبق يفضل أن تكتبي ايروتيكا حامية الوطيس. نعم من المهم أن تكوني شجاعة وتتصدري مشهد الايروتيكا بخلطة سريالية وثرثرات لغوية إذا أمكن، وحينها ستجدين جوقة مطبلين مغرمين بفنونك الإبداعية. وإذا وجدت أنك لست جميلة جداً، فهناك عمليات التجميل والتنحيف والحقن والشد وما إليه من ترميم الشكل كي تحصلي على الصورة التي تؤهلك للعب الدور المطلوب والمشتهى. وفن السخرية من أصعب الفنون وأقساها وخاصة على قلم المرأة العربية في الأوساط المتخلفة.

ستعود القبائل إلى أرض الواقع في زمننا هذا لأن العقلية العشائرية لم تغادر رأس ثوار البيت العربي جميعهم. والقبائل في نسقها وتكوينها تحب الصوت الجهوري الصارخ والمقاتل من أجل شيخ العشيرة. استنهاض القبائل للكر والفر مسألة ممكنة وربما سهلة، ثقافياً ايضاً.

نشر في الحوار المتمدن يوم 5 ايار 2024





حين تصبح المرأة لساناً للسلطة، بثينة شعبان نموذجاً



عن زيارة بثينة شعبان لكندا ، سكرتيرة بشار الأسد، رئيسة وزارة المغتربين السوريين سابقاً
كتب ونشر عام 2007 في صحيفة المستقبل اللبنانية

لقد ارتبط الإحتفال بعيد الأم وعيد المرأة بإعلاء رسالة السلام والمساواة والعدالة الإجتماعية والعمل على تحقيق ذلك. كذلك تشكلت الحركة النسوية من أجل الحقوق المتكافئة والكرامة للجميع ومن ثم تشعبت أبعاد الحركة المساواتية النسوية وذهبت لتلقي الضوء على الخطاب الذكوري والأنثوي، ذلك أن تاريخ التدوين والخطاب المكتوب والمحكي هو المورد المعرفي الذي "يرضع" منه الفرد في جميع مراحل الحياة، ويؤسس بالتالي لهيكل المستقبل بكل أبعاده والمفترض أن يكون جمالاً وسلاماً كما يحلم الإنسان، الشعراء الكتّاب الفنانون والأمهات الأميات أيضاً.

ومن هنا لا بد من نقد الذات الأنثوية في بعض حالاتها الراهنة وتسليط الضوء على بعض الشواهد التي طالعنا في الصحافة العربية المطبوعة والإلكترونية مؤخراً.

إحدى الكتابات في كتابة المرأة/الأنثى التي أصبحت بوعي أو بدون وعي لسان حال السلطة، كانت سرداً قصصياً لكاتبة سعودية تقيم في فرنسا "ر... مغربي"، اختصرت تاريخ الطاغية صدام حسين في نص بعنوان "كان يطعم العصافير" يصور معاناة رجل مسنّ رقيق القلب، شديد الإيمان، يحمل القرآن ويطعم العصافير... يساق إلى المشنقة.. تكون عبارته الأخيرة على لسان الكاتبة "والآن من سيطعم عصافير بلادي؟".

قرأت النص في منتدى "فضاءات" وحين أبديت موقفي الصريح واستغرابي من هذه الرؤية التي تصنف في خانة أدب ضد الإنسانية وذكرت بعض مآثر "القائد الضرورة" لم تعتذر الكاتبة بل تنكرت أولاً للشخصية في البداية ثم راحت تدافع عن حقها في التعبير، وراحت تتهرب بالحديث عن مواضيع أخرى، منها إنها كانت تدافع عن حقوق نساء مظلومات في قضايا أخرى. وهذا يعيدني إلى واقعة فادحة ارتكبتها رجال النظام المجيد في السنوات الأخيرة حين قام بعض رجاله بقطع رؤوس عدد من النساء وصل إلى 200 امرأة ضحية.

أقتطف هذا الشاهد من حوار كان لي مع ناشطة نسوية "نادية محمود" رئيسة مركز دراسات المرأة في الشرق عام 2002 ونشر في عدة مواقع "كانت الحملة في أواخر شهر تشرين الأول عام 2000 واستمرت إلى أوائل عام 2001، بدأنا الحملة حال وصول الأخبار... جرى قتل عدد من النساء في مدينة الموصل في العراق بحجة تنظيف المدن من النساء العاملات في بيع الجسد. الظاهرة التي انتشرت في أوضاع المجاعة والفقر المدقع والمزري تحت الحصار. ثم بدأ فدائيو صدام وهو فصيل من 40 ألف عراقي في سن المراهقة بقيادة عدي صدام بشن هجمة على النساء وذلك بتزويدهم بسيوف أطلق عليها أسماء مثل "سيف العزيز" و "سيف الحق" زنتها 32 كغم، ووزعت على المدن الرئيسية في العراق على المراهقين المرتزقة للقيام بهذه الأعمال..."

وحين سألتها عن موقف الاتحاد النسائي من هذا التطهير اللانساني، كانت الإجابة "نعم، تم ذلك وبالتنسيق مع الاتحاد العام لنساء العراق، الذي كلف بتقديم أسماء النساء اللواتي يمارسن هذه المهنة بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى تم جرّ أي امرأة إذا كانت معارضة للنظام أو زوجة رجل معارض، أي لأسباب سياسية تجر إلى مقصلة لقطع رأسها بالسيف وبحضور عضوات الاتحاد، وأمام بيتها يعلقون رأسها عند عتبة الباب ويكتبون فوقه الآية القرآنية "ولكم في القصاص عقابا يا أولي الألباب لعلم تفقهون"، وكان الذين يرتكبون هذه الأعمال يرتدون ملابس سوداء، يضعون على رؤوسهم أغطية سوداء، وعلى أيماهم مكتوب (الله، القائد، الوطن)..."

هكذا، نساء الاتحاد كنّ يدافعن عن قتل النساء ظلماً، والمرأة/الكاتبة من بيتها الفرنسي تندب الطاغية متجاهلة إنه لم يكن ليطعم العصافير لو كان لديه بندقية صيد يتسلى بها ويقتل الملل بقتل الطير أو البشر.

الموضوع الآخر الذي يجدر الإشارة إليه، مقال سردي عن واقعة حقيقية كتبها الشاعر اللبناني يوسف يزى في صحيفة المستقبل عنوانه "تحت شرفتي" مالفت نظري أنّ العراك الذي انتشر في الحارة وعلى إثره تم استخدام فرق شبابية وعسكر وشرطة من الفريق المعارض والفريق الموالي والأمن

العام، كان سببه شتيمة نطقت بها "أم شهيد معارض" فردّت عليها جارتها "الموالية" بشتيمة مماثلة، واشتدّ النفير. بعد قراءة النص والتمتع بجمال السرد رغم مأساوية الحدث، رحّلت أسأل عن دور الأم، دور المرأة في التخفيف من الإحتقان في مثل هذه الظروف، وفي رفع روح المواخاة والتسامح التي عرفت بها الأمهات عبر التاريخ، وبدا لي أن بعض النساء اللواتي كنّ مغلوبات على أمرهن، ما يزلن "مغلوبات" ولسان حال تلك السلطات، وكأنهن وأولادهن لسنّ إلا أضحيات وضحايا مغيبة عن خياراتها الوعية. طبعاً هذا لن يغيب عن ذهننا صور النسوة "الحديديات" في التاريخ.

قد تكون الحرية هي المفتاح المفقود والشرقة التي نطلّ منها على قلب الحياة التي تعج بالبشر من كل الألوان والطوائف والأديان والألوان. الحرية الواعية التي قد نلمح ذبذباتها على "سيكولوجية الإنسان المقهور" لأجيال، هذا الإنسان الذي لم يكن له يوماً شبر من رأي وخيار وخاصة المرأة. إنها الحرية التي يعرف طعمها ولونها "السجناء" على وجه التحديد. ولعل المتابع للأخبار العالمية والعربية قرأ أن المواطن السوري- الكندي "ماهر عرار" حصل مؤخراً على اعتذار رسمي من أعلى هيئة حكومية في كندا تعويضاً قدره حوالي 10 مليون دولاراً، اعتذاراً عن ترحيله "بالغلط" إلى سوريا- بلده الأول حيث تم سجنه هناك حوالي 10 أشهر تحت التعذيب.

وأذكر حين أنت السيدة الوزيرة السورية (زارة المقتربيين) بثينة شعبان إلى تورنتو منذ عام(عام 2006) ، وفي لقاء مفتوح معها في تورنتو سُئلت من قبل صحافي كندي عن سبب سجن ماهر عرار وتعذيبه دون أي دليل؟

فكان جوابها أكيداً وقاطعاً بأنهم هناك لديهم "الخبر اليقين" وإن عرار كان على ارتباط بالقاعدة والإرهاب الذي يجب محاربته. السيدة الوزيرة شعبان كاتبة أدبية وأستاذة جامعية لا أدري إن كانت ما تزال تمارس مهنتها الأدبية، أم أكتفت بدورها السياسي في الدفاع عن الوطن/السلطة. الحرية بناء ومراحل لايمكن حرقها. ومقياس الخلق الإبداعي متعلق بالدرجة الأولى بتحرر المرأة فكرياً من سلطة الثقافة الذكورية، أساليبها وأدواتها الطاعنة في القدم والمتجددة على الدوام.

نقلا عن ويكيبيديا اليوم، 14/12/2024

بثينة شعبان (مواليد 1953)، سياسية سورية، عملت كمستشارة سياسية وإعلامية للرئاسة في عهد

بشار الأسد حتى الإطاحة به في عام 2024. شغلت سابقاً منصب أول وزيرة للمغتربين في الجمهورية العربية السورية بين عامي 2002 و2008، ووصفت بأنها وجه الحكومة السورية للعالم الخارجي....

تنويه بتاريخ 15 ديسمبر 2024

في عام ٢٠٠٧ لم يكن هناك ما يسمى (ثورة سورية) وكنت أكتب مثل هذا وانتقد وجهاء الثقافة السورية البعثيين وسلطتهم، وكان الأصدقاء، ثوار او معارضي اليوم يعملون تحت مظلتها ووفق برنامجها وسياستها، والكثير منهم غير الموجة والتوجه بدرجة ١٨٠ درجة وهذا عادي أيضا لأن الصوت السوري الذي في الخارج يبقى بعيداً عن الملاحقة والسجن والتعذيب في الداخل السوري، إلا إذا كان متهما دولياً ومعروف كممثل حال السوري الكندي ماهر عرار الذي وردت قصته في المقال أعلاه.

ما نحتاجه في سوريا الجديدة، هو بناء دولة تتسع للرأي الآخر وتلتزم بقانون مدني يكفل للجميع حرية التعبير والتفكير وطرح الآراء الحرة سياسياً ودينياً واجتماعياً وفلسفياً بشرط نبذ العنف والعداء وتهميش المختلف.



7 الاستعمار الناعم والخبث

حين وضع المخبري الباحث عدداً من الجرذان في قفص متوسط الحجم وفي شروط صحية عادية، كانت الألفة بينهم قائمة وطبيعية. كانوا يأكلون ويشربون ويلعبون ويقضون حاجاتهم واحتياجاتهم ويتناسلون على الأرض ذاتها، أرض القفص الذي لا مفر لهم منه. جاء الباحث المخبري ليدرس طباع الجرذان وانفعالاتهم العدوانية. صار يصددهم كهربائياً جميعاً وفي نفس الوقت. فيقوم كل جرذ بالانقضاض على جاره لينهش فيه معتقداً أنه السبب في هذا الأذى. بعد أن ينهك الجميع بعضهم بعضاً يذهبون إلى النوم. استمر المخبري في تجربته عدة أيام ورأى نفس رد الفعل لدى الجرذان. إنها تقتتل فيما بينها لتفرغ هذه الشحنة من الألم والغضب، فيما المخبري واقف خارج الصورة. الجرذان لا تستطيع أن ترى الصورة الكلية. نحن نتحدث هنا عن الجرذان، فما بالك بهذا الكائن المسمى انساناً ويعيث قتلاً في الأرض وأبناء الحياة!

*

الأفلام العالمية التي تركز على ضخ العنف والافتتال سواء في حرب النجوم أو حروب الشعوب عبر التاريخ، لعبت خلال عقود على وتر حيونة الإنسان ولقت رواجاً، نجحت في بعض الأحيان وفشلت في أحييين كثيرة. وسواء أكانت الغاية والوسيلة هنا سيطرة رأس المال أو تجار الدين أو الحياة على السلطة المطلقة لخنق الحريات، فإن ذلك يجعل من البشر جرذاناً صغيرة وربوتوات فاقدة للمحاكمة العقلية، ولا يجعل منهم عمالقة في الروح والفعل والبناء الإنساني. الحضارة لا تستمر ولا تشاد على الخرائب الفكرية والإيديولوجية. الإنسانون حملة المعول وعليهم يقع البناء والتقدم الحضاري.

*

تروما الجماعة...

أتباع فصائل الدعوات الدينية المتزمتة والمجموعات المتزايدة والمتنافرة في بلاد الشرق المختلفة لا شك يصبح لديهم ما يشابه (تروما) أو صدمة ما بعد الواقعة. ولعلهم أصيبوا بالصدمة بعد دخولهم سوريا التي ليست حظيرة مباحة، ولم تكن يوماً رغم القتل الممنهج والسجون التي ابتلعت أعداداً هائلة من أفراد الشعب السوري في ظل حكم الأسد الجائر المستبد على مدى عقود. محاولات قتل روح الإنسان عبر تاريخ سوريا الحديث لم تنجح ولم تجعل السوري إلا تواقاً للحرية والمدنية والجمال رغم وجود كتل كثيرة من الكائنات التي باعت روحها لتجار الطوائف والسامسة الكبار خلف الكواليس وعلى الملأ.

الصدمة الثقافية هذه يشعر بها فرد أو خلية من مدينة كبيرة أو قرية صغيرة مختلفة وجاهلة وخارج السياق التاريخي للحضارة حين يجد نفسه في مكان غريب عنه تماماً ويشعر بالتالي ان وجوده مهدد ومزعزع أمام الوجه الحضاري للمرأة والرجل في بلد لا يليق به إلا الشموخ والكرامة، فيبدأ بارتكاب العنف والترهيب كي يخيف من حوله وهو في قرارته جبان ونذل وخائف. حدث، أن اعتدى مسلحون على أنفار عزل من النساء والشباب والرجل وبطيفة بدائية مهينة زهرت في تسجيلات قادمة من سوريا اليوم، وللأسف.

في بلادنا يطلق الجبناء والمتطفلون على الشام، الرصاص في الهواء وفي وجه الأفراد العزل أحياناً، كي يقتعوا أنفسهم والآخر بأنهم سلطة عسكرية غير جبانة. يسمون تلك الأحوال "حالات فردية" وأنا أسميها همجية عدوانية وكل اعتداء على فرد واحد هو اعتداء على المجتمع برمته وعلى مفهوم الدولة والمواطنة وحق الفرد في العيش بسلام وتكافؤ في رقعة اسمها سوريا-الوطن. تعريف الجبان، الشخص الذي يقتل الفرد المسالم الأعزل جبان، ولأن الأعزل يسخر من سلاح الإرهاب وكل الأيديولوجيات القتالة التي أوصلته إلى تلك الحالة. ولذلك يلبس بعضهم الأقنعة على وجوههم كي تستر جنبهم وحقيقتهم.

*

كل دراسة واختبار نفسي أو ميداني مهم في المراحل الفاصلة من تاريخ الشعوب، وتتم ترجمته إلى لغات العالم. بعضهم يتعلم درساً وبعضهم يعجز عن فهم شيء خارج الأدلجة والتلقين الذي غسلوا به دماغ بعض القوافل البشرية ولغايات استعمارية لا تخدم البشرية في شيء، بل تسبب الدمار والكوارث. نشرات الأخبار العالمية والعربية تترجم (من وإلى) حسب الأهمية لذلك لا بد من فتح أبواب المعرفة وتعلم اللغات الأخرى كي يقرأ الفرد حضارة بلاده وثقافته أعدائه أيضاً أو نظرائه في حقل المعرفة والإبداع الثقافي والاجتماعي والأدبي. وبين فعل الترجمة الفوري والتحرير يبيّن المترجمون من

الكلمات جسوراً بين الأول والثاني، فيما يتواصل القصف في هذا البلد وذاك بكل اللغات وعلى جبهات وفي الشوارع والبيوت.
وتبقى اللغة والحوارات، وسيلتنا البشرية الوحيدة في فقه الحب وصياغة أسس التعايش معاً بسلام وعدالة في أي زمان ومكان.

*

ماذا قالت البنت التي وقفت في وجه طالبان من أجل حقها في التعليم؟
صار اسم الفتاة الباكستانية (ملالا) علماً بارزاً في المحافل الدولية بعد أن نجت من الموت لتصير حاملة لجائزة نوبل للسلام تقديراً لجرأتها ورمزية فعلها التاريخي في وجه السلفية الطاغية. صدر لها كتاب يروي سيرتها بتفاصيلها التي هي حال شعب وبلد برمته وقع ضحية للمحتوى الطالباني السلفي المنبوذ دولياً.

مالالا يوسافزي تصف في هذا القسم من كتاب سيرتها الذاتية وحال بلدها وأسرتها في الأيام الأولى لدخول جماعة طالبان إلى قريتها في باكستان. تصف أسماهم وقونهم، أصواتهم وطريقة استمالتهم للناس، ثم التدخل في الحياة الشخصية للأسرة والأفراد وسحب أجهزة الموسيقى والتلفزيون واتلافها. التاريخ لن يكرر نفسه في سوريا بتصورى ولدينا مليون ملالا -نساء سوريات تقول لا للقمع وحجر الحريات وإعادة المرأة إلى المطبخ.

قالت مالالا يوسافزي في كتاب سيرتها الذاتية، مترجمة: أول ما فعله جماعة طالبان انهم منعوا الموسيقى ومشاهدة التلفزيون. وقدموا للأهالي ترجمة جديدة للقرآن الكريم.
كان قائد الجماعة (فضل الله) Fazlullah يبذو حكيماً في البداية وقدم للناس ترجمة اصلاحية للقرآن.

وكانت امي متدينة جدا وصارت معجبة بتعاليم فضل الله الذي أعطى توجيهات بأن على الشباب ترك ذقونهم حرة طويلة والامتناع عن التدخين والحشيش. وصار يعلمهم كيف يغسلون جسدهم وبأي قسم يبدأون اولاً. كان صوته احياناً معقولا و احيانا حادا وملينا بالنيران و احيانا كان يبكي وهو يتحدث عن حبه للإسلام. ثم يتبعه نائبه عبر الراديو . (شاه دوران) الذي كان سابقا يبيع (على البسطة تسالي) للناس في سوق البازار. وقال على الناس أن تكف عن مشاهدة الأفلام وعن الرقص لأن ذلك خطيئة وحرام... وقد يسبب الزلازل.

سألت أبي: هل هذا صحيح يا أبي؟

إجابني لا يا روعي، إنه فقط يغرر بالناس.

وكانت الرسائل وخطب فضل الله مركزة على المرأة ودورها المحدود.

"من مهام المرأة ان تقوم بواجباتها في البيت وتستطيع مغادرة البيت فقط في حالات الطوارئ ويجب أن تلبس البرقع"
وبالطبع لا يمكن لهذا النموذج الرجعي أن يسود في أي مكان من العالم حتى وإن وجد أتباعاً وبعض قطاع الطريق والمخربين الذين يسعون وبلا جدوى.

*

إذا كان "الطغاة يجلبون الغزاة" كما قال ابن خلدون، فالتاريخ يشهد أن لا طاغية صمد في وجه الإرادة الحرة للشعوب، ولا الغزاة صاروا أصحاب البيوت وحماة الوطن. الاستعمار الناعم الخبيث يتمدد ولا يَحَرّر، لأنه غير حر من الولاعات والإملاءات التي لا تفقه شريعة الخير والمساواة بين أبناء الوطن الواحد. لقد فرّ ديكنتاتور سوريا مؤخراً تاركاً في كل بيت سوري ألف غصة، وألف حلم نحو الحرية المدنية اللانقة بمن بقي حياً ويحلم.

نشر في الصباح العراقية 5 فبراير 2025





الفصل الثالث

أضواء على الكتابة

شذرات وأفكار على مائدة الأدباء والبرابرة

الأدب خطاب فلسفي وسياسي بلغة صادقة تحاور وتستفز القارئ ولا تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة.

*

الدين ورقة عاطفية يستطيع أي ديكتاتور في العالم أن يلعب بها ويقتل شعبا بأكمله حين يضع ذلك نصب عينيه. في كل رواية حيز من الديني واللا ديني، السياسي واللاسياسي يحاول كل أن يدحر الآخر دون أن يقتل إنسانا أو حيوانا. دم الإنسان أغلى من المعتقدات والإيدلولوجيات. لقد سال دم غزير، متى سيكفون عن القتل!

*

في كل عمل أدبي جانب اجتماعي هو طبقة من طبقات الحقيقة بعد نزع الأقنعة عن الواقع.

*

كتب الفيلسوف والشاعر الأمريكي رالف والدو ايمرسون " الكتابة المتخيلة تكشف الحقيقة، فيما الواقع يكفنها بالغموض " لذلك أعتقد أن قوة الأدب أهم من قوة البيان السياسي في صنع الحقيقة وقولها بطريقة ذكية تصل للذين لا يثقون بالسياسيين وخطاباتهم الحادة التي تدعي امتلاك حقيقة واحدة ومطلقة. وعرف الكاتب ايمرسون بتخيزه إلى الفردية الروحية الإبداعية والديمقراطية.

*

سألني صديق منشغل بالعمل السياسي هل تعتقدين أن للأدب تأثيرا في حياة الشعوب وتغيير القيم والأعراف وذلك مقارنة بدور الخطاب السياسي والعمل المنظم؟

الجواب: من تجربتي أقول أن الأدب بكل صيغه (شعرا ورواية ومسرحا وفلسفة) يشكل ركيزة

أساسية في تغيير العقلية الجامدة المتعنتة بطريقة خبيثة مكررة بالمعنى الإيجابي لأنها تحاكي العاطفة والروح والعقل والفكر معا وذلك حين يكون القارئ مستسلما للمطالعة بكامل اختياره وليس حين يكون مجبرا للتسمر أمام نشرة الأخبار التي تنقل ما يريد نقله إعلام السلطات للشعب. وتلك النشرات تصاغ بعناية وتوجيه أصحاب السلطة في أي منبر إعلامي ولها محرروها.

*

الآداب والعلوم الإنسانية تنقل رسالتها بأسلوب فني مسالم، والأديب ليس ملزما بأن يكون خطيباً سياسياً في كل مرحلة. لكل أدواته وطرقه في الوصول إلى الهدف. وهناك من يمتلك مواهب شاملة.

*

بعد نزع الأقنعة عن الواقع عن الجملة الشعرية وعن الرواية يبقى المخيال البشري طائفاً منتصراً وسعيداً. لم يقل لنا أحد أن الحيوانات تتخيل أو تحكي قصصاً لبعضها البعض.

*

حين تعمل جهة ثقافية على "تأليه" كاتب والنفخ في سطوره الأدبية بغير استحقاق واضح فهي بالمقدار ذاته تعمل على صناعة ديكتاتور عربي فذ.

*

رحل كاتب عربي متواضع الإنجاز والترجمة، فجعلوا منه بطلاً أسطورياً لسد فراغهم ولحاجتهم إلى خلق بطل أكبر من حجم الكتاب الذي تركه خلفه هذا الإنسان الذي لا يختلف عن أي كاتب آخر ينتج كل سنة رواية أو ديواناً. لو أنه قرأ بشكل حقيقي وهو حي، لربما عاش فترة أطول

*

هناك أكثر من روائي عربي تم تدويره وإعادة تكريمه لدرجة غير مقبولة وهناك الآلاف من الكتاب العرب الذين يستحقون التكريم مادياً ومعنوياً.

*

قرأت خبراً أدبياً منذ وفرت بأن الكاتبة المبدعة السيدة (عين) سوف تجري حوارات تلفزيونية للتعريف بالكتب والأدب، ثم وجدت على قائمتها الأولى استضافة كاتب (حاز على عدد من الجوائز) وليس بحاجة إلى مزيد من الدعاية والإعلان عنه. يدورون في الحلقة المفرغة ذاتها ثم نقول: من يخلق الديكتاتوريات في الشرق وأمامنا عقلية تأليه الكاتب فلان وفلانة حسب الشئلة والمحسوبية والمعارف المشتركين.... كل ذلك لأسباب نصف مستحقة إبداعي.

المرأة العربية الكاتبة تشارك في هذه الحفلات التنكيرية لأنها بحاجة إلى الدخل المادي لإعالة نفسها والاستمتاع بالتكريم وعائداته الاجتماعية والنفسية لفترة زمنية محدودة. تشارك المرأة لأنها جزء من تركيبة المجتمعات وليست قادمة في فضاء آخر.

*

وحده الفن قادر على خلق نساء يقلبن الطاولة ولا يتسخن ورجال يستمتعون بالشراب والفاكهة دون أن يفقدوا العقل والمنطق البشري ليعلنوا الحرب العدوانية بسبب الجوع وشهوة السلطة المطلقة.

*

حين يصل البرابرة إلى بيتك سأكون قد انتهيت من إعداد وجبة طعام شهية للكلاب الضالة ومسرحية ساخرة للبربري الأخير. للوصول طرقات ومثاهات.
البرابرة الآن يكتبون التاريخ المدنس ويصنعونه أيضاً. ونحن الضحايا التي نشاهد ولا نعرف كيف نقوم وكيف نموت تماماً.

*

زمن ثقيل كأشواق الغرباء
كحزن يتساقط من تكات الساعة المعلقة على الجدار
كخصلة حلم مشردة بلا بيت
تضمحل ويداعبها الهواء قبل أن يدوسها البرابرة
قمر على كتف المسافات يبكي
وبيننا الحنين إلى الانصهار في ما هو أبعد من هذا الحلم العجوز
القمر لا يعرف بأننا غرباء في البيت وخارجه كما كنا في البدء
لماذا ، لا أحد يعرف شيئاً عن نهاية العالم إلا السيد الموت المجهول!

نشر في الصباح العراقية بتاريخ 14/11/2023



كتاب ممنوع في كندا عن أطفال فلسطين وأسرائيل

الرقابة تحاصر أطفال الحرب في فلسطين حين يتحدثون عن "ثلاث أمنيات" فقط الكونغرس الكندي اليهودي طالب بحجب الكتاب عن القراء

حين ينام الأطفال وأرواحهم مهددة بالموت، ويستيقظون على صوت قذيفة تدمر البيت أو تأخذ معها أحد أفراد الأسرة أو البيت كله، كيف سينشأ هؤلاء وكيف سيكتبون أمنياتهم؟ هل ستعرف الأحلام طريقها إلى قلوبهم؟ ما لون أمنيات أطفال الحرب، هل هناك من يسمعها ويقصها على العالم بطريقة أدبية؟! ماذا يقول الأطفال واليتامى في فلسطين واسرائيل، ضحايا الحرب العنيفة الطويلة المتواصلة؟!

هذا ماجرى التحقيق فيه وتدوينه في كتاب جديد بعنوان "ثلاث أمنيات" للروائية الكندية ديبورا الليس، المولودة في اونتاريو كندا. والتي توجهت منذ شبابه إلى الجناح السلمي اللاعنفي، والعمل على الحد من أسلحة الدمار والحرب في العالم. انعكس ذلك على عدة إصدارات لها (المعيل وطفلة البارفانا و...) التي تحدثت فيها عن معاناة الأطفال والناشئة في بقع منكوبة من العالم ووجهتها إلى الشباب والأطفال الذين يعيشون برخاء وأمان. تجربة كتابية بعد زيارات ميدانية إلى كل من أفغانستان وباكستان حيث استمدت مادتها القصصية من الواقع. حازت كتبها على جوائز وشهرة واسعة.

أما الكتاب الأخير " ثلاث أمنيات" الصادر عام 2004 فقد وقع أسيراً للرقابة والجدل والمصادرة، وطلب سحبه من المكتبات في شهر شباط 2006 . هذا الكتاب الموجه للصغار أنجزته ديبورا الليس

بعد رحلتها الميدانية إلى فلسطين شتاء 2002، حيث التقت هناك بالأطفال واليتامى وفي "المراكز الاصلاحية" واستمعت إلى أحاديثهم وتجربتهم خلال حرب طويلة عنيفة. الأطفال ضحايا ويعيشون في ظروف تفتقد إلى الحد الأدنى من الشرط الإنساني الصحي والنفسي. سجلت ديورا في حكايتها هذه شهادات الأطفال من كلا الجانبين. وزودت مقدمة الكتاب بخارطة وقاموس كلمات وصور فوتوغرافية التقطتها الكاتبة أثناء جولتها الميدانية.

رد فعل الرقيب على كتاب: ثلاث أمنيات، أطفال فلسطين واسرائيل يتكلمون هل امتعض الكونغرس الكندي اليهودي من هذا الكتاب لأنه يكشف عمق مأساة أطفال فلسطين، ويصور الحقيقة على لسان الأطفال من كلا الجانبين، أم أنها فقط مسألة مراعاة "أعمار القراء الصغار" الذين لا يناسبهم مايجري في هذا الكتاب؟! أيهما أكثر قسوة ورهبة، صفحات الحكاية أم الذي يجري على أرض الواقع؟!

تتلخص قضية هذا الكتاب "ثلاث أمنيات" في أنه: كتاب موجه للطلاب في الصف (4-6) الابتدائي، وكان معروضاً في المكتبات العامة في أونتاريو كندا، نال إعجاباً شديداً من قبل الأطفال ورشحوه لجائزة دورية مهمة (جائزة السعفة الفضية) وهي مسابقة دورية تشرف عليها "أمانة المكتبات العامة في مقاطعة أونتاريو" ولكن موضوع الكتاب والترشيح للجائزة أثار حفيظة الكونغرس الكندي اليهودي فكتب رسالة يطلب فيها سحب الكتاب من المسابقة بحجة أنه "غير مناسب للأطفال في هذه السن". لم تستجب أمانة المكتبات لهذا الطلب بل وقفت مناصرة لحرية الكاتب والقارئ، لكن "هيئة التعليم في أونتاريو" وافقت على سحب الكتاب من "بعض" المكتبات. وكان لهذا رد فعل شديد لهيئات إنسانية عديدة منها اتحاد كتاب كندا ومنظمة قلم كندا حيث تم تنظيم حملة قوية لكف عين ويد الرقيب عن المطبوعات في كندا وإتاحة فرصة الاختيار للقارئ بمنتهى الحرية.

"ثلاث أمنيات" وآراء القراء:

هنا بعض الآراء حول الكتاب نلخص بعضها:
"الكاتبة لا تأخذ جانباً بل تصور بحياد هؤلاء الضحايا الصغار وحياتهم غير العادية"
"الكتاب ممتاز ويعطي فكرة تاريخية واضحة حول هذا الصراع اللامنتهي. مؤثر جداً ويذكر الضمير على العمل لبث الأمل وانهاء هذه الحالة-الحرب"
"رغم اختلاف العرق والقومية إلا أننا في النهاية بشر، والموت هو الموت"
"مقدمة متوازنة كافية لاعطاء خلفية وافية عن هذه الحرب، وعن الأطفال وكيف تأثرت حياتهم

بالخيارات التي مارسها واتخذها الآخرون.. " وجاء في نشرة قلم كندا: هذا كتاب ساحر، يقدم اعترافاً صريحاً من قبل أطفال فلسطين واسرائيل عن تجربتهم وحياتهم المختلفة كلياً عن حياة القراء الكنديين "

ايفي فريدمان " لقد قرأت جميع كتب ديورا الليس واستمتعت بها... باعترادي هذا كتاب عظيم.. لم أكن أعلم أن الأطفال في الشرق الأوسط يعيشون مثل هذه المعاناة. بعض الأطفال يستيقظون في 5:30 صباحاً للذهاب إلى المدرسة وعبور نقاط التفتيش، بينما أنا أستيقظ في السابعة. ثم إن الأطفال في شمال أمريكا يشاهدون العنف في التلفزيون ويقدم إليهم على أنه لعبة. وهذا الكتاب يوضح لهم أن الحرب ليست لعبة..."

أما الكونغرس الكندي اليهودي فيقول: " نعم فيه تصدعات وخلل.. ويعطي فكرة مشوهة عن حال الأطفال خلال الحرب الإرهابية، يشرح الحال عبر صوت يدّعي أنه أصيل حقيقي، يتوجب النقاش حوله مع القراء، وسيكون اختياراً مناسباً للمكتبات العامة ولكن للقراء في الصفوف من 12-5 "

رأي الكاتبة وكنديون آخرون:

أما الكاتبة ديورا فتصرح أنها رغم دهشتها في البداية من هذا الحظر إلا أنها لم تشأ التعليق لثقتها أن الموضوع سيخمد، ولكن قرار "هيئة التعليم" صدمها فقالت بأن العذر الذي يقدمه الكونغرس الكندي اليهودي غير مقبول وهي لا توافق عليه. بل ترى ضرورة أن تتم حماية الأطفال في العالم، وإن توفير مزيد من المعلومات للأطفال هنا، سيجعلهم في المستقبل أكثر قدرة على اتخاذ قرارات... " وفي مؤتمر صحفي عقد في آذار الماضي، قدم الروائي الكندي "لورانس هيل" وهو أب لخمس أطفال ورقة انتقادية شديدة اللهجة للرقيب- الكونغرس الكندي اليهودي- ومبرراته اللامنتظية قائلاً إن أي كتاب يتعرض للمنع، يجذب بالمقابل عدداً أكبر من القراء، وأتمنى أن يكون هذا حال كتاب "ثلاث أمينات" لقد قرأته بمتعة وأشجع الجميع صغاراً وكباراً على قراءته.

أما الشابة الصغيرة ايفي فريدمان فتقول في ورقتها للمؤتمر: لقد قرأت جميع كتب ديورا الليس واستمتعت بها... باعترادي هذا كتاب عظيم.. لم أكن أعلم أن الأطفال في الشرق الأوسط يعيشون مثل هذه المعاناة. بعض الأطفال يستيقظون في 5:30 صباحاً للذهاب إلى المدرسة وعبور نقاط التفتيش، بينما أنا أستيقظ في السابعة. ثم إن الأطفال في شمال أمريكا يشاهدون العنف في التلفزيون ويقدم إليهم على أنه لعبة. وهذا الكتاب يوضح لهم أن الحرب ليست لعبة.

* ملاحظة: تكلفت مساعي اتحاد كتاب كندا ومنظمة القلم الكندية... بالنجاح وأعيد الكتاب إلى رفوف المكتبات في كندا.

نشر المقال في الملحق الثقافي لصحيفة "الشرق الأوسط" 16 أغسطس 2006

فكرة اليوم: المسألة الإبداعية في الحكايات تتجلى في: كيف تروي قصتك ولمن؟ وهذا يحدث الفرق الكبير. هناك دوماً من يخاف من صوتك وصداه.



أغنية ليليث ، الذكورة والأنوثة في الكائن الواحد ، سرقات أم ناص

الشاعرة جوي كو غاوا: ولدت في فانكوفر - كندا من أصل ياباني حازت شهرة عالمية عن روايتها «أوباسان» التي كرسنها للحديث عن معاناة اليابانيين الكنديين أثناء الحرب العالمية الثانية.

الإشارة إلى مصادر الرموز، الأفكار والاقتباسات التي قد ترد في سياق مقالة، أطروحة، مشروع أدبي أو علمي، ضرورة علمية، حقوقية وأخلاقية تخضع لها الثقافة والكتابة الإنكليزية، وهذا ما نجد تفاصيله في مقدمة المجموعة الشعرية الفنية «أغنية ليليث» للشاعرة الكندية جوي كو غاوا، معتمدة «الحوارية الشعرية الميلودرامية» إلى جانب المنولوج، المناجاة الذاتية في «سبعة فصول» تبتدئ بالعنوان «الأغنية الأولى»، وتنتهي بفصل بعنوان «عودة ليليث».

النص المترافق بالتوازي مع جماليات الجسد الأنثوي في لوحات الفنانة «ليليان بروكا»، حيث تطالعنا فصول الجسد الليلي الأسطوري الذي يتشكل من الطين، كما جاء في هذه الأسطورة، ليتماهى مع المحيط الطبيعي من صخر ورمل وسماء. جسد خارج عن كل ألبسة العصور ليبقى حرا، منتما إلى البدايات فقط، ومتماشيا في الآن ذاته مع مقاييس الجمال والرشاقة العصرية. الجسد الذي يستوي في ملكوت فنتته وتحليقه إلى الأفاصي والأعالي عبر أجنحة الكلمات التي تخطها الشاعرة حول جسد في اللوحة لتحلق بها ليليث إلى آخر العالم - إلى أول منفى صنعته المخيلة وعاشت البشرية. إنها أجنحة الكلمات التي تجعل عودة ليليث من عزلتها إلى العالم، رغبة وحقيقة. تعود المرأة التي «ترقص حتى آخر أجنحتها»، لتجسد الاتصال ما بين الذكورة التقليدية وسمات الأنوثة العصرية. ل

يليت - الأغنية، الفكرة، الأسطورة، القصيدة ذات الخلفية الفكرية، الدينية، والتي تتضارب الآراء حولها تحضر في هذه القصيدة الطويلة التي صدرت في كندا باللغة الانكليزية عام 2000، بمنحة من مجلس الفنون الكندي لشاعرة كندية بارزة من أصول يابانية، مواليد 1935، ونتاجها مترجم إلى عدد من لغات العالم - عدا العربية - كما تُدرّس بعض كتبها لطلبة التعليم الجامعي، قسم الآداب الانكليزية في جامعات كندا. وهي جوي كوغاوا وتعد روايتها «أوباسان» واحدة من أهم روائع الأدب العالمي في القرن العشرين.

محصلة عمرها الإبداعي الطويل والمشرق لم تسرق منها البساطة والتواضع الجم والعفوية. استوقفني قدها الجسماني الصغير، هدوءها «البوذي»، صوتها الناعم، شعرها الأبيض، كلماتها القليلة وهي تحدث قراءها وتجيب على أسئلتهم، وهي تضع توقيعها على كتبها التي بحوزتهم - القديمة والجديدة - في فسحة قصيرة بعد قراءة شعرية لها في تورنتو هذا الشتاء.

كتبت الفنانة ليليان بروكا في المقدمة كيف بدأت تشكيل خطوطها الأولى: «بدأت في رسم هذه الشخصية منذ عام 1995. وبعد محاكمة معرفية وذهنية، اخترت أن أرسم ليليت عارية، لأن الملابس تضعنا في حقبة زمنية محددة. كما أنني اخترت الجسد بمقاييسه الجمالية المعاصرة، نحيفا ومتناسقا. إن ليليت في نظري ولوحاتي ليست الطراز البدائي والنموذج الأسري للطاعة والتفاني، ليليت ليست أم الآلهة، بل انها نموذج المرأة الواعية، المستقلة، الروحانية، الحاسمة، العملية التي لا تتخلى عن حسها وحساسيتها الذاهبة نحو تغيير العالم، كما أنها ساحرة بجمالها فوق العادي.

في صيف 1998، قدم بعض الأصدقاء لزيارتي، وأعجبهم ما توصلت إليه من لوحات، فاقترحوا علي استكمال العمل بحوار شعري تكتبه الشاعرة الكندية، اليابانية الأصل، جوي كوغاوا، وكذلك البحث عن جوقة فنية لتحويل العمل إلى «كونسيرت»، بما يقتضيه ذلك من إلقاء مسرحي، وموسيقى خاصة بهذه الشخصية. بعدها تم الاتفاق مع الشاعرة وأخذت المجموعة طريقها إلى النشر والعرض المسرحي».

أما الشاعرة جوي كوغاوا، فنقول في المقدمة: «لم أكن أعرف شيئا عن هذه الشخصية الأسطورية حين اقترح الأصدقاء علي كتابة حوار شعري خاص بـ ليليت. فكرت بالموضوع وأعجبني أبعاد الشخصية عبر لوحات الفنانة ليليان بروكا. عبر المراسلة الالكترونية، تبلورت خطوط عملنا المصحوب بالتفاهم والاحترام وعشق هذا الإبداع المشترك. شعرنا بطعم الحياة مع ليليت، ومع جميع بناتها اللواتي غرقن بذهول في ميلاد - انبعاث ليليت». هذا وتشير الشاعرة إلى ظروف عملها اليومي المرهق، حين قدمت على هذا العمل: «كنت أعمل نهارا لأعود إلى القلم ليلا، مغلقة دفاتر النهار وتفصيله المادية، وهناك بدأت تحضرني ليليت أيضا وهي تغلق أبواب العقل، خارجة من مكان قلقها وأسائها، إلى خلوة المكان، لتكتشف سر الحب المعطى للإنسان... خرجت من حيز الإنصات إلى آلامها ووقعت على المفاجأة

العظيمة. مباركة أصبحت حين امتلكت أجنحة، حلقت عاليا. خرجت من قبضة الضياع لتسقط في نعمة الحب».

تفاصيل وهوامش أسطورة ليليت، أول امرأة ذات نزعة فمستية في الكون تبدأ بالسؤال الذي أطلقته الكاتبة «أيفا كانتور عام 1976 في صحيفة ليليت: من هي ليليت؟ هل هي الجميلة المتمردة على الطاغية، أم أنها الساحرة المنتقمة ذات الشعر الأشعث؟ وذهبت في التقصي والبحث: هل هي أسطورة بدون حقيقة تاريخية، وهل هي رمز يفتح لنا طاقة صوب الماضي؟ تذهب المقدمة في عرض التفاصيل ما بين قصة حواء شريكة آدم المطيعة المخلوقة من ضلعه، وما بين ليليت المخلوقة مثله من التراب والغبار، ندا قويا ومتكافئا».

تضيف كانتور بالبحث عبر المسودات المنجزة: «ليليت أدركت انها مساوية لآدم، «كلانا من التراب»، لكن آدم لم يقبل هذه المساواة. فغضبت واستخدمت حكمتها وحازت على السر الإلهي، نمت لها أجنحة مكنتها من الهرب من جنة عدن إلى آخر العالم. وحين حاولت الآلهة إقناعها بالعودة الى آدم الحزين بإرسال ثلاثة ملائكة لمحاورتها، رفضت. كما أنها رفضت العروض المتتالية من ذهب وجاه ووعدو قدمها الشيطان المرسل إليها». وتضيف كانتور: «مطالبتها اللاواعية بالمساواة لم تكن شديدة وحسب، بل كانت هبة طبيعية تسيرها.. لقد كانت ليليت مهيأة لأن تخسر الرخاء المادي في جنة عدن لتقيم وحيدة في عزلتها عن المجتمع».

كانتور وآخرون قادهم الجدل حول هذه النقطة إلى أن ليليت - الأنثى القوية، ربما تكون أول امرأة ذات نزعة فمستية في العالم. هي التي عرفت بالقوة والإصرار، ورفضت أن تكون في موقع الضحية. وتم تخريب صورتها لتصبح في الذاكرة الجمعية نموذج المنتقمة، الشريرة، الشيطانية الأهواء، والتي لا تتوانى عن قتل الأطفال، وسلب الرجال عقولهم بجمالها الذي يوقظ الشهوات والأحلام الايروتيكية. لذلك أسقط رجال الدين اليهودي حكايتها وأصبحت ملعونة، مغضوبا عليها، تحذر النساء من اقتداء نموذجها، وتم تغييب الجانب الإيجابي من أبعاد شخصيتها الغنية، المتناقضة.

كما تشير إحدى الباحثات بالقول: «ما البعد الشرير والشيطاني لها إلا الوجه الآخر لحكمتها، سعة نظرها، عدالتها وعطاؤها الحميمي، إذ لكل حالة جانب إيجابي وآخر سلبي». في هذه المجموعة، تحضر نصف صورة حواء في شخص ليليت، الوثائق المستقلة الواهية. إنها التجسيد العصري لرمز قديم. «إنها المرأة التي ابتكرت المساواة لتساعدنا أن نصبح كاملين في شخصنا، حيث يجتمع ويتصالح عنصر الذكورة والأنوثة في الكائن. ليليت امرأة العاطفة والعدالة والقوة، الطيبة الشافية والرائية. إنها دليلنا إلى مستقبلنا».

(ص 14)

*

فصول ديوان أغنية ليليت وعودتها من منفاهها إلى الحياة

تقع المجموعة في 110 صفحات، وتقسم إلى سبعة فصول، تبدأ بعنوان «الأغنية الأولى»، مرفقة باللوحات الفاتنة التي تحكي سيرة المرأة الأولى، وآدم وحواء، وحضور الشياطين والملائكة لإقناعها بالعودة إلى آدم وجنة عدن. يتصاعد الحوار الشعري بين فقرات الكتاب ونصل إلى المصالحة المرجوة في فصل بعنوان خادمة العشق، مبتدئنا بـ«عودة ليليت» الجميلة من «منفاهها» إلى الحياة، حاملة جسدها عبر طيات الأرض، رطبا ونازفا نارا ودمعا وخصبا. نلمس بعض فقراته في هذه المقطوعات المختارة للترجمة من فصل عودة ليليت:

ليليت

عويل وأهازيج طويلة

أولى نساء الأرض، وجوهرها

في نهار غامض عجت

من الغبار والحلم

واليوم ولدت من النار والدمع.

ليليت

تمثال انبعاثها هو:

زهرة، صخرة ونجمة

في حديقة أبعد من كل الحدائق

في الأزمنة العvisية والتراجيدية الإنسانية

ليليت وحواء

حواء وليليت

الاثنان تدمعان كواحدة

وتغنيان أغنية جديدة/تؤديها الواحدة المقدسة التي لم ترتكب خطيئة... (ص 89)

تتنوع إيقاعات الأغنية بين الديالوغ والمونولوج في تقصي رحلة ليليت وميلادها الجديد، صراعها بين وجوه الخير والشر، بين سمات شخصيتها الغنية والمثيرة للشهوات والرغبات، والمثيرة للجدل. تعود لتتصالح مع عالمها وتعود لعمادة الجسد في ماء الحب على هذه الأرض التي منها خلقت المرأة وخلق الرجل، ليقبما حديقة كونية مباركة. «أغنية ليليت قصيدة ميلودرامية روحانية عميقة وطويلة، إنها الجنة النسوية المفقودة»، ليرعاها الجميع ويبذرون الحياة في رحابها:

لأن الحب هو الجوهر

الذي فيه نسبح

الحب قوتنا الفانية
الحب بيتنا القادم
وهو زمننا المتحول
هذه الموسيقى،
أنا ليليت، أسمعها
ومقدس هو المغني
أنصت إليه.
ليتبارك» (ص 104)

*

ما بين الأسطورة والخلق الفني

إذا راقبنا النتاج الثقافي في الساحة العربية والعالمية، لا بد سنقع على عدد لا يحصى من المعالجات، الاقتباسات والمداولات التي تصب في حيوات شخصيات أسطورية أو دينية مهمة. تكتسب هذه المعالجات الأدبية صفة «الخلق الفني»، انطلاقاً من تجديد زوايا نظرها، معالجتها، إسباغ صفات مغايرة على جوهر وصفات الشخصية التاريخية. وقد تتقاطع بعض النتاجات في بعض جوانبها، وعالم المبدعين لا يخلو من «صدفة التشابه»، ولكن بحدود! قد نؤمن بالمصادفات البحتة، وقد يحق لنا أن نسائل الناقد العربي ليفكك لنا ما التبس، ويدلنا على الحدود الفاصلة ما بين الأصل والصورة، وإلى أي مدى قد يصدف التأثير والتأثير!

عديدة هي الإصدارات التي كتبت عن شخصية ليليت، سواء في المسرحية، الرواية، القصيدة على صعيد العالم، و«إن كانت التجربة الشعرية الأولى - عربياً». فتجربتي المتواضعة جعلتني على لقاء مباشر مع أكثر من كاتب(ة) في كندا، تناولوا هذه الشخصية في نتاجاتهم، منهم الشاعر الكندي الإيراني «رضي بهراني» الذي كتب عنها مسرحية عرضت في فرنسا.

من هي الفنانة ليليان بروكا: أنها فنانة تشكيلية كندية معروفة أقامت معارض كثيرة في شمال أميركا وتم اقتناء أعمالها في عدد كبير من المعارض العامة والخاصة تعيش في فانكوفر مقاطعة بريتش كولومبيا الكندية.

فضاء آخر...تداعيات المقال بعد النشر وشبهة الاختلاس والتلاص

حين نشر المقال في 7 يونيو 2006 العدد 10053، صحيفة الشرق الأوسط، ومن ثم نشر في صحيفة

السفير اللبنانية بعد انتظار طويل، أثار عاصفة من التساؤلات والدهشة، لأنه تزامن مع صدور مجموعة شعرية لشاعرة لبنانية فيها تقارب واقتباسات في بعض الأجواء والاقتباسات والتفاصيل التي في هذا الديوان الذي قادتني إليه صدفه البحث الجاد في خانة الكتابات النسوية في العالم.

نشر مقالي وترجمتي لبعض الفقرات حول الكتاب الديوان الشعري للكندية جوي كوجاوا عام 2006 حين كانت الشاعرة المعنية تتصدر الصفحات الثقافية بدعم من أصحاب المنابر ومن خلال علاقاتها الواسعة أصحاب النفوذ في الثقافة العربية واللبنانية تحديداً والتي كانت تلمع صورة الشاعرة /محررة القسم الثقافي في جريدة....وصلني عدة تنويهات بأنه لم يكن ضرورياً الكتابة عن شخصية معروفة ولها علاقات قوية وصحفيين يدعمون صوتها لكنني لم أكرث لأنني أكتب أفكاراً وبقدر وليس عداء شخصياً لامرأة أو منبر ثقافي.

وحين التقيت بالشاعرة الكندية في إحدى المهرجانات لم أتطرق لهذا الأمر، بل تحدثنا عن حدث الساعة في ذلك الوقت، عن بيت أسرتها الذي أجبرت على مغادرته في فانكوفر وكان معرضاً للهدم ولكن بفعل موازنة القراء الكنديين واتحاد كتاب كندا تمت الموافقة على تخليده وجعله مركزاً ثقافياً يستقبل كتاب وصحفيين من العالم للتفرغ للكتابة في حيز يدعم الحريات بكل أشكالها وضد العرقية التي كان العرق الاصفر ضحيتها في كندا بعد الحرب العالمية الأولى والثانية. وهناك مقالات بهذا الشأن في كتابي: حوارات على مرايا الهجرة الصادر عام 2023.

سألني أحد الصحفيين في حوار مطول نشر عام 2009 :

ماذا يعني التناص في الأدب، خصوصاً أنك اتهمت إحدى الشاعرات بالسرقة؟

السرقة تناص وقح يستمد وجوده من جهل أو مغافلة الآخرين لحقيقة وجود النص الأصلي وكتابه. والتناص تشابك وتداخل نصي بين نص جديد وآخر سابق عليه. قد يكون هذا التعالق مستمداً من أسطورة، من فكرة فلسفية، من نص شعري معاصر أو موغل في القدم. كتب كل من باختين وجوليا كريستيفا، ومحمد مفتاح، ومحمد بنيس وغيرهم عن هذا الموضوع، وليس حصراً. وأجد أنني شخصياً وفي هذه المجموعة أستخدم تناصات واقتباسات لشعراء عرب وأجانب، وأستمد رموزاً من الأساطير والموروث الشعبي والديني وأدغمها في نصي، أحياناً أضعها بين قوسين كي تنتفي السرقة أو اختلاط قولي بقول الآخر. وأذكر أن محمود درويش أخذ رموزاً وأسماء من الأساطير وأسقطها على أرض قصيدته وجداريتها فاكسبت أبعاداً عميقة. كتب درويش عن جلجامش وانكيديو وعشتار، لكنه لم يكتب ملحمة جلجامش كما جاءت بفصولها وشخصياتها وخاتماتها. أدونيس وكمال أبو ديب «عذابات المتنبي» تقمصا شخصية المتنبي وقناعه في كتبهما في هذه المجموعة. خصصت محبرة لشخصية {أيوب}

ولبست أنا «أيوباً»، أعدته إلى القرن العشرين، وتركته يذهب إلى خدمة العلم ويشارك في التظاهرات
الاعتراضية. «أيوبي» لم يكن قنوعاً بما قسم له...» ونشر الحوار في جريدة الجريدة الكويتية بعد
صدور مجموعتي الشعرية "المحبرة أنثى"

كلمة اليوم: حين لا تتفق مع كاتب أو وجهة نظر ثقافية كن شجاعاً وقل رأيك بموضوعية. لا تستخدم
أساليب ملتوية للنيل من القيمة الأدبية والإبداعية. في الشوارع، أفراد عصابات من الذين لا يشتغلون
باللغة والكتابة، قد يشتمون بعضهم وينالون من صورة شخص دون مبررات. النقد الثقافي والاجتماعي
والأدبي يتطلب خلع بعض الأقنعة عن الوجوه.

ج



تجربة نشر الكتاب الأول في المهجر

هذه الانطولوجيا «الكتابات الأولى» تعرفنا على تجربة أكثر من ثلاثين كاتباً كندياً بين شاعر وقاص وروائي، وتمكننا من متابعة ورؤية أحوال الكاتب اليومية والنفسية والتحديات التي لابد أن تواجهه وهو يخرج من عزلته وزمنه الخاص وركنه الأثير إلى عالم آخر مختلف كلياً، وهو عالم البحث عن ناشر يرحب بالمخطوط أو يرفضه. وهي قضية تستدعي في أذهاننا تجربة الكاتب العربي، مع الفارق الكبير بالطبع، فالمفارقة هائلة والآلية مختلفة تماماً. عالم النشر العربي له تفاصيله وحساباته الغريبة عن كل تقاليد النشر في العالم، على حساب الكاتب الذي يدفع من جيبه لإخراج منتوجه إلى السوق كما هو، مما انعكس سلباً على الذائقة العامة، الكساد، وقاد إلى ظهور الطفيليين على عالم الأدب والتأليف، وما يتبع ذلك من تدهور في مكانة الأدب وقيمه. دور النشر العربية على الغالب ليست معنية بمراجعة الكتاب أو البحث في تفاصيله الجمالية الفنية الإبداعية، إلا ما ندر، فمن يدفع يطبع، وحده الرقيب السياسي والديني هو الذي يحشر أصابعه في عيون النص وشرائينه ويقوم بتقطيع أوصاله أحياناً بحجة الحفاظ على القيم والتقاليد وسلامة الوطن والأمة.

أن يبدأ الكاتب الكندي بالبحث عن ناشر، لابد أن يكون مستعداً دوماً لتلقي «الرفض» لأسباب يعلنها الناشر أو تبقى غامضة، وخاصة حين يكون الكاتب متقدماً إلى الناشر بكتابه الأول من دون إرث مسبق يدعم خطوته.

في هذا الكتاب الذي يشمل مقالات عميقة الصدق والمكاشفة، نقع على حكايات قاسية أو لنقل مريرة، وأخرى فكاهية وساخرة، تتكلم في النهاية بنتيجة إيجابية.

تتحدث إحدى الكتابات عن هذه التجربة وتنقل لنا بعضاً مما كانت تدونه في دفتر يومياتها وهي تخوض تجربة البحث عن ناشر: «أتخيل نفسي عجوزاً متقاعد لا تحسن الوقوف حين يصلني ذاك

الخبر السعيد وتصبح روايتي المخطوطة كتاباً يقرأه الآخرون».

هؤلاء الكتاب الذين تضيق بهم السبل لإيجاد ناشر يعترف بموهبتهم، كثيراً ما يلجأون للتسجيل في «ورشات الكتابة الإبداعية»، التي تتيح لهم فرصة اللقاء بأقرانهم من «المحيطين والمتأملين» الذين يخوضون مثلهم تجربة الرفض والقبول والبحث عن دار الناشر الأمثل. هناك يجدون متنفساً وحلقة اجتماعية، ويعثرون على من يتقاسم معهم هموم الرحلة وعثراتها، كما يستفيدون من نصائح الاستاذ الخبير في نقد كتاباتهم، وهي نصائح قد تصيب أو تخبب.

تقول احداهن: «كنت ألتقى أي «بروشور» يعلن عن ورشة عمل للكتاب بلهفة واهتمام يفوق اهتمام الطفل بالبحث في صفحة الألعاب أو الكاتالوج عن هدية عيد الميلاد التي يحلم بها». وهناك يواجهون سؤال بعضهم بعضاً «هل عندك كتاب أم لا؟». وحين يوجد كاتب واحد سبق وأن طبع كتاباً يقابل بالحدس أو الغيرة، وقد يغدو التواصل معه أو معها مريباً.

كاتبة أخرى تشرح تجربتها بالقول: «لقد كتبت قائمة بأسماء وعناوين دور النشر الكبيرة والصغيرة، ثم اختصرت القائمة إلى قائمة أصغر وبدأت بارسال المخطوط مشفوعاً برسالة مفتوحة مع عنواني البريدي وهاتفي وظرف عليه طابع لإرجاع المخطوط إليّ مهوراً بالقبول أو الرفض، أو بملاحظات المحرر الذي يطلب إجراء تعديلات على النص قد تكون طفيفة أو محورية. أرسلت كتابي وقلت لنفسي لن أهتم ولن اشغل نفسي بعد لكنني لم أنج من التفكير في مصير كتابي، وصرت عرضة للكوابيس والاستيقاظ في منتصف الليل لأعيد قراءة بعض الصفحات. مرة استيقظت من حلم كابوسي رأيت فيه الكاتبة مارغريت أتوود والروائي مايكل أونداتجي يتلذذان بالشواء على نار كتابي المحترق. وواظبت على القول بأنني لن أهتم بعد، لكنني وضعت الكرسي أمام باب البيت بحيث يصبح بإمكانني رؤية ساعي البريد وهو قادم. وهكذا تلقيت عدداً من رسائل الاعتذار والرفض إلى أن وصلتني تلك الرسالة السحرية: القبول».

أحياناً يأتي القبول المبدئي من قبل الناشر، ولكن بشرط أن يقوم الكاتب بتعديل فقرات بأكملها، أو إعادة كتابة المخطوط الذي قد يأخذ طريقه للنشر بعد عام وربما أكثر. وتصف كاتبة أخرى الجهد والأرقى والمثابرة التي لا تخلو من المتعة، وهي تعيد النظر في التغييرات المقترحة من قبل المحرر المعتمد لدى دار النشر. وتشير إلى «أن تنقيح أو تعديل المخطوط الشعري والاشتغال عليه يكون أقل صعوبة من تعديل مخطوط رواية منجزة في نسختها الأولية. وفي حالتي هنا كانت الصعوبة فادحة، إذ طلب المحرر أن يتم التخلص من إحدى الشخصيات، واختراع شخصية بديلة، كما اقترح تغيير النهاية أيضاً». وأحياناً يطال التغيير العنوان أيضاً. ولكن كل ذلك يجري بموافقة الكاتب أولاً.

عمل المحرر والناشر ليس ثانوياً وليس محصوراً في قبول الكتاب أو رفضه وتحرير العقد وحقوق الملكية، بل نجد الناشر معنياً بتفاصيل قد لا تخطر على بال الكاتب. يقول احدهم: «يرى الناشر أن هذه

الحديقة يجب أن تكون أكثر جمالاً، وهنا يجب أن تصبح أكثر صفرة، وهناك يجب التخفيف من اللون الرمادي...».

تتنوع المقالات التي ضمتها الأنطولوجيا ما بين الحديث عن الفرح والبهجة والمعاناة في طور البحث عن ناشر، كما تتعرض لجانب آخر وهو العزلة والقلق الذي يرافق مرحلة الكتابة، وكذلك الأحلام العريضة التي يتوقعها الكاتب ما أن ينشر كتابه. فجدد كاتباً يصف حالة الفقر والترحال التي يعيشها مع إصراره الكبير على إنهاء كتابه، ويسخر من نفسه إذ كان يتوقع أن تقع الفتيات الجميلات في شبابه ما أن يصبح كاتباً. ويصف محاولته للسفر إلى مدينة أخرى يكون فيها قريباً من «العقول المثقفة والكاتبات الجميلات» لكنه يصاب بالصدمة وينتهي به المطاف للإقامة في شقة متواضعة، يلتقي فيها مع كاتب آخر «فشل» في تحقيق حلمه في النشر. هناك يتبادلان الهموم المشتركة والشكوى إلى أن يأتيه الفرج ويلتقي بناسر يوافق على نشر روايته. وحين يضع أمامه غلاف الرواية يراه «بشعاً» غير أنه يبتسم ويوافق عليه. ويصدق أن ترفض دار نشر كتاباً ما، لكنه يحظى بقبول سريع من دار نشر أخرى، لذلك يجب أن يبحث الكاتب عن «ذائقة» كل دار قبل أن يباشر بمراسلتهم ويضيق وقتاً بانتظار رد قد لا يصل إلا سلبياً.

الجانب الآخر الذي يتطرق إليه الكتاب في هذه الأنطولوجيا في صفحاتها المائة والخمسين، هو الانفعال الذي يصاحب عملية النشر، من حوارات إذاعية أو تلفزيونية أو صحافية، والاثار النفسية الذي يعقب نشر صورة الكاتب أو الكاتبة في الصحيفة لأول مرة، وكذلك القلق الذي قد يرافق تجربة القراءة الأولى في مهرجان كبير يحضره كبار الأدباء والفنانين، وكذلك حين يجري توقيع الكتاب، أو القراءة في مكتبة ما يقتصر الحضور فيها على الكاتب والناشر وموظفة المكتبة. مفارقات فكاهية وأخرى مؤلمة، نقرأها في محاولات هؤلاء الكتاب الذين يحاولون تقليص الهوة ما بين عالم الكتابة الداخلي والعزلة المصاحبة له، والجانب الآخر الذي يستدعي الحضور والتواصل مع القارئ والأصدقاء، والبحث في سبل التسويق والبيع.

هامش هذا اليوم:

الدواوين الأولى: كريستال وخريف يذرف أوراق التوت
في الوطن الخالي من الحب حزنٌ غزير. في البيت حزنك الذي لا يغتفر. في البيت ذاكرتك المثقوبة
برصاص صنع خصيصاً من أجل البيت - الوطن. في البيت ضباب وجهك العاجز عن الحب وعن الموت
عن القيامة. أيها الحب الذي لم يعرف كيف يشد الموت إليه برفق. كن رفيقاً أيها الغريب، أيها الغرباء.

أحملي كتابك وأمشي دون أن تنحني. أقول لنفسي لا تذرفي الدمع لأنك وحيدة مثل كتاب. هذا ما حدث مع كتاب كريستال حين وصلني إلى كندا بعض النسخ المطبوعة. ذهبت إلى مكتب البريد القريب ومعى الأشعار الذي وصل إلى صندوقى البريدي. ابتسمت للموظفة وأعطيتها الأشعار مرفقا ببطاقة هوية شخصية عليها صورتى وعنواني. أخذتها وذهبت تبحث بين الصناديق التي عبرت البحار والقارات. وجدت صندوقا عليه اسمي. وقعت على تسلم الحمولة. إنه 'كريستالي' الحبيب المنتظر.

وضعت الحمولة في حقيبة أحملها أغلب الأحيان. خرجت ومشاعري ملتبسة بين الفرح والغربة. ذهبت إلى مقهى قريب وشربت القهوة وحدي وأنا أتأمل عالمي الجديد والديوان الرقيق... كان ذلك عام 2002.

جملة قلتها لنفسي في طريقي إلى البيت 'الآن أحمل كتبتي فوق ظهري، بعد أن حملت كتب الآخرين طوال عمري'. يجب أن تكون اللحظة استثنائية إذن.

جلست مع القهوة و مجموعة 'كريستال' تصفحت الكتاب سريعا، لم أقرأ صفحة واحدة وأنا أقول : وماذا بعد أن انتقلت القصيدة من المحيط الخاص إلى العام؟'. شردت وقلت: لو كنت هناك لدعوت الأصدقاء للاحتفال بالمناسبة. لو كنت هناك لأقمت حفلة توقيع الكتاب. لو كنت هناك لتلقيت عروضاً للقراءة والحوار والنقاش حول الكتاب. تذكرت بعض الأصدقاء هنا وخطر لي أن احتفل معهم بنفسى، لكنني عدلت عن الفكرة تذكرتُ رد فعل صديق حين أخبرته عن كتابي.

فأجابني بسخرية: 'يا لطيف، وهل تعتقدين نفسك مظفر النواب مثلاً!'

لم تتغير أحوال الأمة، ولم تتغير أحوال الطقس في كندا بعد صدور كتابي الأول.

لم أكن أعرف أحدا شخصيا في الساحة الثقافية، فبحثت عن بعض العناوين من خلال الانترنت وأرسلت بعض الإهداءات لمتقنين لا أعرفهم ولم يسمعوا باسمي من قبل. أرفقت مع كتابي عنواني وبريدي الإلكتروني. كنت حزينة لأن أغلبهم لم يكتب شكرا عبر الإيميل. وبعضهم تسلم الكتاب من قبل الناشر وكتب يطلب حوارا، وبعضهم حصل على الكتاب وقرأ وما زالت تربطني بهم رسائل الكترونية وسجلات ثقافية. وسيبقى 'كريستال' جزءا حميما من هويتي الشعرية والمهجرية الملتبسة. وسيبقى السؤال قائما ماذا سأكتب في اليوم التالي

صدر كريستال عام 2002، عن دار الكنوز الأدبية في لبنان. وأعيد نشره ورقيا في كندا عام 2015 وسبقه مجموعة شعرية نشرت الكترونيا بعنوان " خريف يذرف أوراق التوت " على شبكة المرايا الثقافية، وطبع ورقيا في كندا عام 2015، وأعيد نشره الكترونيا عبر " سلسلة إبداعات طريق الحرير "

سجينة طهران، مارينا نعمة والزواج من السجن في الدولة الإيرانية الإسلامية

كتاب "سجينة طهران" هو سيرة ذاتية وليست فيلماً هندياً ولا نصاً فانتازياً. المراهقة الصغيرة الشابة الإيرانية مارينا نعمات، الطالبة في المدرسة في رمشة عين، تصبح "سجينة سياسية" تساق إلى أكثر سجون إيران شهرة وقسوة، تودع طفولتها وواجباتها المدرسية، لتتلقى أشكال التعذيب هناك في سجن " آفين" حيث تلتقي مع عدد من بنات صفها اللواتي لم يكن سياسيات بالمعنى الحقيقي للكلمة. واحدة منهن كتبت مقالاً ووضعتها في جريدة الحائط عن المظاهرات الشعبية وتدخل حراس الثورة الإسلامية في فض التجمع، بإطلاق الرصاص والغازات المسيلة للدموع. وواحدة قرأت المقالة وتعاطفت معها، وأخرى خرجت للتظاهر من غير أن تكون منظمة في حزب أو تجمع معارض. ردود فعل "شبابية" أصبح ثمنها السجن المؤبد أو الإعدام في بعض الحالات. وهذا كان حال الكاتبة مارينا نعمات في "سجينة طهران" الكتاب الذي ترجم إلى لغات عالمية عديدة، وحقق أعلى المبيعات. صدر بالانكليزية 2007 في كندا عن دار "بنغون"

المراهقة وزمن الانقلاب في إيران

تم القبض على مارينا نعمات وأدخلت السجن عام 1982. كان عمرها في ذلك الحين 16 عاماً فقط، ولم يكن للأهل أي علم بتواجدها في أكثر من مظاهرة معارضة للحكومة الجديدة، وبعد إسقاط حكومة الشاه في إيران.

الاستثنائي في هذه الحكاية القادمة من سجن رهيب شبيهة بالفنتازيا التي صورتها مارغريت اتوود في نصها الذي أشرت إليه. فالشابة ذات الست عشر ربيعاً، تقاد إلى السجن، ويجري التحقيق معها، وتخضع للتعذيب الشديد، بالضرب بالسوط " الكبل" على أسفل قدميها إلى أن تسقط مغماً عليها. ثم

يصدر بحقها حكم بالإعدام بالرصاص.

المحقق الأول " حامد " يكرهها ويريد التخلص منها سريعاً. أما المحقق الثاني " علي موسوي " فيقع في غرامها منذ اللحظة الأولى. يتعاطف معها رغم أنه يعرف أنها "مسيحية مؤمنة" وهو متطوع لخدمة الحكومة الجديدة والتخلص من أعداء الإسلام والكفار. يحاول الفرار من حبه لها، يغيب عن السجن فترة ويذهب للالتحاق بالخطوط الأمامية حين اندلاع الحرب الإيرانية- العراقية. ثم يعود بعد إصابته في قدمه. ويذكر أنه كان سجيناً سابقاً في نفس هذا السجن وعانى أشكال التعذيب وآثار سياط أنصار " الشاه " ماتزال ماثلة على ظهره.

تخضع مارينا للتعذيب ولا تعرف عن قدرها ومستقبلها شيئاً. تعيش في الزنزانة رقم " 246 " مع نساء أخريات. تعرف أن بعضهن ذهبت إلى حتفها وتجد أن بعض السجينات يخفن ولا يعرف عنهن شيئاً، وترى أيضاً سجينة تنجب داخل السجن وترعى وليدها في أقصى الظروف. ذات يوم يطلب حضورها مع نساء أخريات عبر مكبر الصوت، فتخرج للنداء... تساق مع الأخريات وسط الثلج إلى رقعة ماء، مغمضة العينين. تسمع صوت طلق الرصاص وهو يقضي على صديقتها التي في جوارها والتي حاولت الفرار وهي في مثل عمرها. إنها محكومة بالإعدام من غير محكمة حقيقية. في اللحظة التي يحاول المحقق " حامد " أن ينفذ حكم الإعدام بها، يصل المحقق الآخر " علي موسوي " ويعطيه ورقة ليقرأها فيجد فيها قراراً من " آية الله الخميني " بتخفيض حكم الإعدام إلى السجن المؤبد.

هذه الخطوة التي أنقذت حياتها من الموت قام بها المحقق علي الذي يحبها من غير أن يتعرف لها بهذا. وهو قد طلب من والده، الذي تربطه علاقة وثيقة " بالخميني " للتدخل في شأنها. لماذا فعل المحقق علي ذلك، وماذا يريد مقابل إنقاذها من الموت؟

تغيير ديانتها وقبول الزواج من المحقق ثمناً لحريتها

يطلب منها الزواج بشرط أن تعلن إسلامها أولاً. ويعدّها بأنّه سيحقق لها كل ما تحلم به. ويشترط عليها ألا تخبر أحداً من السجينات. يهددها بأنّها إذا رفضت طلبه، سوف يقوم بتعذيب والديها، وكذلك الشاب " اندريه " الذي كانت تبادله حباً صامتاً منذ أن التقت به وهو يعزف الأورغ في الكنيسة. الكتاب يقع في 274 صفحة من القطع الكبير، تسرد فيه تفاصيل من حياتها مع أسرتها، رفاقها في المدرسة، الكنيسة، السجن، ثم ألمها وخوفها من هذا المصير الجديد " أن تصبح سجينة علي إلى الابد ". بعد طول عذاب ومرض وهزال، تخضع لشرطه وتقبل الزواج من " المحقق علي " ذو السطوة الكبيرة. تجري مراسيم "شهار إسلامها"، ثم تتعرف على عائلة زوجها المستقبلي، وتتعرف على البيت

الذي اشتراه لها. تتزوج، أو يتم اغتصابها بعد عقد زواج رسمي في منزل والد العريس وبحضور أهل العريس.

يجري هذا كله سرّاً تقريباً، ويبقى عليها أن تواصل حياتها موزعة ما بين السجن، وما بين بيت الزوجية السري.

يقوم زوجها، الضابط في السجن بتقديم التماس آخر لدى المحكمة الدينية، لتخفيض مدة سجنها.... باعتبارها قد أصبحت امرأة " مسلمة صالحة" وزوجة ضابط مخلص للدين والحكومة الجديدة. ثم يتم النظر في أمرها وتحظى بتخفيض العقوبة من المؤبد إلى ثلاث سنوات.

تصور في كتابها السيري/ السجلات والحديث بينها وبين زوجها، والألم الذي تعيشه في داخلها، كونها خانت دينها ووالديها والصديق الذي كانت تشعر بحبه الكبير، والذي وعدها أن ينتظرها حتى تخرج من السجن. وخلال هذه الفترة العصيبة، لا يعرف أهلها عنها شيئاً سوى " أنها أصبحت مسلمة" ودون أن تخبرهم بأي تفصيل آخر.

أرملة ووحيدة خارج السجن

تأخذ حياتها مجرى آخر، إذ يقتل زوجها بتدبير غادر من إصدقائه. وتكون معه لحظة إطلاق الرصاص عليهما، لكن علي يدفعها إلى الخلف ويتلقى صدره الرصاص، فيموت بين يديها. كأنه ينقذها من الموت للمرة الثانية. وتكون حينها في بداية حملها، فتجهض الجنين أثر الصدمة والخوف. علي، زوجها لحظة موته يوصي والده "أن يعيدها إلى عائلتها ويحسنوا معاملتها". تعود إلى السجن لتكمل المدة المقررة. يتدخل والد زوجها وأسرته التي تكن لها محبة كبيرة، ويتم الإفراج عنها بعد أن تكون قد قضت في سجن "أفين" سنتين وشهرين و12 يوماً.

تتحدث باحترام وحب حقيقي عن عائلة زوجها التي كانت كريمة وطيبة معها منذ البداية وحتى النهاية. تصف لحظات قلقها وارتباكها اتجاه مشاعرها الحقيقة. يأتون لوداعها حين تخرج من السجن. تقرر أن تعود إلى أهلها، فيرحب والد زوجها بقرارها، لأنه كان الوصية الأخيرة لابنه الوحيد.

تعود إلى بيتها الأول، وتصف غربتها ومشاعرها الداخلية، صمتها وحزنها وهي تحمل كل هذه الآثار من تعذيب وزواج وإجهاض وهي لم تبلغ بعد الثامنة عشرة من العمر. يصمت الأهل ولا أحد يطلب منها شرحاً عن حياتها في السجن، فتستغرب ذلك كثيراً. الكل يخاف ويتهرب من معرفة الحقيقة وهي كذلك. تبقى الحقيقة الوحيدة أمامها أن الشاب الذي التقه عدة مرات قبل دخولها السجن ما يزال يحبها وهي تبادل الحب أيضاً. وتقدم لطلبها للزواج أخيراً. وسط الجدل والخوف والقلق، تقرر أن تتزوج من " اندريه"، رغم أنهما يعرفان بأنه هناك تحظير وخطر على حياتهما، إذا أقدمتا على الزواج. فهي الآن

امراة مسلمة ولايحق لها الزواج من رجل مسيحي، وإلا فهي معرضة للموت. لكنها تغامر هي وحببيها ويعيشان معا وينجبان طفلا. تسرد أيضا مرحلة أخرى من حياتها بعد السجن، إلى أن استطاعت بصعوبة الحصول على جواز سفر لها ولزوجها وطفلها الجديد. تهاجر وتصل إلى تورنتو كندا عام 1991، حيث تقيم الآن مع زوجها وطفلها.

قد تكون القصة مناسبة لفيلم "هندي أو كلاسيكي" لكنها فانتازيا الواقع بكل ما يحمل من ألم وأمل، استطاعت ان تحتمله الشابة الصغيرة وذلك من خلال ايمانها الديني وايمانها بالحب. نجحت الكاتبة في جعل السرد مشوقا يلامس القلب بعبارات سلسلة ولغة بسيطة، مرصعة بتساوير شفافة في وصفها للمكان وللروح من الداخل.

التقيت الكاتبة في أكثر من مناسبة أدبية في تورنتو، لكنني لم أكن أتصور أن هذه المرأة " الصغيرة الحجم" قد تخفي تحت جلدها وذكرياتها كل هذا الألم والتجربة المريرة. وأكرر ما قالته أتوود في نصها " هذه ليست فانتازيا، إنها تاريخ وحديث"

Title: Prisoner of Tehran
Author: Marina Nemat
Penguin, Toronto, 2007

حين قرأت نصا شعرياً كتبته مارغريت أتوود في الثمانينات، اعتقدت إنه نفحة من مبالغاتها الرمزية والأعيبها الفنية في إيصال فكرة عن المرأة والقمع. كان النص يدور حول مصير امرأة سجيننة حكم عليها بالإعدام شنقاً، وهذه المرأة ليس أمامها منفذ لإنقاذ حياتها سوى أن تتزوج الجلاد. الجلاد أيضا كان سجيناً سابقاً، ولم يكن أمامه من منفذ لإنقاذ حياته سوى أن يقبل بهذه المهنة، إعدام المساجين. وضمن هذا السياق يتزوج السجينان. تكرر أتوود في نصها أن "هذه ليست فانتازيا، إنها تاريخ". وبقيت في ذهني فانتازيا نص أدبي، رأيته يتكرر بصورة مختلفة قليلاً وفي سياق آخر، في سيرة حياة الشابة الإيرانية "مارينا نعمات"

الشرق الأوسط 9 نوفمبر 2007

أفكار اليوم... عن تجربتي الشخصية مع الكاتبة مارينا نعمات في تورنتو، 2023

التقيت بالكاتبة أول مرة في قراءة أدبية في مكتبات تورنتو ولم يكن كتابها قد صدر بعد. كانت

تلبس ثياباً سوداء، وفي عنقها سلسلة وصليب من ذهب. ثم صدر لها أكثر من كتاب والمأساة في السجن وتفاصيل رحلتها المشوقة جعلتها شخصية معروفة بسبب نجاح الكتاب ومشاركة الكاتبات في المهرجانات وإلقاء كلمات وحديث عن تجربتها في مناسبات عدة. صارت ناشطة وتتحدث في مؤتمرات عالمية وكندية عن الحرية وعن نظام الدولة الإسلامية في إيران وعن معاناة الشباب والنساء في حقبة الانتقال من نظام الشاه الى نظام الدولة الإسلامية المتمزعة اتجاه المرأة والحريات بشكل عام. وسبق أن قدمت تقريراً عنها لإذاعة بي بي سي-عربي للحديث عن الكتاب.

ثم التقيت بها حين كنت عضوة في منظمة القلم الدولية، مجموعة كتاب المنفى وكان هناك اجتماع شهري دوري يجمع صحفيين وكتاب من العالم. وكانت الكاتبة مارينا نعمات مديرة تطوعية للإشراف على برنامج اللقاءات. كنا نلتقي شهرياً على مائدة العشاء في بيت اللاجئين في غرب تورنتو (روميرو هاوس، وهو بيت مخصص لاستقبال اللاجئين خلال فترة انتقالية قصيرة وإلى أن يستطيعوا تأمين السكن والاستقرار في كندا... ابتعدت فترة سنة وعلمت لاحقاً أنها تخلت عن كرسيها التطوعي في المجموعة بعد ذلك وانتقلت للعيش في مدينة أخرى. حضرت لها أكثر من لقاء عام وكانت تتحدث عن حالتها النفسية وآثار التجربة الشخصية (تروما) التي ترافقها بعد نجاتها وعيشها في كندا مع زوجها وأطفالها.





كتاب تحت الحصار، وحق اللجوء



سجناء من العالم ترتطم صرخات ألمهم الملونة بأذنيك وأنت تقلب صفحات كتاب عن السجن والحرية. سجناء من الشرق ومن الغرب، من العرق الأسود، الأصفر، الأبيض والملون. نساء ورجال في بلاد على مدى الخارطة الدولية يتحكم بأنفسهم ورقبهم ديكتاتوريين من العالم لأنهم يحملون قضية أو فكرة يدافعون عنهم بالورقة والقلم. مقالات وأشعار ورسائل شكوى وشكر أدرجت في انطولوجيا بعنوان "كتاب تحت الحصار/أصوات الحرية حول العالم"، بإشراف منظمة القلم الدولية التي تعنى بإخلاء سبيل السجناء السياسيين والكتاب حول العالم.

شهادات تخترق عتمة السجون. كلماتهم المغموسة برائحة البول والدم والرصاص تنغرز في جلدك وأنت تقرأ عن سيرتهم وفزع الشهادة على طلقات الاعداد التي تتم على مرأهم وتحصد رفاقاً لهم في الزنزانة. تتوحد أصوات الناجين منهم فوق صفحات هذه الانطولوجيا، فتشعر بالمرارة حين تدرك أن الحرية التي قضى وتعذب من أجلها الكثيرون، لم تصل إلى أي عتبة من عتبات الشرق العربي-المفترض أنه على موعد مع الخلاص.

في كتاب "كتاب تحت الحصار، أصوات الحرية من حول العالم" القلم مكسور لايسيل منه حبر بل رشقة دم أحمر. القلم قلب يحمل حلم الحرية. القلم سجادة سحرية يحلق فوقها الكاتب السجين ويهرب لوهلة من دوايب التعذيب في دهاليز الديكتاتوريات المنشرة في كل ركن من هذا العالم. هنا القلم يقارع العنف والتهديد بالتصفية الجسدية، بمزيد من الإصرار على فضح انتهاكات أبسط حقوق الإنسان. هنا الكلمات تأخذنا في رحلة مؤلمة مع تجارب كتاب من العالم، يحملون في حبرهم صرخة المطالبة بحق الحياة الكريمة والإصلاح الاجتماعي، ولاتثنيهم عن عزيمتهم رصاصات الغدر وعتمة

السجون. في هذه التكنولوجيا التي أعَد لها وأشرف على تحريرها منظمة القلم الدولية الانكليزية في سبتمبر 2007 ، يجد القارئ نفسه في رحلة موجعة يتذوق فيها جرعة فائضة من الألم والعذابات ويعيش مع أصوات الكتّاب السجناء. يرافقهم بين زناناتهم، يشاركهم رسائلهم الشخصية ويتعرف على أحوالهم الصحية، اللباسة والمنهكة. 275 صفحة من أدب السجون وبأقلام كتاب من دول العالم تم اختيارها وترجمتها بإشراف منظمة "القلم الدولية الانكليزية". بعض الكتابات جاءت على شكل رسائل واعترافات شخصية، بعض الكتابات أدبية، مقتطفات من قصائد وروايات وسير ذاتية. بعض هذه الكتابات كانت سبباً في الحكم بالاعدام على كاتبها. القاسم المشترك للمشاركين في هذا الكتاب هو التعرض لخطر الموت بسبب كتاباتهم وانتقادهم لسياسات بلادهم بشكل أو بآخر، بعضهم خرج من السجن بعد انقضاء فترة الحكم، بعضهم ما يزال قابلاً في السجون، وبعضهم تمت تصفيته جسدياً مثل الكاتبة الروسية أنا بوليتكوفسكايا التي قُتلت عام 2007، والكاتب النيجيري كين سارو ويوا الذي قُتل عام 1995.

الكتاب يتضمن شهادات ومختارات لكتاب كبار واجهوا بالرواية والمسرحية والشعر، حكومات بلادهم، ومن هذه المختارات هنا قصائد مختارة للشاعر والكاتب الانكليزي "هارولد بنتر" الحائز على جائزة نوبل للأدب، وكذلك أورهان باموق وتطرّقه للمسكوت عنه من مجازر ارتكبت في ظل الحكومات التركية. كما هناك مشاركات لكتاب حازوا على جائزة نوبل للسلام.

يقال: أن كاتباً واحداً في السجن، يعني أن جميع الكتّاب مساجين. فماذا يشعر القارئ والكاتب حين يعلم أن كاتباً (ة) في السجن يعتبر الحصول على حبة الاسبرين معجزة، ويعتبر رؤية السماء آخر الحلم، بل ويقرأ بالتفصيل كيف أن كاتبة امرأة تغتصب أمام الآخرين، وأخرى تعالج نفسها بأن "تشرب وجبة البول الصباحي" كوسيلة للوقاية وعلاج البدن. وهذا ما تصرّح به إحدى السجينات في رسائلها! يبدو أن القاسم المشترك بين دول العالم هو السجون ولغتها. فقد شارك في هذه التكنولوجيا كتاب ونشطاء سياسيون من: من كوبا، بورما، الهند، إيران، سيريلنكا، نيجيريا، زيمبابوي، الصين، بيلاروس، سيراليون، يوغوسلافيا السابقة، روسيا، بيلرو، أوزبكستان، تركمانستان، المكسيك، فيتنام، وجنوب كوريا. كما هناك مشاركات من دول شرقية وعربية منها تركيا، سوريا (فرج بيرقدار)، تونس (سهام بن سيدرين)، والسعودية (علي الدميني). بعض هؤلاء الكتاب تم تحريرهم بحملات واسعة النطاق أشرفت عليها منظمة القلم الدولية من أجل حرية التعبير، وماتزال المنظمة تواصل حملاتها من أجل تحرير آخرين من سجون الرأي والضمير، وذلك عبر شبكة مراكزها المنتشرة حول العالم والتي تضم 144 مركزاً في دول الشرق والغرب. ويجدر هنا أن نذكر ونحيي الفروع الجديدة

لمنظمات القلم العربية التي تم تأسيسها مؤخراً عام 2007 في بعض الدول العربية ومنها تأسيس فرع للقلم الأردني والبحريني والعراقي لينضموا إلى دعم حرية التعبير وخاصة في منطقة الشرق الأوسط التي يزدهر فيها القمع وتتكاثر السجون، وتتوالى الفتاوي المجحفة في حق الكتاب والشعراء والروائيين والصحفيين.

ولاشك أن الكتاب لم يحمل ولن يكون بإمكانه أن يشمل جميع أصوات السجناء في العالم، وكما يحصل دائماً في كل عمل انثولوجي، لابد أن يسقط الكثير وخاصة تلك الأصوات التي لا يمكن الوصول إليها وترجمتها. كما أن هناك كتاب لهم تجربة في السجون، لكنهم لم يفضلون ألا يكتبوا عنها بسبب الخوف، أو رغبة في الهروب من تلك المساحة المرة بلاشك. ونعلم أيضاً أن سجناء وسجينات في العالم لا يجدن الكتابة الصحفية أو الأدبية، وتجربتهم أيضاً تستحق الالتفات إليها وتدوينها من قبل كتاب آخرين.

لا يمكن الإمام بكل الجوانب التي نصادفها في هذا الكتاب لذلك سأختار فقرات من "قصة أسيا" وهي ناشطة سياسية تركية حكم عليها بالسجن كونها محررة لصحيفة اشتراكية تركية. قضت الناشطة أسيا غوزال فترة في السجن منذ عام 1997 وحتى عام 2002، ثم خرجت وفرت لتعيش حالياً في السويد. صدر لها كتاب بالانكليزية عن دار الساقى عام 2003. تسرد فيها تجربتها والتعذيب الذي تعرضت إليه، والاعتصاب ضمناً.

قصة أسيا:

"... كانت الارض اسمنتية في الغرفة التي أخذت إليها. أستطيع أن أتصور ذلك رغم أنني كنت معصبة العينين. لم يكن هناك شيء يغطي الأرض.

" هل تريدين أن تتعرّي لوحذك، أم أننا سنفعل ذلك؟"

عرّيت نفسي، وهكذا لن يستطيعوا هم أن يلمسوا جسدي.

خلعت غطاء الرأس، البلوزة والقميص، وأجلسوني على كرسي. لم أكن قد خضعت للتعذيب من قبل. ولكن من خلال ماسمعت وقرأت، أدركت بأن العملية ستبدأ.... هناك كنت معلقة في الهواء، الألم في أصابعي، فقصي الصدري على وشك أن ينفجر، التنفس أصبح معضلة. كنت عارية في عرائي. كنت أشعر بالعار. أنا التي كنت أشعر بعدم الراحة فيما إذا كانت تنورتي قصيرة قليلاً، أنا عارية الآن وأمام الرجال. لقد أخذوا مني كل وسائل دفاعي عن نفسي. تذكرت زوجي... حاولت أن أتذكر مقطعاً سطرًا من أغنية أغنيها لنفسي، ولم استطع. الشيء الوحيد الذي كان في ذهني ذلك الصوت الذي يقول "إنك عارية" أقول: لا بأس، كنت أعرف أن هذا سيحصل... ولكن "أنت عارية، لاشيء يستر جسدك... أنت

عارية" وأقول لنفسي: ولكن، أنا عارية، لكنهم ليسوا بشرا... "كنت أتعرق رغم أنهم كانوا يدلقون سطولا من الماء علي. لم أكن لوحدي كانت أسيا في داخلي تتصارع معي..."
وهكذا يتواصل صراعها وتصف الاغتصاب، وما بعده من تعذيب وإجبار على كتابة أقوال تحت تأثير التعذيب و "السيكارة" التي أجبروها على أخذها...

ختام رحلة القلم الصلب المعذب الحرّ، هي للكاتب النيجيري كين سارو- ويوا، الذي أعدم في نوفمبر 1995 بعد سنوات من السجن والتعذيب. يقول في رسالة كتبها إلى منظمة القلم الدولية بتاريخ 12 ايار 1995: إن عشتُ أو مت، هذا ليس مسألة. يكفي أن أعرف أن هناك ناس كرسوا وقتا ونقودا و طاقة لمحاربة هذا الشر الذي ينتشر حول العالم. وإن لم ينجحوا اليوم، سوف ينجحون غدا. يجب أن نبقى في توق لجعل العالم مكانا أفضل للإنسان. كل واحد يقدم ما باستطاعته(ها)، بطريقته(ها). أحييكم.

**

مشاركتي في قراءة قصائد شاعر سوري سجين احتفاء بصدور هذا الكتاب وضمن فعاليات "أسبوع حرية القراءة" في تورنتو كندا كان هناك أمسية كبيرة كما يجري في كل سنة وينظمها قلم كندا بالتعاون مع "المكتبة العامة للبحوث" وذلك وقد تم تكليف عدد من الكتاب لقراءة بعض النصوص من هذا الكتاب نيابة عن كتابها، ومن بين المشاركين في هذه النصوص المترجمة إلى الانكليزية: توماس كينغ، جيل كارتر، كارولين رودى، ببندكتا ماداو، وكتابة هذه السطور. تخللت القراءات وصلات موسيقية قدمها وليد عبد الحميد كوش، ولورنس ستيفنسن. هذا واشرف مذييعي راديو كندا على تقديم الأمسية، وبيعت الكتب للقراء في هذه المناسبة، وكما يحصل عادة تذهب قيمة المبيعات لتغطية حملات الدفاع عن الكتاب السجناء في أي مكان من العالم.

*

فضاءات أخرى ... 2024

الشاعر بعد الخروج من السجن السوري إلى أوروبا

الشاعر الذي هربت قصائده من السجن قبله، وصلت إلى بلاد الثلج تبحث عن ملجأ. وصلتني. حين وصلني كتاب سيرة ونصوص قصائده مترجمة إلى الانكليزية كتبها سجناء الرأي حول العالم،

قرأتها ورميت الكتاب أرضاً بنزق وحزن قاتم. كان كتابا يجمع كل سجون العالم في صور متفرقة من أشكال معاناة الرجال والنساء، تعذيب، اغتصاب، رغبات مؤجلة.

تم الاتصال بي من قبل الجهة المنظمة للمهرجان، وطرحت فكرة أن أقرأ القصائد بالانكليزية في تورنتو عام 2006 كي ألقى القصائد بالنيابة عن شاعر سوري في مهرجان كبير تقيمه منظمة قلم كندا لحرية التعبير، شعرت بالرهبة، والقلق لكنني وافقت. ليس سهلاً أن أقرأ قصائد ليست لي، بلغة ليست لغتي الأم، ولجمهور كبير من الخليط الكندي. عادة يحضر هذه الأمسيات نخبة تهتم بالشأن الانساني. وحين وافقت على المهمة الصعبة كان لا بد أن أتدرب جيداً على إلقاء النصوص الجارحة كي ألقها ضمن فترة زمنية محددة بالثواني وأعطيت للغائب صوتي. تجاوز الحضور 300 شخص في مكتبة البحوث في داون تاون تورنتو. كان هناك مشاركات كثيرة وقرارات من العالم، من كتاب بعنوان "كتاب تحت الحصار". كان شتاء والتج على الأرض، وكانت تباع البطاقات كي تقدم تبرعات لحملات من أجل السجناء في العالم.

قرأت مقدمة الحفل سيرة قصيرة عني وعن الشاعر وتأهبت للوصول إلى المنصة. ساد صمت شديد وأنا أقرأ. نصحني صديق خبير في العمل المسرحي والإذاعي أن أتمهل في القراءة، رغم أنني كنت أريد أن أنتهي من الوقوف في تلك البقعة من الضوء وأرمي الكتاب أرضاً وأخرج كي أمشي في البرد وحدي وأنسى كل الصور التي في رأسي. لقد أديت مهمة أن أقرأ لمن غاب صوته ولم يسقط صوتي في العراء بلا صدى .

أتى بعض الحاضرين وصافحوني وشكروني. وأذكر صديقاً شاعراً من صربيا "غوران سيميك" تقدم مني وقال: برفو، لقد تدربت على الإلقاء، أليس كذلك؟ كانت القراءة جميلة ومؤلمة. انتهت الأمسية بتغطيات إعلامية. أنا أيضاً قمت بكتبت بعد ذلك مقالاً للصحافة عن الأمسية.

**

أفكار اليوم: الشاعر الذي كان في السجن، تحرر منه وصار صاحب شأن وسلطة ثقافية في أوروبا، وله أنشطة ومداولات وليس لدي اتصال به. أذكر بأنني في ذلك العام (2006) كتبت له ايميلاً وأخبرته عن المناسبة ورد شاكرًا وانقطع الاتصال. لقد صار قافلة من المتابعين وأنا لا أتبع أحداً.

*

الشاعر الذي أطعموه فأرا في السجن، لن يكتب عن عصافير الدوري قبل أن يصير له أجنحة وفم آخر وفضاءات حرة من كل تبعيات الأول والآخر.

*

حين انتهيت من تقديم الفقرة، شربت قئينة الماء التي كانت في حقيبتي. نحن نعطش حين نخاف ونتعرق أيضاً حين نشعر بالقلق.



7 المهاجر العربية والاقتلاع في الرواية المهجرية الكندية

عاد الروائي اللبناني الكندي راوي حاج إلى صدارة الساحة الثقافية في كندا إثر صدور روايته الجديدة والثانية في سبتمبر 2008 عن مطبوعات "أناسي برس" في تورنتو وباللغة الانكليزية في 306 صفحة، تحت عنوان "صرصار". على الغلاف الخارجي تطالنا صورة بالوعة المغسلة، ولا شيء آخر سوى عدد الترشيحات النهائية التي وصلت إليها الرواية وهي: القائمة النهائية لجائزة سكوتشيا غيلدر. القائمة النهائية لجائزة "غفرنر جنرال الأدبية"، والقائمة النهائية لجائزة "روجرز ترست لكتاب الفيكشن" مع الإشارة إلى حصوله على الجائزة العالمية "إمباك" عن روايته الأولى "لعبة دونيرو" والتي وضعت الكاتب على سلم الشهرة منذ صدورها عام 2006. ولم تسفر هذه الترشيحات عن فوز ساحق، عدا حيازة جائزة اتحاد كتاب كيبيك.

في هذا العمل الروائي، المهاجر يصبح صرصارا في عين ذاته، الصرصار يسرد حيوات شريحة من المهاجرين إلى كندا، يعيشون في مونتريال تحديداً. صرصار بكل دونيته وعوالمه السفلية ينتصر على شخصية المهاجر العربي في هذه الحكاية. الصرصار يتراعى للراوي عملاقاً كبيراً، يسخر منه، يرعبه، يصغر من شأنه إلى حد يجعله أسيراً لأوهامه ومرضه النفسي الذي يذهب به إلى مشفى المجانين مرة، وإلى الانتحار مرة، وإلى جلسات المعالجة النفسية الطويلة مرات. المهاجر عربي لا اسم له، من بلد لا اسم له، محاط بماضيه الجريح وذاكرته التعسة، غارق في حاضره الأسود المخيف، صادم حلقة من المهاجرين الايرانيين، نساء ورجالاً، فقدوا أيضاً بوصلة الحياة الصحية الكريمة الإنسانية وها هم يعيشون على هامش المجتمع، في أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي. إنهم عاجزون عن تحقيق ذواتهم في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه، وعاجزون في الآن ذاته عن التملص من ذاكرتهم المحملة بالخراب والتعذيب والاعتصاب في سجون الحكومة الاسلامية الايرانية.

ثنائية المنفى والوطن، ثنائية الحلم وانهيار الأمل، العنف والتدمير الذاتي والخارجي، ثيمات تشكل محور هذا العمل السردي الشيق، العنيف، المؤلم والصادم، الذي يشرح كافة فئات المجتمع الكندي بكثير من القسوة والتعرية الخالية من الرحمة. قسوة تفضح المهاجر الضيف والبلد المضيف، والبلد الذي قدم منه المهاجر الشرقي. سرد دائري يتقمص أسلوب " ألف ليلة ليلة " والشهريار هنا هو السارد المتلبس بشخصية صرصار، فشل في الانتحار، فقضت المحكمة عليه بالتردد على عيادة للمعالجة النفسية للعلاج. الدكتور "جنيفاف" أيضاً تبدو قاصرة عن استيعاب هذا الشخص الطيب، العنيف، المعقد، الفقير، العاقل من العمل والذي يسرق حين الحاجة، الوحيد الذي يتحدث عن دواخله بلغة رشيقة دقيقة التفاصيل عارية تجمع ما بين مهارة الفكاهة المرة، العمق، القسوة والاغتراب الوجودي القارس.

يقول الراوي في السطر الأول: "وقعتُ في حبّ "شهرة". لكنني لم أعد أثق بعواظي بعد. لم أعش مع امرأة، ولم يصدف أن صادقت واحدة. وأنا غالباً أستغرب حاجتي لإغراء وامتلاك كل أنثى من هذه المخلوقات التي تقع في طريقي. عندما أرى امرأة أشعر أن أسناني صارت أكثر حدة، طولاً، وأشدّ تدبباً...ربما أن الألوان لأذهب وأرى طبييتي النفسية. هي أيضاً امرأة. ...حين وضعت يدي على ركبتيها وهي جالسة على الكرسي قبالي، أبعدت يدي عنها، سحبت كرسيها بهدوء إلى الوراء وقالت: اوكي، دعنا نتحدث عن انتحارك"

بطل الرواية في عيادة المعالجة النفسية

انطلاقاً من عيادة المعالجة النفسية يبدأ القص الذي يمتد على مساحات متداخلية مكانية وزمانية. يعود في فقرات إلى بلده الذي قدم منه ويحكي عن تاريخ الأسرة والجوار ومصائرهم في أعقاب الحرب الأهلية والعنف المحلي، البلد هو لبنان على الغالب. الأم امرأة مغلوبة على امرها، الأب سكير، العائلة فقيرة، الأخت تتزوج في سن مبكرة من رجل يكبرها سنّاً، يعمل في الجيش فيذيقها العذاب والإهانة وينتهي به الأمر إلى قتلها حين قررت أن تهجره وتعود إلى بيت أهلها. الشاب الذي كان يراقب كل هذه الخراب ويعجز عن تقديم حلّ، انحرف في سن المراهقة والشباب وصار "لصاً" على يد المعلم "أبو رورو" الذي كان يدير عصابة تختطف وتسرق وتقتل وتعتدي على السكان الأمنيين، تبتزهم، تمارس العنف عليهم بكل صوره، في بلد يخلو من قانون أمني يحمي المواطن ويحفظ كرامته وسلامته. وحين هاجر هذا الشاب الى كندا محملاً بكل هذه التفاصيل، لم يجد نفسه قادراً على اقتحام المجتمع الكندي ولم يجد فرصة للعمل. بقي أسير الشيك الشهري الذي يصله من مكتب الخدمات الاجتماعية، وكان هذا حال بعض المهاجرين الإيرانيين العاطلين من العمل الذين كان يلتقيهم في المقهى. هناك يطالعنا "

البروفسور رضى" الذي يقضي نهاره في المقهى يتحدث عن مجده السالف، ويمارس ابتزازاً على صاحبه ليشتروا له فنجان قهوة أو ما شابه. وفي إحدى الحلقات يلتقي بـ " شهرة" المرأة الإيرانية العاملة والتي تقضي وصاحباتها، العطلة في السهر والشراب والرقص، اقتناصاً للمتعة وهرباً من ضغوط الحياة اليومية. هذه المرأة التي عرف سريرها قبل أن يعرف عنها أي شيء آخر. في إحدى المرات تكون في صحبة صديق "مثلي جنسياً" في المطعم الإيراني الذي يشتغل فيه السارد وذلك في إطار سهرة خاصة على شرف شخصية إيرانية مرموقة تعيش في مونتريال. هناك تصاب المرأة بالصدمة، تشعر بالغثيان وتضطرب معدتها، إذ تكتشف أن الشخص المتحفى به، ما هو إلا السجن الذي عذبها واغتصبها مراراً حين أدخلت السجن في إيران. وهذا الشخص يعيش هنا محاضاً بحماية كندية وأمنية لأنه شخص مهم. تقرر المرأة أن تتعقب هذا الرجل كي تقتله وتنتقم لماضيها. تطلب من بطل الرواية حبيبها" الصرصار" أن يساعدها في المهمة، فيوافق. وبما أنه متخصص في السرقة، فيستطيع أن يحصل على سلاح من أحد بيوت الشلة الكندية التي كان يرافقها. لكنه يعجز عن قتل هذا الشخص المهم، محاولته باءت بالفشل.

الطبقة أو الشريحة الكندية "الراقية" التي يعرضها في هذه الرواية لا تخلو من اليأس والتمزق والفقر الروحي. أنهم مجموعة من النساء والرجال الميسورين، يقضون أوقاتهم في اقتناص المتعة العابرة. يخونون بعضهم بعضاً جنسياً، وهو يخونهم كلهم، يضاجع نساءهم حين تتاح له الفرصة. يشتغل سمساراً ويحضر لهم الحشيش الرخيص، يأكل من بقايا مطابخهم ويرافقهم إلى المطاعم الفاخرة والسهرات العامرة، وحين تنسد في وجهه الأفاق، يسرق محافظهم وفلوسهم ثم يختفي من حياتهم لشعورهم بالملل والقرف من مجتمعهم التافه-الميسور.

مونتريال...فرنسا...روما

تجري أحداث الرواية في مونتريال، خلافاً لرواية " لعبة دونيرو" التي تتوزع أحداثها بين بيروت وحربها الأهلية، فرنسا وروما والمحطات التي ارتحل إليها البطل بحثاً عن حياة. هنا المكان كندي وفيه تختلط قسوة الحياة المهجرية بقسوة وعنف الطبيعة والطقس الشتوي البارد الذي يفرد ظلاله الكئيبة على مساحات من السرد، فتبدو الصورة شديدة الأسى. تجتمع الوحشة والغربة والفقر والجوع مع قسوة البرد والتلج والاعتلال النفسي وتمزق الفرد بين ماضيه الأليم وحاضره المغلق. إنها حالة عواصف روحية نفسية وطبيعية. انكسارات وشروخ في عمق الذات المهاجرة-المنفية عن إنسانيتها وبيتها الأم الذي يفقد أيضاً الشرط الإنساني.

في لقاء مباشر مع الروائي راوي حاج في تورنتو وضمن اطار مهرجان الكتاب العالميين، تلقى الحاج أسئلة المضيغة والحضور، وتحدث عن سبب اختياره للصرصار في الرواية، فابتسم وقال:

حين كنت أكتب، رأيت صرصاراً يمشي في الغرفة، فقلت لنفسي: ولم لا، وفتحت له باب الرواية. يستمتع القارئ وخصوصاً المقيم في كندا بالأسلوب القصصي الجذاب الذي اعتمده راوي حاج في عرض تجارب مهجرية شرق أوسطية. ولا أدري إن كان السؤال ممكناً: هل كان للرواية أن تحظى بهذا النجاح والترشيحات للجوائز، لو تعرضت لحياة مهاجر عربي متزن عقلياً ونفسياً وقادراً على بناء أسرة جديدة تساهم في تشكيل بنية مجتمع كندي أنيق ومتعدد الأصول؟

ويذكر أن راوي حاج، كاتب ومصور فوتوغرافي هاجر من لبنان إلى قبرص، درس الفنون الجميلة في أمريكا، ومن ثم استقر في كندا، حيث اشتغل سائق تاكسي وفي أعمال أخرى لا تمت إلى الفن بصلة، وذلك إلى أن حالفه النجاح الأدبي منذ صدور روايته الأولى عام 2006، ومن المنتظر أن يتم إخراجها سينمائياً، علاوة على ترجمتها إلى لغات أخرى. (نشر في صحيفة الحياة)

**

كلمة اليوم...2023

حضرتُ مهرجاناً أدبياً وسمعت الكاتب راوي حاج يقرأ ويناقش ويجب على أسئلة الحضور، وبعد انتهاء العرض تقدمت منه مصافحة وقدمتُ نفسي. تبادلنا الكلام العاجل وانصرفنا. لاحقاً طلبت الإيميل م ناشره في كندا كي أجري معه حواراً. وكان لي ذلك. وصلني نسخة من الرواية هدية من الدار كوني صحفية كم. وحين كتبت للراوي عن رغبتى بإجراء حوار، رحب بالفكرة واتفقنا على موعد للحوار هاتفياً. وتم ذلك ونشر الحوار أيضاً في كتابي الذي صدر بعنوان: حوارات على مياها الهجرة عام 2023. وصدر للكاتب عدة إصدارات بعد ذلك كلها باللغة الانكليزية وبعضها ترجم إلى العربية والفرنسية ولغات عالمية أخرى.



8

الهوية والانتماء الجديد بأصوات مهاجرات من العالم

كلما تعرضت البلاد-أي بلاد- لحروب قصيرة، طويلة، حامية أو باردة، حزم المواطن البائس أحزانه وحقابه ولجأ إلى أي مهجر متاح. كلما أمعن الديكتاتوريون في خرابهم وقمع مواطنيهم، كلما تراءت البلاد البعيدة بأنها المكان الأصلح للعيش بكرامة وحرية. من الصعب التهكن بما تحمله هذه التجارب من إشكالات ضاربة في العمق وبالغة التعقيد.

هنا نعين بعض الحقائق من خلال حكايات كتاب "عندما يصبح لصوتك مذاق الوطن" فنقرأ مقالات وقصصاً وأشعاراً كتبتها نساء من جميع القارات، من الصين، الهند، إيران، فلسطين، البرتغال، إيطاليا، نيوزيلندا، باكستان، جنوب أفريقيا، الأورغواي، هولندا وغيرها من دول العالم. جميعها كتبت في الأصل باللغة الانكليزية. بعضهن كن يعملن في مهن جيدة وأغلبهن متعلمات وحائزات على شهادات علمية وخبرة عمل في البلاد الأم. قامت بتحرير الكتاب سيدتان مقيمتان في كندا، هما نيلا سمية كارتن من كينيا وبرابجوت بارمان من الهند، العاملتان في حقول حقوق المرأة والإنسان، معaine شؤون الأسرة والحد من العنف الموجه إلى المرأة.

ومن هناك ولدت فكرة تحرير هذا الكتاب، فالتجربة العيانية الميدانية دعتهما للعمل على دعوة النساء المهاجرات من أصول متفرقة للكتابة عن تجربتهن. هذا وأن مايسمى بالصدمة الثقافية التي يواجهها المهاجرون الجدد من أي بلد إلى شمال أمريكا، أدى إلى تأسيس مايسمى بمراكز الجالية، افتتاح جمعيات وروابط لتوفير المعلومات القانونية والاجتماعية والميدانية العملية التي تساعد المهاجرين على كسر حاجز العزلة والضياع والبحث عن الهوية والعمل. كما وجدت مراكز خاصة لتقديم العون للمرأة تحديداً وللأسرة بشكل عام، وذلك لما تواجهه من صعاب جراء الاختلاف في العادات والتقاليد التي تتصادم غالباً مع أعراف وقوانين البلد المضيف.

شهرزادات المهجر الجديد:

في هذه الحكايات نجد الطبيب الجراح يشتغل قصاباً، الممرضة المختصة تشتغل في تنظيف المشفى. المهندس والتكنولوجي، الطباخ ومزّين الشعر... كلهم يحتاجون إلى "كورس" جديد لتعديل خبراتهم وتأهيلهم للعمل من جديد وفق أبجدية وأحكام البلد الجديد. ونجد الأمل والنجاح والرغبة في الاندماج حاضرة أيضاً. السنوات الأولى تفرض على المهاجرة (ة) مجازفة وانخراطاً في أشغال يعفّ عنها أبناء البلد الأصليين، إلى أن يكتسب المهاجر "خبرة" ويتقن اللغة الجديدة، بما فيها اللهجة والأعراف. وتواجهنا أيضاً صور أصبحت نمطية ويعرفها كل من يعيش تجربة المهجر وهي العلاقة الشائكة بين أفراد الأسرة والاختلاف بين الأجيال، بين الأبناء الذين يولدون في هذه البلاد، يتعلمون لغتها ويكتسبون تقاليدها، فيبدأ الصدام بينهم وبين الوالدين، وخاصة الملتزمين منهم المتمسكين بشدة بتقاليد البلد الأول.

المأساة والتفرقة الجنسية ضد المرأة تورث للبنات والاحفاد بعد الهجرة

تزداد الاضطرابات قسوة في قصص نساء قادمات من باكستان وإيران وأفغانستان، حيث التراتبية الذكورية والتفرقة الجنسية متوارثة. نقرأ في إحدى هذه القصص تبايناً ثقافياً واجتماعياً حاداً بين ثلاث أجيال وذلك من خلال قصة تحكي تجربة الجدة في أفغانستان، والتي تم تزوجها من قبل أهلها لطفل صغير، وذلك فقط كي تقوم بخدمة الأسرة ووالد الزوج، بعد أن توفيت زوجته. هذه الجدة التي عاشت مثل هذه الظروف البائسة، تقدم إلى كندا كي تشرف على التعاون مع حفيبتها على تربيته مولودها القادم. الابنة في هذه القصة، تضطر للهجرة إلى كندا بعد عقد زواج مع أحد الأشخاص، كي تسرع بالتخلص من حملها الذي كان نتيجة اغتصاب تعرضت إليه الفتاة في سن مبكرة. وبقي هذا الجرح يحفر خارطة الألم في روحها وكيانها. أما الحفيدة التي ولدت وعاشت في هذه البلاد فتقع في مأزق الخلاف مع والدها ووالدتها في مرحلة المراهقة والشباب، ولا تستطيع تقبل توصياتهم لها وتدخلهم في طريقة حياتها وتأديتها الشعائر الدينية والاجتماعية. تعيش الحفيدة في صراع مع محيطها الأسري، تقيم علاقة غرامية مع شاب من غير دينها وبلدها، وتثمر العلاقة عن حمل، لكنها تقرر وصديقتها إجهاض هذا الحمل "الغلط" فتواجه المشكلة مع والدتها التي ترفض فكرة الإجهاض، وتواجه الخلاف مع جدتها التي تجد في كل هذا عاراً كبيراً لا يمكن السكوت عنه. تحكى هذه الأسرار من خلال شخصية الطبيبة النفسانية التي تعقد جلساتها الفردية مع كل امرأة على حدى.

مأساة الهجرة والعمل المناسب للكفاءة.. الطبيب يعمل قصاباً

في قصص أخرى ننع أمام مسألة العمل في المهجر، وهي مسألة شائكة ما نزال نقرأ عنها المقالات في الصحف اليومية، وماتزال مطروحة للنقاش على مستويات حكومية متفرقة. بالتأكيد ليست كندا بحاجة إلى سائقي سيارات يحملن شهادة طبيب أو مهندس، ولسنا بحاجة لحراس بنايات يحملون شهادات جامعية وخريجي فنون وآداب. ولسنا في حاجة إلى عامل(ة) تنظيفات في مقهى يحمل شهادة في علم النفس أو الاجتماع. بعضهم يتمكن من اجتياز امتحان "تعديل الشهادة" والدخول في ميدان العمل الطبيعى، وبعضهم تنهكه المحاولات ويقع في الإحباط وينصرف إلى تحصيل لقمة العيش أيا كان مصدرها. وهذا مانقرأه في قصة كاتبة إيرانية تصور معاناة الطبيب الذي يعمل قصاباً، والأثر الذي تحدثه الصدمة حين يتعرف ابنهما على حقيقة عمل والده الذي "كذب" عليه ولم يخبره شيئاً عن طبيعة عمله الجديد.

ظلال الإزدواجية والفشل على العلاقات الأسرية

هذه الإشكالات تترك ظلاً ثقیلاً على العلاقة الزوجية والحب الذي كان يربط بين أفراد العائلة، كما يتمدد ظل هذه العلاقات لينعكس على شبكة العلاقات الاجتماعية مع الأفراد والأصدقاء الذين هاجروا باختيارهم وبعضهم طلباً للجوء الانساني هرباً من عسف حكومات بلادهم، وهرباً من الحروب أو الاضطهاد الديني والعربي والقومي.

وفي قصص أخرى تبرز إشكالية الثقة المفقودة بين الأم والأب والابنة، التلصص والمراقبة التي تلاحق كل خطوة تقوم بها الفتاة عند خروجها من البيت وعودتها. هذا إلى جانب رغبة الأهل بتقديم ابنتهم أمام المعارف والأصحاب كمثال للالتزام بالعادات كما هي عليه في بلد المنشأ. وفي كل الأحوال تنال الأم تقريباً من قبل الأب، كونها المسؤولة عن تربية وتوجيه الأولاد.

تطالعنا إشكالية أخرى في حكايات المهاجرين، وهي المراوحة ما بين فكرة العودة إلى البلد الأم، وعدم المقدرة على ذلك. وبالطبع هناك من يختار العودة بعد أن تضنيه الطريق ويكتشف أن البلد بكل مواصفاته المناخية والاقتصادية والاجتماعية، لم يكن على مقاس الحلم الذي جاءوا من أجله مختارين أو مكرهين. ويطالعنا هذا في مقالة كتبتها امرأة عن تجربة والديها الذين قدما من البرتغال وفي ظن الوالد أنه سيعمل بعض السنوات ليجمع المال الكثير ومن ثم يعود إلى بلده الأول. لكن الوالد يقول لزوجته فيما بعد "لو كنت أعرف أن هذه هي الأحوال في كندا لما قدمت من الأصل". وبعد سنوات من المعاناة يقرر الوالدان العودة الى هناك، وتبقى الابنة هنا، وبينهما الهاتف والذاكرة.

وفي قصص وقصائد النساء الصينيات تطالعنا مسألة الحنين إلى البلد الأم والارتباك حيال الظرف

السياسي في هذا البلد وذاك، مسألة التفرقة العنصرية، والرغبة في الهرب من بلد "كولونيالي سابقاً" إلى البلد الأم الذي كان واقعاً أيضاً تحت سطوة كولونيالية.

القيمة الإبداعية والحكايات

قصص وكتابات متفاوتة في قيمتها الإبداعية، ترفع صوتها وترسم الصورة باللغة الانكليزية وباللهجة "المكسورة" لتكون صوت الذين وقعوا في التجربة. تقدم صورة عن تجربة الذين تخطوا إشكالات السنوات الأولى ووضعوا أقدامهم راسخة في لبنة المجتمع الجديد، وأصبحوا جزءاً فاعلاً في ثقافة البلد الجديد وأدبه واقتصاده أيضاً.

ويمكنني القول أن المهاجر العربي قد نجح في ترويح نكهة "الشاورما، الحمص، التبولة، المشاوي الكبب والفطائر.." إلى جانب الرقص الشرقي. وحتى الصحف العربية المطبوعة في قسمها الأكبر مخصصة للإعلان عن هذه البضائع. ولايستغرب القارئ إذا أتى يوماً إلى مطعم عربي ووجد في خدمته شاعرة أو مهندساً.

إنها السنوات الأولى وما بعدها. "السنوات الأولى"! جملة حائرة تستحق التأمل. لامقياس زمني لهذه السنوات الأولى. وقد تمضي سنوات تتعدى نصف قرن ويبقى المهاجر-المنفى، كأنه "قادم جديد" من حوله كل أصناف التجارب الحسنة والحزينة، وفي قلبه بوصلة تتجه دوماً نحو ذاك الذي يسمونه "البيت الأول". ذاك البيت الذي سرقه أبناء الصراصير.

نشر في المستقبل اللبانية

أفكار اليوم، عن أجدادنا المهجريون الأوائل:

هذه الحكاية التي تدرج في خاتمة المضحك المبكي عن شعرائنا الكبار المبدعين الذين أضافوا إلى دواوين الشعر العربي، الشيء الكثير، ومن بينهم ميخائيل نعيمة القروي، رشيد سليم الخوري، وإخاه الملقب بالمدني، قيصر سليم الخوري ونسيب عريضة- رشيد أيوب - وإيليا أبو ماضي وأمين الريحاني..

كان يا ما كان...كان هناك (الرابطة القلمية) تضم مبدعي المهجر في امريكا ولديهم مجلة اسمها " السانج " وبسبب الفقر وشظف العيش وعدم قدرة الجماعة على سداد مصاريفها، قام صاحبها الشاعر (عبد المسيح حداد) بالسفر إلى منطقة أخرى لغرض التجارة ولإتقاذ المجلة من ورطتها المادية ..فأولكلها إلى أخيه (ندره حداد) وباقي الشعراء، وحين طال غيابه ولم يعد، لم يعد ممكناً

وصول الكهرباء والغاز والتلفون إلى مكتب الجريدة!
اجتمع مرة الشعراء ايليا ابو ماضي ورشيد ايوب ونسيب عريضة، وكتبوا استغاثة إلى (حداد) الذي
لم يعد ولم يرسل مالا
" قف بالمطّي على ربا (التوننا) وقل السلام على الذين هجرونا
الغاز مقطوع ونور الكهرباء يا ويلهم من ربهم قطعونا
ندرة يطالب ، إنما لا سامع لا قاشع ... قد مات مشتروكونا "
وهه الورقة نقلا عن مجلة "الناقد" الشهيرة التي كانت تصدر في الثمانينات.
الحكمة: لقد تغيرت إحداثيات الهجرة وتعددت أسبابها، وتعددت أشكال المعاناة وبالطبع لم تعد بمثل
قسوة الماضي وفقره وقيوده.





خطاب نقدي للحكومة من قبل رئيسة اتحاد كتاب كندا

هل ينتصر الفن والأدب على السياسي؟ هل يحتاج السياسي إلى أصوات المثقفين كي ينتصر؟ هنا مفارقات وخطابات وأحزاب وكتاب كنديون أتعلم منهم كيف أفك الأقفال عن صوتي وعن أحلامي الصغيرة والمضمرة. حضرتُ جلسة حوار في تورنتو وكان الوقت شتاء وكان عنوان الفعالية: أسبوع حرية أن تقرأ. وهو تقليد سنوي يدوم أسبوعاً واحداً في كندا، حيث يتم تداول موضوع الحرية والرقابة والحديث عن الكتب الممنوعة في الغرب ومن خلال تجارب كاتبات كنديات وأمريكيات. كانت الكاتبة سوزان سوان صوتاً بارزاً. رفعت يدي وتكلمت في فترة الأسئلة والتعليقات. وهناك اقترحت علي الكاتبة الانضمام إلى اتحاد كتاب كندا. تريتُ سنوات ثم أصبحت عضوة في الإتحاد. ولدي بعض الصور الفوتوغرافية في تلك المناسبة. كنت أحمل كاميرا صغيرة اشتريتها وكانت رفيقة مشاويري في المدينة.

وخلال السنوات كنت أتابع ما يحدث في الساحة الأدبية الكندية، وأحياناً أكتب عما رأيت وصادفت واختبرت. ومن تلك المشاهدات هذه الورقة التي نشرت في صحيفة القدس العربي، 21 أكتوبر

2008

الروائية الكندية البارزة 'سوزان سوان' رئيسة اتحاد كتاب كندا في دورات سابقة، ألقت كلمتها الموجهة إلى رئيس الحكومة الحالي، معترضة بقوة على قرار الحكومة بإجراء اقتطاعات في قطاع الفن في كندا، تقدر بـ 45 مليون دولار. حين انتهت من قراءة الصفحة رمتها على الأرض، دعستها بحذائها وهي تقول: 'عفوا من السيد رئيس الوزراء هاربر'. تابعت تلاوة رسالتها الشديدة اللهجة وسط تصفيق الحضور المدوي.

الحضور المكتظ في قاعة مسرح معتمة لا تكيف فيها، وكذلك الحضور المحتشد واقفاً أو جالساً على الأرض في مدخل المبنى يتابع عبر شاشة ما يجري داخل الصالة، والبعض في الشارع يتابع ما يصله عبر المايكروفون.

الكل يصفق ويصفّر، وأنا أتلفت حولي عاجزة عن التصفيق، أقول في سري: أين المخابرات؟ هذه الكاتبة نالت من هيبة الدولة أهانت - أقصد انتقدت - رئيس الوزراء ستيفن هاربر، رئيس وزراء كندا الشاسعة الواسعة، يا لهيبة كندا التي أصبحت الآن تحت قدم سوزان سوان! هل تخسر حكومة هاربر المحافظة الانتخابات القادمة؟ إنهم في وضع حرج. لقد خرج إلى الساحة الفنانون والكتاب، الطلبة والمهتمون بالسياسة والثقافة والرياضة والمطاعم.

في أونتاريو كندا وفي كيبيك أيضاً، خرجوا إلى الشوارع يحملون لافتاتهم التي تتحدث بقوة عن هيبة أو خيبة رئيس الوزراء الحالي. إحدى اللافتات تقول: ما الذي يستطيع أن يفعله الفنانون؟ يستطيعون أن يرسموا طائراتك الذاهبة إلى الحرب. ومن المعلوم أن شريحة واسعة من الكنديين ترفض سياسة المشاركة في أي حرب، وتريد إبقاء كندا في خانة قوى 'حفظ السلام'.

هناك رفض واضح للسياسة الأمريكية الحالية، وهناك من ينبش خطابات ستيفن هاربر ويبحث عن التقاطع بين جمل قالها بوش وأخرى 'قلّدها' هاربر في خطابه. هذه الخطابات التي انتقدت رئيس الوزراء، تمت تغطيتها في جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وجرت نقاشات طويلة حولها في الإذاعات. على اثر خطة حزب المحافظين بخصوص الفن، تشكلت حركة اعتراضية ثقافية في تورنتو وباقي المقاطعات.

تم التنسيق لمعارضة تدعو الناس للتظاهر في أي مدينة يتواجد فيها ستيفن هاربر في خضم حملته الانتخابية، وللعلم حكومة المحافظين، حكومة أقلية نجحت في الانتخابات الدورية الماضية. وتنافس حالياً ثلاثة أحزاب رئيسية على مقعد رئيس الوزراء. هناك حزب الليبرال، حزب الديمقراطيين الجدد، وحزب الخضر-البيئة.

الحركة الاعتراضية تواصل توزيع المنشورات المفنّدة للخطط التي سيقوم بها هاربر في قطاع الفن، في محطات المترو الرئيسية في ساعات الذروة. ولم ينح هاربر من خطبة لاذعة جريئة ألقاها الشاعرة الروائية المهمة بالسياسة، والمرشحة لنوبل منذ سنوات، مارغريت أتوود في إحدى التجمعات الاعتراضية، تناولت سيرة هاربر وممارسته الفظة منذ استلامه للحكومة الجديدة. ذهبت أتوود في السخرية من كلمة هاربر عن 'الناس العاديين' الذين لا يهمهم الفن، والاقتطاعات لن تؤثر عليهم.

راحت توضّح له بالتفصيل من هم هؤلاء 'الناس العاديون' الذين يكتبون ويمثلون ويسافرون ليمثلوا دولة كندا وثقافتها، التي كانت غائبة عن الخارطة العالمية، والتي أصبحت حالياً قوة حاضرة. أتوود تقول: لقد أقدمت على هذه الاقتطاعات لأنك تعرف أن الفنانين لسانهم طويل ولن ينتخبوك، لن يعطوك

أصواتهم. وتفضح جهل السيد رئيس الوزراء أو تناسيه بأن قطاع الثقافة والفنون في كندا، ينتج سنوياً ما مقداره 46 بليون دولار تصبّ في الاقتصاد الكندي. وأن هناك 600 ألف عامل يشتغلون في هذا القطاع. وأن راتب رئيس الوزراء نفسه وحاشيته يدفع من ضرائب الفنانين ومنهم أتوود، التي قالت أنها واحدة من العشرة بالمائة من الكتاب الأغنياء في كندا، بينما هناك 90٠ من الكتاب والفنانين فقراء، ولا يجدون دعماً لمواهبهم، ولكنهم يرغبون في أن يتعلموا الفنون ويمارسوها لأن 'الفنون جزء من إنسانية الإنسان'.

أقف وسط هذا الزحام، أسمع هذه الاعتراضات ولا من أثر للمخابرات الكندية، ليس هناك اعتقالات وإقبال مراكز. عموماً، الاعتراض سلمي، بالكلام والأرقام ولغة الجسد والفن. ثم لا بد أن يكون لا بد من المخابرات للحفاظ على هيبة الدول من تطاول المعتدين. نعم، يستطيع الفنان والكاتب أن يقرأ السياسة ويشغل بالسياسة حين يكون حراً، دون أن تكون كلمة سياسة مرادفة للابتذال، وكلمة الكاتب والفنان عرضة للبيع والشراء للحاكم والمقولة. لا بد من السياسة ولا بد من الفنون كي تفضح السياسة، وأن ترسم طائرات الحكومة الذاهبة إلى الحرب والوجوه العائدة من الحرب، والقامات التي تسقط في الحرب حروب الآخرين. وسط الزحام أقف، وأتلفت حولي وأقول لصديق يمشي في جواربي: تعرف، هذه الأنشطة ناقصة دون المخابرات؟ ينظر باستغراب ولا يجيب. نمشي يصمت. اسمعه يقول: 'البارحة دار نقاش بيني وبين (اكس) حذرتي وقلت له أن يضبط لسانه ويكف عن انتقاد حكومة بلاده، وقلت له أن للجدران آذاناً، وقلت له: دير بالك، لا تتصور أنهم لن يعاقبوك إذا تكلمت على هواك...' أمشي، لا أنظر إليه ولا أجيب.

يقول: أنا جانع، أريد أن أتعشى كباباً مشوياً على الفحم في المطعم الإيراني، ألا تذهبين معي؟ أقول: هل تحلم دائماً بالكباب لأنك لم تشبع اللحم هناك في البلاد؟ ينظر في الأرض بانكسار ويقول: لم أشبع خبزاً ولا حرية، لكنني مشتاق إلى بيتي الذي هناك. ثم زفر بشدة وأشعل سيكارة ومشينا بصمت ما تبقى من الطريق إلى بائع الكباب المشوي. صحيفة القدس العربي

**

كلمة اليوم: إذا كان حزب المحافظين الكندي لا يعير أهمية للأدب ودعم الكاتب، ماذا نقول عن حال الكاتب العربي الذي ينشر كتباً ويدفع ثمن الطباعة للناس، ثم لا يحصل على أي مردود فيقوم بتوزيع كتبه مجاناً!

مهما كان الإتفاق على الثقافة في تراجع في كندا، إلا أن الدعم العربي للثقافة والنشر يدلنا على مستوى من التدني لا سابق له. أين الغلط، ولماذا وصل المنتج الثقافي إلى هذا الحضيض؟



الطلاق وحضانة الأطفال في المحاكم العائلية الكندية

الفلاسفة، الشعراء والشاعرات، وحتى رؤساء الجمهوريات، العاملون في المقهى، المتدينون والملحدون، الفقراء والأغنياء، أطباء علم النفس، المحامون والقضاة، باعة الخضار والألبسة والأدوات الكهربائية، كلهم قد يقعون في تجربة الطلاق ويواجهون مسألة رعاية الأطفال وتقسيم الملك والوصاية. العلم والثقافة والإيمان ولا حتى الحب يستطيع دوماً أن يحمي بيت الأسرة من الانكسار، أو تغيير المسار الذي قد يتم بصيغة ودية أو عنيفة. وهذه المسارات والمخلفات المؤلمة والتوفيقية كلها يتم مناقشتها بعلانية في هذا الكتاب الذي صدر بالانكليزية، أواخر شباط/ فبراير 2009 في كندا بعنوان "شد الحبل" لقاضي المحكمة الأسرية" هارفي براونستون" يناقش فيه مشاكل الطلاق ومحكمة الأسرة في تورنتو.

لعبة شد الحبل ومأساة الأطفال بين الوالدين عند الانفصال

يرى المؤلف أن الأهالي يستخدمون أطفالهم لاستعراض قواهم كما يحصل في لعبة شد الحبل المعروفة تاريخياً. أثار الكتاب الأول من نوعه ردود فعل متفاوتة في أونتاريو، سواء من قبل العاملين في قطاع الخدمات القانونية أو من قبل القراء والذين لهم تجارب مختلفة مع قرارات محكمة الأسرة وحضانة الأطفال وما يتبع ذلك من إشكالات. يكتسب هذا الكتاب أهميته من أنه أول كتاب يحزره شخص يحترف العمل في محكمة الأسرة، و يجد أن اللجوء إلى المحكمة آخر الحلول، وليس أنجعها. بل يقترح بدائل أخرى غير اللجوء إلى القضاء لحل المشاكل المادية والمعيشية المتعلقة بالأولاد والأبوين. القاضي هارفي براونستون صرح في لقاء مباشر عبر راديو "سي بي سي" أواخر شهر نيسان 2009 بأنه لا يشجع الطلاق عبر المحكمة، ويقول: "من ناحية الأبوين، ليس هناك رابح وليس هناك خاسر،

المسألة تتعلق بصالح الأولاد فقط". البحث عن تسويات بالتراضي بعيداً عن المحكمة وتكاليفها وتعقيدها يكون عانده أفضل على الأولاد وعلى الوالدين اللذين يقتتلان من أجل "الثروة والملكية". يشير القاضي إلى أن بعض الأزواج على استعداد للاقتتال من أجل غطاء مخدة، مقاعد في حديقة البيت وما شابه. هؤلاء يقولون انهم يريدون ثمن هذه الأغراض، فيما هم يدفعون للمحكمة مبالغ كبيرة وأكبر بكثير من هذه الأشياء التي يتصارعون عليها. القاضي لا يشجع ولا يدحض مسألة الطلاق، بل يناقش أهمية المحافظة على سلامة الأطفال في جميع الأحوال. لذلك يقول "أحبوا أطفالكم أكثر مما تكرهوا أزواجكم السابقين". أثناء الحوار المباشر على الهواء، اتصلت به فتاة شابة وقالت انها أكثر سعادة بعد طلاق والديها.

هنا مقتطفات من مقالة عن صحيفة تورنتو ستار للكاتبة سوزان بيغ، بتاريخ 12 شباط / فبراير 2009 حول هذا الكتاب الذي يحقق الآن أفضل المبيعات في كندا ويعتبر درساً عميقاً للذين مروا في التجربة، والذين هم في غمارها أو على وشك الدخول فيها. "القاضي هارفي براونستون ليس متحيزاً إلى أي طرف، بل يعتبر أي طفلة) يعبر حياته من خلال محكمة العائلة في أونتاريو، بمثابة ابنه. خلال 14 عاما من العمل في محكمة قانون العائلة، براونستون تعلم أن يحيد نفسه عاطفياً وهو يعبر هذه المجازر "المسمومة" في حالات الانفصال وهو ينصت إلى أشخاص يقتتلون حتى الموت من أجل شيء تافه كغطاء مخدة يمكن شراؤها من مستودع رخيص "وول مارت". إنه يدرك بألم أن الأزواج القلقين والأحبة سابقا يتوقعون منه أن يحتكم على حكمة سليمان وميزان الحكمة في المهنة. كما أنه واع اتجاه حقيقة أن ضربة من قلمه ستغير إلى الأبد حيوات الأزواج المنفصلين.

القاضي يتكلم...

"لست أوجه دعوة للناس للقدوم إلى هنا" يقوم براونستون عن مكتب المحكمة في تورنتو هناك حيث يعمل القاضي على إنهاء حالة والبدء بأخرى.... " ولكن إذا طلبوا مني أن أحكم وأقرر، سوف أقرر ما أعتقد أنه صحيح، وسوف أنظر حينذاك إلى العالم بعين أطفالهم وعلى قدر استطاعتي. " أقول للناس: سيرتب عليكم أن ترقصوا معاً في حفل قران أولادكم، ستكونون هناك بانتظار ولادة الحفيد الأول. يجب أن تحبوا أطفالكم بالقدر الكافي الذي يمكنكم من القيام بهذا لأجلهم. براونستون يؤمن أن المقدره على الطلاق "بشكل حسن" تعود إلى النضج، لكنه لا يرى كثيرا من هذا النضج في المحكمة هذه الأيام.

أول كتاب يصدره قاضي محكمة الأسرة في كندا

في المحطة الأخيرة التي يأتي إليها الأزواج الذين لم يستطيعوا أن يتفقا من خلال الجلسات الاستشارية مع اخصائيين في شؤون الأسرة، والعمل على تقاسم الممتلكات وحضانة الأولاد. لهذا السبب أصدر كتابا يعتبر أول كتاب يصدر عن قاضي محكمة الأسرة، ويطمح من خلاله أن يعلم الأزواج المقبلين على الانفصال. حرب شدّ الحبل: يستعرض خبرة القاضي في قضايا الطلاق و الانفصال، معارك الحضانة، والحقيقة المرة عن محكمة الأسرة. الكتاب يدحض الأكاذيب (عدا مصاريف مساعدة الطفل، حتى وان حصل الحمل في حالة المضاجعة مرة واحدة عابرة) ويقدم معلومات كثيرة مثل(أجره محامي الأسرة تتراوح، للساعة الواحدة بين 200-500 دولار بالإضافة إلى المصاريف) ويعرض الكتاب بدائل تتراوح بين(طلب الاستشارات إلى جلسات التأمل والخدمات العائلية) هذه البدائل عوضا عن محكمة الأسرة الشديدة الانشغال والمعتلة في تحضيراتها للتعامل مع الخلافات العائلية. القاضي براونستون -52سنة - يريد أن يبدأ الناس بالنظر في خلافاتهم الأسرية" كموضوع صحي عام" يكون فيه الأطفال تحت خطر الإيذاء العاطفي.

أنه باستمرار يشعر بأعباء هذه المعاناة المستمرة كما أنه شعر بالامتنان من القلب حين كتب له أحد الأطفال بعد المحكمة بزمان طويل يشكره على القرار الذي اتخذه بخصوص تأمين مصاريف الطفل بعد الطلاق، الأمر الذي ساعد هؤلاء على متابعة تحصيلهم الجامعي أو مكّتهم من بقاء بيتهم العائلي مصاناً من الخراب. ويقول أيضاً "كذلك تلقيت رسائل تقول: كان عليك أن تبعدني عن كلا الوالدين. حظي سيكون أفضل لو كنت أعيش في بيوت التبني". محور الكتاب يتلخص في أن "محكمة الأسرة سيئة للعائلة، وإجراءات المحكمة سيئة على الأولاد".

يستغرب القاضي كيف أن بعض الأزواج يتمادون في تمزيق أطفالهم وتوجيه الإهانة والغبن إليهم عاطفياً ونفسياً. بعضهم قال له: انهم كانوا يفضلون أن يروا الطفل ميتاً، أو في بيت الأيتام على أن يراه في حضانة الزوج أو الزوجة/الطليقة السابقة. يقول القاضي للأهالي: هل لديكم الشجاعة الكافية فيما بعد، لأن تقولوا لأولادكم بأننا كنا نكره بعضنا إلى درجة أننا احتجنا إلى شخص غريب كلياً كي يقرر أين سيعيش الطفل، وعدد المرات التي يحق له زيارة ابنه ذلك أننا لم نستطع أن نقيم توازناً، نحن الذين أتينا بك إلى هذه الحياة، احتجنا إلى شخص غريب كي يحدد لنا ذلك. ومن الشواهد المؤلمة التي يذكرها القاضي كدلالة على عقلية الانتقام والحقد لدى بعض الأزواج المقبلين على الطلاق. دخل زوجان مهنين إلى المحكمة الأسرية وراحا يقتتلان بعنف. بعد محكمة أخذت نقودا كثيرة من الوالدين خلال فترة زمنية طويلة، أعطيت الحضانة للوالد. وبعدها بأشهر توفي الرجل في حادث سير. بعدها بساعات أتت الزوجة الطليقة إلى المحكمة وكأنها تحتفل بسعادة وتقول "ما أردت أن تحرمني منه، أعطاه الله لي الآن،

وستصير حضانة الأولاد لي ويشير إلى تحكم عقلية الانتقام في بعض الحالات وللأسف.

أفكار هذا اليوم:

هذه جوانب من عالم العداء بين الأزواج بعد الطلاق. أعرف صديقا كان يملك ثروة تزيد عن مليون دولار بما فيه ثمن البيت العائلي، وكان خلاف زوجته معه أنها تريد (جهاز الشوي باركيو) الذي لم تستخدمه طوال حياتها، وأرادت منه حصتها من المجوهرات التي تركتها والدته عند وفاتها له. كانت المرأة قد خرجت من البيت وعشقت مديرها في العمل، وذهبت للعيش معه بعد أن انفصل هو عن زوجته وأولاده أيضا. هناك أشرار من الجنسين، الذكور والإناث والعدالة عملة نادرة ولا قانون يشفي انكسارات القلوب والعقول والأرواح من عدوانيتها وانتقامها، إلا العودة إلى درس المحبة والإقرار بحق الشريك والشريكة على الاختيار والانفصال بالتراضي دون عنف وأذية متبادلة. أعرف الكثير من القبح الذي يرتكبه الرجال النساء بحق بعضهم حين الانفصال وقبله وبعده.

وحين صرْتُ أشتغل في حقل الترجمة للعرب وفي محكمة العائلة ومراحل تحضير القضية والتداول بين المحامين المدافعين عن هذا الطرف أو ذاك، سمعت كل أشكال وأنواع العنف والابتزاز ضد المرأة والأولاد وأحيانا يعجز خيالي على تصور درجة الانحطاط والسوء والعنف الكامن في كواليس بعض البيوت.



النباس الصوبة الجنسية ورواية حازت على جوائز كندية مهمة

«فاكهة - رواية عن ولد سمين وله حلمتان تتكلمان، أول إصدار للكاتب الكندي الشاب براين فرنسيس دخلت المنافسة التي تجري في كندا كل عام لاختيار كتاب واحد يقرأه جميع الكنديين عام 2009. مسابقة «كندا تقرأ» مناسبة للتوقف عند أهم الكتب وأفضلها وليس بالضرورة أن تكون إصداراً حديثاً. تتم المناقشة عبر راديو «سي بي سي» من خلال مناقشة الأعمال الخمسة التي يقع اختيارها على ذائقة عدة نقاد يتم تكليفهم بالمهمة، معروفين بعشقهم للقراءة ومقدرتهم على تقييم العمل الأدبي.

خلال سلسلة من النقاشات الثرية يقوم كل ناقد بالدفاع عن أسباب اختياره لهذا الكتاب دون الآخر، وقد يضطر إلى إقصاء الكتاب الذي اختاره في البداية. تتم تصفية المنافسة عبر مناقشة نقاط القوة والضعف في كل رواية. وايضاً تكون الفرصة متاحة للقراء والمستمعين للمشاركة في اختيار كتابهم المفضل (اونلاين) . الكتب التي تصل إلى القائمة القصيرة ترتفع مبيعاتها وتعاد طباعتها في فترة قصيرة. «فاكهة» الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان «فاكهة» كان له حظ طيب من النجاح رغم أنه صدر عام 2004.

ما هي نقاط قوة هذه الرواية وهي الأولى لكاتبها براين فرنسيس استثنائيتها وقوتها نابعة من كونه يتعرض لحياة مراهق يتحدث عن جسده وسمنته، وميوله نحو الأولاد وأعمال المطبخ، أكثر من ميوله نحو البنات، وكرة القدم والهوايات التي تجتذب الذكور. نجح الكاتب بريان فرنسيس في استكشاف أغوار هذه الروح الفتية القلقة بطريقة فكاوية، محزنة. الشخصية المحورية هي شخصية الولد السمين «بيتر» الذي يحلل شخصيات أفراد أسرته وجيرانه ورفاقه في المدرسة كاشفاً النقاب عن الصراع الأسري الاجتماعي والنفسي، وعن الصراع الداخلي

الذي يعيشه الولد الملتبس الجنس.

حوار مع الكاتب في المكتبة ولماذا اختار حلمة الرجل...

كي يتم تسليط الضوء على الكتب المنافسة على المكانة الأولى تم ترتيب قراءة أدبية وحوارية في مواقع مختلفة ومنها «تورنتو رفرنس لايبيراري» التي استضافت الروائيين وأجرت معهم حواراً. حين سأل مدير الحوار، المذيع مات غالوي عما جعل فرنسيس يختار موضوع الحلمتين مركزاً للرواية؟ أجاب مبتسماً: كانت الفكرة في رأسي وباعتقادي أن الحلمتين عند الرجل ليستا فاعلتين لذلك أردت أن أعطيها دوراً وشخصية.

مدخل إلى عالم الولد السمين وفاكهته التي تؤنبه وتفضحه: «اسمي بيتر بدينغتون. توأ أصبحت في الصف الثامن مدرسة كلاك ديل الابتدائية. ستة أيام في الأسبوع، كنت أقوم بتوزيع صحيفة «سرينا اوبزيرفر» على الأهالي، وفي اليوم التالي، نبتت لي حلمتان. كان لي حلمتان دوماً، ولكن ليس كحلمة البنات، بل من شاكلة «يجب أن أخفف وزني» لست مأخوذاً بهما، ومن السهولة إخفاؤهما تحت القميص. إطلاقاً لا أمارس رياضة الركض، لذلك تجدهما في مكانهما. لن يبقيا هناك لمدة طويلة لأنني سأبدأ حمية غذائية وأصبح نحيفاً مع حلول عيد الميلاد». ترجمة كاتبة السطور.

هكذا يبدأ الفتى المراهق وصف علاقته الشائكة مع جسده السمين، وصدرة ومن ثم ظهور الشعر المزعج في المنطقه السرية وتحت الابطين. القائمة التي وضعها لنفسه في نهاية السنة عندما بلغ عمره 13 سنة، تتألف من عشر نقاط تبدأ وتنتهي بالتخلص من الوزن الزائد وقدره 204 باوند، ما يقارب الـ100 كغ. انها كالتالي: التخلص من الوزن الزائد - شراء ثياب أكثر - تعلم ممارسة الرياضة - محاولة النظر مباشرة في عين مستر هانا - أن يصبح لي بوي فرند - الابتسام أكثر - أن أصير غامضاً - أن يصبح لوني أسمر - التصرف بثقة بالنفس - التخلص من الوزن الزائد ولكن مضى عام ولم يتحقق أي من هذا، فأخذت القلم وأضفت نقطة جديدة: أن تصبح حلمتاي طبيعيتين. ولكي يجعل الصبي حلمتيه طبيعيتين ويضع حداً لنموهما، راح يلف الشريط اللاصق البلاستيكي على مدار صدره بقوة وفوق حلمتيه. كل يوم قبل أن يلبس ثيابه ويخرج إلى المدرسة يقفل باب غرفته ويفعل ذلك ظناً منه أن هذا سيخفي مشكلته عن نظر رفاقه في المدرسة وأمام أعين أفراد أسرته المشتتة وأختيه اللتين تعانين السمنة أيضاً، واللتين تعاملانه بقسوة وتؤذيان مشاعره كلما سنحت لهما الفرصة.

يقول بيتر: «حالياً أربط البلاستيك اللاصق فوق حلمتي وحول صدري ثلاث لفات قبل أن اذهب إلى المدرسة. هذا النوع يمكك جيداً وأفضل من ذلك النوع الاسكتلندي لكنه يجعل التنفس صعباً. ولكن حين أفكّ اللاصق عن صدري مساءً، أتألم. الآن حلمتاي أصبحتا حمراوين حارقتين دبقتين، تشبهان الكرز.

الشعور بالعار والاضطهاد

يشعر بيتر بالاضطهاد في المدرسة وفي البيت. كريستين، الأخت الكبرى تمنعه من الذهاب لزيارتها في مكان عملها. دانيلا، ابنة الجيران المضطربة نفسياً هي الصديقة الوحيدة التي تتعامل معه وتشتكي له من سوء حظها وأسررتها. فتاة غير جميلة ولا مقدرة لها على التعلم، لذلك تعمل كنادلة في مطعم والدها الإيطالي. لغتها بذيئة وعدوانية. حياتها خالية من البهجة ومع ذلك تقرر المشاركة في مسابقة ملكة جمال المنطقة. تصاب بخيبة أمل ويزداد حنقها على المحيط حين تفشل. تتعامل مع بيتر كما لو أنه بنت. في هذا الفصل يجيد الكاتب تصوير تصرفات المراهقين، كشف عوالمهم الداخلية وطريقة تفكيرهم. لكنه يعود دائماً إلى مأساته مع حلمتيه فيقول: «الحقيقة أن المشاعر التي اتنابتني سيئة، لأنني لا أستطيع أن أكون طبيعياً. أن أسعد والدي، حاولت ولم أصل إلى نتيجة». المخرج الوحيد من هذه المعاناة يكون بفقرة بعنوان «فيلم ما قبل النوم» يهرب الولد من واقعه بالفنتازيا. يسرد الكاتب في نهاية كل فصل من الكتاب، عدة صفحات محورها بيتر المنتصر المتحقق المحبوب الناجح، الرياضي ومثار اهتمام الأولاد والبنات. يحلم الولد بذلك حتى يغرق في النوم. حلم ما بين النوم واليقظة يعكس الحرمان والصراع الذي يجري في عوالم بيتر الروحية. وهذه الفقرات مشوقة ومحملة بحس الفكاهة الأسر. بلا حوادث لا تحمل الرواية حوادث مصيرية تغير حياة هذا الولد، ولعل هذا نقطة ضعف في الكتاب، إذ يبقى السرد يدور وينتهي بفيلم ما قبل النوم. عدا بعض الأحداث الاستثنائية التي تكشف التباس هويته الجنسية. عندما ذهبت عائلة بيتر في رحلة خارج المدينة شعر الصبي بالسعادة. انها فرصته كي يمارس حريته. ذهب إلى غرفة الأم ولبس ثوبها، ثم بدأ يستخدم الكحل والماسكارا، أحمر الشفاه وكريم الوجه تماماً كما تفعل أي فتاة، ولبس حمالة الصدر أيضاً. ألقى نظرة إعجاب على نفسه في المرآة، كان يسمع أصواتا من داخله، تتمن عمله تارة، وتدينه تارة. لكنه شعر بالإعجاب بنفسه ثم ذهب للرقص في صالة البيت. في لحظة ما شعر بالتجمد والرعب، إذ تراءى له أن خاله الذي يزورهم في العادة، كان واقفاً ينظر إليه من خلال النافذة، ثم اختفى فجأة. بقي الصبي كسيراً حزينا خائفاً من افتضاح سره. لاحقاً أدرك أن الخال السمين (ادي) مثلي جنسياً لذلك لم يتزوج رغم تقدمه في العمر.

العلاقة مع الأسرة وزيارة الطبيب بشأن حلمتيه

ثم يتعرض إلى العلاقة الشائكة بين الأب والأم التي اعترفت باكية بأنها كانت تكثر من الحلويات والأكل اللذيذ وتقدمه لأولادها كي يقتربوا منها أكثر ويحبوها. أفراد الأسرة صاروا يعانون من السمنة ويتحدثون عنها كهم يومي. لكن بيتر مثل أخته يحاول أن يجد حلاً ويمارس الرياضة، لكن جسده الكسول يخزله. وحين يمارس الرياضة في المدرسة يسقط ويغى عليه فيسقفوه. يكشف الطبيب عنه فيقول له بيتر «كما ترى يا دكتور، حلمتاي نافرتان، ولم أكن أريد أن ينتبه إليهما أحد» ليبرر استعماله الشريط اللاصق.

بينما هو هناك تقول له حلمته (أخبره) «حلمتي تهمنان لي من تحت القميص.. تجمدت في مكاني. حلمتي لم تتكلمان أبداً في حضور أحد. وهنا حوار قصير بينه وبين طبيبه» دكتور لوكا، هل سمعت ذلك؟ سمعت ماذا؟ الأصوات، هل تسمعها؟ قلب الدكتور شفتيه وقال: هل بإمكانك يا بيتر أن تصف لي هذه الأصوات. الحلمتان تقولان: «أخبره» ...

لكنني تيقظت وقلت لنفسي، يبدو أنه لم يسمع، ويجب أن أتصرف بسرعة وذكاء، وإلا سيرسلني إلى مشفى المجانين... قلت: عفوا، ربما كنت اسمع صوت مسز لوكا، كأنها على الهاتف، يبدو إنها كثيرة الكلام، أليس كذلك؟ نعم، نوعاً ما. قالها بتنهيد أجاب بيتر: منذ كم سنة أنت متزوج. منذ 37 سنة. بدأ يكثر الأسئلة على الطبيب كي يشغله عن السؤال عن مشكلة حلمتيه. لكن الطبيب فهم قصده وطمأنه على سلامته. رغم هذا لم يستطع أن يتصالح مع جسده حتى النهاية. هنا فقرة مترجمة أيضاً: يقول «أعتقد أن الشيء الذي لم يتغير هو حلمتي الكرزيستان. ما تزالان هنا، منتفتحتين، حراوين. بعض الأحيان أتصور أنهما صامتان لأنهما غاضبتان علي، أحياناً أحاول أن أفهم هل هما حقاً تكلمتا منذ البداية. كم غريب ذهننا الذي يجعلنا نصدق حدوث أشياء لم تحصل في الحقيقة، وخاصة فيما يخص ذواتنا». ص 275. لا بد من فيلم ما قبل النوم، وهذه فقرة يقول فيها «وجدت نفسي ألبس لباساً رياضياً جميلاً، أدخل المدرسة بقوة وثقة... يتحلق من حولي البنات والأولاد... تقع عيني على كرة القدم... التقطها، وهذه المرة أعرف كيف أتصرف بها.... أركض وألعب لكنني أخاف أن يتمزق الشريط اللاصق الملفوف على صدري ويرى الجميع فاكهتي التي حاولت أن أخبئها... ثم أغرق في النوم».

السفير 2009-09-02

كلمة اليوم: كانت الإشارة إلى بؤادر المثلية الجنسية في كندا وكتابها تتم بخفر وبأقل ما يمكن من الوضوح والإشهار، والآن وصلنا إلى مرحلة غير معقول من التماذي في موضوع الجندر والنوع الجنسي. صار الطفل في المدرسة معرضاً للسؤال: هل انت بنت أم ولد، رغم جنسه الواضح شكلياً. كنت منذ أيام في المصعد مع امرأة ورجل. كانت السيدة تتكلم بغضب مع صديقها وتحكي له بأنها اشتكت من المدرسة وسحبت ابنتها من الصف حين عادت الى البيت وهي مرتبكة تسأل أمها: هل أنا بنت أم ولد؟

وهناك إشكالات كثيرة في المنهاج التعليمي الحالي الذي بدأ يطرح موضوع المثلية الجنسية وتغيير النوع البيولوجي أمام أطفال لا يملكون الوعي الكافي للفهم واتخاذ القرار. وهذا موضوع يحتاج إلى الكثير.

ماذا تحكي لوحات الفنان التشكيلي العراقي هاشم حنون على جدران المعرض في تورنتو

جولة مع أعمال الفنان التشكيلي هاشم حنون. في اليوم الأول لرفع الحجر الصحي الطويل عن مدينة تورنتو يوم 16 تموز قمت بزيارة غالري "ميبيري فاين ارتس" وسط داون تاون تورنتو، للتمتع بمشاهدة أعمال الفنان هاشم حنون عن قرب، بعد أن تعرفت على بعض أعماله عبر الشبكة الالكترونية وفيسبوك.

كانت صالة العرض تستقبل القادمين بلوحة قبالة باب الدخول، ثم تتوزع الأعمال برفاهية على جدران مضاعة بكرم يعكس رونق وفنية ومهارات ريشة الفنان وهو يخلط ألوانه الزيتية على قماشتها، بدقة فنان محترف في اشتغاله، جريئ في مزج الألوان أو تركها صافية كتلة صافية حرة وسط اللوحة. ومرات تجد طفولة مسروقة من الذاكرة، تتجلى في لمسات طفولية أحيانا تعيد المتلقي إلى مراحل مختلفة من محطات العمر. كما في لوحة " حنين الى الطفولة" ولوحات أخرى يطلع منها عضفون أو رسم طفلة أو طفل في ركن من الرسم.

البهجة التي يخلقها اللون في عين المتلقي، متعة لا يمكن تجاوزها. وهي متعة مضاعفة إذ أجد نفسي قبالة أعمال فنية جميلة تنسيني قليلا نشرات الأخبار والموت والقتل الذي يحصد أرواح البشر في العالم، سواء بسبب فيروس كورونا أو قبح أعمال العنف والقوضى المستشرية في الشرق الحزين هذه الحقبة. هذه البهجة اللونية ثيمة بحد ذاتها بالإضافة الى اشتغالات الفنان على مواضيع مهمة كالعلاقة بالمكان، بالمدينة، بالمحيط الشخصي والعام. وهو ما نراه حاضرا في بعض الأعمال المعروضة.

يقرأ الفنان المكان في المدن الكندية بلغة شعرية تعكس انطباعه الوجداني والشعوري، ثم يرسمها لوحة بخليط روحاني يغلب عليه الصفاء والهدوء والانسجام.

أثناء تجوالي في المعرض تحدثت مع شاب كندي كان حاضرا هناك، وتبادلنا الآراء حول الأعمال المعروضة فأول انطباع له كان: البهجة والصفاء والتوزيع اللوني الماهر في أعمال تستحق الضوء والوصول الى واجهات اخرى في العالم. ابتسمت وقلت هذا ما وصلني أيضا. انها سعادة مضاعفة أن نرى أعمال فنان عربي عراقي في صالة فخمة للفنون الجميلة، معروض منذ منتصف شهر تموز وحتى نهايته.

وجهة نظر: الأمل، التفاؤل، عشق المكان، عشق الجمال والفرح هو جزء من حلم الفنان وأعمال مخيلته حتى في أقبح الظروف وأشرسها وأعتاها، أو هذا ما أعتقد. أحيانا يسقط الفنانون في توثيق القبح والعنف يرسم أعمال تظهر فيها الوجوه القبيحة، والشوراع الميتة والأحلام المتهالكة، ولا أدري أين تصل تلك الأعمال. شخصا، قلبي لا يحتمل أن أسمع نشرة الأخبار العربية وأرى كل هذا الموت والجوع والقتل، ثم أذهب الى معرض فيه الدم والرعب ينزف من العيون والشفاه والشعر والشوراع!.. بالطبع إذا عدنا الى مراحل سابقة من حياة الفنان وأعماله، نجد ثيمة الوطن والشهيد، وقامات الوجع المتسرب في ثياب النسوة العاجزات الحزينات...كيف لا ، وصاحب الريشة كان جنديا إجباريا في مرحلة الحروب العراقية التي لم تنته نتائجها على أرض العراق وشعبه وفنانيه.

ويذكر أن الفنان هاشم حنون من مواليد 1957 ، مدينة البصرة- العراق. درس الرسم والنحت في أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد. هاجر إلى كندا عام 2009. نشط في تدشين مرحلة أخرى من الرسم من خلال الواقع المهجري الجديد وحدثاته الجمالية والفنية.

استمر هذا العرض المتميز في هذه الصالة حتى نهاية شهر تموز 2021، وكان فرصة للأصدقاء ولعشاق الفنون للزيارة والإطلاع على عدد من الأعمال المميزة التي تدعو الى الأمل. فإن لم يكن الوطن سعيدا ولا الشعب ولا العالم بأسره في ظل جائحة كورونا، فلتكن السعادة لوحة في متخيل الفنان وريشته والكاتب وقلمه.

16 تموز 2021، تورنتو

كلمة اليوم: هناك العديد من الفنانين المهاجرين الذين استطاعوا الخروج من الكلاسيكيات والرموز الشرقية العربية في الرسم، بل تخطوه إلى ابتكارات جديدة وبخاصة في جيل الشباب. وبعضهم بقي محافظاً على الأسلوب واللون والرمز الموروث عبر الحضارات وهؤلاء تكون حصتهم من الحضور في المعارض الكندية محدودة على الغالب.

وأثناء مشاهدة الأعمال قمت بتقديم فيديو قصير سجلت فيه انطباعي عن اللوحات المعروضة وأرسلتها للفنان المذكور، ولم أكن قد تواصلت معه من قبل.

السفر والعيش في الأمكنة الجديدة بالضرورة أن ينعكس على الأعمال الفنية والأدبية إلا إذا كان الأديب مكتفياً بالقوقعة التي حملها معه بعد خروجه من البلاد عنوة أو طوعا.

13 يان مارتل روائي كندي يقوم بحملة تثقيف رئيس الوزراء الكندي

الكتاب الذي صدر بالانكليزية والفرنسية للروائي الكندي يان مارتل عن (راندوم هاوس) بعنوان "ماذا يقرأ ستيفن هاربر؟" يضعنا في مواجهة أسئلة متشعبة عن علاقة القادة السياسيين بالآداب والفنون وأثر ذلك في سياساتهم وشخصياتهم، وعن أهمية القراءة وعلاقتها بارتقاء المجتمعات وقيمها الجمالية.

السيد ستيفن هاربر رئيس حزب المحافظين الذي يشكل أقلية، انتخب رئيساً لوزراء كندا عام 2004. حين سئل هاربر عن كتابه المفضل أثناء حملته الانتخابية، كان جوابه " كتاب غينيس للأرقام القياسية". ومن الصعب أن يهضم هذا الجواب الخائب، حين نقارنه بجواب الرئيس باراك أوباما الذي يقرأ ابراهام لنكولن، توني موريسون، وشكسبير.

يكتسب هذا الكتاب أهميته من أنه يكسر حاجز التراتبية الهرمية السلطوية بين كاتب وقائد. لقد أخذ مارتل على عاتقه مهمة "تثقيف" رئيس الوزراء السيد ستيفن هاربر. اقترح عليه أن يقرأ أدبا عالمياً ليعطي لنفسه فرصة أن يجلس ساكناً لبرهة مع الكتاب. تعهد مارتل منذ نيسان 2007 بإرسال كتاب إلى السيد هاربر كل أسبوعين مرفقاً برسالة يحكي فيها عن مضمون الكتاب وتاريخه، ويتطرق إلى بعض القضايا المحلية الكندية وآراء رئيس الوزراء. يقول مارتل أنه سيواظب على إرسال الكتب ما دام هاربر في مكتبه. بلغ عدد الكتب التي تم إرسالها لحين صدور الكتاب (65). كما أنه قام بإرسال نسختين إلى هاربر مرفقاً برسالة يشرح فيها أنه أراد إصدار الرسائل في كتاب كي يأمن حفظها في الأرشيف بأمانة. كما يتعهد أيضاً بنشر أي ردود رئيس الوزراء ومكتبه الذي أثار الصمت، واكتفى مكتبه بإرسال عدد محدود من الردود الرسمية التي تقتصر على إشعار بوصول البريد والشكر.

السبب الذي دفع مارتل لهذه المبادرة الغريبة: في بداية عام 2007 وبحضور شخصيات رسمية عليا وممثلين عن الثقافة والتراث، أقيم احتفاء رسمي بعدد من الكتاب الكنديين الذين نالوا منحة أدبية من قبل مجلس الفنون الكندي في أوتاوا العاصمة. يقول مارتل أن تكريمه والفنانين الآخرين جاء بتقديم سريع لكل منهم، كان هاربر هناك غير مبال بما يجري حوله، لم ينظر في وجوههم، لم يقل كلمة، كان يقلب بضيق صبر أوراقاً أمامه. ومن هنا ولدت فكرة الحملة التثقيفية مرفقة بموقع الكتروني ينشر فيه الرسائل وعناوين الكتب المرسلّة والردود. ورغم وجود هذا الموقع على الشبكة إلا أن الكاتب يقول في رسالته إلى هاربر أن الموقع الالكتروني غير مضمون وقد يتم مسحه عن الشبكة لذلك لا بد من توثيق الرسائل في كتاب. يقول أيضاً: صحيح أن اسمك وارد في عنوان الكتاب، لكن الكتاب ليس عنك، إنه كتاب عن الكتب وعن القراءة.

يكتب مارتل رسائله بخفة دم ودراية: صحيح أنني لا أحب سياسة هذا الحزب ولكن لا يمكن لفرد أن يكتب 65 رسالة فقط لأجل الكره. يكتب بحرية لا تهين، ولا يجد غضاظة في اقتراح قراءة كتاب مايكل اغناتيف، رئيس الحزب الليبرالي في كندا. يرسل له "الأقل شراً" وهو بحث سياسي تاريخي عن طرق مكافحة الإرهاب وما آلت إليه الحروب في أفغانستان والعراق وغيرها. يذكره بضرورة قراءة كتابات "معارضه السياسي" كي يعرف ما يجري في ذهنه ويفهم كيف يماحكه وخاصة أنه يلتقي به كثيراً في ردهات وجلسات البرلمان. يذكر بأن لـ "اغناتيف" 16 كتاباً بينها 3 روايات، وكان مديعاً وصحافياً سابقاً.

إن كتاب "ماذا يقرأ ستيفن هاربر؟" مناسبة للاحتفاء بالكتابة والقراءة ولذلك فهو موجه لعشاق القراءة من كل المشارب، كتاب يكرّم الأدب الكلاسيكي والحديث، الكندي والعالمي. أول كتاب في القائمة كان "موت ايفان ايفانوفيتش" للروسي ليو تولستوي. كما أرسل لهاربر ملحمة جلجامش، يوليوس قيصر وكتب لـ: فولتير، همنغواي، مارغريت أتوود، أليس مونرو، جين أوستن، فيليب روث، "انتظار البرابرة ل ج.م. كويتزي، هيروشيما مون امور لمارغريت دوراس، سيرة ذاتية مصورة عن بطل التمرد عند الهنود الحمر في كندا "لوريس ريل"، بالإضافة إلى أشعار تيد هيوز، نورث روب فراي، الخ. ولم ينس أن يخصه بكتاب عن رياضة الهوكي التي يعشقها هاربر. كما لم يقصر قائمته على كتب كنديين ممن ألقوا خطابات ناقدة شديدة اللهجة حين أصدر هاربر قراراً بالحد من المساعدات المالية المخصصة لدعم الفنون في كندا. القرار استدعى في حينه قيام حملة ومسيرات استنكار في عدد كبير من مدن كندا.

يذكر أن يان مارتل مواليد 1963 له إصدارات معدودة لاقت شهرة كبيرة أهمها رواية "حياة باي" التي ترجمت إلى 40 لغة عالمية وصارت فيلماً لاقى نجاحاً كبيراً. ترجمها إلى العربية سامر أبو هواش، وصدرت عن دار الجمل.

نقول أن فكرة الكتاب جريئة ولنيمة. ولكن ماذا لو خطر لكاتب عربي أن يقوم بحملة تثقيف لرئيس جمهوريته وأرفقها برسائل ودية نقدية تتحدث عن أحوال البلاد من وجهة نظر معارضة، وعن ظروف الكاتب الفقير والصحافي الملاحق والشارع المفتقر للخدمات الأولية؟!
صحيفة الأخبار اللبنانية 2010

فضاءات أخرى عام 2021

الكاتب الكندي يان مارتل صاحب رواية "حياة باي" يتقلد وسام حاكم كندا
أعود إلى الكاتب الكندي مرة ثانية بعد أكثر من 10 سنوات على نشر مقالي الأول عنه وبتفاصيل جديدة بعد تغير السلطة ورئيس وزراء كندا. لماذا؟
مع نهاية كل عام في كندا يتم تقليد وسام "حاكم كندا" كرتبة تعتبر الثانية في التسلسل الهرمي الأهم، وهي رتبة مدنية تشريفية تمنح لعدد من المبدعين الكنديين الذين عملوا على إغناء حياة الآخرين بطريقة ما وتركوا بصمة إيجابية في الميدان الاجتماعي القريب والبعيد. هذه الحقوق تتضمن الإبداع والتميز في ميادين مثل: الآداب الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الموسيقى والتأليف والتمثيل، النجاح في المجال الاقتصادي، التميز في المجال العسكري، والعمل الخدماتي الاجتماعي الرسمي أو التطوعي. وهناك مراحل تتبعها جهة حكومية عليا حيث تتلقى الترشيحات في كل الحقوق، وتتم دراستها إلى أن يتم الإتفاق على إعطاء الوسام لشخص واحد متميز في مجاله.
كان الإعلان عن نتائج التكريم هذه السنة في 29 ديسمبر 2021. وكان للجالية العربية في تورنتو نصيب في هذا التكريم في المجال الاقتصادي المهني. كان الوسام من نصيب الكندي اللبناني محمد فقيه، لدوره في خدمة الاقتصاد الكندي والجالبيوي. حيث يمتلك السيد فقيه عددا من المطاعم في تورنتو وكندا وله نشاط جالبيوي مميز ويحث على التضامن والحضور الفاعل في الساحة الكندية. إلا أنني أتوقف اليوم أتوقف بالتفصيل مع المنصة الثقافية.
يان مارتل كاتب رواية "حياة باي" يتقلد وسام حاكم كندا

Yan Martel, Life of Pi

في خانة الآداب والعلوم الإنسانية حصل الكاتب الكندي يان مارتل على التكريم وذلك لشهرته الواسعة في العالم من خلال روايته المترجمة الى 40 لغة ومنها العربية. صدرت الترجمة منذ سنوات عن دار الجمل، ترجمة سامر أبو هوش. وأخرجت كفيلم سينمائي لاقى نجاحاً منقطع النظير. عدد النسخ التي بيعت من روايته 50 مليون نسخة، كما فاز بجائزة بوكر الأدبية الدولية للرواية.
هناك نجاحات كثيرة وخطوات مميزة تضع هذا الكاتب على قائمة الشهرة والتأثير. وهنا نبذة مختصرة

عن سيرته الإبداعية:

يان مارتل مواليد اسبانيا 1963 لأبوين كنديين كانا يعملان لصالح الخارجية الكندية. انتقل مع والديه للعيش في عدة دول حول العالم منها: اسبانيا، البرتغال، وفرنسا، إلى أن استقر في كندا في مرحلة الدراسة الثانوية. وحين اكمل تحصيله الأكاديمي في كندا، صار استاذاً جامعياً مرموقاً، وكان يدرس منهاجاً يعني بـ "الحيوانات في الأدب".

ورد في سيرة التعريف بمكانته، إنه في بداية شبابه اشتغل في أعمال شتّى كغسل الصحون في المطاعم، وزرع الشجر، كما اشتغل حارساً في السفارة الكندية في باريس. طبعا النظرة إلى نوعية العمل التي يؤديها الفرد في الغرب تختلف تماماً عن المهن وطبقاتها الهرمية عما هو عليه الحال في البلاد العربية.

بدأ(مارتل) الكتابة والنشر بمجموعة قصصية، ثم صدرت أول رواية له عام 1996 في انكلترا والمانيا، وكانت الرواية الثانية (حياة باي عام 2001) إلى جوار روايات أخرى بعد ذلك. ولكن حياة باي أحدثت ضجة هنا في الغرب واتهم للكاتب بتطفله على فكرة كتاب آخر بعنوان (ماكس والقطط) وفيما بعد كتب مارتل رسالة لمعلنة وأعرب فيها عن إطلاعها على الكتاب وإعجابه وتأثره به.

أما قصة يان مارتل مع رئيس وزراء كندا السابق " ستيفن هاربر" الذي كان رئيس حزب المحافظين فهي الأكثر شهرة وفكاهة وجراً، ولم يسبق لها مثيل في العالم. إذ تجرأ يان مارتل على افتتاح "نادي القراءة" أحادي الجانب بينه وبين رئيس وزراء كندا عام 2001.

حكم حزب المحافظين في كندا منذ عام 2007-2001 بقيادة رئيس الوزراء ستيفن هاربر. وخلال تلك الفترة قام رئيس الحزب الحاكم باقتطاع الكثير من الخدمات المقدمة للبرامج الفنية والثقافية والإعلامية في كندا. وعرف عنه عدم تعاطفه مع الكتاب والعلوم الإنسانية عموماً. فقرر مارتل أن يعمل على يحثه على القراءة والإطلاع على آداب الشعوب من خلال الكتب التي أراد أن يرسلها إلى مكتب رئيس الوزراء مرة كل أسبوعين وتكون منتقاة من الأدب العالمي الكلاسيكي والحديث والكندي بالطبع. استمر في هذه المبادرة إلى أن وصل عدد الكتب المرسلة مجاناً 100 كتاب. حينها قرر أن يتوقف ويغلق النادي.

ولم يستلم سوى رداً واحداً من قبل القارئ المفترض(رئيس الوزراء). والجدير ذكره أنه اختتم هذه الحملة التوعوية بكتاب مسرحي عنوانه "الحارق" لمسرحي كندي من أصل لبناني يكتب بالفرنسية وهو وجدي معوض. لاقت مسرحيته النجاح وأصبحت فيلماً يتطرق إلى الحرب الأهلية اللبنانية والعنف والخوف والهجرة.

أما أول كتاب في قائمة المراسلة فكان للكاتب الروسي "تولستوي، موت ايفان إيفانوفتش"

كان يان مارتل يرسل الكتاب إلى ستيفن هابر مرفقاً برسالة هي عبارة عن عرض للكتاب، وحكايته وأهميته. فيما بعد قام بإصدار كتاب يضم هذه الرسائل وعناوين الكتب المختارة التي لاقت ضجة اعلامية جيدة على الصعيد الكندي، عنوان الكتاب "ماذا يقرأ ستيفن هابر؟" لو نظرنا إلى ثقافة الحكام العرب سنصاب بالخيبة. حيث حصة الديمقراطية لم تصل بعد الحد الذي يسمح فيه بانتقاد صورة الرئيس مهما كان قبيحاً ومجرماً بحق شعبه، وإلا فيكون العقاب مريعاً. صرح مارتل مرة للصحافة الكندية بأنه محظوظ لأنه يعيش في بلد ديمقراطي، يفعل هذا ولا يُعتقل. أو من أن الأدب وثيقة إنسانية مؤثرة وجدانياً وإن حملت محتوى سياسياً. بعض رؤساء الدول في الغرب يتفخرون بقائمة الكتب المفضلة لديهم. على سبيل المثال يقوم الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما كل سنة بالإعلان عن قائمة الكتب المفضلة لديه والتي يرشحها للقراء. سيزدهر ويتقدم أي بلد يعمل على تكريم الطاقات الإبداعية لأهميتها في دفع عجلة الحضارة إلى الأمام. أما البلاد التي تكثر فيها السجون والتهديدات والتفرقة ستبقى في آخر الركب وتتطلع إلى الوراء وتقتل الحاضر والمستقبل.

نشر في صحيفة الصباح العراقية بتاريخ 2022-1-21*

كلمة اليوم:

قرأت أول مرة للروائي يان مارتل (حياة باي) مترجمة إلى العربية، ووجدتها ممتعة ومؤثرة، تحمل ذلك الصراع من أجل البقاء والصراع والألفة بين الإنسان والحيوان الوحيد الذي بقي على القارب حين دمرت السفينة التي كانت تقل الكثيرين... وبعد ذلك بسنوات، أصبحت الرواية فيلماً بنفس الاسم وذهبت لحضوره مع صديق. كان الفيلم مشوقاً وبالابعد الثلاثية اليت ترى من خلال العدسات التي يضعها المشاهد على عينيه أثناء العرض. لن أنسى اللقطة الأخيرة في الفيلم حين يصل القارب إلى اليابسة، ويغادر النمر القارب إلى الغابة دون أن يلقي نظرة على صاحبه الذي تقاسم معه أهوال البحر والعيش على حافة الموت.

كلمة اليوم: حين تغادر بيتاً أو حبيباً لا تكن خانناً وتدير ظهرك دون كلمة وداع. كن شهماً حتى وإن كنت قد فقدت الحب والعشق والإيمان بجدوى ذلك الشخص أو المكان الذي عشت فيه أو عشقته يوماً.



سيرة الحركة النسوية الكندية، أين بدأت وإلى أين، تسردها جودي ريبك

الثامن من آذار عيد المرأة العالمي وحركة "أنا أيضا_مي تو" : الحصيـلة التاريخيـة لمنجزات الحركة الفمـنستيـة تشير اليوم إلى أن المرأة ما تزال تعيش تحت سطوة القانون الذكوري السلطوي القمعي. ما تزال المرأة تتعرض للاغتصاب والقمع والعنف المنزلي والتحرش الجنسي في العمل، في البيت، وفي الطريق. كما قد تتعرض للقتل إذا خرجت عن العرف السائد اجتماعيا. مثال: شاب كندي من أصول شرقية حمل الخنجر وقتل طليقته في تورنتو هذا الشتاء.

الحركة العالمية التي قامت منذ سنوات "أنا أيضا" مثال واضح على ذلك، والشواهد كثيرة شرقا وغربا. هارفي واينستين، المخرج السينمائي الهوليودي، تعرض لمحاكمة طويلة ومعقدة وانتهى به الحال مؤخرا إلى السجن في امريكا بعد أن تم التثبت من صحة الادعاءات ضده، كالاغتصاب والتحرش الجنسي. المتحرش جنسيا يجب أن يعاقب قانونيا، ولكن الغريب في الشرق أن نجد أحيانا في حال اغتصاب طفلة أو امرأة، أن المغتصب يحلل له-أو يجبر- على الزواج من الضحية. كانت وما زالت الحركة النسوية الاجتماعية تسعى لتمكين المرأة من حقوقها ومساواتها مع الرجل في فرص العمل وحرية التعبير واتخاذ القرار فيما يخص حق الإنجاب والإجهاض، وحق السفر بحرية، حق الكتابة والقراءة والتعليم العالي، وحق تقرير المصير في الزواج والطلاق وحضانة الأولاد إذا حصل الانفصال أو الطلاق بين الزوج والزوجة.

في الثامن آذار أردد مع نساء الأرض: ما زلنا نحن النساء نريد الخبز كما نريد الورد، كما نريد الحرية والعيش بكرامة وسلام في كل مكان. ونريد للحرب أن تتوقف عن قتل أبنائنا وبناتنا وأحلامهن الشاسعة الإنسانية التي لا جنس لها.

قالت "عندما تخرجت من جامعة (ميغيل) في مونتريال عام 1967 وأردت العمل كصحافية، ذهبت مع زملائي للتقديم للعمل في محطة الراديو المحلي. حين التقاني مدير القناة الإذاعية قال "نحن لا نعين نساء في غرفة الأخبار"

كتاب الثورة النسوية الكندية

"عشرة آلاف وردة" كتاب يؤرخ للحركة النسوية في كندا، 2005 للباحثة والناشطة النسوية الكندية "جودي ريبك" منشورات "بنغوان".

حضرت حفل توقيع الكتاب في تورنتو 8 آذار 2005 حيث غصت القاعة بالحضور من كل الألوان والأعمار. تم تسليط الضوء خلال الحفل على عدد من النشاطات النسويات اللواتي لقصصهن حصة في هذا الكتاب، والقت الكاتبة كلمتها موجهة تحية خاصة إلى والدتها المسنة التي حضرت الحفل، إلى جانب بعض النساء المتقدّمات في السن، اللواتي كرسن حياتهن لخدمة هذا الجانب من حياة المجتمع. وتخلل الحفل بعض الموسيقى والقاء قصائد "ملونة" تحتفي بالجدات والحب والسلام.

*

التقطت صوراً للمناسبة وللكاتبة جودي ريبك الناشطة النسوية المعروفة بنضالها وتحدثت معها على هامش اللقاء حين كانت توقع الكتب. استعرت لاحقاً من المكتبة العامة وقرأته بشغف وكتبت عنه مقالاً أرسلته لصحيفة الشرق الأوسط. ونشر في شهر آذار في مثل هذه الأيام سنة 2006. لم يكن في حقيبتي نقود لشراء الكتاب، وانسحبت بحسرة أنني لن أشتريه الآن.

*

كنت في مدينة عمان الأردن، مدعوة للمشاركة في مؤتمر من قبل منتدى الفكر العربي. فاجاني أحد الأصدقاء العاملين في المنتدى حينها بالصحيفة والمقال المنشور، وأعتقد كان بداية تعاوني الطويل مع جريدة الشرق الأوسط حيث كان الاستاذ فاضل السلطاني محرراً للقسم الثقافي، ربما حتى الآن. في إحدى الأيام ذهبت إلى مكتبة تباع الكتب المستعملة بأسعار زهيدة. وجدت الكتاب ينتظرنني هناك. وفرحت بغلافه الأحمر الساطع. اشتريته ووضعته على رف المكتبة.

أول مرة شاركت في القاء الشعر في كندا، كان احتفالاً بعيد المرأة وكانت الخطابات بالعربية والانكليزية والفارسية كلها تطالب بحقوق المرأة في الحرية والكرامة والمساواة الاجتماعية والاقتصادية.

*

تلقتي الكاتبة عبر صفحات هذا الكتاب "التأريخي السيري" بعدد كبير من الناشطات النسويات اللواتي صنعن الحركة الفمnsية في كندا ومازلن يناضلن لتحقيق مكاسب أخرى تخص رعاية الأطفال والحد من العنف والفقر والاضطهاد وتحقيق الأجر المتساوي لقاء الأشغال نفسها لكل من الرجل والمرأة.

كما يؤرخ الكتاب لسيرة نضالاتهن وماتوصلن اليه من منجزات وحتى عام 1995. والمهم من ذلك، الكيفية والوسائل التي تم من خلالها تحقيق هذه المنجزات التي تنعم بها نساء اليوم، والتي لم تكن سهلة اطلاقاً، بل مرت بصراعات واحباطات وعوائق شتى وخاصة فيما يخص موضوعات منع الحمل والإجهاض وظروف العمل التي تفتقر الى الشروط الصحية... الخ.

هذه الحركات التي تبلورت وقامت على يد غالبية يسارية لم تتوقع على نفسها بل التقت مع كافة قطاعات المجتمع، باختلاف توجهاتهم السياسية أو الدينية أو العرقية فسجلت بذلك ارشيفا يمكن دراسته والاقتداء به من قبل نساء العالم اللواتي مازلن يعملن بعزم وصبر على تغيير القوانين الشخصية والمدنية واحلال العدالة والمساواة والكرامة للجميع وبناء مستقبل سليم لكافة ابناء المجتمع مستقبلاً، اذ أن العمل من أجل سلامة المرأة هو نضال يصب في سلامة رجال المجتمع وأطفاله وينقل المجتمع الى الامام بخطوات ثابتة ومدرسة لايمكن أن تتحقق بالفردية المطلقة وبدون التضافر والعمل المشترك.

عبر هذه الصفحات نقع عللا كثير من الأقوال والشهادات التي تكشف لنا الفارق بين جيل وآخر، بين متطلبات الحركة النسوية في جيلها الأول والثاني والجيل الثالث الحالي.

وهذه فقرة من مقدمة الكتاب تقولها احدى السيدات ونلمس من خلالها مقدار التطور الهائل الذي تحقق خلال نصف قرن من الزمن في كندا والعالم :

عندما تخرجت من جامعة (ميغيل) في مونتريال عام 1967 وأردت العمل كصحافية، ذهبت مع زملاني للتقديم للعمل في محطة الراديو المحلي. حين التقاني مدير القناة الاداعية قال " نحن لا نعين نساء في غرفة الأخبار"
قلت مستفسرة: ولماذا؟

فأجاب: " لأن الرجال هنا يشتمون ولن يشعروا بالراحة اذا كانت النساء حاضرات في المحيط"
فأجبت: " أنا لا يهمني اطلاقاً هذا الخراء... " فابعدوني عن العمل، ليس فقط لأنني امرأة، بل وأمرأة وطويلة اللسان أيضاً. فلننظر ونتذكر كم تقدمنا خلال جيل واحد، ولنحاول أن لا نعود الى الوراء اطلاقاً"

لماذا نحن جزء من حركات تحرير المرأة؟

الإجابة على هذا السؤال جاءت في الكتاب بهذه الصورة التفصيلية القاسية التي تكاد تنطبق على نساء الشرق والغرب على حد سواء، مع اختلاف مراحل انجاز هذه الحريات او الحقوق، بعضها أو جزء منها: هذه ترجمتي:

" لأن عمل المرأة لا ينتهي أبداً ولأنه غير مدفوع الأجر، ولأنه ممل، ولأنه تكراري، ولأننا أول من نطرد من الأشغال حين نعمل خارجاً، ولأن ما نظهر عليه يكون أكثر أهمية مما نقدمه كعمل، ولأننا اذا تغرضنا للاغتصاب، فإن ذلك غلظنا نحن ويجب أن نضرب ونعامل بالسوء، واذا ضربنا من المفترض أن نخفي ذلك ونتغاضى عن الفاعل أما اذا رفعنا أصواتنا فذلك لأننا "منحطات" . واذا استمتعنا بالممارسة الجنسية فأنا من صنف المرضى بعشق الجنس، أما اذا أعربنا عن عدم رغبتنا بالجنس فذلك لأننا "باردات" واذا أحببنا امرأة فذلك لأنه لا يوجد رجل " حقيقي" . واذا سألنا الطبيب كثيراً من الأسئلة فهذا لأننا نرثرات، واذا توقعنا أن نحصل على رعاية وحضانة أطفالنا فذلك يعني أننا أنانيات، واذا وقفنا من أجل حقوقنا فهذا يعني أننا " وقحات وتنقصنا الأنوثة" واذا تغاضينا عن هذا فأنا نكون نساء تقليديات وضعيفات. واذا كنا في مرحلة الزواج، فإن خروجنا هو فقط لصيد الرجال، واذا لم نتزوج نكون غير طبيعيات، ولأننا لم نستطع بعد أن نحصل على مانع حمل مناسب. وأما الرجال فأنهم يستطيعون الصعود الى القمر. واذا لم نرغب بذلك أو كانت لدينا الرغبة في الحمل فيجب أن نشعر بالذنب مخافة الاجهاض و...لكل هذا ولأسباب كثيرة كثيرة أخرى نحن جزء من الحركة التحريرية النسوية"

والكتاب قيم ويعج بالأمثلة والشهادات والأحداث الواقعية التي شهدتها النساء اللواتي كن الجزء الفاعل في صنع التغيير وتحقيق الكثير من المكاسب حتى بات الحديث اليوم عن "الافمسنيتة" يواجه بشيء من الاستنكار او الحرج او عدم الوضوح، لأن نساء اليوم في شمال امريكا وبعض بقاع اوربا لا يجدن أي ضرورة لهذا العمل النسوي، لأنهن ينعمن بما حصلت عليه الأجيال الأولى والثانية من الحركة النسوية.

وتسعى الكاتبة جودي ريببيك كما قالت في حديثها أثناء حفل توقيع الكتاب بأنها ما تزال تنصت للنساء الشابات وتأمل منهن حمل الشعلة والسير بها إلى الأمام ذلك أن مستجدات العصر ما تزال تخلق نوعا

جديدا من العلاقات التي لا تخلو من الاستغلال والاعتداء والعنف وتسليع المرأة بالاضافة إلى أن إحدى مهام النساء في هذه المرحلة، هي السعي لتكريس السلام والوقوف ضد الحروب والفقر في جميع بقاع العالم.

*

أما إذا نظرنا الى واقعنا العربي وما تحمل القوانين الشخصية من تخلف وتفرقة جنسية فسنجد أن الطريق ما تزال طويلة وعسيرة، ولا بد من أن نقف فردا وجماعات لصنع ثورتنا الشخصية والعامة. لأجل الخبز والورد الذي قضت من أجله نساء كثيرات.

لماذا العنوان: عشرة آلاف وردة؟!

تقول الناشطة النسوية والباحثة الاجتماعية "جودي ربييك" في مقدمة كتابها، أن اختيار هذا الاسم كعنوان للكتاب جاء تخليدا لمناسبة استثنائية جرت في كيبك/كندا، عام 1995، حيث قامت النساء بالمسير من مونتريال الى كيبك، وذلك من أجل الحد من الفقر، وكان عددهن حوالي ثمانية آلاف امرأة، وحين عبورهن بالقرى والضواحي في كيبك، كان الناس يخرجون الى الشوارع للتحية والمشاركة، وكانت كذلك أجراس الكنائس تفرع تهليلا ومناصرة لهن. كان هناك رجل يملك مزرعة خاصة للعناية بالأزهار، وعندما عبرت المسيرة في جواره في منطقة (درومنفيل) تأثر كثيراً وسحره المشهد فحمل "عشرة الاف وردة" الى مركز مدينة كيبك، وهناك وزعها على الحضور من الرجال والنساء كتحية ومعاضدة.

نشر في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 2006/ 5/4

*

أفكار هذا اليوم:

كانت لي متعة المشاركة كل سنة في هذه المناسبة الخاصة والهامة والتي تذكرنا بالمنجزات التي حققتها الحركة النسوية في كندا وفي العالم، لتذكرنا بأنه ما يزال القسم الكبير من نساء العالم يبرز تحت ضغوط الحرب والفقر والقمع وجميع أشكال الاضطهاد المعنوي والجسدي وبدرجات متفاوتة. يقام الاحتفال كل عام بتنظيم واشراف " النساء العاملات مع النساء المهاجرات" حيث يتم الاجتماع في قاعة كبيرة في داون تاون تورنتو/كندا ، وتلقى الكلمات والخطابات وفقرات موسيقية يشاركها فيها السود والبيض والهنود الحمر ونساء ومنظمات مدنية وعملية من جميع قطاعات المجتمع. وبعدها مسير طويل في شوارع المدينة. ثم يلتقي الجميع في نهاية المسير في ساحة أخرى مكتظة بالكتب واللوحات الفنية وطاولات جمع التواقيع لنصرة قضايا المرأة والإنسان في كل مكان.

تأريخ رمزية شعار الخبز والورد

أصبح الخبز والورد، الصورة والأغنية الرمزية للحركة النسوية العاملة والساعية لتحقيق مطالبها واحتياجاتها الجسدية والروحية، والتي ظهرت كشعار رفعته إحدى النساء المتظاهرات في معامل النسيج، والمضربات عن العمل بسبب سوء الأحوال الصحية في المعمل والتي كانت تؤدي بحياة عدد كبير من النساء في مقتبل أعمارهن. كان ذلك في نيويورك عام 1908، حين تظاهرت أكثر من 15 ألف امرأة عاملة، بعد الحريق الذي وقع في أحد مصانع النسيج ولم يتم إنقاذ النساء العاملات، وتوفيت في ذاك الحادث 128 امرأة عاملة.

تم تلحين هذه الكلمات وغناها بعدة لغات عالمية، حتى أصبحت ما يشبه نشيدا "أممياً" نسبوا ترده نساء العالم في مسيراتهن السنوية يوم العيد العالمي.



رواية النساء المظطهات والمانفيسنو، الحكاية والخيال

بمتابعتي للجوائز الكندية وقوائمها الطويلة والقصيرة والكتب الفائزة، عثرت على هذه الروائية، وحين قرأت بعض رواياتها وجدت ذلك العمق البسيط واللغة الشفيفة، بالإضافة إلى تركيبها على حكايات تعكس صوراً من واقعها العائلي والاجتماعي. ومن بين الكتب التي قرأتها هذه الرواية. وبعد نشر المقال، أصبحت الرواية فيلماً وعرض في كندا لأول مرة عام 2023 فذهبت لحضوره في اليوم الأسبوع الأول للعرض. وكان قريباً جداً من أجواء الرواية كما قرأتها ويحمل الفيلم نفس الاسم. وفي عام 2024 حضرت لقاء مع مخرجة الفيلم سارة بولان" وكانت تديرا حوارا مع شاعرة ورائية كندية في مهرجان تورنتو العالمي للمؤلفين. استمع، أكتب ملاحظات أثناء الحوار عند العودة إلى البيت. أتعلم وربما بالكتابة عنها أنقل معرفة أخرى للقراء العرب في العالم. رواية "نساء تتكلم" للكاتبة الكندية ميريام تيفز اعتبرت حسب صحيفة "نيويورك تايمز" واحدة من أهم مائة رواية كندية 2019. ويذكر أن روايات ميريام تيفز حققت أعلى المبيعات وفازت بجوائز أدبية كندية مرموقة عن رواياتها الخمسة التي نشرت في كندا وأمريكا بعد أن هجرت الصحافة وتفرغت للكتابة الإبداعية المتخيلة.

الرواية كما جاء في مقدمة الكتاب تستمد الحدث الأساسي فيها من قضية اغتصاب حقيقية حصلت بين 2005-2009 في "بوليفيا" في تجمع صغير في مقاطعة "مانيتوبا" حيث تقيم طائفة مسيحية متشددة في التقاليد والطقوس، إذ تعيش عزلتها عن المحيط المتقدم تكنولوجيا والمختلف في وسائل المعيشة والحياة. هذه الجماعة عانت من الاضطهاد تاريخيا وهي منشقة عن البروتستانتية وتدعى "مانونائيتس" ولهم أصول جرمانية.

الكاتبة ميريام تيفز ترجمت في أصولها إلى هذه الطائفة التي لها تواجد في عدة رقع من كندا ولكنها

انشقت بدورها عن الطائفة وتابعت دراستها في مدينة مونتريال وتقيم حاليا مع أمها في مدينة تورنتو. ويذكر أيضا أن حياتها الشخصية كانت مأساوية حيث شهدت انتحار أختها ووالدها هناك بسبب الاكتئاب.

كيف تعالج الرواية حادثة الاغتصاب التي طالت منات من نساء جالية الـ "منونايتس" تكررت حوادث الاغتصاب وانتشرت أنباء في تلك الجالية عن تكرار حدوث شئ غامض وغريب يحدث للنساء والبنات الصغيرات وكبار السن في الليل. يستيقظن مع شعور بالدوخة وآلام وأثار التحرش الجنسي على السرير والثياب الداخلية دون أن يعرفوا ما الذي جرى. كانت النساء تشعر بالخوف والرغبة من الإفصاح أمام الرجال، وحين تكلمن كانوا يعزون ذلك الى تحرشات "الشيطان" واحتلامات المخيلة اللاواقعية.

لماذا لم يقبض أحد على الجناة؟

تبين أن الجناة من الطائفة وكانوا يستخدمون نوعا من المخدرات القوية من مصدر نباتي.. ترش المادة المخدرة على نوافذ البيت الذي سيذهب الجاني إليه مما يؤدي إلى غيبوبة جميع سكان البيت. فيرتكبون فعلتهم ويخرجون دون أثر سوى ممارساتهم البشعة من النساء، وإلى أن حدث مرة واستقبلت الضحية وصرخت واستطاعوا القبض على الفاعل الذي أعلن عن عناصر الجماعة الثمانية الذين كانوا يمارسون هذا الفعل الشنيع مرارا.

رد فعل القبيلة الحقيقي على هذه الجريمة

هذا يستدعي الاحاطة باختصار بمفاهيم هذه الطائفة. الجماعة تقوم على نظام بطيريكي متسلط وذكوري يضع المرأة في الدرجة الأدنى. يقتصر عمل النساء على الأعمال المنزلية والعناية بالحيوانات الأليفة وبالأولاد وتلقينهم الديانة والتقاليد. النساء لا يتعلمن القراءة والكتابة. النساء يتكلمن لغة شبه منقرضة وغير مكتوبة. الرجال في هذه الطائفة يقومون بالعمل في الزراعة وتبادل المنتجات الزراعية مع السوق المجاورة. هذه الجاليات تخضع لحكم ذاتي مستقل مدنيا وقانونيا عن المحيط العام. وبحكم التطرف الديني لم يسمح للنساء بالشكوى الى الشرطة في القضاء المجاور. بل طلب من النساء أن تغض النظر عن الحدث و"تسامح" الفاعلين لأن هذا من صلب المفهوم الديني المسيحي كما يعتقدون. لكن الموضوع تسرب وتدخلت الشرطة أخيراً وأخذ الجناة إلى السجن في بوليفيا والمحاكمة الجنائية.

ورغم ذل الرجال يلومون النساء ويذهبون للسعي لإطلاق سراح الجناة من السجن وإعادتهم إلى حضن القبيلة تحت ذريعة المسامحة الدينية ومعالجة القضية حسب تقاليد طائفة المينونايتس.

رد فعل النساء في الطائفة

عدد من النساء رفضن الإدلاء بأقوال حول الموضوع بسبب الشعور بالعار والخوف والتربية المتزمتة. ولكن ثمانية نساء من جيل الصغار بالعمر والشابات وكبار السن تمردن ولم ينكرن ما حصل لهن وستنكرن الظلم والظلمين بطريق عادل كي لا يتكرر حدوث هذا لهن ولبناتهن ثانية. قررت النسوة عقد اجتماع بينهن لمناقشة المصير والخطوات التالية وذلك حين تغيب رجال القبيلة جميعا لمدة يومين في مهمة إخلاء سبيل المجرمين سجن المحافظة. ومن هنا تبدأ الرواية حيث تتخيل الكاتبة ما حصل بين النساء من حوار في علية فوق اسطبل أحد البيوت.

وضعت أمام النساء ثلاث خيارات هي التالي: 1- ألا يعلن شينا وتستمر الحياة كأن شينا لم يحصل. 2- أن يغادرن القبيلة ويتركن العار والمحاكمة خلفهن ويبدأن الحياة من مكان لا صلة له بما حدث. 3- أن يبقين في القرية ويقاتلن من أجل حقوقهن. هذا مع العلم أن النساء يعشن في عزلة تامة عن الخارج، لا يعرفن القراءة والكتابة، ليس لديهن احتكاك مع العالم المتمدن والمختلف كليا. ولكن كيف سيتم الاتفاق بين النساء الثمانية حول القرار في غضون يومين وقبل عودة رجال الجالية إلى القرية مع مرتكبي الاغتصاب؟

من هو " أوغست" ولماذا لم يذهب مع الرجال الى المدينة؟

أوغست اسم الراوي الذي يسرد ويكتب محضر جلسات النساء بخصوص الوصول إلى قرار. وهو معلم القرية الذي كان قد اضطهد مع والديه الذين طردوا من القبيلة وذهبوا للعيش في انكلترا حيث اكتسب هناك تعليمه وثقافته. ثم عاد الى مسقط رأسه شابا وأوكل إليه تدريس الأولاد. كان مضطهدا من قبل رجال الجالية ولم يأخذه معهم لأنه أقل قدرا من أن يكون رجلا مساويا لهم وهذا ما وضعه على مقربة من الانتحار في ذلك الحين.

انتبهت "أونا" إحدى السيدات المغتصابات الى حاله وتعاطفت معه وطلبت منه أن يحضر الجلسات ويدون ما كلام النساء. يقبل اوغست المهمة. وتأتي الرواية كاملة من خلال تدوينه للمشادات الكلامية والتعاضد والسخرية والاستهجان الذي كان يحصل بين النساء إلى أن وصلن إلى "مانفيسستو" وقرار من ضمن الخيارات الثلاثة التي طرحت سابقا. ولن أذكر القرار كي لا أفسد متعة العودة الى الرواية لما فيها من تشويق قصصي بارع، ودقة في وصف الخارج مع الغوص في العالم الوجداني النفسي للنساء المقموعات. كل ذلك مع مراعاة عدم تجريح مشاعر أتباع هذه الديانة وطقوسها التي تعتبر من طقوس العصور الوسطى والتي لم تحتلها الكاتبة- ميريام تيفز وهربت منها.

مانفيسـتو النساء المغتـصبات

محضر الجلسات هو صلب الرواية المكتب على لسان "أوغست" في 216 صفحة وهو يترجم كلام النساء من لغتهن الخاصة المحكية ليكتبه بالانكليزية. وعلى هوامش الحديث كان يدون انطباعاته الخاصة حول الموع ومنها تعلقه العاطفي بالمرأة "أونا" التي أوكلت إليه المهمة رغم أنها تعلم أن لا أحد من النساء يجيد القراءة .

توصلت النساء في النهاية إلى قائمة من القرارات المتفق عليها وهي ما أطلق عليه الكاتب: المانفيسـتو الذي بدأ بتنفيذه واتخاذ الخطوات الأولى نحو مستقبل مختلف. باختصار، براعة القصة التي بين أيدينا تأتي من قوة التخييل وحبكة الحوار الذي لا يخلو من فكاهاة ومواجه تستمددا الكاتبة من صنيعة المعرفة كروائية مهمة في كندا، وأيضا من ارتباط جذورها العائلية إلى طائفة "مينونايتس" حيث عاشت طفولتها ومراهقتها قبل أن تنفـتـل إلى مدينة تورنتو- الخليط الثقافي المتعدد الأثنيات.

Book Title: Women Talking

Author: Miriam Toews

نشر في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية عام 2022

أفكار هذا اليوم:

ثقافة التلصص: أعتقد أن الشعب العربي يحب التلصص. رجال كثيرون نشأوا على استراق النظر إلى كاحل امرأة، وإلى شعرة من جبينها. وكان هناك التلصص على الجارة وبنت الجيران وتزداد هذه الحركات شدة كلما ازداد التعصب في الخلية الاجتماعية والدينية التي ينتمي إليها العربي. واستطيع أن أسرد الكثير في حقل التلصص على الآخر. يسمى في حقل الإبداع "التناص" وهناك سرقات أدبية جمهورية. والأدب عادة يقول للمتـلـصـص، تعال هنا كشف المستور....

وهناك على الجانب الآخر من التلصص، الخوف من استكشاف أمر المتلصص. يعيش جيل كامل وهو "يخاف" ويخشى ويحذر أن يتم الكشف عن حقيقة سيرته الذاتية الشخصية. القمع الهرمي والفراغ والإملاءات الخارجية تلعب دورها في حياة الفرد، في الأدب، في الشارع، في العمل المهني، في العلاقات المسروقة. والمقارنة مع هذه البلاد، ممكنة وجائرة أحيانا. في مثل هذه الرواية هناك واقع نسوي مقموع، وهناك كاتبة تجرأت على قطع صلاتها بمجتمعها كي تستطيع أن تكتب وتعبر عن رأيها خارج التيار والقبيلة المحافظة.

الذكاء الاصطناعي والمعجم الإنساني وصولاً إلى نوبل

كي تكتب ما يؤثر على الآخر ويشد انتباهه يجب أن تولي اهتماماً لمشاعرك قبل الكتابة وأثناء وعند تنقيح الكتابة. الشعور فعل إنساني بالدرجة الأولى وهو ما يميز البشر عن باقي الكائنات وهو ما يدل على إبداع ينتجه البشر وليس الآلة التي تقلد. هذا يقتضي الصدق وعدم الخوف من رفع عتبة المحرمات المشرقية.

*

الذكاء الاصطناعي لن يحل لك إشكالية ما يجب تدوينه انطلاقاً من فكرك وشعورك ورسالتك الخاصة عبر مشروعك الفني والإبداعي في أي حقل من حقول العمل والعلاقات والتسويق.

*

الذكاء التكنولوجي لا يبدع فكراً وأدباً بل يكرر ما قاله الآخرون بصيغة أو بأخرى . نعم، سوف يتقدم علمياً ويخترع حلول للمشاكل والتقنيات بلا رادع أخلاقي أو إنساني من قبل الآلات، والذين يصبحون عبداً للآلة بعد أن كانوا سادتها.

*

كنت أتكلم مع امرأة شابة تدرس علمياً الذكاء الاصطناعي والبيزنس في جامعات الغرب فقالت: إنها مصابة بالصدمة والخوف من هذا الحقل، كلما اكتشفت أكاديمياً إلى أين قد يتجه بنا هذا العالم التكنولوجي من الناحية الأخلاقية والإنسانية.

*

الترويج لعبقرية الآلة التكنولوجية والروبوت الذكي، مرحلة خطيرة نحو تجريد الإنسان من خصوصيته الوحيدة المفارقة لكل الأجناس الحية في الطبيعة والتي هي: الوعي والشعور

*

ماذا يبقى للإنسانية حين يكتب الكمبيوتر الذكي بدلا عنك وعني؟! حدث هذا العام 2024، أن دعيت للترجمة لطالبة ووالدها الناطق بالعربية. كانت إدارة المدرسة تتهمها باستخدام الذكاء الاصطناعي في كتابة(الوظيفة) أو البحث المطلوب لعبور الامتحانات. ووفق مقارنات لمراحل تحضير البحث في المرحلة الثانوية، تبين لهم أن الطالبة تغش عبر تقنية الذكاء الاصطناعي وتم تنبيهها.

الطالبة لم تكن بحاجة لمساعدتي في الترجمة لأن لغتها جيدة، ولكن الأب كان بحاجة لفهم ماذا حدث في المدرسة، من خلال صوت حيادي- صوت المترجمة- وليس فقط لصوت الطالبة التي تدعي النظم أمام أسرتها والآخرين، بسبب التفرقة العنصرية ضدها وضد البنات من قوميتها العربية والإسلامية.

هل دخلنا العصر التطبيقي لحيونة الإنسان والآلة، ولن أقول حيونة الإنسان وأنسنة الآلة! أنا مع مسألة: كي تعرف عدوك، يجب أن تعرف لغته. وفي هذه الحالة يجب علينا أن نعرف لغة هذه الآلة ولكن قدراتنا محدودة ونحن نركض من أجل لقمة العيش. نحن عبيد الأنظمة الرأسمالية والايديولوجيات المتناحرة من أجل السلطة.

*

ما مستقبل القيم الإنسانية؟

هل سيستعير الذكاء الاصطناعي عاطفتي وعقلانيتي ليعيد كتابتي بطريقة أخرى، أم ستنقرض مفردات من شاكلة: التعاطف البشري، الذكاء العاطفي والاجتماعي التي بحث فيها الدكتور الباحث في العلوم الاجتماعية والنفسية" ديفيد غولمان"؟ على سبيل المثال. كانت كتبه تدرس في المنهاج الجامعي الكندي، فهل ستحل أدبيات الذكاء الاصطناعي، محل كل شيء آخر؟ أعتقد، ستتغير فلسفة الأجيال القادمة فيما يخص القاموسي اللغوي اليومي الذي يتعلق بالعلاقات بين الأفراد والمؤسسات والدول ليصبح كل شيء خاضع لمنطق الآلة والمادة. طبعاً، هناك شريحة كبيرة دخلت هذا المنطق وتعيشه تماماً، ولكن ما يزال بعضنا على الحافة يحلم.

ثانياً، جيل مستخدمي الكمبيوتر الذكي سيلغي أخلاقيات وقيم ما قبله من أجيال لم تستخدم التكنولوجيا. هذا الجهاز الذي بين أيدينا لا يعرف تاريخ أجدادنا الشفاهي ولا حكايات النساء الصامات ولا العمال المقهورين الخائفين من التسول مستقبلاً إذا أخذ (الروبوت) مكانهم في أشغالهم وأقبلوا عن العمل.

ماذا سيحل بالمنطقة العربية بعد الذكاء الاصطناعي وهي أمة ما تزال تتسوق الثياب والعطور والسيارات الفاخرة والكمبيوتر وال سلاح الحربي والأجهزة الذكية من العالم الآخر- الغربي الذي يصنع الشيفرة ويحللها ويتحكم بالسوق عبرها.

نشر في الحوار المتمدن، 14 / 4/2024

كلمة اليوم:

فوز العلماء بجائزة نوبل 2024 . لقد منحت جائزة نوبل للباحثين البريطاني-الكندي جون هوبفيلد والأمريكي جيفري هينتون لأبحاثهما في مجال «التعلم الآلي» المستخدم في تطوير الذكاء الاصطناعي، ما يعني تدريب أجهزة الحاسوب من خلال شبكات عصبية اصطناعية. أي مستقبل ينتظرنا، وهل ستتفوق الآلة على الإنسان وتصبح القيم سلعة كاسدة والأخ الأكبر المنتصر هو رأس المال الجشع!





أفكار على سياج الرأسمالية العالمية

ليس العنف الوجه الآخر للاختلاف. العنف وجه من وجوه البصيرة العمياء والكرهية.

*

الفنون تهذب الروح والنفس وتحض على التفكير بطريقة إنسانية وبأدوات الفن. أما الطغاة شرقاً وغرباً فلا لغة لديهم سوى العنف بكل الصور.

ماذا لو أصبح الفنان والمتقف الحر صاحب سلطة، هل سيصبح طاغية آخر بحكم المنصب، أم سيخلق روحاً فنية إنسانية في إدارة إدارة الحكم؟!

*

الدين ورقة رابحة في حرق الشعوب عند افتعال المعارك. أما السلطات الدينية والمدنية، الرأسمالية والجاهلية في ثوب المدنية، فهي عبد لقوة رأسمال المال الذي لا دين له سوى التسلط والنهب وسحق الشعوب. وتلك السلطات تغير واجهة عملها حسب المصلحة والمرحلة وتستخدم ورقة الدين لأنها عاطفية وجامعة للتيار العام. ومن شذ عن القاعدة يرجم بالكلام والفعل.

*

حين لعبوا بأوراق الطائفية والدين جعلوا سوريا محرقة ومقتلة ودمارا مايزال عيانا إلى الآن. وهذا ينطبق على ما حدث في العراق، ودول أخرى من هذا الشرق المنكوب كالعراق والآن فلسطين.

*

خريف 2023 دموي يعري العالم والبشرية. خريف يبكي على قتلاه حين صارت أرواح البشر مجانية وقرابين على مسرح العنف الدولي. خريف سبقه زلزال والفيضانات والحروب الصغيرة المتفرقة والكبيرة التي صارت خبرا عاديا.

أوراق العالم خاسرة ومكشوفة والتسويات الكبرى خلف الكواليس.
وحده الإنسان أعزل كقدر سوري أو فلسطيني وجد نفسه في عين العاصفة، أو في فوهة
البندقية وقبضة الظالم.

*

قيل: اختر معركتك. وحين تقدم على الاختيار يجب أن تتقن أصول اللعبة القذرة والحرب. وهناك
كتاب لكاتب صيني بعنوان: فن الحرب.
وأقول إذا كان لا بد من الحرب، فلتكن لها أخلاق الحروب السارية على الجميع.
ولكن هل يمكنك أن تكون أخلاقيا في الحرب وقبل وبعد!
لا شك أن العقيدة الدينية والايديولوجية الفردية هي التي ستحكم وتشهد.

*

وقال "لا طريق إلى السلام، السلام هو الطريق" المهاتما غندي
لكن الفقراء لم يختاروا الطريق الأقرب إلى احتياجاتهم الصغيرة، بل ذهبوا ضحايا، خسارات
متراكمة في خيارات الآخرين وأصابير التاريخ الصفراء .
السوري اليوم، يجوع في بيته وتحاصره عيون الرقيب إذا قال أنا ميت على قيد الحياة.
الفلسطيني يموت أمام الكاميرا وتحت الأنقاض بلا ذنب سوى أنه ولد في تلك الرقعة الجغرافية
التي تنازعتها الأديان التوحيدية الثلاثة وأنهكتها بالحروب على مدى القرون.
أين أرض معركتهم-هم قادة الحروب المستترين النانمين في بيوت وثيرة ومواقع آمنة؟
هم... هؤلاء الذين يشعلون الحروب ولا يعرفون كيف ستنطفئ. ولا يهمهم كيف. وإلى أن تصبح
الحرب عادة يومية. انظر قليلا... ترى الشعب السوداني يقتل على دفعات. الشعب اليمني يقتل
كل يوم بيد الطوائف والجهلة، وتستمر السلسلة المريعة من فلم اللاعذالة.

*

يسقط جميع الطغاة من المحيط الى الخليج ومن الشرق الى الغرب . ومن كل جهات الارض
وصولا الى طغاة الكواكب الأخرى الذين لديهم صحن طائرة ومعدات مخيفة.
البشر يستحقون الفرح والكرامة.
الكرامة قيمة عليا وقتلها يصاحب موت البشرية .

*

فيلم العنف القبيح: حين يكون الذين يتعاركون في الفضاء ويدمرون العالم، هم أنفسهم الذين
يتعانقون خلف الكواليس وهم يدونون احصائيات القتلى، وأثار الدمار الشامل.

فيلم مكرر والفرق بين بلد وآخر أن الضحايا في كل مرة مختلفون وأبرياء حتى وإن قالوا في حضرة الموت هذا ما أردناه فداء للمعتقد والمقدس.

*

مسرح هزيل، عالم بذيئ
الأول: تكلم، قل رأيك كي أعرف في خندق أنت.
الثاني: لا لغة مشتركة بيننا لذلك أراهن على الصمت إلى أن أفهم الفيلم
الأول: افتح فمك كي أقطع لسانك إذا اختلفنا.
الثاني: هل تعلم لماذا تعوي الكلاب حين يصير القمر بدرًا
الأول: إذا أنت تفكر بالقمر ولغة الكلاب، الآن ونحن في حرب. لا شك أنك تستحق القتل قبل أن يكمل القمر دورته الشهرية.

*

تواريخ وعدوان هذا القرن: كان يا ما كان... كان هنا عرب يطالبون امريكا بقصف سوريا
وبقصف العراق من أجل تحرير البلد من العدوان الداخلي والاستلاب الداخلي للشعب وللبلاد.
خرجت أكثر من مرة في مظاهرات ضد الحرب.
فيما كانت السيدة سين العربية ترفض أن تخرج إلى العلن، حيث قد تقيد صورتها في الكاميرا
الخفية وفضلت أن تذهب للعب القمار للترفيه عن النفس. فالمرحلة مقبلة والكل يعاني نفسيا
ويحتاج الى تنفيس.

...

قيل: اوقفوا الحرب القادمة ، الآن.
لدي كتابات تؤرخ صورا من هذا الواقع منشورة في كتابي (المحبرة أنثى)
الذي تعلمته من حوار "بيرس مورغان وباسم يوسف" بعد 7 اكتوبر وحرب حماس واسرائيل،
إننا نستطيع تقاسم الخبز والزيت والزعتر حتى وإن اختلفنا في الرأي وإلى الحد الأقصى.

...

هناك مظاهرات في كل مكان
حتى الصامت في رأسه ألف حكاية ومحكمة.

*

لا تحتاج اليوم أن تصبح مكارثيا أكثر من جوزف مكارثي نفسه وتخوين الآخرين الذين لا يتفقون

معك. لقد اتهم بالخيانة والرشوة في آخر عمره ومات أسير العزلة والإدمان. افعل ما تراه مناسباً
وبشكل سلمي بالدرجة الأولى والأخيرة، إذا كنت تحسب نفسك في عداد المفكرين والمتقنين الذين
يبحثون عن عالم أكثر رحمة وكرامة للجميع.
نشر في موقع الحوار المتمدن نوفمبر 2023



هل يحدث في الشرق الانتقال السلمي للسلطات

مرة سمعت أن بإمكان أي شخص أن يذهب للعمل يوم الانتخابات الرسمية في كندا كي يساعد في إدارة كل ما يلزم من إجراءات كي يتم الاقتراع كما هو معروف بسرية تامة. ذهبت وقدمت طلباً وتم التحقق من هويتي، وتم تدريبنا في ورشة عمل قصيرة لمعرفة ماذا يترتب على كل شي بالتفصيل خلال ساعات الاقتراع.

ذهبت إلى المركز المخصص لي للعمل مع عدد من الكنديين. ولأن اللغة الرسمية هي الانكليزية والفرنسية، فكان علينا أن نحكي كل مواطن قادم للاقتراع بكلمة (هلو & بونجور). ولا يمكنني شرح تلك التجربة في سطور. كل شيء كان يحدث في رأسي وأنا ابتسم وأقوم بما يجب، كمواطنة كندية صالحة سوف تستلم حوالة لقاء ساعات العمل. نحن الذين في الغرب، أعتقد لا نستطيع إلا أن نجري مقاربات بين العالم هنا والذي هناك حتى لو كان ذلك بمنتهى الصمت.

*

تعاقبت الحكومات الكندية على استلام مقعد الحكم 23- مرة. بين الحاكم الليبرالي والمحافظ. وشهدت بنفسها حقبة انتقال السلطة من حزب المحافظين بقيادة ستيفن هابر المحافظ إلى الحكم بين عامي (2006-2015) وحين سقطت حكومته، استلم السلطة، الحزب الليبرالي بقيادة "جستن ترودو" الذي ما يزال في منصبه - رئيس وزراء كندا

*

مقاربات بين الشرق والغرب وآلية انتقال السلطات في هذا العصر- القرن 21
كيف سقطت حكومة ستيفن هابرير عام 2006؟
حدث السقوط أو التغيير دون إراقة دماء. دون مخططات إرهابية وأياد دخيلة. دون قمع المواطنين

المتظاهرين والخائفين من المشاركة في الاعتراض على ممارسات السلطة ضد الشعب. ودون الإفراط في إطلاق الدموع والرصاص استنكاراً أو ابتهاجاً. دون اعتقالات دون تكسير بيوت المسيحين وحرق الكنائس، وترهيب الأفراد من الطائفة الأخرى، أو اغتصاب نساء وبيعهن، وسحل أفراد من الشعب في الشوارع.

دون اعتصامات ورفع أعلام وشعارات مع وضد...دون أي شعار يقول: الشعب يريد إسقاط النظام.

دون تدخل امريكي وتأزر حلف الناتو والأمم المتحدة واستخدام حق الفيتو في النقض. ودون أن يتغير إيقاع الشارع الكندي على الإطلاق. تابعت السيدات المشي مع الكلاب لقضاء الحاجة، وتابعت الطريق إلى العمل مثل ملايين من الكنديين في أونتاريو، وكندا. ودون أن يتغير لون الثلج، ودرجة الحرارة. دون اتهامات بالطائفية. دون صفحات جديدة على الفسبوك -مدعومة بتمويل أجنبي أو عربي- تدعو لنصرة أو للوقوف ضد هذا وذاك.

وفيما كنت منغمسة في عملي اليومي، في نهاية النهار ذهبت لاشتري اللحوم والخضار والشموع العطرية.

*

قرأت الأخبار...لقد تمت إقالة الحكومة الكندية عبر التصويت البرلماني. لقد سقطت حكومة رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر المحافظة بعد تمرير تصويت بحجب الثقة عنها في البرلمان وأجري الاقتراع بطلب من الحزب الليبرالي المعارض وبتأييد من قبل اثنين من أحزاب المعارضة الأخرى. وجاء الاقتراع بعد أن صدر حكم يوم الاثنين يقضي بأمر الإقالة. لماذا؟

السبب الأول: عدم شفافية الحكومة في الكشف عن ميزانة البلد. ولأن حكومة هاربر، صرفت مبالغ كبيرة على شراء طائرات حربية، على حساب قطاعات خدماتية تعنى بأمن البلد واحوال السجون.

وأذكر أن حكومة المحافظين تلك كانت تدير شؤون البلاد، حتى عام 2015 الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة الأربعة، بدأت بالترويج لبرنامجها في إطار حملة انتخابية منافسة يتبادل خلالها المتنافسون، الاتهامات والسخرية وبيع الكلام إلى أن يأتي يوم الحسم عبر انتخابات نزيهة ولا يستبعد ان تعود الحكومة نفسها الى استلام السلطة من جديد، إذا حصلت على ما يكفي من الأصوات.

أما في الجانب الشرق اوسطي العربي، فالحاكم أزلني. فهو هكذا خلق كي يحكم إلى الأبد. وكي

يكون سيد العرش إلى الأبد. ولن يتنحى حتى يعطي المبررات المناسبة لدخول القوات الأجنبية بحجة دعم المواطن المسحوق وتحرير البلاد وتصدير الديمقراطية للشعب المنكوب.

*

السلطة واللاعنف

جميل أن هناك حكومات تسقط أو تتنحى بكل هيبتها دون أن تجعل الثلج متسخا بالدم، وتدمر الشوارع والأبنية وتسحق كل مختلف. ودون أن تغص السجون بالمعتقلين والمعتقات. دون أن تهرب ثروات البلاد الى الخارج وإلى البنوك الدولية الأجنبية. إذا عدت إلى الحالة السورية ومشاهداتي لبعض صور شعراء وكتاب سوريين حول العالم، رأيت صورا لهم يحملون السلاح في زيارة طارئة- عاجلة وغير مناسبة- لمناطق الاقتتال فقط لأخذ صورة في مناطق حدودية بين سوريا كندا. وفي تلك الصورة للشاعرة سين والشاعر عين... تأكيد للمسيرة العنفية في أحداث الانقلاب. وتبين خلال السنوات أن ذلك العنف أجهز للأسف على قطاعات كبيرة من الشعب السوري، ليس إلا.

هل النضال اللاعنفي، ممكن؟

فلسفيا وأدبيا، ممكن وهناك من يناصره مثل المفكرة الألمانية جوديث بتلر، وليس حصرا. ويناصره الكثيرون ممن لا يقرأون ويكتبون، ولكنه يخالف فلسفة شركات تجارة السلاح في العالم، وهؤلاء قوة خارقة تتفوق على الفلسفة والشعر والكلمة.

نشر في الحوار المتمدن 28 مارس 2024





لماذا خانت أليس مونرو ميثاق الأمومة وابنتها القاصر... فضيحة ما بعد وفاة الأم

الشهرة الأدبية والخيانة وتناقض الكاتب مع رسالته

هل كانت صاحبة نوبل في الأدب الكاتبة الكندية أليس مونرو خائفة من أن تنتهك صورتها الشخصية أمام القراء وهي حية فخانت ابنتها؟ وهل كان محتملاً أن تخسر جمهورها العريض في كندا والعالم وتنخفض المبيعات والدعوات والجوائز فأثرت الصمت بخصوص قضية التعدي الجنسي على ابنتها الصغيرة من قبل زوجها الثاني؟ وهي التي حذفت تلك الواقعة من كتاب سيرتها البيوغرافية التي يعرفها كاتب سيرتها والناشر وأفراد الأسرة. وقرأت في مصادر كندية أن ثروتها وأملكها من الجوائز ومبيعات الكتب والحوارات تقدر بـ 20 مليون دولار كندي. أسأل: من هو الأهم، سلامة البنات والأولاد أم الثروة والشهرة أم الخوف من العار الاجتماعي؟! وهذا يطرح أمامي تداعيات كثيرة عن الجانب الأخلاقي لرسالة الكاتبة أو أي كاتب في العالم، وإلى أي مدى يمكن الفصل بين رسالة الكاتب وسلوكه على أرض الواقع؟ إذ كيف يمكن أن تتحدث كاتبة عن العدالة والإنسانية وحقوق المرأة في امتلاك جسدها وفي الآن ذاته تُغمض عينيها وقلبها عن معاناة ابنتها التي من لحمها ودمها وتفضل حماية المعتدي (الزوج الثاني-وليس الأب البيولوجي) على جسد ابنتها الصغيرة البالغة 9 سنوات؟ فهل هي الأنانية، وهل هي الازدواجية الفكرية والمصلحة الشخصية؟ بل تقودني للسؤال: هل كل الأمهات حاضنات للبنات بحب وبلا قيد وشرط؟! قراء من العالم العربي وقرأوا شينا لكاتبة كندا الوحيدة التي حازت على جائزة نوبل للآداب عام 2013، القاصة الشهيرة أليس مونرو، والتي توفيت في مايو 2024. وكان الاحتفاء بذكرها ومآثرها الأبداعية يفوق الوصف في كندا ككندية إلى أن فجرت ابنتها قنبلة أطاحت بتلك الصورة النقية لكاتبة تناولت حكايات النساء والفتيات والخانات وتفاصيل المنطقة الجغرافية التي كانت تقيم

فيها في اونتاريو كندا لفترة من الزمن. ماذا حصل ولماذا؟
الفتاة أندريا سكينر مونرو تتعرض للتعدي الجنسي عدة مرات من قبل زوج أمها
البنات الصغرى لآليس مونرو. أخبرت الصحافة الكندية بسرهما ومعاناتها موقفها من والدتها
ومقاطعتها لها بعد شهرين من وفاتها عبر رسالي إلى صحيفة "تورنتو ستار" الكندية وعبر
تسجيل فيديو وثائقي سجلته أختها الأخرى. محتوى التسجيل يشرح الأثر النفسي والكآبة
والعصاب الذي حل بالضحية الابنة (أندريا سكينر/عمرها 49) الذي تركه عليها حادث التحرش
الجنسي الذي تعرضت له الابنة حين كان عمرها 9 سنوات عام 1976، وحين كانت قادمة لزيارة
والدتها.

سيرة عائلية وقفزة من الفقر إلى ثروة تقدر ب 20 مليون دولار
في حوار مع آليس مونرو جاء التالي: الزوج الأول تعرفت عليه في السنة الأولى في الجامعة
حين كانت في المكتبة وكان الشاب هناك ومعه شوكولاتا، وقعت حبة من يده فالتقطها ولم
يأكلها. كانت مونرو جالسة هناك فأخذت الشوكولاته كما اعترفت للمذيعة (صوت وصورة) بأنها
كانت جائعة ولم تكن تملك ما يكفي لسد الرمق في تلك الفترة. وتطور الحديث بينها وبين زميل
الدراسة، وبعدها حصل الزواج وأنجبت معه أربعة بنات توفيت واحدة منهن بعد الولادة.
تزوجت اليس مونرو ثانية وعاشت مع زوجها الثاني وهو فنان كندي وشاعر وأكاديمي إلى أن
توفي 2013. عاشت معها في نفس البيت ابنتاها (شيل وجيني)، بينما ذهبت الأخرى (أندريا
سكينر) للعيش مع والدها في فانكوفر، وكانت تزور بيت أمها إلى أن حصل الاعتداء الجنسي من
قبل الزوج الثاني للكاتبة حين كانت خارج البيت.

أخبرت الابنة (أندريا سكينر) والدتها عن التحرش الجنسي حين كانت 25 سنة، ولم تفعل
الأم شيئاً بل وأعلنت حياديتها وبقيت مساندة لزوجها. بل أحالت القصة إلى خيانة البنت لها
واعتبرت ان تلك علاقة بين البنت وزوج الأم وهي لا علاقة لها بالأمر. -كما جاء في مقال الابنة-
كانت الأسرة والأخوات على علم بهذا السر وتم التكتم عليه رغم أنه أدى إلى مقاطعة البنت لأمها
حتى موتها. تقول أندريا سكينر، بأنها أرادت أخيراً أن تضع قصتها تحت الأضواء الآن كي ترتبط
بسيرة والدتها الشهيرة وهي بذلك تحث البنات على عدم الصمت في مثل هذه الحالات. شرحت
في الفيديو معاناتها النفسية بعد حصول التعدي.

لماذا لم تتكلم الابنة عن مأساتها قبل رحيل آليس مونرو

كما ورد في الصحف الكندية كان هناك محاولات من قبل البنت لإيصال الخبر إلى الصحافة الكندية ولكن لا أحد اهتم بالأمر وأخذ على محمل الجد إلى أن رحلت مونرو وذلك لشهرتها الباهرة. وكل هذه التفاصيل كانت ستبقى محض شكوى ونكران لولا التحقق من أن الابنة تقدمت بشكوى للبوليس وتم التحقيق من الأمر في محاكم في أونتاريو واعترف زوج الأم بالذنب (في 11 مارس 2005 كما جاء في الصحف) وأدين قضائياً بالبقاء تحت المراقبة القانونية لمدة عامين، وكان عمره حينها 80 سنة، وتوفي بعد ذلك ب 8 سنوات. الذي استغربته الصحافة في انكلترا وكندا، كيف تم إخفاء الملف القضائي عن الأضواء.

الخدلان واستيلاء القراء من الخبر وتبعات القصة الصاعقة

كان هناك صدمة ودهشة بالإضافة إلى الشعور بالاستيلاء العام من كون الكاتبة لم تأخذ موقفاً قوياً معنوياً يناصر ابنتها رغم ثبات التهمة على زوجها قضائياً ومن خلال رسائل بخط يده كان قد أرسلها حين اشكت الابنة لوالديها وتم تقديم تلك الرسائل الى البوليس، وجاء فيها أنه كان يهدد البنت بالقتل إذا فضحت أمره إلى البوليس. وجود ملف قضائي بهذا الموضوع في سجلات المحكمة الكندية ينفي الشك فيما إذا كانت البنت تدعي شيئا لم يحصل بعد وفاة المؤلفة.

جامعة ويسترن الكندية في أونتاريو تتخلى عن دعم منحة أدبية باسم مونرو كانت مونرو طالبة عام 1949 وبعد فوزها بنوبل للأدب خصصت إدارة الجامعة كرسيًا ومنحة دورية باسم تكريمية لطلاب من الجامعة لتشجيعهم على تطوير مهارات الكتابة والتعليم الأكاديمي. وإثر الخبر طالبت بعض الجهات بإزالة هذا الكرسي وتم ذلك فعلاً. ويذكر أن أليس مونرو ولدت وعاشت في مدينة (وينغهام-أونتاريو). وقامت بعض المكتبات العامة والخاصة بسحب البوستر والصورة الكبيرة للكاتبة من الواجهات.

الكاتبة التي تحدثت كثيرا في قصصها عن الخيانات وعن حياة البنات والنساء خانت في البداية والنهاية رسالتها كأم وكاتبة لها أثر في التاريخ الأدبي والحضارة العالمية. ولا شك أن مثل هذه القصص تحدث في كواليس بعض الأسر في الشرق والغرب، وهناك يتم تعنيف الضحية بدلاً من مناصرتها ومحاسبة الجاني. وتبقى رسالة الأديب في هذا العالم أن يكون عادلاً وإنسانياً في حياته كما في كتاباته، وإلا فقدنا العدل وعم الخراب الذي يأتي على يد الطغاة وسماسرة الكتب والسلاح والفلسفات التي تركز العنف والاضطهاد الجنسي والقومي والديني.

كانت أليس مونرو قد طلبت من ابنتها (شيللا مونرو) كتابة سيرتها الذاتية لكن الابنة لم تتحمس للأمر، ولاحقاً أصدرت كتاباً على شكل مذكرات ومحطات تتكلم فيه عن العيش مع أليس مونرو.

وصدر منذ عدة أعوام. وهذه سيرة تحتاج الى إعادة كتابة على ضوء العنف المضاعف الذي وقع على الإبنة. ذهبت الى طلب الكتاب للاستعارة من المكتبة العامة في تورنتو، كان هناك قائمة طويلة من القراء الكنديين الذين يريدون العودة والنش في سيرة الكاتبة التي خذلت ثقتهم وخسرت مكانتها العالية في قلوبهم. يبدو أن كل فضيحة حول كاتب أو كاتبة تزيد من إقبال القراء على معرفة تفاصيل أكثر وقراءة الكتاب على ضوء المستجدات.

29 سبتمبر 2024





الفصل الرابع

أيقونات الفكر والأدب العالمي

المفكر الإيطالي الروائي امبرتو إيكو في تورنتو

كان لي متعة اللقاء بالكاتب الروائي العالمي الايطالي عام 2005 في مهرجان أدبي في تورنتو كندا "امبرتو إيكو" الذي رحل عن عمر 85 سنة. هنا مقتطف من مقالة كتبها عام 2005. ضمن سلسلة قراءات ومهرجانات عالمية في الشعر والرواية ومختلف الإصدارات الثقافية الحديثة، احتفت تورنتو بحضور الكاتب الإيطالي المعروف أمبرتو إيكو في قراءة وتوقيع لكتابه الأخير الصادر عام 2004 بعنوان: اللهب الغامض للملكة لاونا. المكان: هربفرونت سنتر، أحد المجمعات الكبيرة المفتوحة للثقافات العالمية على مدار العام. التاريخ: 22 حزيران 2005. كان حضور القراء والمهتمين أكبر بكثير من إمكانية الصالة على استيعاب العدد. بيعت البطاقات المخصصة للأمسية وقسم كبير من المنتظرين على شباك التذاكر، انصرفوا خائبين...تنوع القراء مابين جيل الشاب وحتى المسنين جداً. كانت مبيعات الكتب الجديدة والقديمة للكاتب امبرتو إيكو، فوق العادة. بعد الأمسية قام الروائي بتوقيع الكتب الذي أخذ وقتاً لا بأس به. كان يحمل السيجار بين شفتيه أثناء توقيع الكتب، فالتدخين ممنوع في الصالات المغلقة في كندا والتقطت له أكثر من صورة ولم يكن الزحام يسمح بأن أطلب صورة لي معه. هنا إضاءات على أكثر من دولة وفكرة.

1

رواية "اللهب الغامض للملكة لاونا":

محور الرواية يركز على شخصية رجل ستييني " يامبو" صاحب مخزن الكتب القديمة "الانتيك" والقارئ بغزارة. يامبو يفقد ذاكرته الشخصية والعائلية في حدث غامض، أما ذاكرته " العامة " فتبقى حية. يتذكر الكتب التي قرأها والمقولات التي حفظها لكنه ينسى حتى اسمه. تقترح عليه زوجته ارساله إلى بيت الطفولة لعله يكتشف نفسه ويعود إلى شخصه عبر القراءة

من جديد. في بيت العائلة العتيق والمكتظ بالكتب والأوراق العائلية والتسجيلات الموسيقية والمجلدات والصحف اليومية التي حفظت سليمة، يقضي "يامبو" جل وقته ليعيد ما قرأ في فترات سابقة. كان قد طرد أثناء الحرب فيقرأ صفحات في التاريخ وفاشية موسوليني. يبحث طويلاً عن الحب، الذي عبر حياته، وهل حقاً أحب ومن؟ يقرأ قديمه ليستيقظ فيه حس التذكر- جزئياً ويساعده على ذلك، خادم مسن يتمتع ذاكرة قوية، وهو الوحيد الذي بقي في البيت- المتحف العائلي في مدينة "سولارا" خلال قراءاته وبحثه عن نفسه، يعثر صدفة على كتاب، يفك غلافه الخارجي ليقع على "الذهب الغامض للملكة لاونا" ويبدأ بالقراءة. هذه الكتاب. "رواية الذهب الغامض للملكة لاونا، يمكن قراءتها كرسالة حب إلى الأدب، تنقيب أثري عن حياة طفل ايطالي عاش فترة الأربعينات من القرن العشرين، وفيها التأمل الماكر والحكيم في وعي الكائن البشري.." يختلط الخيال والعلم والفلسفة والموسيقى والصورة، في عالم اكو الروائي الباحث الذي كتب في الفلسفة وعلم الجمال وأثرالتكنولوجيا الحديثة علوم العصر وأدابه وفنونه. حقق ايكو شهرة عالمية وترجمت كتبه إلى لغات عديدة وبخاصة روايتيه الشهيرتين " اسم الوردية" و"جزيرة اليوم السابق" ويحظى باحترام وتقدير كبير بين قراء العربية والعالم. هاربرفرونت سنتر، 2005.

2

محطات أخرى وآداب الشعوب وثقافات عالمية من جزر الدومينيكا إلى أيرلندا 150 كاتباً من كندا والعالم في مهرجان الكتاب الـ29

في جلسات الحوار خلال مهرجان تورنتو للمؤلفين من العالم الكاتب الأمريكي من جزر الدومينيكا "جونو دياز" الحائز على جائزة بوليتزر لعام 2008 تحدث بفكاهة للصحافة الكندية وقال: حين فزت بالجائزة لم تعلمني اللجنة بذلك، وصلني الخبر من أصدقاء لي، ربما- لو كنت فتاة جميلة لأختلف الأمر. كما أنه تطرق إلى شعوره بالتفرقة الموجهة إليه في أمريكا، فهو رغم حيازته على هذه الجائزة المرموقة عن روايته الجديدة الأولى "حياة أوسكار واو المشردة باختصار" فإنه لم يحظ باهتمام ودعوات للقراءة بالكثافة المعهودة، ويعزي ذلك إلى كونه يصنف ضمن خاتة "الكتاب الملونين" من غير البيض. تطرق دياز إلى أنه يحب البحث في "الفجوات" من التاريخ الذي لا يوجد له أرشيف، عن زوايا الحياة الشخصية المعتمة. يذهب إلى تلك المناطق الصعبة التي يجعل الناس من الحديث عنها. وكمثال على ذلك، يتطرق في روايته إلى الديكتاتور الرهيب رافائيل تروجيلو، الذي أعدم عدداً كبيراً من سود الدومينيكا فقط لأنهم لم يستطيعوا ان يلفظوا كلمة بقدونس،

وهذه قصة تطرقت إليها في تقديم ترجمة للشاعرة ريتا دوف وقصيدتها الشهيرة "بقدونس"

3

الأدب الإيرلندي ضيف تورنتو في مهرجان الكتاب

استقبل المهرجان 15 كاتباً بولونيا، ورثة جيمس جويس، صامويل بيكيت، شيموس هاينه، وبيتس، هؤلاء الذين رقدوا المكتبة العالمية بروائع في الشعر والرواية والمسرح. وكان لهم حلقات خاصة تحت عنوان "أنه إيرلندي" تحدثوا فيها عن تاريخ إيرلندا وحاضرها. ولاحظنا من بعض القراءات أن مسألة الشتات والبحث عن الهوية والمكان، ثيمة مطروحة ومعالجة في هذا الجانب من العالم أيضاً. لكن البحث عن الهوية والذات ثيمة العصر وآدابه. من الأسماء المهمة التي حضرت موسم القراءة في هابروفونت سنتر لهذا العام، الكاتبة الإيرلندية "آن اينرايت" التي حازت على جائزة بوكر 2007، قرأت الكاتبة مقتطفات من عملها الروائي الأخير "التلاقي" كما شاركت في جلسة حوار مشتركة مع عدد من الكتاب حول مسألة المكان في حياة الكاتب. كان عنوان الحلقة "المكان هو حيث تجري الحبكة". حضر المهرجان 150 كاتباً من 15 دولة. الغالبية من كندا، أمريكا، إيرلندا، وانكلترا. وبعض الأسماء من المهاجرين المقيمين في انكلترا: محمد حنيف، ونديم اسلام. وكاتب واحد من كل من: فرنسا، اسبانيا، وجنوب افريقيا. أغلب المدعوين شاركوا في قراءات من أعمالهم الجديدة، وكان لهم مشاركة في حلقة نقاش أو حوار حي مع الحضور والمضيف. ويلاحظ أن دورة المهرجان لهذا العام أعطت مساحة لكتاب الرواية البوليسية والغموض، مع حضور متواضع للشعر والشعراء.

هامش اليوم : هذه اللقاءات والحوارات اذهب إليها بمفردي وحسب جدول عملي. أنتزه في المنطقة المحيطة بالبحيرة حيث تحيط بالمركز الثقافي الكثير من المقاهي حيث يمكنني أن اشترى وجبة وشراباً، ثم هناك البحيرة وسفنها التي تقل الناس لرحلة صغير عبر البحيرة وبعيدا عن اليباسة. ألتقط الصور وأتأمل العالم وأعود مرهقة وممتلئة بالأفكار في نهاية اليوم محملة بتجربة ثرية وأفكار تحتني على الكتابة، ونادراً ما أجد أصدقاء عرب مهاجرين في تلك الصالات.

فكرة اليوم: الكتابة، حفر تعرية وتعزير وترميم وليست نقاهة واستجماما في حوض الكلام وذلك حين تستطيع شخصيات الكتاب ان تثير امتعاض الرقيب الاجتماعي والديني وما بينهما. الفن القصصي، بناء لا يسكنه الا المؤمنون بالحرية. حرية الخلق الابداعي وحرية القراءة .



لويس بورخيس ناقداً وباحثاً في جذور القصة الإنكليزية

من هو بورخيس؟

عاش بين 24 أغسطس 1899 - 14 يونيو 1986. ولد بورخيس في بوينس آيرس (وكان والده خورخي غويلرمو بورخيس محامياً وأستاذاً لعلم النفس، وكان مصدراً للإلهام الأدبي حيث قال عنه بورخيس: «حاول أن يصبح كاتباً ولكن محاولته فشلت»)، وقال أيضاً: «كتب مقاطعاً شعرية جيدة جداً». أما والدته ليونور أسيفيدو سواريز فقد تعلمت الإنجليزية من زوجها وعملت مترجمة. عائلة والده كانت ذات أصول إسبانية وبرتغالية وبريطانية وعائلة والدته كانت إسبانية وربما لها أصول بورتغالية. كان عائلته في المنزل تتحدث الإسبانية والإنجليزية ولذا فقد نشأ بورخيس قادراً على أن يتحدث لغتين. كانت نشأته في ضاحية بالرمو في بيت كبير به مكتبة ضخمة. كان والده قد أجبر على التقاعد في سن مبكرة نتيجة لتدهور بصره، وهي نفس الحالة التي أصابت ابنه فيما بعد، لتنتقل العائلة إلى جنيف لتلقي العلاج من قبل اختصاصي عيون هناك بينما كان خورخي وأخته نورا (ولدت في 1902 م) يدرسان في المدرسة. وفي جنيف تعلم خورخي اللغة الفرنسية كما تعلم بنفسه اللغة الألمانية وتخرج من كلية جنيف في عام 1918 م. (مقتطف عن ويكيبيديا كخلفية ثقافية لبدایات المؤلف موضوع البحث)

2

كتاب عن محاضرات بورخيس بعد وفاته

هذه جولة في كتاب مثير للاهتمام صدر بعد وفاة الموسوعي الأرجنتيني لويس خورخي بورخيس مترجماً إلى اللغة الإنكليزية نقلاً عن الأسبانية بعنوان "البرفسور بورخيس، منهاج دراسة الأدب الإنكليزي" ويضم عدداً من البحوث المتعلقة في جذور الأدب الإنكليزي. هذه المحاضرات ألقاها

الكاتب الأرجنتيني جورجى لويس بورخيس أمام طلابه في حقل الدراسات الانكليزية شفاهيا في جامعة بونيس آيرس وذلك عام 1966 وتم جمعها وعادت الى الصدرة لما لهذا الكاتب من أهمية أكاديمية وإبداعية على المستوى.

مقتطفات مما جاء في تقديم الكتاب: تُرجمت هذه المحاضرات إلى الإنجليزية لأول مرة، وهي مصحوبة بملاحظات موسعة وغنية بالمعلومات كتبها الباحثان في أدب بورخيس وهما مارتين أرياس ومارتين هاديس. كتب إدجار دو كريبس لمجلة هاربر في وصف البروفيسور بورخيس: "هذه مجموعة من خمسة وعشرين محاضرة ألقاها بورخيس في عام 1966 في جامعة بونيس آيرس، حيث كان يدرس الأدب الإنجليزي. يشكل الكتاب الكتاب مشهدًا من الأسلاف"، والاستعارات عبر الثقافات، وأنواع التعبير التي ربطها بورخيس جميعًا في شبكة تفسيرية واسعة. وهذا هو أكثر أعمال بورخيس إثارة للدهشة والإفادة التي ظهرت بعد وفاته."

العودة إلى محاضرات بورخيس المسجلة بالاسبانية وترجمتها إلى لغات عالمية منها الانكليزية ليس إلا شهادة تقدير لهذا العبقرى الذي أغدق المكتبة العالمية بكنوز الابداع في القصة والشعر والمحاضرات والدراسات الأدبية. هذه المحاضرات تعتبر وثيقة مهمة في دراسة الأدب الانكليزي وجذوره منذ القرن 17 وصولا إلى القرن العشرين. تناول بورخيس في هذا الكتاب سيرة حياة "روبرت لويس ستيفنسون" الذي اشتهر في كتاب لليافعين "جزيرة الكنز" بالاضافة الى دراسة شعر وليم بليك، صاموئيل جونسون، وجذور الادب الالمانى، وشعراء الرومانسية وقافلة من الاعلام.

جورجى لويس بورخيس، البروفيسور الموسوعي (الكفيف) قال في إحدى حواراته كما جاء في مقدمة الكتاب: "أعرف، أو بلغني، بما أنني لا أستطيع أن أرى هناك طلاب يأتون إلى صفى أكثر وأكثر، والكثير منهم ليس مسجلا في المنهاج. لهذا نستطيع أن نتخيل أنهم كانوا يأتون لأنهم يريدون أن يستمعوا إلي. أليس كذلك؟ "

أتوقف بشكل خاص أمام القصة في هذا الكتاب، العضوية في نادي الانتحار وحكايات أخرى الانتحار والقتل يأخذ محور القصص الثلاث في المجموعة والتي استقاها الكاتب كما يشير بورخيس- من أجواء "الف ليلة وليلة" والتي تعرف غالبا في الانكليزية بـ" الليالي العربية" بعد أن قرأ النسخة المترجمة الى الانكليزية. يشير بورخيس أن الكاتب الانكليزي هام في ليالي لندن مستذكرا الخليفة هارون الرشيد الذي كان وأعوانه يهيم في ليل بغداد لسمع الحكايا ويزجي عن نفسه الضجر، فكتب قصصا خيالية مشوقة ومثيرة وغريبة الأطوار، بعد أن قدم إليها من دبوره /انكلترا.

حكاية الحكاية والقاص الانكليزي ستيفنسون

في قصص الانكليزي ستيفنسون نتوقف عند قصة شهيرة "نادي الانتحار" حيث ابتكر الكاتب شخصية "فلوريزل -أمير بوهيميا" ومساعدته "الكولونيل جيرالدين" الذين تخلوا عن حياتهم وانصرفا للثي في شوارع لندن. أبدع الكاتب شخصية فانتازية وساخرة لرجل يدعى "مالثوس" كان يريد أن ينتحر ولم يستطع فوجد نادي الانتحار. رئيس النادي رجل أراد الاستفادة من أعضاء نادي الراغبين في الانتحار كي يرتزق منهم. وضع للنادي شروطا منها دفع رسوم عضوية مادية عالية نوعا ما، كما فرض على الاعضاء السرية التامة حيال الموضوع. أما الأعضاء فهم من شتى الاعمار والمقامات. أشخاص وجدوا أن حياتهم لا معنى ولا قيمة لها فأردوا أن يتخلصوا من وجودهم ومآسيهم وكان النادي وسيلة لتحقيق غايتهم.

شخصية مالثوس، هو رجل كان يعاني من الشلل ولم يبق لديه في الحياة ما يخسره، وأدرك أن أصعب التحديات التي تواجه الانسان هي الخوف. وكان يعتقد بأنه قد تغلب على فكرة الخوف وأصبح هجيباً فظاً.

الأحداث والحبكة

الأحداث في "نادي الانتحار" تدور في محيط مدينة لندن. يحتمع الاعضاء أسبوعيا، يشربون الشمبانيا، يتبادلون النكات في أجواء تشابه أجواء كتابات القاص "ادغار الان بو" وتتم اللعبة على الشكل التالي: يتحلق الاعضاء حول طاولة اللعب. الرئيس يقوم بالتأكد أن لا جواسيس في الجلسة، ثم يبدأ بتوزيع اوراق اللعب 52- ورقة- يوجد بينها 2 اس أسود. يتفحص كل فرد الورقة التي تصله. إذا حصل العضو على الأس الأسود الأول، سيعترب عليه قتل العضو الاخر الذي يملك "الأس"

الثاني. ويجب أن يقتله بشرط أن يبدو كما لو أن موته مجرد انتحار لا يد لأحد فيه. في الجلسة الأولى تضع الأقدار السيد "مالثوس" في خانة الشخص الذي سوف يُقتل. ورغم كونه صاحب الفكرة إلا أنه في لحظة سماعه الحكم وقف مذهولا على رجليه لدقائق وهو مشلول أساسا، ثم انهذ في كرسيه بأثر الصدمة. وفي اليوم التالي وصل إلى الاهالي خبر انتحار "مالثوس" الموقر وسقوطه عن أحد الجسور في لندن. تأخذ القصة مجرى مشوقا ويبدأ التحري ويقرر "الامير فلوريزل" أن يقتل رئيس النادي ويمنع انضمام أحد إليه بعد.

القتل ثيمة الحكايات

ثيمة القتل ترد في القصص الأخرى لمجموعة "الليالي العربية الجديدة" فهناك القتل من أجل الحيازة على "جوهرة راجا" التي يُبذل الدم غزيرا من أجل الحصول عليها. وحين تكون في حيازة الأمير الذي يقول للمحقق وهو جالس على ضفة نهر التايمز "حين أفكر بالدم الذي أريق، والجرائم التي ارتكبت من أجل هذه الحجرة، أعتقد يجب أن نلعنها حتى الموت" ثم يضع يده في جيبه

وبسرعة يرمي الجوهرة في "التايمز وتضيق إلى الأبد.

العودة إلى محاضرات بورخيس المسجلة بالاسبانية وترجمتها إلى الانكليزية ليس إلا شهادة تقدير لهذا العبقرى الذي أهدق المكتبة العالمية بكنوز الابداع في القصة والشعر والمحاضرات والدراسات الأدبية. هذه المحاضرات تعتبر وثيقة مهمة في دراسة الأدب الانكليزي وجذوره منذ القرن 17 وصولاً إلى القرن العشرين. تناول بورخيس في هذا الكتاب سيرة حياة "روبرت لويس سينتفنون" بالإضافة إلى دراسة شعر وليم بليك، صاموئيل جونسون، وجذور الادب الجرمانى، وشعراء الرومانسية.

ويناقش أهمية الإلهام والحلم في كتابة أقدم القصائد الانكليزية والقصص. إذا هناك انبثاقات من عوالم غير مرئية يلتقطها الشاعر أو الأديب ليؤسس عليها وفق مخرلة وعبة الثقافى ومقدار معرفته وقدرته على خلط الواقعية بالخيالية.

وأذا أردنا أن نتوسع في أفكار بورخيس حول الشعر، الصنعة والالهام والتحليلى النقدى، يمكننا العودة الى كتاب ترجمه صالح علمانى بعنوان " صنعة الشعر" صدر عن دار المدى عام 2007 ويحوى محاضرات للبروفيسور بورخيس حول الشعر وعوالمه.

الآداب عبر العصور تتلاقح، تؤثر وتتأثر بآداب الشعوب البعيدة والقريبة، بعضها يحىى وبعضها يأكله النسيان. بعض الشعوب تتعلق بكاتب أولى اهتماماً لأن هذا يداعب ذلك الشعور بالتفوق والتأثير. ولأسباب عديدة يجد القارئ العربى ما يهمه فى أدبيات بورخيس الثرية.

المرجع الانكليزى:

Professor Borges: A Course on English Literature

Jorge Luis Borges (Author), Martin Arias (Editor), Katherine Silver

((Translator

نشر فى الحوار المتمدن 30 يناير 2024

هامش اليوم: حين كنت حديثة العهد فى كندا كنت أقرأ الكتب باللغة العربية فقط. استعرت كتاباً عن بورخيس، فمقت بنسخه فى المكتبة وتغليفه كى أحتفظ به. وكان ذلك عام 1999. وما زلت أحتفظ به مع كتب أخرى تم نسخها وتغليفيها.

وول سوينكا في كندا يتحدث عن الرقابة والإبداع مع أزار نغيسي وآخرين

«حرر الكتاب المساجين. روج للأدب. دافع عن حرية التعبير. إمنع الرقابة.»

ماذا وأين ولماذا يتحدثون عن الرقابة؟

تحت عنوان «بلا رقابة»، أقيم المهرجان العالمي الكبير في تورنتو يوم 20 أكتوبر (تشرين الأول 2006) برعاية منظمة «قلم كندا» من أجل حرية التعبير، وسط حضور ولهفة جمهور عريض، تجاوز عدده الألف. قرأ كتاب من العالم ومن كندا، مقتطفات من أعمالهم الإبداعية، في حضرة كرسي فارغ نصب على المسرح ووضعت عليه صورة كبيرة للصحافية الروسية «آنا بوليوكوفسكايا»، التي دفعت حياتها ثمناً لجرأتها ومناصرتها للحقيقة، هي التي «لم تكذب في عملها» رغم تعرضها للتهديد بالقتل.

جرى في هذا الحفل الكندي، الذي يريد العالم حراً «بلا رقابة»، تكريم أيضاً لجرأة أورهان باموك، الروائي التركي، الذي حاز أخيراً جائزة نوبل، ومساعيه الشجاعة والمسؤولية في خلع الحجاب عن حقائق تاريخية، ارتكبت في حق أقليات إثنية في تركيا العثمانية. للكلمة المكتوبة والمسموعة صداها وقوتها وأثرها الكبير في زعزعة أمن واستقرار الديكتاتوريات منذ الأزل في شرق العالم وغربه، تلك الكلمة التي دفع ثمنها الكاتب النيجيري، وول سوينكا الحائز جائزة نوبل للآداب عام 1989، سنوات في السجن وفي المنفى. الشاعر وول سوينكا اعتقل عام 1967 بسبب مواقفه من حكومة بلاده. هذا الكاتب المسرحي والروائي، الشاعر والناقد،

حضر ايضاً المهرجان، واستقبل بتصفيق حار من جمهور تورنتو، حيث قرأ مقطوعات من كتاب لم يصدر بعد. ومن الجدير ذكره أن وول سوينكا wole Soyinka شغل منصب بروفيسور في تدريس الأدب في جامعات انجلترا واميركا ونيجيريا، وخلف للمكتبة العالمية كنزاً خالداً تواجدت بعض طبعاته على منصة بيع الكتب خلال هذه الأمسية الاستثنائية.

افتتحت الأمسية الكاتبة كونستانز بروك Constance Brook، رئيسة «قلم كندا»، ومحرة ثلاثة كتب مهمة، ذهب كامل ريعها لصالح «قلم كندا»، لدعم مسيرة المؤسسة في عملها، من أجل حرية التعبير في العالم، واطلاق سراح السجناء من الكتاب. قدم جون رالستون سول John Ralston Soul العضو الفخري في منظمة القلم، كلمة أشاد فيها بدور الكلمة الحرة، وانتقد الرقابة التي تسلط سكاكينها على رقاب الكتاب في العالم وفي كندا، وفي هذه المناسبة قدم جائزة الصحافة التشجيعية للصحافية كيم بولان Kim Bolan المقيمة في فانكوفر كندا، لقاء تحرياتها في قضية شديدة التعقيد والسرية والغموض، التي تخص تفجير طائرة على الخطوط الهندية التي وقعت منذ حوالي عشرين عاماً، وقتل خلالها جميع من كانوا على متنها. أما الجائزة التشجيعية الثانية فقدمها سول، إلى كاتب صيني، تم تحريره من السجن في الصين، وما يزال ممنوعاً من السفر والالتحاق بأسرته المقيمة في كندا.

تحدثت الصحافية كيم بولان، عن مسيرتها وعن التهديدات التي تلقتها في داخل كندا، بلد الحريات والديمقراطية، وذكرت مشقة إكمال ملف البحث الذي اشتغلت عليه بسبب رفض بعض الأطراف البوح بالأسرار، خوفاً من القتل. وذكرت أن اثنين من الشهود قتلوا في كندا، وذلك لطمس حقيقة هذه الكارثة، ومن وقف خلفها. أكدت بولان أنها ستواظب على مهمتها بشجاعة، ولن تتردد في الخوض في القضايا والمسائل التي تتجاهلها الصحافة العامة وتقع في الكواليس.

شارك في الأمسية عدد من المبدعين الكنديين الحائزين جوائز أدبية مرموقة، ومنهم الكاتبة Miriam Toews التي قرأت من عمل غير منشور بعد، وقرأ الكاتب الكندي الصيني Wayson Choy فصولاً من كتاب السيرة الذاتية، قيد الطباعة. شارك أيضاً في القراءة M.G Vassnji كندي من أصول هندية، قدم للجمهور مقتطفات من كتاب «يحدث في الهند».

ووسط تصفيق حار وقفت الكاتبة الإيرانية الأصل، المقيمة في أميركا آزار نفيسي Azar

Nefisi، التي نشرت كتابها في السيرة الذاتية «يقرأون لوليتا في طهران» عام 2003، وترجم إلى 32 لغة من لغات العالم، وبيعت منه ملايين النسخ ووصل إلى 26 طبعة باللغة الانجليزية فقط. حيث الكاتبة جمهورها وبدا عليها الارتباك، وهي تفصح عن «كرهها لقراءة ما تكتبه رغم عشقها للقراءة وسماع الآخرين من الكتاب». قرأت نفيسي من كتاب أتوبيوغرافي آخر في طور الإعداد بعنوان «أشياء صمّت عنها»، وتعود فيها إلى طفولتها حين كانت في الخامسة من العمر، وإلى سيرة والدتها التي توفيت حين كانت تعد كتابها الأول، ولم تستطع أن تراها، وتطرح كذلك ومضات من سيرة جدتها ووالدها. تعتمد نفيسي، كما قالت، في كتابها هذا إلى «الكذب التخيلي» لتخلط ما بين الحقيقة والكذبة.

عريفة الأمسية أن ماري ماكdonald الممثلة والكاتبة الكندية، قدمت كلمة شكر في ختام المهرجان وشكرت الكتاب على حضورهم وذكرت الجميع بمضمون رسالة وهدف «قلم كندا» ووجهت تحيتها ثانية إلى روح الصحافية الروسية، التي قتلت ودعت الجميع إلى توجيه رسالة مكتوبة إلى الرئيس الروسي بوتين للبحث في القضية ومعاقبة الفاعل.

الجزء الثاني من الأمسية، كان في إحدى الصالات الأنيفة في مبنى جامعة تورنتو، حيث أقيم حفل خاص حضره كبار الكتاب والشخصيات العاملة في حقل الصحافة والأدب، مما أتاح للصحافيين الحضور والدرشة مع الكتاب ضيوف الأمسية. وكان من بين الحضور الكاتبة أديان كلاركسون، التي شغلت منصب حاكم كندا لعدة سنوات، والمرشحة للفوز بجائزة «غيللر» للأدب الكندي.

خلال السهرة جرى مزاد علني أشرف عليه المحامي Clyton Ruby صاحب أرفع مقام في الدفاع عن حقوق الإنسان في كندا. اقتصر المزاد على بعض القطع الفنية والصور الفوتوغرافية لبعض المواقع الكندية الحديثة والتاريخية وبطاقة إقامة في إحدى البيوت الأثرية العريقة الباذخة.

وعلى يافطة حمراء منصوبة في صالة القراءة الأدبية كتب ما يلي: «حرر الكتاب المساجين. روج للأدب. دافع عن حرية الكلام. إمنع الرقابة.» وفي الجهة المقابلة غلقت صورة أورهان باموك، العضو الفخري في «قلم كندا».

الشرق الأوسط 1 نوفمبر 2006

فكرة اليوم:

يسألني صحفي عربي، لماذا لم تجر حواراً مع وول سوينكا أو أزار نفيسي، هذه فرص لا تتكرر؟
الجواب: من سيدفع لي ثمن وقتي ومن سيدفع للكاتب الضيف، ومن سيقوم بالتصوير والتحرير
والتنقيح. أنا أفعل ما أستطيع بمفردي وعلى هواي وحسب ظروفي ووقتي.

للأسف لم يكن لدي هواتف ذكية في ذلك الوقت كي نتصور مع كاتب حاز على نوبل وآخر وول
سوينكا أو آخر من أهم مفكري العالم (جون رالستون سول) وأخرى شغلت العالم بحكايتها عن لوليتا
وقرانتها في طهران /أزار نفيسي: ولن يكن لدي سوى كاميرا صغيرة تساعدني على توثيق الحدث
دون أن تكون عالية الدقة ثم احترق كل شئ في الكمبيوتر القديم ونجوت أنا.
أعود إلى هذا المقال وأتذكر ما حدث بعد نشره وكان حدثاً استثنائياً. ماذا حصل؟
قامت الصحيفة بترجمته إلى الإنكليزية مع إضافات وأسماء لم أشر إليها. فحين قرأت المقال مترجماً
صُدمت من التغييرات التي ظهرت في النسخة الإنكليزية.
كتبت لهم عن المغارقات والشطط الذي قام به المترجم، وأشرت إليهم، كيف سأرسل هذا الرابط إلى
منظمة القلم الدولية وفيه هذه المبالغات على لساني.
وفعلاً، لم تتردد الصحيفة في الاعتذار وتم حجب المقال المترجم إلى الإنكليزية.
حين اشتغلت أنا نفسي بالترجمة، أقسمت وأقسم كل يوم أن أترجم بصدق وحيادية، دون تحريف
ودون حذف ولا إضافة مهما كانت طبيعة الحالة التي أمامي: إيمان، إلحاد، تغيير دين، تغيير جنس،
معارضة... عنف، بذاعة وشتائم. أتعهد بالأمانة وأفي بوعدتي، وهذا واجبي المهني الأخلاقي.



رواية يتيمة تغوز بجائزة مرموقة في أمريكا... نلي هاربر لي

أن تقتل الطائر المقلد، تم تصنيفها بأنها إحدى أهم روايات القرن العشرين. والمسرحية مأخوذة عن هذه الرواية العالمية التي كتبها الكاتبة الأمريكية "نيللي هابر لي" من مواليد 1926 وهي روايتها الوحيدة والتي حصدت جوائز عالمية كبيرة ومنها جائزة "بوليتز" عام 1961. نشرت الرواية عام 1960 بعد أن توقفت الكاتبة عن وظيفتها التي كانت تعمل بها، وحصلت من أحد أصدقائها على دعم مادي يساعدها على العيش لحين إنجاز كتابها. لم تكن تتوقع "هاربر لي" أن تباع من كتابها النسخ الكثيرة، لكن المفاجأة فاقت توقعات الكاتبة والناشر وبيع منها ملايين النسخ وترجمت إلى أكثر من 40 لغة حية، كما تم إخراجها في فيلم سينمائي حاز على جوائز أوسكار، ومن ثم تم إخراجها مسرحياً، بالإضافة إلى أنها دخلت المنهج التعليمي في المدارس والاكاديميات وذلك إلى جانب "روميو وجوليت، عطيل ... " وغيرها من كنوز الأدب العالمي. ومن الجدير ذكره هنا أن بعض شخصياتها الرئيسية فتية صغار، والشخصية الأساسية فتاة في السادسة من عمرها، صوتها يتقاطع مع السيرة الحقيقية للكاتبة كما تشير الكاتبة في إحدى حواراتها. هذه الفتاة الصغيرة أبدعت في تمثيل دورها على المسرح وحازت على إعجاب الحضور وتصفيقهم الحار، وأبدت براعة في التمثيل ورسم ابتسامة على وجه الحضور، رغم تراجيدية الحدث الأساسي في المسرحية والذي يركز على محاكمة غير عادلة لشاب أسود، متهم باغتصاب فتاة بيضاء قاصرة. ومن الجدير ذكره أن والد الكاتبة كان يشتغل محامياً في الواقع وكانت هذه الحادثة أو محور الرواية مأخوذة عن حدث حقيقي تابعته الكاتبة من خلال مهنة والدها وصحف المدينة التي كانت تعيش فيها، وصورة المحامي في المسرحية فيها بعض من صورة الأب. يرد هذا في إطار دراسات كتبت عن خلفية الرواية وشخصياتها.

يرد على لسان الأب المحامي وهو يحاول إقناع الأطفال في الحارة بعدم إيذاء المخلوقات البرنية فيقول "إذا أردت أن تقتل طائر أبو رزق، فليكن، لكنها خطيئة أن تقتل الطائر المقلد" وذلك في ترميز إلى براءة الشاب الأسود الذي حوكم ظلماً عن جريمة لم يرتكبها.

ثيمات

الرواية:

إنها ليست رواية أو مسرحية عن الحقوق المدنية بشكل خاص لكنها أقرب إلى حقوق الإنسان وتعكس صفحات من الصراع الطبقي والعنصري والجنسي التي شهدتها المجتمع الأمريكي في مراحل استنكاره للعرق الأسود واضطهاده للآخرين بسبب لونهم وانتمائهم الطبقي المختلف. قد يكون ذلك مطروحا اليوم على صعيد واسع لكن الرواية في زمن كتابتها وأسلوبها ربما كانت السبب في حيازة كل هذا النجاح الذي لا يحصل إلا نادراً في الساحة الأدبية شرقاً أو غرباً. تتجلى مسألة التفرقة العنصرية والتمييز العنقي هنا في قضية الشاب الأسود الذي اتهم زوراً ودفع حياته ثمناً لجريمة لم يرتكبها، وهي اغتصاب الفتاة البيضاء القاصر. ونرى كيف قام والد الرواية المحامي الأبيض "اتيكوس" بالدفاع عن الشاب الاسود "توم روبنسون" فلحقه الغبن من قبل أنباء جلدته الذين رأوا أنه "لايختلف عن الزوج، الزبالة". كما تطالعنا حالات التفرقة على صعيد آخر وهو النبذ الذي يتعرض إليه أبناء العرق المختلط/الخلاسي، فنجد أنه غير مرحب بهم من قبل المجتمع الأبيض وكذلك من قبل المجتمع الأسود، رغم أن المنطقة التي تقع فيها أحداث القصة كانت خليطاً من أعراق بيضاء وسوداء، وهي جنوب أمريكا في ثلاثينات القرن العشرين. تظهر بعض الإشارات "الجنديرية" والتقسيم الجنسي فيما يخص المرأة وطريقة لباسها وحضورها الحفلات العامة والتزامها بدور اجتماعي جاهز وتقاليد سارية كي تحافظ على حضورها الاجتماعي وتحظى بقبول عريس من طبقتها. وهذا ما كانت تحاوله خالة الطفلة الصغيرة "سكوت" تلقينها إياه منذ طفولتها لكنها لم تكن مهياً لهذا الدور. كما أنها لم تستسلم للتنبيهات التي كانت توجه إليها من قبل خالتها والآخرين بعدم الاختلاط ومصادقة الأطفال الفقراء الذين لا ينتمون إلى طبقتها. وتبقى شخصية الأب المحامي هي الميزان الذي يعدل كفة التفرقة من نواحي كثيرة، فنراه يعامل الأطفال جميعاً بطيبة ورقة ومساواة، كما يظهر تفهماً لأسئلة ابنته الصغيرة التي لاتكف عن المشاكسة والأسئلة والفضول كمثل سؤالها البريء له "ماذا تعني كلمة اغتصاب" هذه الكلمة التي سمعتها في الحارة وبين طلاب المدرسة الصغار. ونذكر أن والد الطفلة، زوجة المحامي كانت متوفاة، وكانت المربية التي تعتني بها امرأة سوداء طيبة وحنونة. والشئمة المحورية الأخرى في هذا العمل هي التأكيد على المسامحة وقبول الآخر، وربما تجلى ذلك في أغنيات البلوز والترانيم التي تخللت فقرات المسرحية من خلال وقفات كان يؤديها

كورس من السود بروحانية خالصة ومحمول ديني يدعو إلى الحب والتعايش والانسجام. بقي أن نقول أن الأداء المسرحي كان مشغولاً بدقة ومهارة من حيث إعداد الديكور البسيط الذي يعكس الوضع الاجتماعي، ومن خلال الملابس الخاصة بتلك الحقبة الزمنية، وموسيقاها، وبالمحافظة أيضاً على "اللهجة الجنوبية" القادمة من المكان الذي جرت فيه أحداث هذه الرواية التي وقفت مع كتابات الخالدين في العالم. واللافت للنظر أن الكاتبة "هاربر لي" حاولت إنجاز كتاب آخر بعد روايتها "أن تقتل الطائر المقلد" لكنها لم تظهر للوجود، وبقيت تلك الرواية هي الأخيرة لها. كتابها الأول والأخير والذي حصد جوائز ومايزال، هل كان تمريناً على الكتابة أم إشراقة مكتملة وكل ما يأتي بعدها نقصان ودوران في فلك تلك الدفقة الإشتتانية؟ سؤال يخطر في البال ونح نسمع بعض شعرنا وكتابنا يتكرون لعملهم الأول من الناحية الإبداعية، وقد يحبون فيه ماحقق لهم زهو تحصيل لقب شاعر أو روائي فور انتقال المخطوط من الأدراج الشخصية إلى الحيز العام. يبقى سؤال الكتابة والنشر والنجاح والخيبة، يبقى سراً محيراً قد تعجز الكاتبة وهي في عقدها الثامن عن معرفته وبعد مرور أكثر من نصف قرن على كتابة روايتها العالمية. وهذا يضعنا أمام مسألة يعاني منها الكاتب وتسمى Writer's Block قد تستمر طويلاً أو لفترة وجيزة، ويكون مرددها الخوف من الكتابة أو إشكالات نفسية وشخصية يمر بها ذهن الكاتب/ة، في مسيرته الإبداعية، وهذه حالة حساسة ولم يعطها الباحث العربي أي اهتمام بعد.

بحثت عن اسم هذا الطائر، لأجد أنه طائر يعيش في شمال أمريكا وهو طائر مسالم جميل لا يقوم بشيء غير الغناء وتقليد أصوات الطيور الأخرى التي يسمعها لذلك سمّي "مكينغ بيرد". وأقتطف ماورد على لسان الأب المحامي وهو يحاول إقناع الأطفال في الحارة بعدم إيذاء المخلوقات البرنية "إذا أردت أن تقتل طائر أبو زريق، فليكن، لكنها خطيئة أن تقتل الطائر الساخر". عرضت الرواية الممسرحية مؤخراً في مدينة "ستاتفور" الكندية ولم يكن في الصالة مقعد شاغر وهذا دليل على اهتمام المواطن الكندي بالفنون كالمسرح والأوبرا، ومؤخراً صارت هذه الزيارات مكلفة ولا يستطيع كل مواطن أن يخصص من دخله للرفاهية، وهو يكاد يعجز عن دفع الإيجار وتكاليف المعيشة.

Title: To Kill a Mockingbird
Author: Nelle Harper Lee, 1960

ديسمبر 2007 صحيفة السفير

الرواية على المسرح في مهرجان ستراثفورد الكندي

كنت أطلع كتاباً بعنوان "الكتاب الذي غير حياتي" عبرت بأسماء كتب كثيرة أثرت في حياة كتاب كبار في أمريكا وكندا. قرأت عن كتب وأسماء لم أسمع بها من قبل وكان من بينها رواية بعنوان "أن تقتل الطائر المقلد". بحثت عن خصوصية هذا الطائر، لأجد أنه طائر يعيش في شمال أمريكا وهو مسالم جميل لا يقوم بشيء غير الغناء وتقليد أصوات الطيور الأخرى التي يسمعها ويعدّها. ثم وصلتني بطاقة ودعوة للسفر من قبل منظمة قلم كندا لحرية التعبير، مع عدد من الأصدقاء الكتاب إلى مدينة ستاثفورد الكندية حيث يقام المهرجان السنوي في دورته السبعين لحضور مسرحية "أن تقتل الطائر المقلد". ذهبنا في سيارة كبيرة وتجولنا في المنطقة المشهورة بجمالها الطبيعي وأناقته ومكانتها في دعم الفنون والمسارح والمعارض من خلال مهرجان ستاثفورد. وقرأت ان الكاتبة مارغريت أتوود وزوجها كانا من رواد ذلك المهرجان بشكل سنوي قبل رحيله مؤخراً. ويعد مهرجان ستاثفورد السنوي أحد أهم وأضخم المسارح العريقة في شمال أمريكا وكانت دورته الأولى في عام 1952، وتمتد عروض المهرجان من شهر ابريل إلى نوفمبر كل عام. يستقطب المهرجان حضوراً كبيراً كل فصل يصل إلى 600 ألف زائر كما تشير الإحصائيات. ويتسع مسرح ستاثفورد لحوالي 1826 مقعداً مابين الصالة الرئيسية والشرفات. تهتم إدارة المهرجان التي استضافت عدداً كبيراً من أهم فئاني وكتاب العالم، بكتاب ومسرحي كندا ومبدعيها. هذا إلى جوار عروض المسرح العالمي كمسرحيات: شكسبير، موليير، بيكيت، تشيخوف، إبسن، المسرح الإغريقي العريق. كما تحتفي المدينة بزوارها باستقبالهم في حضن حدائقها الجميلة، شوارعها، مطاعمها، ومراكزها الثقافية المتنوعة. كانت صالة المسرح محتشدة حين تم عرض المسرحية المأخوذة عن الرواية والتي استمرت ساعتين ونصف. بعد المسرحية عام 2005 ذهبنا معا لتناول العشاء في أحد المطاعم الفارهة، وتحدثنا عن المسرحية بلهجاتنا الممتنوعة. كان هناك كتاب من أوروبا وم إيران ومن دول أخرى من الصحفيين الذي تعرضوا للنفي من بلادهم أو طلبوا اللجوء والحماية في كندا. بعد تلك الحقبة، تراجعت نشاطات منظمة القلم الكندية لأسباب غير معلومة أو مغلنة. وكنتُ شخصياً مشاركة كقارئة وكاتبة ومحاور في عدد من الأنشطة التي كانت تقام على مدار العام ومنها زيارة المدارس للحديث مع الطلاب في الثانوية العامة أو الجامعات.

فكرة اليوم: هل يستطيع الكاتب الأبيض أن يشخص معاناة العرق الأسود أو العكس؟
نعم، يستطيع رغم أن بعضهم يقول بأن الخارج عن جماعة لا يستطيع أن يرى ويفهم ويفك رموز
التراث الشفاهي والمعاناة الوجدانية لتلك الشعوب.





سيرة كاتب نسي كيف يقرأ ويكتب بعد تأليف عدد من الروايات

بالطبع، لم أشعر بالدهشة حين قال صديق، إنه لا يحب القراءة، وإن آخر قصة قرأها كانت قصة ليلي والذئب، وقصة سانديلا والأمير، ومن الشعر يحفظ فقط مقاطع من قصيدة استظهرها حين كان طالباً في الإعدادية. هذا الرجل يبدو سعيداً، تزوج وأنجب أطفالاً ويرى «الحياة ممتعة». ولكن ما الذي قد يفعله روائي قضى عمره في تأليف الكتب والقراءة، حين يجد نفسه فجأة غير قادر على قراءة كلمة واحدة؟ ماذا يفعل كاتب وضع مخطوط كتابه على الطاولة مساءً، وحين استيقظ في الصباح رأى الأحرف غريبة مستعصية، واللغة لم تعد تجد طريقها إلى رأسه وعينه وقلبه؟! هذا ما حصل مع الكاتب الكندي «هاورد مانغل» الذي كتب 12 رواية بوليسية حققت أعلى المبيعات، وترجمت إلى لغات عدة، وبعض رواياته تم إخراجها سينمائياً. الكاتب مانغل كان متفرغاً للكتابة ومنها مصدر عيشه، متعته ومعنى وجوده، حين ألّمت به هذا المحنة الكبيرة الشاقة لتقلب حياته رأساً على عقب. في هذا الكتاب، السيرة الذاتية التي عنوانها «الرجل الذي نسي كيف يقرأ» صدر عام 2007 باللغة الإنجليزية، نعيش مع الكاتب تفاصيل هذه الرحلة الصدمة، والدهشة، والضياع والذهول مع فقدان المقدرة على القراءة، في حين بقي الكاتب قادراً على الكتابة. يستطيع أن يكتب، ولا يستطيع أن يقرأ ما كتبه بعد دقائق. نطالع في سيرته أنه في الصباح استيقظ بشكل طبيعي وتناول صحيفة اليوم، لكن الأحرف كانت تهرب من أمامه، فراح يتخيل أن أصدقاءه قد لعبوا معه لعبة لنيمة ساخرة، وقاموا بتخريب الصفحة الأولى من الصحيفة واستبدال الحروف الإنجليزية بحروف لغة أخرى، وراح يفكر كيف سيرد عليهم «المقلب» حين يلتقي بهم، ولكن سرعان ما ازداد قلقه، حين ترك الصحيفة وذهب ليجرب القراءة في كتاب من مكتبته، فواجهته المشكلة ذاتها. الكاتب لم يعد قادراً على فك الحرف. يخفي قلقه ويتجمل بالهدوء الحكيم، يذهب ليوظ ابنه

جاك (10 سنوات) ليذهباً معاً إلى المستشفى. يطلب سيارة أجرة، وفي طريقه يراقب الشوارع التي يعرفها جيداً، ويرى الحياة تسير طبيعياً كما في كل يوم. حين يصل إلى قسم الطوارئ يلتقي بصديق قديم، يعرف وجهه جيداً لكن الذاكرة لا تسعفه بالاسم بالسرعة العادية. بعد الفحص والتحليل الدقيقة الكثيفة، يتبين أنه قد أصيب بجلطة دماغية أثناء النوم، أثرت على نقاط معينة في الدماغ، وخربت منطقة الأعصاب المسؤولة عن القراءة، دون أن تتأثر نقطة المقدرة على الكتابة. وهذه الحالة النادرة الحدوث تدعى باللاتينية *Alexia sine* *Agraphia*. يبقى الكاتب في المشفى عدة أسابيع لا يكاد يتعرف خلالها على أسماء وجوه الأصدقاء الذين يزورونه، ولا يكاد يعرف ابنه، وأحياناً يفقد المقدرة على تذكر اسمه الشخصي. كل شيء في ذهنه، وعلى طرف لسانه، لكنه غير قادر على التواصل بشكل طبيعي. ويسأل نفسه بين ساعة وأخرى: وماذا الآن، ماذا سأعمل، كيف سأعيش دون قراءة وكتابة! من سيدفع فواتير ومصاريف معيشته ومعيشة ابنه الذي في حضنته. لا يجد أجوبة على هذه الأسئلة، ولكنه يعرف أن ابنه ذهب ليقوم مع عائلة صديقة، وهناك الابن الأكبر الذي قدم ليساعدهم في هذا المأزق. الأصدقاء لا ينقطعون عن تقديم الخدمات ودفع فواتير العلاج والأدوية. لا يستسلم «هاورد مانغل» لقدره، بل يحاول أن يحتفظ بدفتر مذكرات، يكتب فيه مواعيد الأدوية والعلاجات، وأسماء الممرضات والأطباء، وشيناً عن مشاعره. يكتب ولا يستطيع أن يقرأ لنفسه. يكتب لكن خط يده يبدو مختلفاً في كل صفحة. بعد المعالجة الأولية والاطمئنان على سلامة حياته ودماغه وذاكرته التي لم تتعرض للتلف الكلي، يخضع لمعالجة دقيقة بإشراف أساتذة مختصين، لمساعدته على إيجاد أفضل الطرق للقراءة ولتنطویرها من جديد. يتقدم المريض تدريجياً، ويبدأ بمزاولة رياضة بدنية، يبدأ بالتعرف على المرضى في نفس الجناح ويقضي معهم أوقاتاً طريفة، يتبادلون خلالها أحاديث عن حياتهم وأسفارهم، والبلاد التي زاروها. كان مانغل يصمت أحياناً خشية أن يفقد المقدرة على تجميع جمل وكلمات مفيدة ومترابطة. ومع الوقت يسمح له بالخروج من المستشفى ليحرب إن كان يتذكر كيف يسير في الشوارع والحارة التي عاش فيها سنوات طويلة. ويرى أن تلك تجربة لا تخلو من الصعوبة. لكنه دائماً كان يجد طريقة لكتابة رموز وإشارات في دفتر يوميته تساعده على التذكر والقيام بالمتطلبات اليومية. بعد فترة من البقاء في المشفى يجد الأطباء أنه يستطيع أن يعود إلى بيته. وهناك تبدأ مرحلة أخرى من التحديات والقلق بشأن القراءة والكتابة والطبخ وتبدير شؤون البيت. فلا يستغرب هو أو ابنه حين يجد علبة أقلام في الثلاجة، أو يجد علب المأكولات الجاهزة في الغسالة. لم يعد يجرؤ على لمس الصحيفة والأوراق المتراكمة التي تصل عبر البريد. كما أنه بقي خائفاً من صديقه «الكمبيوتر» ولم يعد يعرف كيف

يبدأ العمل عليه. بعد تجارب كثيرة ومساعدة من ابنه، وكتابة الكثير من الملاحظات، استطاع أن يبدأ علاقة شائكة مؤلمة مع الكمبيوتر والكتابة من جديد. هذا التطور التدريجي لم يكن سيحصل لولا مساعدات خاصة من مشرفين وأساتذة مختصين بدراسة هذا المرض، ومن أصدقاء تبرعوا ببعض الوقت ليساعدوه على إعادة ترتيب حياته. دفتر اليوميات الذي احتفظ به منذ دخوله إلى المشفى ساعده كثيراً على اجتياز المحنة وتحقيق تقدم ملموس، جزء منه نابع من تصميمه الشخصي على التمسك بالكتابة والقراءة التي تغدو حياته بدونها فارغة من كل معنى وقيمة. ولكن بقي سؤاله شائكاً، وقد يستطيع أن يقرأ ويكتب في الحد الأدنى، ولكن هل يستطيع العودة إلى كتابة الرواية التي تحتاج إلى ترابط أحداث وابتكار شخوص وتحريك الحدث بطريقة مثيرة؟ وهل يستطيع العودة إلى رواية التحري والكتابة البوليسية تحديداً، وماذا سيفعل مع الناشر الذي كان متعاقداً معه على إنجاز رواية جديدة؟ لم يفقد الحيلة والحظ أيضاً، إذ تعاطف معه جميع أصحاب الشأن وساعدوه على إنجاز عمله. كان يجد من يقرأ له فصولاً مما كتب، ليكتشف نقاط الضعف واللاترابط، ويسجل أثناء القراءة ملاحظاته ليصححها فيما بعد. وبصعوبة ينهي المسودة الأولى من كتابه، الذي يخضع للتنقيح. التصميم على الشفاء دفعه إلى البحث عن كل سبل المعالجة والتقدم. سافر إلى أكثر من طبيب إخصائي في أميركا وكندا، وتبادل معهم نتائج الأبحاث وتكلم عن حالته، وحقق صداقة طبية مع أحد الإخصائيين، كلفه فيما بعد بكتابة مقدمة لهذا الكتاب يقول في مقدمة السيرة: «اسمي هاورد مانغل، أكتب قصصاً بوليسية. هذا ما كنت أجيب به الناس حين يسألونني ماذا أعمل. كنت أستطيع أن أقول إنني روائي أو كاتب، لكن ذلك يخلق صدى مخادعاً في ذهني، وأكون أكثر سعادة بالتصريح بأن كتاباتي بوليسية. وقبل أن أبدأ الكتابة، كنت قارئاً شرها...» ثم ينتقل في المقدمة للحديث عن هذا الكتاب تحديداً فيقول: «هذا كتاب حول الدروب التي قطعتها. حول كيف تعافيت، حول الناس الذين ساعدوني، وحول اكتشافي أشياء غريبة عن أسرار وآلية القراءة والكتابة. هذه قصة نجاح، لأنني في نهاية المطاف، أجدي هنا وقد أنجزت هذا الكتاب، بل ونشرت أيضاً كتاباً بوليسياً جديداً. قد تبدو هذه القصة نوعاً من الدعاية والترويج لكن هذا ليس السبب الذي من أجله كتبت سيرتي. بالنسبة لي من المهم جداً أن أتذكر الخطوات التي ساعدتني على أن أكون ما أنا الآن. وكما أتذكر الجيش الصغير من الناس الذي ساعدوني على ارتقاء هذا الدرب بكل خطواته». ويتابع السرد بلغة جذابة لا تخلو من السخرية والفكاهة والهدوء والحكمة. يتحدث «مانغل» عن تجربته مع الكمبيوتر والعودة إلى الكتابة بعد مرحلة من التدريب الشاق فيقول: كل شيء يساعد على البداية الجيدة. ولكن هل سأستطيع أن أكمل جملة بالإنجليزية؟ هل سأستطيع أن أكتب فقرة، مقطعاً؟ هل بمقدوري كتابة صفحة كاملة؟ هل أستطيع أن أبقي على خط

يربط بين الفقرات والجمل؟ هل يجب أن أتوقف عن كتابة الرواية، وأنصرف لكتابة شعر الهايكو؟... لقد كتبت أكثر من اثنتي عشرة رواية، فماذا أريد أن أثبت من جديد؟ ليس هناك من حاجة أن أضع ثانية أصابعي على الكي بورد. ولكن، الكتابة كانت مهنتي. كنت مدمنا على الكلمات. ولم أكن متأكدا بعد إن كنت ما أزال قادراً على كتابة أدب الجريمة من جديد... لكنني أستطيع أن أبدأ رفقة جديدة مع الكلمات رغم الإعاقة التي أنا فيها.».. ص 108

صحيفة العرب القطرية عام 2008

**

فكرة اليوم: تخيل أن تستطيع ذات صباح وتفقد ذاكرتك ومقدرتك على مواصلة القراءة أو الكتابة إذا كنت من عشاق الكتب!



روحانيات وصوفيات فضل الشتاء في الشمال الأمريكي

الثلج جزء من الهوية الكندية والشمال الأمريكي. الثلج هوية قابلة للذوبان. ماذا سيفعل الكنديون وقد تأخر الثلج وارتفعت درجات الحرارة في القطب المتجمد؟ لقد قطعت إحدى جبال الجليد أوامر اتصالها مع ركنها الأولي الممتد من قرون. الجبل الجليدي المنحل عن بيته شارد يبحر على عماء في عتمة المحيط اليوم. ماذا سيفعل الكنديون بـ "هوية" قابلة للذوبان بفعل الطبيعة والترفع الحروري العالمي! أين ستذهب الدببة المدللة، وجماعة الفنون القطبية، ورياضة التزلج والكتابات الغارقة في الحكمة البيضاء وعزلتها المهيبة والمفرعة! كما نعلم أن سيرة الشتاءات ممتدة في الوعي الجمعي والفردى، موعلة في قديم الأزمنة وأساطيرها، متجددة في تحولاتها ورموزها وأساليب التعبير عنها. حين يحل الشتاء طويلاً وثقيلاً على جغرافيا المكان، لا تنجو القصيدة والرواية من تقلباته، تلوجه وعواصفه المدمرة. الشتاء والإيغال في أعماق الروح والحاجة للالتصاق بالآخر، تبادل الأسرار والحكايا في بيوت محكمة الإغلاق دافئة، وبالبؤس سكانها حين ينقصها الشرط الإنساني المعتدل، الحطب، المازوت، الكهرباء، الحب. ما أشد قسوتها، وما أشد جمالها ووحشتها. الفصول أوراق شعرية إبداعية حارة وباردة. الخريف الأسر الذي ينتشر بكثافة حزناً ورقة وشاعرية ملونة، المتدرج من الصفرة إلى الحمرة القرمزية إلى العراء البني والشحوب وحتى حلول الشتاء، حيث التجمد والبياض والوحشة والمفاجآت غير السارة التي تفرض اشتراطاتها على حركة الطيران، هجرة الطيور، سبات بعض الجمادات. ويتغلغل هذا بطريقة ما في حضن الورقة البيضاء الميتة أو الذاهبة إلى مقارعة للموت لاستجداء الدفاع والالتصاق بمكنونات الخصب المرتقب الكامن في طيات العتمة. بانتظار انبعاث "أوزيريس" المتوالد في بيوت الفراعنة، انبعاثات أسطورية تمتد في لاوعي الشعوب، أساطيرها وحكاياتها الشعبية. وتتوالى الانبعاثات في قيامة المسيح من موته تجديداً وتمجيداً لدورة الحياة في الأرض.

للشّاء سيرة وجدت انعكاسها الروحي في أقدم الكتابات الفاسفية والصوفية وأشعار القرون الوسطى والحديثة، وهذا ما نجده في كتاب بعنوان "الشّاء، بيوغرافيا روحية لهذا الفصل" الصادر بالإنكليزية من تحرير غاري شميت وسوزان فليش. يتناول الكتاب سيرة الشّاء في عدة أبواب إذ الشّاء فصل الحزن والدفن، الشّاء وقت للغوص في الروحانيات والإقتراب من الآلهة مع الثقة والإيمان بقدوم الربيع. في هذا الفصل من السنة تزداد الحاجة إلى الشّحنات العاطفية ويصبح تقديم العون الروحي للمقربين والأصدقاء متعة متبادلة وحميمة. سيرة الشّاء تدل على أنه كان أيضاً فصل النقاء الروحي وتقديم الشكر، فصل اللعب والسرور، إلى جانب كونه فصل الكآبة والوقوف على حافة الجنون المرتبط برمادية وسوداوية الطقس، ندرة الشمس وقصر ساعات النهار التي يعيشها بعض سكان الشمال الأوروبي والأمريكي. وتقول الدراسات أن الانتحار في هذا الفصل يرتفع.

أقلام ونصوص شتوية:

نصوص متنوعة تدلنا على سيرة الشّاء في الشمال وبعض بقاع العالم، كالصين والهند وغيرها. ترد تفاصيل الروح والمكان في نصوص ومقتطفات من القصة والرواية والأشعار، وهي تصف هول البرد وقسوته على البيوت الفقيرة والأفراد الذين لا يملكون مصادر للتدفئة وثياباً تحميهم في هذه المرحلة القاسية من السنة. كما وترد نصوص تتبلور فيها الحميمة والإيمان بالنور الكامن خلف المنعطف البارد المتجمد المعتم الذي يضيئ لنا بيت الحب. بيد أن الحب لا يزهر في الربيع فقط، بل أن الشّاء أيضاً يوقظ قناديل الحب ويمخر بأهوانه وعواصفه وحناته في طيات الروح العاشقة، شقياً مشاغباً مبدداً عتمة البيت والجسد. النصوص السردية والشعرية مقتبسات من كتابات متفاوتة في التاريخ والمكان، لتبلور بانوراما المشهد. بين طيات الكتاب نذهب لإضافة زيت إلى قناديل الشاعر الصوفي الهندي "سلطان باهو" 1691 نتقاسم معه نعمة الحب والإيمان به كخلاص مقدس ناجع حين تشتد الوحشة ويغمر الخوف والضعف والضياع الكائنات. وهنا يقترن اسم الشاعر بالإله باهو. وهذه الفقرات من إحدى نصوص الكتاب: في الليلة الحالكة العتمة يومض الحب قنديله.

الحب رأني ضعيفاً أقدم إلي، احتلّ بيتي.

كطفل مشاكس، لا ينام ولا يدعني أنام.

إنه يطالبني بالبطيخ في الشّاء، فمن أين أحضره له؟

كأن الأفكار المنطقية جميعها تذهب يا باهو، حين الحب يصفق بيديه!

....

كل إنسان يطلب أن يكون إيمانه ثابتاً، وقلة تطلب ثبات الحب.

يسألون عن الإيمان ويخجلون من الحب، يا لهذه القلوب المتعجرفة!
الإيمان لا تصور لديه عن الأمكنة التي يأخذك الحب إليها.
أحلفك بإيماني، يا باهو، أن تحفظ حبي ثابتاً.

سيرة الشتاء في النصوص المهجرية العربية:

ما يخطر لي وأنا أتحدث عن الشتاء والكتابة، هذا الركن الإستثنائي من الكتابة المهجرية، فأتذكر قصيدة شتوية حفظناها عن ظهر قلب وعلى مقاعد الدراسة للشاعر المهجري رشيد أيوب. يقول فيها "يا تلج قد هيجت أشجاني/ ذكرتني أهلي وأوطاني/ بالله قل عني لجبراني/ مازال يرعى حرمة العهد.." في هذه المقطوعة كأن الثلج خلفية للمشهد ونداء الحنين نحو الماضي-البيت الأم. أما الذي أن أطرحه كسؤال: هل كان الشتاء والعلاقة بالمكان وتحولاته الطبيعية والحياتية حاضر مقيم في أشعار وكتابات المهجريين الأوائل؟ أم بقي خلفية للمشهد الرئيسي القادم من الذاكرة والذهن المبحر خيالاً في رحاب الشرق والحياة التي ابتعدت ووتستعد في الذاكرة والأبجدية. ربما نجد في جميع النصوص وبقوة ثيمة الحنين والعودة الخيالية صوب الشرق، إلى جانب الحس الصوفي والفلسفي، لكن المكان بطوقسه وشتاءاته المتقلبة قلما تحضر وتشكل "ثيمة" ومحوراً في بيت القصيدة. هذا مع العلم أن أغلب المهجريين الأوائل عانوا شظف العيش وقلة الموارد ولا بد أنهم عاشوا المعاناة الحقيقية في هذا الفصل. هذا ونلاحظ أن لكل بلد طقوس شتوية تختلف عنها في المجتمعات الأخرى وذلك تابع لتدرجات حدة الصقيع، ومدنية المجتمع ورخائه الإقتصادي والتكنولوجي الذي يفرض أبجدية شتوية بنكهات مختلفة. لاشك أن لسعة البرد في سورية تختلف عن صفعة وقرصة العاصفة الشتوية الكندية والتي تزداد حدة كلما توجهنا نحو القطب شمالاً وإلى بيوت الهنود الحمر! فهل ينتبه الكاتب العربي لهذا الجوار ويكتب بعضه؟! هل تحمّر خدود القصيدة، أو ينقشب جلدها أو تمشي منكمشة على نفسها في معاطفها الثقيلة، أم أنها تمضي في أسرارها غارقة في الضباب، مبتلة بمطر الحنين والشجن والتوق إلى الماضي الذي لم يكن نعيماً؟! أعتقد أن الكتابة العربية في هذا المجال لم تنجز "خصوصية شتوية" عدا عن نصوص المهجريين الأوائل. بينما نجد في تورنتو قراءات أدبية ثيمتها الإحتفاء بالشتاء وفضحه واللعب بثلوجه. وما بين نوافذ الروح المطلة على الداخل ودفنه وشقائه وجنونه، وبين الخارج الرمادي الضبابي الصقيعي تستيقظ الأرواح والأقلام عند درجات الحرارة الناقصة جداً، وتحتمد شهوة الإنسياب في جسد الآخر، في حضن الدفتر أو يحملها التوق للنور. الكتابة فصول وحياة، من أجلها نحرق الشتاء

لينبعث العالم من رحم الموت إلى الخصب والقيامة والربيع.

نشر في صحيفة السفير اللبنانية

فكرة اليوم: العلاقة بالمكان والجليد في القصيدة ، 2002

الذي أخذه المهجر مني ساحات الطفولة، دروب وتفاصيل عمر كامل يعج بكل الجمال والألم والنزف. أبعد عن حيز مشاهداتي اليومية صور الأطفال وطلاب المدرسة إذ يذهبون للتظاهر بمناسبات لم يدركوا عنها شيئاً، صور عشاق صغار بين شجيرات الياسمين المعرش على الشرفات والحدائق والشرطي يعوي عليهم. رقصة الكروم وشجيرات التفاح على أنغام عود شرقي. أمي وانتظاراتها لربيعنا البعيد، ملتقى الأصدقاء مودة، وشقاءات، محبة، وطعنات. وأعطاني هذا المكان الكندي مساحة للتعبير عن نفسي، أبجدية حياة جديدة لغة وتفاصيل، بوتقة واسعة يومية من الصراع مع المجتمع الجديد، مساحة أوسع للالتقاء بعوالم كثيفة، أناس من العرق الأصفر أو الأسود أو الملون.

ومع أن الإبداع إنساني بالدرجة الأولى ولكن لا ضير من النظر إلى إبداع المرأة بخصوصية منطلقها الاختلاف وليس الانتقاص. اختلاف في الأسلوب واللغة والطرح يستمد عمقه من الاختلاف الجندي والمؤثرات الاجتماعية والدينية والأخلاقية التي تحيط بعالم المرأة العربية والكاتبة تحديداً كونها تحت المجهر وفي المواجهة وبطريقة مغايرة لما يقع على الرجل من رقابة ومحظورات وحريات لها أبعاد أخرى.

في أحيان كثيرة نكتب ونحن نخاف، نخاف من أن نخدش الحياء، أن نخدش الخراب، أن نخدش القبيلة، أن نخدش السلطان أو حفيده، أن نخدش الأب أو الزوج أو الصديق أو الأبن وأن نخدش الورق فنظفر بكمية من النذب في جسد القصيدة أو في قعر الروح، قد تكون مرتبكة وظاهرة أو مستورة بعناية.

هرمية من القمع في المجتمع البطريركي الذكوري وهذا له فعله في إنتاجنا الأدبي بكل أبوابه، ومع ذلك لا تخلو ساحة الأدب من نتاج سليم وخالٍ من الأورام أدبيا وجمالياً.

لأدري ربما لكل هذا الصقيع الذي في كندا فعله في قصيدتي. وأكتبها أولاً لأشعر بالدفع، كنتور افتراضي لما غاب ولما يغيب، كتحدٍ لجدران من جليد وجدران ليست من جليد، لوجوه الشارع

الحجرية والشمعية، وأترك لنفسي عزلتها بعيداً ما أمكن عن الرقابات ومصطلحات الحشمة المزمنة، ولا أدري إلى أي مدى أنجح في ذلك ولكنني أستطيع القول، أن قصيدتي كما طفلة تحبو وبين الصخو!

فكرة اليوم: اذا جلست قبالة الباب في الشتاء، ستصفحك الريح والبرودة كلما فتح الباب وأقفل. ويزداد الأمر عسرا حين تكون في غير بيتك والمكان مفتوح للعامة. اختر كرسيك، بعيدا عن الباب الذي تأتني منه الريح إذا كان لديك حرية الاختيار.





7 توني موريسون في الرواية والنقد الانكليزي

حين بدأت الكتابة عن هذه الرواية لتوني موريسون، ذهبت للبحث عن آراء الكاتبة الروائية التي حازت على جائزة نوبل عن أول رواية لها بعنوان: العيون الأكثر زرقة. وضمنت بعض أقوالها من الكتب أو حوار اذاعي -يوتيوب- ايضا في المقال مترجمة عن الإنكليزية. كما بحثت عن آراء نقاد كبار في تصنيف وقراءة الروائية توني موريسون ومنهم الناقد الانكليزي المعروف هارولد بلوم. وضمن سياق العرض ترجمت فقرات من الانكليزية إلى العربية من الرواية ومن مقولات الآخرين... وهكذا يغدو المقال، ليس عرضا لحكاية /الرواية بل بانوراما متعددة الجوانب، وفي ذلك متعة لي أولاً ومتسع لبعض الضوء على عالم المعاناة في عصر العبودية وخصوصاً ما تعرض له العرق الأسود من اضطهاد وبشكل أكثر خصوصية، المرأة والتي هي محور المعاناة في هذه الرواية . في شهر فبراير من كل عام يحتفل الكنديون بمنجزات الافارقة-والأدب الأسود وتقام المهرجانات والقراءات التي تتخذ من هذه الثيمة موضوعا طوال الشهر. هنا بعض ملامح تجربة الكتاب السود في كندا وامريكا، وأفكار حول إشكالية النقد الأسود، والقارئ الأبيض. من كتاب بعنوان: ماذا على النقد الأسود أن يفعل؟ هذا الفصل من الكتاب تأخذنا إلى بيوت الكتاب السود، على مائدة المطبخ أو في المكتب تفتح أوراق الذاكرة والكتابة والثقافة والتجربة. في حوار مع الروائية توني موريسون الحائزة على نوبل، نتحدث تحديداً عن نظرتها إلى ذكورية المجتمع والرجل الأسود بشكل خاص، وما تحمله بعض شخصيات روايتها "المحبوب" وتبدي موريسون انزعاجها من النظرة التي يأخذها القراء عنها، في أنها "تكره الرجال السود" فتقول: حين كنت أقرأ امرأة، قال لي أستاذ جامعي "أنا أقول لجميع طلابي، بأنك تحبين الرجال السود" فتجيب موريسون: طبعاً أحبهم... بل إنهم أجمل المخلوقات على وجه الأرض والجميع يحبهم" وفي موقع آخر تشير الكاتبة الى: أنه غريب ومزعج، النظرة الشائعة عن السود

بأنهم الأكثر عنفاً. فتجيب موريسون: "نعم، لقد تم تصنيفنا بالأشرار والمجرمين، في الوقت الذي كنا نحن الذين نهرب ونحاول أن نحمي أنفسنا من التعرض للعنف. عندما كنت صغيرة، كنا نهرب من وجه أي طفل أبيض. كان هذا هو الحال الإعتيادي" وتضيف الكاتبة: أغلب النساء كن يرغبن في إرسال أولادهن الشباب إلى الحرب، التي تعتبر أكثر أماناً من البقاء عرضة للحرب الأهلية..."

توني موريسون كما قرأتها وكما يراها الناقد الأمريكي هارولد بلوم الأمريكي الشهير

اعتبر الناقد رواية «رحمة» للكاتبة توني موريسون واحدة من أفضل عشر روايات صدرت في سبتمبر 2008. وطبعت في كل من نيويورك وتورونتو. في هذا العمل القصير نسبياً تعود الكاتبة الأميركية الأفريقية الأصل توني موريسون إلى موضوعها المعروف، إلى الحفر في بئر العبودية المظلم ونبش العذابات من جذورها، انطلاقاً من نقطة بدايات التاريخ الحديث الأميركي، الرحلة ما بين أفريقيا والشمال الأميركي. تتقّب صفحات تاريخ بدايات ما يسمى اليوم بأميركا، مازجة الخيال بالاحتمالات الممكنة لفهم آلية تكون هذا المجتمع الذي صار القوة الأولى في العالم اليوم. يقول الناقد الانكليزي المعروف هارولد بلوم في معرض تقديمه لكتاب نقدي خاص بابداعات توني موريسون: توني موريسون روائية تملك موهبة غير عادية. يمكنني أن أقسم نتاجها إلى مجموعتين. الأولى: العيون الأشد زرقة، سولا، أغنية سليمان. والمجموعة الثانية الأحدث: جاز، فردوس. ومن الملاحظ أن المجموعة الثانية تعكس بقوة توجه موريسون وتأكيدا على أنها أميركية - أفريقية، قومية، فمستية ماركسية. هذه الأعمال الأخيرة تحمل ايديولوجيا وموقفا سياسيا قد لا يتوافق حرفياً مع الشخصيات والأحداث. ولكن موريسون تقول في حوار معها حول الكتاب: ليس هناك كاتب وكتابة بلا سياسة. «رحمة» عنيفة وقاسية ومتشعبة. متعددة الطبقات والأصوات، تدع القارئ في حيرة وخاصة في صفحاتها الأولى، ثم تبدأ تدريجاً في الكشف عن أعماق الشخصيات والأحداث في حياة كل فرد، بالعودة إلى بدايات القرن السابع عشر، بداية الهجرة من كل صوب وتشكيل هذه الرقعة التي كانت مشاعاً كأنها «لم تطأها قدم منذ نوح»، فكانت البدايات مع استقدام العبيد للعمل كمأجورين في هذه الأرض. وأيضاً تقول موريسون في حوار صحافي تلفزيوني معها حول الرواية: بالتأكيد أن جميع الحضارات عبر التاريخ، اليونانية، الرومانية، الفرعونية وغيرها قامت على استغلال الطاقة العاملة واستعباد العمال، ولكن الشيء اللامعقول الذي حصل في أميركا هو هذا الربط الجائر ما بين العرق والعبودية. وهنا تقصد العرق الأسود وهذا ما حاولت أن تضع يدها عليه في الرواية.

*

الشخصيات متعددة الأصول والأعراق تجد نفسها مجبرة على العيش في بيت واحد في مزرعة جاكوب فارك، وتجد نفسها مجبرة على التصرف كعائلة، رغم كل الاختلافات بين هذه المجموعة من البشر الذين وجدوا انفسهم ضحية صفقات لا علاقة لهم بها، وجدوا انهم سلع متبادلة من أجل ايفاء ديون مترتبة على المالك الأول، أو على أفراد الأسرة. هنا الأم البرتغالية الملونة تقايض ابنتها ايفاء للدين، والأم نفسها، تمت مقايضتها في البداية من قبل سيدها في افريقيا، وينسحب ذلك على زوجة مالك المزرعة «ريبيكا» القادمة من انكلترا، مثخنة بذاكرة مرة شاهدت مراحل العنف والقتل في تلك الحقبة، تجد نفسها بلا خيار لتصبح زوجة صاحب المزرعة. الرق يسود على الجميع، بمن فيهم «لينا» الهندية التي شهدت دمار قريتها وأبناء عرقها، و«سورو» المختلة عقلياً. هنا يتعادل موقف المالك الذي يتصرف بحيوات العبيد الذين في خدمته، مع موقف الأم والأب الذي يتخلى عن فلذة كبده، ولكل مبرراته. الأم التي نعرف عنها بأنها كالحقبة تدافع عن ابنائها، هنا ترجوهم أن يأخذوا الابنة حين يأتي صاحب المزرعة للمطالبة بديونه. «رجاء سنهور، ليس أنا، خذها، خذها، خذ ابنتي» ص 26، وحين وافق الرجل على تضرعاتها «المرأة التي رانحتها ثم انحنى على الأرض وأغمضت عينيها» تشكر ربها. ثم كتبوا ورقة وافقوا فيها على أن ثمن الفتاة «فلورنس» 15 باوند انكليزي، أو ما يعادله من التبغ. وكانت حينذاك دون العاشرة من العمر.

فلورنس تكتشف أهمية الحروف والكلمات والكتابة.

في بداية القصة تقول: لا تجزعي. لن يوزيك ما أقوله. على الرغم مما مررت به... ما أخبرك به، يمكن اعتباره اعترافاً إذا شئت ولكن الأشياء تبدو مختلطة لأن الذاكرة ليست مخلصاً، والمخيلة تلعب دورها. البنت تتذكر، تتراءى لها صورة أم تحمل ابنها الصغير وتقف أمام الباب وفي جيب مريلتها حذاء الطفلة. الطفلة فلورنس التي كانت من صغرها مولعة بالأحذية والكعب العالي. لم تكن قدمها الصغيرة تطيق عراء الأرض، حتى وإن كان الطقس حاراً. هذا ما جعل الأم قلقة من رغبات ابنتها الطموحة والتي ستكبر ولن تجد أمها قادرة على تحقيق حلمها، بل ستكبر ولن يرحمها الآخرون، وهم يعاينون أنوثتها تنضج سريعاً

العنوان: رحمة

عنوان الرواية مستمد من موقف هذه الأم التي وجدت خلاصاً بمجرد قبول صاحب المزرعة أن يأخذ الابنة، رحمة بالطفلة والعائلة. الأم اعتقدت أن هذا هو السبيل الوحيد الذي قد يمنحها حياة أفضل مما لو بقيت في جوار أمها الفقيرة، العبداء التي تعرضت للاغتصاب وللبيع وانجبت ولدين لا تعرف أباهما. العنصرية الأمريكية اتجاه السود

إنها أميركا، وإن قلنا ان تاريخها «أسود» فسنجد أن مفردات اللغة تمارس تمييزاً عنصرياً لونياً. فلنتوقف على وجه الخصوص عند قراءة حال الأم والابنة في هذا القصص الصادم والمركب، المتقطع، المحمول على وهج لغة شعرية وتعرف إلى أين تذهب. تنقشع المواقف في ختام الرواية القصيرة نسبياً. يحضر بوح الأم وهي تشرح موقفها في رسالة مؤثرة إلى ابنتها، ولكن الرسالة لن تصل. كما أن صوت الفتاة لن يصل إلى الأم من خلال سرد يكشف انفعالات الروح ومواجهها. تقول الأم في نهايات الرواية لابنتها، بأنها تعرف ما ينتظرها وتعرف مزاج الرجال، تعرف أنها لا تستطيع أن تأمن عليها لحظة بعد أن بدأ ثدياها بالظهور باكراً وسريعاً. حتى الأولاد السود الذين يعملون في نفس الرقعة لا يمكنها أن تأمن شرهم ورغبتهم فيها. وتقول «حقيقة لا أعرف من هو والدك. كانت عتمة الليل، أتوا واخذوا ثلاث نساء منا... لم يكن هناك وقاية». «أن تكوني امرأة في هذا المكان يعني ان تكوني جرحاً مفتوحاً لا يندمل. حتى لو يكن هناك ندب، فالوجع يمتد إلى الأعماق» ص 163.

رحبت بالحيتان...

كما تصف الأم ما حصل في الخطوة الاولى في درب العبودية فتقول: «قدموا واشتبكوا مع رجالنا، أحرقوا البيوت، أخذوا الذين لم يتمكنوا من قتلهم. عدة مرات تم الاتجار بنا، نقلنا من مكان إلى آخر. كانت أعدادنا تتزايد. هناك التقينا رجال اعتقدنا أنهم مرضى أو موتى. ولكن يبدو أن هذا لون جلدهم - الذي أصبح أبيض - التبس علينا. الرجال الذي كانوا يقودوننا ويتاجرون بنا، كانوا سودا. وأكدوا لنا أن «الرجال البيض لن يأكلونا» فصلوا بيننا وأخذونا كل إلى جهة، إلى بيت يسير فوق الماء. كانت الحيتان حول القارب تنتظر وجبة». «أنا رحبت بالحيتان التي تدور، ولكنها تجنبتني. كأن الحيتان كانت تعرف أنني أفضل أن يقرضوا بأنيابهم السلسلة التي في عنقي، في رسغي وفي كاحلي». حين انطلق القارب، بعضنا قفز إلى الماء... هنا لا سبب ولا قانون لحدوث أي شيء، من يعيش ، من يموت؟ إنها مسألة واحدة، أن تعيش على أوساخك، أو تعيش على وسخ الآخرين..... وصلنا الى بربادوس. هناك وجدت أن رقصي، ثوبي، لغتي، عاداتي... كل شيء كان مخلوطاً بلون جلدي. لقد أخذوني من حقول قصب الشكر في قارب إلى الشمال كي أعمل في حقول التبغ. وقبل العمل كان يجب أن يعاشرني جنسياً، أخذنا رجال في العتمة، وبعد ذلك أعطونا برتقالة. وفي كلتا الحالتين، لا بأس، كانت النتيجة أنت وأخاك. وتضيف «أردت أن يأخذك الرجل الطويل، فقد ينظر إليك كـ«طفل انسان» كنت أبتغي حصول المعجزة. ثم قال نعم، وكانت المعجزة. رحمة قدمت من قبل انسان. جلست على ركبتي، طويلاً في الغبار، وحيث سيبقى قلبي هناك كل ليلة وكل يوم، حتى تفهمي ما مررت به وما أردت إخبارك به. آه، يا فلورنس، يا حبي... واسمعي...». لكن فلورنس التي عشقت الحرف تعيش حزنها أيضاً وتقول: شيء واحد حزين سيبقى. كل هذا الوقت لم أستطع أن أعرف ماذا كانت تقول أمي. وهي أيضاً لم تكن لتعرف ماذا أردت أن أخبرها» (ص 161).

ليست هذه أول قصة تكتبها توني موريسون عن الأم التي تقتل أو تتبع أولادها لتجنبهم شر العبودية والفقر. لكنها في قصصها لا تتوقف عند مصائر النساء فقط، بل تنخرط في تعرية المجتمع بكل طبقاته، رجاله ونسائه، أفراد السود والبيض، والملونين. يختلط بين سطورها العنف بالكره، بالحب، وبالأمل. موريسون، المرأة السوداء الأولى التي حازت جائزة نوبل عن روايتها الأولى «العيون الأشد زرقة» لم تتردد في الإفصاح عن إعجابها العالي برئيس أميركا الأسود الأول، باراك أوباما في حوار متلفز معها. كما تشيد بموهبته في كتابة السيرة. ومن الملاحظ أن هذه الرواية كان لها وقع واهتمام مميز إذ طرحت في الأسواق تزامناً مع حملة الانتخابات الأميركية وفوز باراك أوباما.

نشر في صحيفة السفير بعنوان: المرأة في هذا المكان جرح لا يندمل بتاريخ 2009-3-27

فكرة اليوم:

سؤال الهوية والجنسية والانتماء

دائماً أتعرض لإشكالية السؤال عن اسمي وهويتي وبلدي الأول، هل أنا سورية أم كندية أم سورية كندية مع شحطة؟ أنا امرأة من العرق الملون في الصنيف الكندي الحديث. أي لست من العرق الأبيض.

أجيب بأنني أشعر بالانتماء إلى هذا المكان، هذا البيت، الشارع، الثقافة الملونة المتنوعة. إلى حد بعيد مع شعور مواز بالفقد للمكان الأول بكل مكوناته. فهنا أمارس صوتي الإبداعي وصوتي الانتخابي بكل الإخفاقات والانتصارات والحيرة والحب والقلق. هنا تختلط الألوان وهناك طبقات من الهوية التراكمية الموروثة والمكتسبة. ويبقى لكل قوم تجربة ولون وأغنية وتاريخ شفاهي ومعلن.

وهنا أقتبس رأي الروائي الكندي الاسود أوستن كلارك إذ يأخذنا إلى إشكالية التصنيف الجغرافي والإبداع، هل يصح أن تكون الكتابة مصنفة تبعاً إلى البلد الأم، أم إلى البلد الذي يقيم فيه الكاتب وتجري فيه أحداث الرواية ومنعطفاتها؟ يشدد أوستن على أن روايته يعتبرها رواية كندية وليست تابعة لمكان ولادته "جزر البربادوس" والكاتب، بحسب رأيه يصبح ابن المكان الذي يعيش فيه ويمارس تقاليده وثقافته.

أوستن كلارك، روائي كندي حاز على جوائز كندية مهمة ومنها جائز غيلر لعام 2013، وتوفي عام 2016 وله من العمر 81. مواليد جزر البربيدوس.



NATIONAL BESTSELLER

TONI MORRISON

Winner of the NOBEL PRIZE

A
New York Times
Book Review
BEST BOOK
OF THE YEAR

a mercy

a novel

"Spellbinding . . . Dazzling . . . [*A Mercy*] stands
alongside *Beloved* as a unique triumph."
—*The Washington Post Book World*

8 الحجاب والبرقع والاندماج مع الثقافات الأخرى.. أراء نسوية من العالم

حين تجتمع 21 كاتبة شرقية وغربية، يهودية ومسلمة ومسيحية ومن ديانات أخرى بين دفتي كتاب ثيمته الحجاب يصبح لوقع الكتاب وصوته صدى وبخاصة للملتقي والباحث الغربي الذي يتطلع في هذا العقد من الزمن بفضول وريبة إلى كل ما يمت إلى الشرق والإسلام بصلة وبخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر التي شكلت نقطة فارقة في التاريخ المعاصر سياسياً واجتماعياً، وأدبياً إلى حد ما. صار البحث في الإسلام والمرأة هوساً وموضة معاصرة قد يكون مرده الخوف من الآخر، أو الرغبة في كشف ما احتجب من سيرته وربما باتت هذه المعرفة ملحة بسبب هجرة أعداد هائلة من المسلمين والشرقيين إلى الغرب وذلك بسبب الحروب والقمع والفقر. لقد عكف بعض الكتاب الأجانب على كتابة روايات عن نساء أفغانستان، بعضهم تفرغ لزيارة تلك البلاد "الأكزوتيكية" لتحرير كتابات حسب متطلبات السوق. في مواقع أخرى قامت نساء شقيقات بكتابة سيرتهن الذاتية وشهادتهن على تاريخ بلاد تتعاقب على حكمها الديكتاتوريات، كالكاتبة الإيرانية آزاد نفيسي، والكندية مارينا نعمات. فليس غريباً أن يحظى حجاب المرأة المسلمة اليوم بهذا القدر من الاهتمام على الصعيد الدولي الغربي والاوربي. لقد صدرت في الآونة الأخيرة كتب عديدة حررها باحثون غربيون عكفوا على دراسة هذا الحجاب وما يحمله من دلالات سياسية، أو اجتماعية أو جنسانية كمثال الباحثة الأمريكية البرفيسور جوان والاك سكوت في كتابها "سياسة الحجاب" تتناول فيه الخلفية التاريخية لهذا الرمز ولماذا يتم تناول حجاب المرأة اليوم في فرنسا وعدد من الدول الأوروبية بهذه الحدة، ويتم التغاضي في الوقت ذاته عن إشكالات أخرى تخص حجب الرجل، أو تخص الرموز الدينية التي تتعلق بالعادات اليهودية والمسيحية. نتوقف هنا لنعاين كيف تقرأ المرأة سيرة المرأة والحجاب تاريخياً واجتماعياً في هذا الكتاب الذي

صدر عام 2008 عن مطبوعات جامعة كاليفورنيا، بعنوان "الحجاب- نساء يكتبن عن تاريخه، معرفته، وسياسته" والذي قامت بتحريره الباحثة "جينفر هيث" صدر لها 8 كتب إبداعية

وعدد من الكتب التي تصب في خانة المرأة في الإسلام وأحوال نساء أفغانستان بصورة خاصة. تتطرق الأستاذة مُهجة كهف، مساعد بروفييسور في قسم الأدب المقارن جامعة اركانساس في شهادة مطولة إلى حجاب المرأة في العصر اليوناني والروماني والبابلي والأشوري والهندي. كما تبحث مسألة الحجاب والتقسيم الطبقي تاريخياً. لكنها لا تكتفي بتصوير شخصي لوضع المرأة في بلد عربي واحد بل تدرس خصوصية كل بلد عربي على حدة بشيء من التفصيل. تقول السيدة كهف "من الممكن أيضاً أن ترى المرأة المسلمة حريتها بشكل مختلف عما تراه تجمعات النساء المدنية الفمنستية، وعما تصوره الميديا. فبدلاً من النقاش حول نزع الحجاب او عدم نزعها قد تفضل النساء في دول النفط والخليج، حل المسائل المتعلقة بالزواج وحصول الزوج أو الزوجة على حقوق المواطنة العادلة. وقد يكون اهتمام المرأة الفلسطينية أكثر بأن ترى جدار الفصل العنصري والاحتلال قد زال. وربما نساء مسيحيات في بعض من الدول العربية قد يكن مشغولات أكثر بالبحث عن حقوق متساوية لحضانة الأطفال حين يتزوجن من رجال مسلمين. قد يكون هناك دوماً إشكالات جندرية أشد أهمية من الحجاب" ص 39. كما تشير في موقع آخر إلى أهمية أن تسعى وتجادل المرأة والرجل، المسلم والمسيحي لرفع الحجاب عن المرأة، ولكن ليس بالعنف. وحين يفعل الغرب ذلك فهو يتقاطع مع ما قامت به بعض المنظمات الشبابية في سوريا في الثمانينات، حيث تم خلع حجاب بعض النساء بالقوة في شوارع دمشق وبايعاز وترتيب من قبل رفعت الأسد. في مواقع أخرى تتحدث عن معنى الحجاب الذي يختلف من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر. وتقول "أنه بالنسبة لي كجلد ثان، فيه جمال وكرامة عندما ينزاح ويتساقط أرضاً. سعادة ارتدائه أعرفها أنا لي وليس أنت". الكتاب غني ومتنوع ولا يفوته أن يقدم لنا شهادة امرأة امريكية "باميل تاييلور" اعتنقت الاسلام وصارت تدافع عن حجاب المرأة المسلمة. الشاعرة ايف غروبين، أستاذة الشعر والادب في جامعة امريكية، درست العبرية والأدبيات اليهودية في قسم الدراسات اليهودية في القدس، تتحدث عن تجربة حياتها الشخصية والعائلية كشاعرة محاطة بالشعراء قراءة وكتابة وتدریساً، جعلها عارفة بالشعر، وجاهلة لليهودية وخاصة أنها ترعرعت في كنف أسرة يحيط بها النشاط السياسيون، الشعراء، الكتاب حيث كانت العائلة تقيم في مانهاتن وجل اهتمام الجميع منحصر في الفنون والعدالة الاجتماعية. تقول أنها فيما بعد صارت تذهب مع صديقة لها إلى منطقة تقيم فيها عائلات متمسكة باليهودية طقوساً وعادات، فلمست الفارق والفراغ الروحي الذي كانت تعيشه رغم ما يوفره الشعر للنفس من روحانية. تقول: لاحظتُ أن النساء والرجال اليهود يولون اهتماماً لستر أكبر قسم من الجسم حين الخروج الى الأماكن العامة. حتى في الصيف، النساء اللواتي عرفتھن كن يلبسن بأناقة ولكن دون إثارة. تذهب الشاعرة إلى تحليل قصة آدم وحواء والأكل من شجرة

المعرفة التي فتحت عين حواء على حقيقة جسدها عضواً عضواً، وهذه المعرفة التي تكشفت بعد أن انزاح حجاب عن عينيها. تتطرق في بعض الأمثلة إلى مقاربات الظاهر والباطن عند الشاعرة ايميلي ديكنسون التي ترى أن ثمة رابط وشيخ بين جمال الداخل والخارج. وتتطرق كذلك إلى مقطوعات شعرية للشاعر الانكليزي كيتس ورؤيته للجمال والحقيقة بقوله "الجمال هو الحقيقة، جمال الحقيقة- هذا كل ما نعرف على هذه الأرض، هذا كل ما نحتاج أن نعرف" كما تحيلنا إلى إشكالية التورية في التوراة والتلمود حيث الكشف غير صريح. كتابتها التي تخوض في مسألة الكتابة الشعرية والكتب السماوية التي تعتمد التورية والإيحاء بدلاً من الكشف والتصريح. وهذا ينحسب على الديانات التوحيدية الأخرى الإسلامية والمسيحية. وفي شهادات أخرى من الكتاب نرى إحالة إلى بعض طقوس الحجاب الذي تمارسه بعض النسوة في المجتمع اليهودي، حيث تقوم المرأة بارتداء باروكة من الشعر المستعار عوضاً عن شعرها الأصلي. كما هناك مقاربات مفصلة حول لباس الراهبات المسيحيات والهنود وغير ذلك. تقدم شهادة الباحثة السورية سميرة استيفان صورة مفصلة عن واقع العائلات المسيحية في دمشق حيث تعيش المرأة حالة من الحجب الاجتماعي بموجب التقاليد التي يخضع لها الجميع من باب التعايش السلمي القانم على المواخاة والاحترام. الأساطير أيضاً تحضر في هذا الكتاب وتحضر رقصة سالومي والتعري الذي يترافق مع فقدان السلطة على الآخر، إلى جوار حقائق وشهادات عن تجربة نساء معاصرات من باكستان. تقول الكاتبة الهندية عائشة لي فوكس شهيد، جدي الأكبر لم يكن يريد لبناته أن تلبس الحجاب، جدي شجع أمي وأخواتها على الدخول إلى الجامعة وكان يتعبر السلوك هو المفتاح. تتحدث عن شيفرة اللباس المختلفة بين بلد إسلامي وآخر، فما هو مقبول في مصر، ليس مقبولاً في الهند. الساري الهندي لا يتقاطع مع البرقع وغطاء الرأس في سوريا ليس كغطاء المرأة السعودية. بين هذه الشهادات تكثر المتناقضات، فهناك من تجد إسقاطاً وتوالياً قرآناً لمسألة حجاب المرأة، وهناك من تنفي قطعاً وجود مثل هذه التصريحات. وبعضهن يراه عبئاً ثقيلاً مفروضاً عليهن كما في السعودية تقول الأستاذة الباحثة شريفة زهر في مقالاتها التي بعنوان "من حجاب إلى آخر" :
توأ نفضت عني عباءتي، وأنا في مقعد الطائرة. هذا الثوب الطويل المصنوع في الكويت، له مسحة محلية، أطرافه مذهبية. القطع المعدنية لغطاء الرأس-الشيلة-كادت تخنقني منذ أن غادرت الأوتيل في الرياض. والآن بسعادة طويث هذه الأشياء في حقيبتني. تقول في شهادتها انها كانت تزور الرياض عام 2005 لتدرس فيما إذا كانت رياح التغيير قادمة. انها باحثة ولها ما يزيد عن 10 كتب في موضوعة المرأة والاسلام والجندر، تعمل كبروفيسور في جمعات بركلي، وكاليفورنيا. تتحدث عن لقائها بعدد من نساء الاعمال السعوديات، وعن دعوتهن لها لحضور مهرجان الجنادرية، وكيف تعرض المطاوع لامرأة ضيفة قادمة دون عباءة. تتحدث عن التقسيم الذي يحدث بسبب اللباس وتضرب مثالا عن مشاهداتها في جامعات اسرايل وفي المناطق التي يعيش فيها البدو العرب مع الاسرائيلين. تخلص السيدة إلى القول: لدينا أمل في أن مستوى حقوق المرأة الذي يجب أن نعلن عنه، يجب أن يذهب إلى

أبعد من قضية اللباس، وأن نتمكن من تلبية احتياجات المرأة التي تفضل الحجاب والتي لا ترغب به. أما محررة الكتاب الباحثة جنيفر هيث، فتخصص مقالاتها للبحث في تفاصيل حجاب الرجل منذ أقدم العصور بما في ذلك الطقوس الكنسية وحجاب راعي الكنيسة. وتتوقف بشكل خاص أما حجاب رجال "الطوارق والبدو والبربر في أفريقيا. كما تشير في شهادتها إلى جوانب من حياتها الشخصية وأنها الراحلة التي كانت مغرمة بجمع الأقنعة من كل الألوان والأشكال والبلاد. تتحدث عن طفولتها وكيف كانت الأم تخاف عليها من تلك الأقنعة التي تحمل مدلولات سحرية ومخيفة. تختم جنيفر شهادتها المؤثرة: الآن وبعد رحيل أمي ما يزال لدي عدد من الأقنعة أقوم أحياناً بوضعها أمام المرأة. أجربها كلها كما كنت أفعل وأنا طفلة، وحين أتعب أضعها جانباً وألف أكتافي بالشفال الأسود الذي لبسته أمي في جنازة أبي، وأرقص حتى أسقط أرضاً. أغطي وجهي بوشاح أمي الأسود، وأبكي بهدوء إلى أن يغادرني الألم. لعل هذه الشهادات التي تحمل صدق التجربة وعمق القراءة والتجربة والبحث تفتح أمام القارئ الغربي نافذة للنظر في الموزاييك الشرقي الغني والمتنوع والذي يستحيل حصره في كتاب لم تحاول صاحبات القلم فيه أن تجعل منه ساحة معركة وتصفية حسابات مع التاريخ والحاضر الذي يوسع الشقاق بين عالمين قطبيين، رغم أن المعركة حول الحجاب والبرقع محتدمة على أرض الواقع في عدة دول غربية. (نشر في الجزيرة نت عام 2009)

Book title: The Veil- Women writers on its history, lore, and politics

Edited by: Jennifer Heath, 2008

2

أمرأة البرقع في مدينة تورنتو

سيرة اليوم... 2023

حول عزلة المهاجرين والاندماج في المجتمع

الإشكالات التي يعيشها المهاجرون في الغرب وأوروبا لها بداية وليس لها نهاية. لا تقتصر على الصدمة الثقافية بسبب اختلاف المفهوم الحضاري والثقافي، الاقتلاع من اللغة الأولى والمكان الأول، الاغتراب والعزلة وفقدان شبكة التواصل الاجتماعي والروابط العائلية والقبلية والدينية. كل من هذه الأركان تشكل صراعاً وصداعاً للفرد المهاجر، للمرأة والرجل على السواء. إضافة إلى كل هذا نقف إزاء المظهر الخارجي الذي يحمل رسالته الفارقة والفارقة بعض الأحيان. أورد هذه المقدمة العمومية لأصل إلى صورة الفتاة المبرقة العارقة في سوادها والتي استوقفتني هذا الأسبوع فيما كنت عائدة من عملي وانتظر الباص. لفت نظري بالدرجة الأولى نظارتها الشمسية التي تغطي البرقع الأسود المنسدل على كامل وجهها وعينيها أيضاً. برقع ينسدل على كامل الوجه، يعلوه غطاء الرأس السميك الذي ينسد على ظهرها. غارقة في

عباءة سوداء فضفاضة تعيق حركة قدميها المحشورتين في حذاء رياضي، تحت العباءة يظهر جزء من بنطالها الأسود الطويل الذي يللم الغبار. وكذا حال كفيها المحشورتين في قفازات سوداء طويلة سمكية.

وفي يدها حقيبة كبيرة بنية اللون. قرأت كتابة أفغانية على واجهة المحل الذي خرجت منه الفتاة مسرعة، وتبعها عدد من الصبايا والفتيات الصغار. رغم ازدحام المنطقة، كان وجودها علامة فارقة، مرتبكة كانت تمشي، وكأنها تهرب من ذاتها، كأنها مطاردة من الداخل ومن الخارج، كان قوامها يفصح عن كائن هش غض قلق رغم طبقات السواد الكثيفة. وقفت دقيقة بجانب على موقف الباص، ثم مشت مسرعة. أكثر من سيارة عابرة أطلقت زموراً حاداً، لكن الفتاة سارعت من خطاها وإلى الأمام. مع الملاحظة أن استخدام "الزمور" في كندا يأتي عوضاً عن شتيمة يريد أن يوجهها سائق إلى آخر تعبيراً عن نفور أو تذمر. من الركن ذاته خرج عدد من الصبايا المراهقات والفتيان الصغار، بعضهم يحمل كتاباً في يده. الفتيات الأخريات يلبسن عبااء سوداء وأغطية على الرأس، ولكن الوجه مشكوف. أحد الفتيان كان يلبس جلابية بيضاء قصيرة قليلاً وعليها بعض البقع الدهنية، ويظهر من تحتها حذانه الرياضي، على رأسه قبعة صغيرة مشغولة باليد. وإلى جواره يسير شاب آخر، ذقنه فتية، يلبس جلابية طويلة سوداء، وحذاء "أبو أصبع" الفتيات الأخريات كنَّ أصغر سناً، أكثر مرحاً، يضحكن ويقطعن الطريق سوية. تفقدت حقيبتني لكنني لم أجد الكاميرا. قلت في نفسي "لكن هؤلاء الصبية قادمون من جبال وقرى أفغانية ولم يتعرفوا بعد على تفاصيل الحياة الجديدة وما شابه. وصل الباص في موعده، وفي الموقف الثاني، رأيت الفتاة المبرقة ذاتها قد استقلت الباص. تعثرت حين دخلت وأخذت بعض الوقت كي تعثر على بطاقة الأجرة. جلست في المقعد الشاغر بجوار عجوز شقراء، توجهت بنظراتها إلى أرض الباص، وكانت النظارة الشمسية ما تزال تغطي البرقع المنسدل على كامل وجهها. بقيت نظراتي معلقة بهذا الفتاة. انتابني شعور مزيج من الحزن والإستكار. بقيت الصورة في رأسي بكل تفاصيلها، وأثارت في أسئلة وسيناريوهات إلى أن قرأت مقالة لعباس بيضون في ثقافة السفير تاريخ 11 تموز 2009. في السطور الأولى وجدت أنه يتحدث عن ذبح امرأة مبرقة في ألمانيا. قلبت الصفحة ولم أرغب في قراءة "حكاية مروي" والعنف ضد المرأة مرفوض بالتأكيد. عدت للمقال في اليوم التالي، وجدته يعرض حادثة فتاة مصرية تعرضت للذبح في ألمانيا على يد غريب، وليس السبب معلوماً، أهو عنف ضد فئة من المسلمين المهاجرين الملتحقين بثقافة البرقع، أم هو عنف ضد السامية، أم عنف ضد المرأة وحضورها في المجتمع! وفي هذا السياق نستطيع أن نقول أليس هذا البرقع الذي تلبسه هذه الفتيات ومثيلاتها صيغة أخرى للعنف الموجه إلى وجود المرأة وكيانها البشري، وانسلاخاً عنيفاً عن المجتمع المحيط، ورفضاً له؟ لن نقول ما يقوله المثل الانكليزي "إن كنت في روما، تصرف كما أهل روما" لكننا نقول أن السماح للشمس بالقاء التحية على الجسد، ضرورة للجسد وتساعد على امتصاص فيتامين "دي" الضروري لتغذية خلايا

الدماغ وتطورها، ويساعد أيضا على امتصاص الكالسيوم المفيد للعظام ولبناء الجسد والذهن السليم! هامش اليوم: كندا أكثر دول الغرب تسامحاً مع ثقافات الأقليات وخياراتهم الدينية والمدنية، وهذا يستدعي تسامح أهل ثقافة البرقع مع نساءهم، أجسادهم ومستقبلهم في البلاد الجديدة التي إتخذوها موطناً بديلاً .

فكرة اليوم: المجتمع بحاجة الى نساء يصبحن معابر سلام ولا يصبحن قتابل موقوتة.
نساء يحرضن على الفرع والمحبة وليس على القتل والثأر والتصفيق للرجال ذوي الدم الفانر.
المجتمع بحاجة لنساء لسن صدى أحزاب وايدلوجيات.
نساء لسن صدى العادات والتقاليد العصبية القبلية الطائفية.
نساء، أمهات عاشقات، سيدات، حبيبيات، طبيعيات بل نساء- نساء. نساء سلام
وبالتأكيد نحن بحاجة إلى رجل-رجال يثمنون الإنسان والكلمات...فالكلمات تماثل في بعض حالاتها السلاح والقذيفة والساطور.



الحياة السرية للملابس الداخلية السورية وتصميمات الإثارة،

ما بعد سميرا اميس

أنا من بلد الملكة السورية سميرا اميس

الملابس الداخلية السورية وحياتها السرية، صارت منشورة على الملئ في كتاب توثيقي من تحرير اللبنانية رنا سلام المقيمة في انكلترا، الصحافية مالو هالاسا المهتمة بثقافة الشرق الأوسط وعدد من المصورين والمصورات السوريات، وعارضات الأزياء، منهم: جيلبرت حاج، عمر معتم، ايمان ابراهيم، نور كيفوركيان. الكتاب عن "الحياة السرية للملابس الداخلية السورية" في 179 صفحة مثيرة. صدر بالانكليزية في سبتمبر 2008 عن " كرونيكل بوكس".

المذيع الكندي -الباكستاني الأصل "جيان غوماشي" على أثير راديو "السي بي سي" الكندي الوطني، قدّم مفاجأة للشعب الكندي ولي كمستمعة مدمنة، وهو يستضيف في الاستوديو مؤلفة الكتاب الصارد حديثاً بالانكليزية. يبدو نهاري اليوم سيأخذ نكهة مختلفة. سوريا اليوم لن تحضر في نشرة الأخبار والحوارات من خلال شخصية ماهر عرار الشهيرة وحكايات سجناء آخرين أقل شهرة من عرار، ما يزالون يحتلون حيزاً من أثير كندا وهم يتحدثون عن موضوعهم الشائك، عن زجهم في السجون السورية وتعذيبهم، وتورط الجهات الكندية والأمريكية في الموضوع، اشتباهاً. لقد صار اسم ماهر عرار مترابطاً مع سوريا بالنسبة للمواطن الكندي-المحدود المعرفة - فحين يسألني أحد من أي بلد أنت؟ أجيب: من سوريا، فيأتي الجواب مع رفع الحواجب قليلاً: من بلد (ماهر أرا).! ولا وقت لديهم لأقول: لا، أنا من بلد سميرا-اميس، زنوبيا، كليوباترا، أو غادة السمان. جميل، لقد انتهى زمن عرار ورفاقه، الآن سوف يعرف الشعب الكندي أن للسوريين شهرة عريقة في تصميم وتصدير الملابس الداخلية الفاقعة المثيرة جنسياً، وبنوعية تفوق الملابس الداخلية

الاطالية والأمريكية. رجالات دار "فيكتوريا سكرت" للملابس الداخلية الأمريكية فشلت مخيلتهم مقارنة بمخيلة الرجل السوري في التصميم. المفارقة أن الشعب الذي يلبس "فيكتوريا سكرت" شعب لا يكيل للتستر حرمة، فيما "الحريم" السوري الذي يستهلك الجزء الأكبر من هذه البضاعة الغالية الثمن، هو من القسم الذي يلبس الجلباب والعباءة. والمستهلك(ة) من كافة البلاد العربية، والسعودية والخليج على وجه الخصوص. وبالتأكيد لن أتوقف زبائن من العراق في مثل هذا الوضع. هؤلاء الجاهلين بتاريخنا الجنسي ومتعة بيوت الحرمك، أمامهم الآن فرصة اكتشافنا، تعالوا انظروا إلى الملابس الداخلية الأنثوية، قماشتها، مراحل تصميمها، موقف المرأة السورية من لباسها الداخلي، أهمية الحياة الجنسية عن العرب، وتفاصيل أخرى حول: من يشتري هذه السراويل، وفي أي عمر ومناسبة هذا اللباس كي يكتمل فهو يستعين بمواد خارجية لإضافة متعة وبهجة للعين والحواس. حتى التكنولوجيا صار لها نصيب في هذا الإبداع. هناك لباس داخلي، وسوتيان يعني إذا لمسها الحبيب، ولباس مثبت عليه "موبايل بلاستيكي" يصدر نغمات أيضاً. لم يقل الكتاب فيما إذا كان "الكلسون" مبرمج برنات شبيهة بتلك التي تحدث عند النشوة الجنسية، وسيكون جميلاً لو أطلق اللباس الداخلي إنذاراً إن كانت صاحبه على غير استعداد للمعاشرة يوم الخميس أو الأحد. سأحمل الكتاب معي أينما ذهبت لأحدث صدمة واستنارة في أذهان هؤلاء الذين لم يكتشفوا نكهة الشرق. وهناك مقالات عن المطبوع في عدد من الصحف الأمريكية والإنكليزية. الغرب لن يتهمنا بالإرهاب بعد اليوم. ها هنا نحن نحب الجمال ونقدس الجنس ونبدع ثياباً داخلية (تؤكل، تصدر روائح، مزينة لأوراق شجر، والفاكهة والريش). سأبتخر بهذا الكتاب لأنه بالانكليزية ولن أحمل كتاباً يتحدث عن أدبيتنا المتمردة الأدبية عادة السمان. فكتاب من هذا المعيار وبالعربية لن يصل إلى المواطن الكندي المنشغل بـعضه. بحماية الدب القطبي والفقمة من الانقراض. سنقول تطورنا. صورة المرأة العربية الشهرزاد، نساء ألف ليلة وليلة، ومخلفات الاستشراق، ستحل محلها الآن امرأة عصرية، امرأة الملابس الداخلية المثيرة الصارخة، والمضحكة حقاً، عدا عن أنها غالية الثمن. لكان الكتاب يريد أن يقدم صورة النساء السوريات والعربيات عموماً بأنهن جميعاً مبرقات، وبعد الحجاب والعباءة مشغولات بثيابهن الداخلية التي تصل إلى 30 طقماً ملوناً تضعه المرأة في "جهاز العروس". لباس لكل يوم من أيام الشهر. كل لباس لا يقل عن 10-16 60 دولار، هذا إذا علمنا أن كيلو لحم الغنم السوري قد يصل إلى 600 ليرة سورية، ولحم البقر حوالي 400 ل.س. هذه المنتجات واسعارها عام 2009 تجدونها معلقة في أكشاك ومحلات سوق الحميدية الشهير في الشام، وشارع الحمرا في بيروت، وأيضاً في لندن. واقتراح أن تفتح المصممة فرعاً لمنتجاتها في منطقة الجزيرة السورية، لعل الشعب السرياني والكردي يأخذ فرصته من المتعة والمعرفة، ويكف عن الانقراض والهجرة إلى الداخل السوري والخارج المغربي.

الكتاب وثائقي يحمل شهادات نساء في أسواق الحميدية في الشام، والحمرا في بيروت. يقدم شهادات وأراء أصحاب اليزنس، المصممين الذكور في الغالب، وزبانن من طبقات وثقافات متفاوتة. يحتوي على مقالات، قصائد، صور فوتوغرافية، ماركة سورية حرّة بامتياز.

نشر عام 2009 في صحيفة السفير، وأعيد نشره في عدة مواقع الكترونية.

*

2

محطات...2022

مفارقات وعودة إلى ملكات الحضارة السورية

من هي سميراميس !

سميراميس هي ملكة آشورية 800 ق.م. واسمها سيمورامات ومعناه الحمامة. ارتبطت تسمية "سميراميس" بالعديد من المعالم الأثرية في غرب آسيا والأناضول بعد أن فقدت أو نُسيت أصولها، بما في ذلك نقش بيستون لدارا الأول. ينسب لها هيرودوت الفضل في بناء الضفاف الاصطناعية التي حصرت نهر الفرات. وعرف اسمها لأنه مكتوب على باب بابل. سميت العديد من المواقع في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين، وميديا، وبلاد فارس، والشام، والأناضول، وشبه الجزيرة العربية، والقوقاز باسمها الذكرها. على الرغم من أن الإنجازات المنسوبة إلى سميراميس تكمن في المقام الأول في عالم التاريخ الأسطوري الفارسي والأرمني واليوناني، إلا أن الشخصية التاريخية شامورامات موثقة بقوة. من المحتمل أنها تولت بعد وفاة زوجها دور الوصي على ابنها أداد نيراري الثالث. وبالتالي، من الممكن أن تكون شامورامات قد مارست السلطة على الإمبراطورية الآشورية الجديدة الممتدة (605-911 قبل الميلاد) خلال تلك الفترة التي امتدت فيها الإمبراطورية من جبال القوقاز في الشمال إلى شبه الجزيرة العربية في الجنوب، ومن غرب إيران في الشرق إلى قبرص في الغرب. في مدينة آشور على نهر دجلة، شيدت شامورامات مسلة نُقشت عليها عبارة: "مسلة شامورامات، ملكة شمشي أداد، ملك الكون، ملك آشور، أم أدد نيراري، ملك الكون". ملك آشور، زوجة ابن شلمنصر، ملك أقاليم العالم الأربعة." وهذه معلومات وردت في ويكيبيديا.

سيرة اليوم: لماذا تكتبين المقالات؟

سألني أحد الصحفيين: لماذا أكتب المقالات وأبعثر جهودي دون مردود يذكر. أذهلني السؤال لأنني لا أعتقد بأن الكتابة الصحفية لا قيمة لها ولا مردود معنوي وفكري وثقافي للعمل الصحفي. أو من أن هذا ما يجعلنا نتعرف على كتب وأحداث وأفكار ويعطينا الفرصة أن نضيف شيئاً إلى القارئ العربي. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكتب التي اختارها تكون عادة بالانكليزية ومن خلال العرض أترجم بعض الفقرات وأعرض ما يتقاطع مع الواقع من أعلام وقصص تأخذ حيزاً من الفضاء الإعلامي في ذلك الحين فهي بذلك شهادة على مرحلة تشبه يومياتي في قراءة الواقع وتأويله. وحين انغمس في مقال ما، ليس غايتي عرض الكتاب منفصلاً عن الواقع، بل أقوم بإسقاط الأفكار التي في الكتاب على ما لدي من معانيات وتجارب وخبرات في الحيز الاجتماعي والثقافي والسياسي والأدبي. ففي مثل هذا المقال، ليست الملابس الداخلية هي المحور الأهم، بل هي واجهة كي أتطرق إلى النظرة الجنسية والجنسية للمرأة في الشرق وفي الغرب، وكيف نساهم في الشرق وفي الغرب على قولبة النساء في خانة المتعة دون الخوض في عمق المأساة والعلاقة بين الجنسين على أكثر من صعيد.

لماذا أكتب المقالات ؟

إنه الشغف أولاً وأخيراً والغنى الذاتي الذي تضيفه الكتابة على عالمي. لقد أعطاني المكان الجديد واللغة الانكليزية وكل هذه المسافات مقدرة لأرى بشكل أنصع وأكثر احترافاً وكثيراً ما كنت أستيقظ من سهوي وأنظر إلى النوافذ أنظر وأقول: يا ترى أين أنا؟! ولماذا؟ وإلى متى هذا الحنين والموت اليومي، والصراع من أجل عالم أفضل وأسمى؟ فلا أجد سوى الكتابة والمزيد من الحكايات والكتب كي أقتحم الحياة وأترك بعض الأثر أو كي أكون ما اخترت أن أعشق وأقول فيما العالم يتراجع وينهار أمام أعيننا بلا رحمة، وكأن لا شيء أصبح أفضل مما كان عليه في الكتب. لماذا أكتب رغم كل هذا ؟ الواقع سلفي ومعتم ومثلي مثل غيري من المبدعين يحاول كل منا أن يكون حدثاً بأسلوبه ولغته ومواضيعه (هو-هي) وأنا أرى أن الإبداع النسوي ما يزال متعثراً قليلاً، أو مغيباً قياساً إلى صوت الرجل، وذكرٍ في حالات كثيرة ويحصل أحياناً أن أقرأ نتائج نساء فأرى رجلاً "سيداً" وراء القلم. ربما مازالت بعض الكاتبات تفعل ذلك وكما أرادت "مي زيادة بقولها " فلنكتب كما الرجال"! ولذلك أريد أن أكتب كما تريد جاكين وليس كالرجال. أكتب كي أردم الغربة التي أنا فيها حتى وقعت في بطن الحفرة ورحت أكتب كي أخرج وأنتصر عليها وما زلت أحاول.

فكرة اليوم:

ما بين القلب واللسان خطوط تتجه شرقاً وأخرى تتجه غرباً.
وأخرى تتقاطع على محيط الدائرة وتكمل الدوران والالتفاف.
خطوط أخرى مستترة لا تفصح علناً لكنها تشفّ عما استتر.
أيتها القلوب- والألسنة كوني حقيقة الحلم الآتي،
كوني الآن معبراً الى الغد الأجمل...





المحاضرة الأخيرة في حياة عالم ينهشه السرطان

كي نتعلم كيف نموت بشكل جيد، يتوجب أن نعرف كيف نعيش ونحتفي بالحياة. هذا ما يحضرني وأنا أتأمل هذا الكتاب "المحاضرة الأخيرة" للدكتور راندي باوش. ماذا أراد أن يترك من أفكار وذكريات ولماذا حاز على شهرة عالمية! البروفيسور الشاب راندي باوش تلقى النبأ الصاعق عن موته القريب. كان مصاباً بسرطان الكبد، العالم النشيط المتفوق في تخصصه العلمي والسعيد في حبه وحياته الأسرية، المحاط بزوجة شابة وثلاث أطفال صغار دون السابعة. بدأ التحضير لرحلته في هذه الحياة خلال هذه الأشهر المعدودة. الصدمة النفسية المرهقة، جعلته يذهب هو وزوجته لطلب الاستشارة والمساعدة من قبل اخصائية في علم النفس ومساعدة الأفراد والأسر التي تمر بمثل هذه الحالات الأليمة. خلال هذه المرحلة يتم تكليف البروفيسور راندي باوش الذي يعمل محاضراً في إحدى الجامعات الأمريكية بتقديم محاضرة تكون بمثابة "المحاضرة الأخيرة" وفق تقليد يجري في هذه الجامعة، ويترك للأستاذ المحاضر تقديم مايشاء من الحكمة والمعرفة لطلابه وللحضور. الأستاذ البالغ من العمر 47 سنة يواجه قلقاً شديداً وصعوبة في اتخاذ قرار سريع بخصوص هذا التكليف. رغبته الداخلية الشخصية بالقبول كانت قوية لأنه يريد أن يعتلي المنصة للمرة الأخيرة ويترك صورة وصوتاً ودرساً في الحياة لأطفاله الصغار حين يكبرون، وهذه الرغبة كانت تتصادم مع رغبة زوجته التي تريد أن يعيش معها ومع الأطفال كل دقيقة متبقية من عمره. وبعد مناقشات حميمة تتعاطف الزوجة مع رغبته وتتفهم عمق دوافعه. وفي إحدى الزيارات وبعد الحصول على نتائج التصوير التي تشير إلى انتشار المرض الخبيث في خلايا جسده الأخرى، ينصرف إلى جهاز الكمبيوتر-اللاب توب ويكتب رسالة إلى الجامعة يخبرهم فيها عن قبوله التكليف ويحدد لهم عنوان المحاضرة ومحورها. يركز موضوعه الأساسي على أهمية تحقيق ما يحلم به الشخص في الطفولة وأهمية مساعدة الآخرين

على الانتباه لأحلامهم والعمل على جعلها حقيقة. وترتكز المحاضرة هذه على الاحتفاء بقيمة الوقت والاحتفاء بالحياة بالحب، بالأسرة، والتواصل مع الآخرين حتى في أشد ساعات العمر قتامة. المحاضرة الأخيرة يبتعد فيها عن مأساوية القدر والحزن والخوف من هذا المرض الذي يخشى العالم النطق به. يذهب راندي أستاذ المعلوماتية وعلوم الكمبيوتر والتواصل الإنساني، للنش في أرشيف العائلة والذاكرة للبحث عن النقاط المحورية والسعيدة التي كان لها أثر كبير على تطوره النفسي والعلمي فيما بعد. وهو المعروف بتفوقه العلمي ومخيلته الباهرة التي مكنته من العمل مصمماً في ديزني لاند، وضمن فريق "التخليين" كما عمل استاذاً مشرفاً ومبتكراً لبرنامج سمّاه "الحقيقة الافتراضية". وعمل كخبير في عالم التكنولوجيا متعاوناً مع "غوغل" ومع شركات أخرى لها بريقها. كما له إسهامات بمقالات لكتاب السيكلوبيديا العالمية، وغيرها من الإبداعات العلمية التي أنجزها بالعمل المثابر والإصرار واحترام الوقت. يتحدث الدكتور راندي من خلال الصور الفوتوغرافية عن طفولته وأهم الأحلام والأحداث التي يحملها في ذاكرته. يتحدث عن والديه. يذكر واقعة مهمة، حين أراد أن يرسم على جدران وسقف غرفته ويزينها بصور من مخيلته. حصل على الموافقة بعد مناقشات طويلة معهما، بدأ بتنفيذ حلمه وراح يرسم على الجدران ويكتب معادلات رياضية بتنسيق جمالي وصور على الجدران والسقف تعبر عن حلمه. يتحدث عن السعادة البالغة التي جناها من تحقيق هكذا حلم كان يحسده عليه اصدقائه الصغار حينها، ذلك أنهم غير قادرين على ممارسة هذه الحريات في بيوتهم. كما يتحدث عن تجربة هامة أخرى في شبابه وهي الدخول إلى غرفة تكون فيها الجاذبية الأرضية معدومة. يقدم تجربته مرفقة بتصوير حي على الفيديو، وبسخرية مرحة تجذب الحضور لمتابعته بشوق وتصفيق حار. يكتّم وجعه ويبتسم ويقول للحضور الذي تجاوز الـ 4000 شخص: أعتذر إن كنت خيبت أملككم، إذ إنني أبدو سليماً ومعافى تماماً- ينبطح أرضاً ويجري بعض التمارين التي تحتاج إلى لياقة بدنية عالية- ولكن هذه هي صور الأشعة والسرطان الذي ينشط في داخلي، ولم يبق لي هنا أكثر من 6-3 أشهر. يعرض الصور ويذكر جملة هامة تعلمها من والده الذي كان يقول له "إن كان في الغرفة فيلٌ، فقدمه للآخرين" وها هو يقدم "الفيل-السرطان" للآخرين. يشير أيضاً في كتابه إلى أهمية هذه المحاضرة بالنسبة إليه، فيقول لزوجته: هذه المحاضرة هي فرصة للأسد ليجرب إن كان ما يزال يستطيع الزنير. وأيضاً يشرح لها أهمية أن يترك

تسجيل الفيديو وحصيلة تجربته في الحياة لأولاده حين يكبرون من دونه، ومن دون أن تكون له الفرصة بأن يعلمهم شيئاً ويساعدهم على ابتكار أحلامهم أو تحقيقها. كما أنه يرغب أن يترك لها ولهم ذاكرة طيبة قوية ومرحة تساعدهم على اجتياز صعاب الحياة. تتفهم الزوجة رغبته، بينما تقوم هي برعاية شؤون المنزل والأطفال ورعايته شخصياً، والكف عن الشكوى منه ومن استهتاره بترتيب ونظافة البيت وغيرها من الأمور اليومية التي تنكد حياة النساء.

يقول في محاضراته: "هناك أشياء كثيرة أريد أن أخبرها لأطفالي الآن ولكنهم صغار جداً ولن يستوعبوا

الأمر. ديلان أصبح من العمر 6 سنوات، لوغان 3 سنوات، البنت الأصغر شيلو، 18 شهراً. أريد أن يعرف أطفالي من أنا، وما الذي كنت أؤمن به، الطريقة التي كنت أحبهم فيها. أتمنى لو يستوعب الأطفال كم تمنيت أن أبقى على قيد الحياة من أجلهم. "جاي" وأنا لم نقل لهم بعد بأنني سأموت، لقد نصحن الأطباء بأن نؤجل ذلك لحين ظهور الأعراض المرضية، فانا الآن في الظاهر سليم... يؤلمني بأنهم سيكبرون بدون أب، وأحياناً أبكي وأنا استحم، لا أبكي لأنني لن أراهم، بل أبكي لأنهم سيكبرون بدون أب." ثم يبدأ بالحديث عن تجربة أطفال يتامى كانوا يتحدثون عن أهمية أن يعرف الأولاد أن أهلهم كانوا يحبوهم. ولا ينسى في بداية المحاضرة وختامها الإشارة الى الجهد الخارق والعناية الكبيرة التي تقدمها الزوجة الحبيبة له ولأولاده فيقول: كأى عائلة تتعامل مع السرطان، نعرف أن الذين يخدمون المريض يتكبرون لمطالبهم الشخصية، يجعلون المريض مركز اهتمامهم. إنهم يحملون العبء الأكبر، ويدعون حزنهم وألمهم جانباً. وهكذا زوجتي "جاي" كانت تحمل في يدها أكثر مما تستطيع. وحين أقدمت على هذه المحاضرة أردت أن أشير إلى مدى حبي لها وتقديري وامتناني لها. لقد تعلمت من الحياة أن نذكر الآخرين بدل أن تكون ذاتنا هي فقط محور اهتمامنا" كان ذلك في 18 سبتمبر 2007. وهذه المحاضرة الأخيرة تم نقلها إلى كتاب صدر بهذا العنوان وبمساعدة كاتب في جريدة "ول ستريت" جيفري زاسلو" ربيع 2008، كما وضعت المحاضرة على الانترنت على "يوتيوب".

هذا الكتاب درس في عشق الحياة، تغذية النفس والاحتفاء بالحلم وبالساعات التي لنا على هذه الأرض الطبية-القاسية.

*

سيرة اليوم 2020

هذا الكتاب عدت إليه في عصر الكورونا والفايروس الذي يهدد المعمورة والبشر بطريقة مرعبة وغير مسيطر عليها 2020. في العزلة القسرية بسبب وباء كورونا نستطيع أن نعود الى التفكير في قيمة عمل الفرد وأهمية الذاكرة في تكوين الفرد. نحن ما نصنع من ذكريات مع الزمن مع من نحب ونكره. التاريخ الذي ننتمي إليه يبدأ مع المخطوطات والرقم والارشيف الذي خلده الحضارات القديمة السومرية والفرعونية، والارغريقية وحضارة المايا وغيرها، هي الوثائق التي ندرسها كي نعرف تاريخ الانسان القديم. وسيبقى كتاب وتاريخ هذا الوباء الذي نعيش تبعاته اليوم وثيقة للأجيال التي ستأتي بعدنا. أما اليوم فما علينا إلا أن نجتهد في تمجيد العيش معا وصنع ذاكرة طيبة تليق بأولادنا والأجيال القادمة، بأهلنا وأخوتنا في الإنسانية.

كيف حصلت على كتاب "المحاضرة الأخيرة"؟

كنت في المكتبة العامة أتصفح الواجهة وجذبني هذا العنوان فرحتُ أقلب صفحات الكتاب وقررت استعارته وقراءته ومن ثم الكتابة عنه (العرب القطرية) والموضوع مسني في الصميم لأن طليقي (والد ابني) كان قد توفي مصاباً بالسرطان في تلك السنوات وله من العمر 45 سنة. كنت اقرأ وأفكر بمستقبل ابني وكيف يمكنني أن أعوضه خسارته لوالده، وكيف يمكنني أن أبني معه ذاكرة وذكريات سعيدة رغم كل شيء.

هامش اليوم: لا شخص يحل محل آخر، وكل ما نفعله أننا نفتح في قلب الكتاب بوابة للنور في هذا العالم الذي يوشك على العماء ويوغل في القتل وابتكار طرق جديدة للموت والقتل في شرق الأرض وغربها.



الصراع من أجل الحب في عصر الانقراض وتلوث البيئة

رئيس مشروع الطاقة النظيفة يحذر أميركا في كتابه عن كوارث التلوث

الكائنات التي أنقذها فلك نوح من الطوفان مهددة اليوم بالموت. ولنلا ينقرض واحد من كل زوج من الكائنات البرية في القرن الـ 21، قرن الانقراض، يتوجب على أميركا أن تكف عن تلويث البيئة وأن تخصص بلايين الدولارات كل سنة من أجل تطوير تكنولوجيا مصادر الطاقة النظيفة. القيام بعمل من أجل استقرار البيئة يبدأ بالسياسة وانتخاب ممثلي الشعب في المجالس والبرلمان والبيت الأبيض. حكومة الولايات المتحدة يجب أن تلعب سريعا دوراً في خلق هذا التوازن. بالسياسة وعشق كائنات هذه المعمورة يكون الطريق لحماية الكائنات من الانقراض، بالإضافة إلى تثقيف الإنسان حول دوره في الحفاظ على البيئة وسلامة الطبيعة. هذه هي الثيمة الأساسية التي يبشر بها ويحارب من أجلها البروفيسور في الاقتصاد، الأميركي «إبان غودستين» في مؤلفه الجديد الذي يحمل عنواناً رئيسياً «النضال من أجل الحب في قرن الانقراض» وعنواناً فرعياً «كيف يمكن بالسياسة والغيرة أن نوقف الترفع الحروري العالمي». ومن المعلوم أن غودستين له سلسلة من الكتب التي تعنى بالبيئة والاقتصاد، بالإضافة إلى كونه رئيساً لمشروع الطاقة - النظيفة ومشهوداً له بدفاعه الغيور على سلامة الأرض ومخلوقاتنا التي نزحت أزواجاً منذ طوفان نوح لتبحث عن هذه الأرض وفيها تحط رحالها وتواصل الخلق والإنجاب. في هذا الكتاب الذي يتوزع ما بين التجربة العلمية والملاحظات العيانية والميدانية نقف إزاء حقائق صادمة في ما يخص عمر هذه الكرة وسكانها، بما فيها من دبة وحشرات وغابات وجبال جليدية. في الكتاب نجد أن أميركا مسؤولة عن مستقبل المعمورة وعن الهواء الذي يتنفسه البشر. ولكن العلماني والملحد والمتدين يمكنهم أيضاً أن يجتمعوا حول هدف واحد وهو الحفاظ على سلامة البيئة، ومهما تباينت معتقداتهم وتوجهاتهم الروحية.

تقع تفاصيل الكتاب في سبعة فصول تم عرضها في 164 صفحة من القطع المتوسط وهي: قرن الانقراض - الثروة - المعرفة - الروح - السياسة - الحلول - النضال من أجل الحب. للطبيعة سحرها ومعجمها الخاص. لبعض الكائنات الحية أساطيرها التي يعجز الخيال عن تصورها وتفسيرها، وقلما نعرف عن تلك الحيوانات شيئا وكلما توصلنا إلى مملكة حيوانية ننذهل أمام سحر هذا العالم ونشعر بتواضع معرفتنا. وليست رحلة أسماك السلمون المعروفة إلا مثالا على أسطورة الخلق. فدورة الحياة القاسية التي تواجهها هذه الكائنات وهي تسافر آلاف الأميال عكس التيار كي تضع بيوضها وترعى بعد ذلك. هناك أمثلة مذهلة أخرى نقرأ عنها في الكتاب ونشاهدها في هذا العقد الأخير، حيث ازداد الاهتمام بالبيئة والتطرق إليها سياسياً وإبداعياً وإخراجاً سينمائياً. أفلام حازت جوائز تقديرية لما تحمله من نداءات للحد من خراب المعمورة. ومن الأمثلة على ذلك فيلم وثائقي جميل يعرض صراع طائر البطريق من أجل البقاء باسم «مسيرة البطريق»، وهو قطعة جمالية مذهلة يصور دورة حياة وتكاثر هذه الكائنات الجميلة. ولكن، هل يلزمننا بقاء البطريق والبعوض والحيتان والغابات وكل هذه الكائنات التي لا نعرف أسماءها وتعيش بعيدة عنا ملايين الأميال! نعم يبدو أن البقاء رهن عمل الأفراد والجماعات ومن هنا كان ابتكار قانون أخلاقي للتصرف مع الطبيعة وكائناتها. ومن هنا وجدت أخيراً أحزاب سياسية «خضراء» تقارع من أجل الوصول إلى السلطة والعمل على تنفيذ أجندة ببنية متطورة. يرى الباحث أيضاً أن ما نملكه من معرفة متطورة ومن ثروة وتقدم تكنولوجي يجب أن يكرس لإطالة عمر الأرض وكائناتها وكل رقعة فيها من ماء أو يابسة وبما تحتويه في أعماقها من حيوات سرية ومعروفة. وهذا لا يتحقق إلا بتربية النفوس والأجيال الجديدة على احترام البيئة في كل خطوة ومشروع. في الصفحة 122، يختم المؤلف كتابه بفصل الشغف بالحياة وحمائيتها بالعودة إلى كلمة شهيرة قالتها القائدة العمالية والناشطة الاجتماعية الإصلاحية الشهيرة في ذاك الوقت «الأم - ماري جونز» في حادث مقتل امرأة عاملة «احزنوا على الموتى، ولكن قاتلوا حتى الجحيم من أجل الأحياء» ويقول غودستين: «نحن هنا نعيش صراعنا الخاص من أجل الأحياء، وهذا بحد ذاته معنى وجودنا». يحاورنا الكاتب بشغف وحكمة وأرقام، مستخدماً قوته التعبيرية الشفيفة التأملية، قناعاته الروحانية ومقدراته العلمية، تاريخه الشخصي في العمل والتدريس في هذا الحقل، ويترك بين أيدينا خلاصة فكره وحلوله المقترحة لإنقاذ هذه الأرض من جريمة ترتكب بحقها.

*

مقطع من الكتاب

عندما أمشي قرب الجبال القريبة من بيتي، أدرك بأن هذا الجوار سوف يختفي، المائة سنة من الترفع الحروري سوف تقضي على جبال الجليد، الأسماك، الحيوانات، الأنهار والمستنقعات، وسوف تحرق

عشرات الغابات التي تغطي المستنقعات، ورغم ذلك كل يوم أشعر بأن الحياة من حولي قد أصبحت
أثمن، وأغنى في محتواها وما تكشفه من أسرار هذا الكون، وتعدنا بأشياء ثمينة في المستقبل. ولأنني
أشعر بهذا فأنا ممتن لمقدرتي على النضال من أجل هذا الحب، ولكوني فرداً في هذه الحركة التي
تعمل على إيقاف الترفع الحروري العالمي. العقد الجديد من هذا القرن سيكون أكثر إنسانية من كل ما
فات. نحن نقف الآن في لحظة تاريخية، نحمل عالياً في أيدينا هدية حقيقية لأحفادنا وأولادهم. هدايا
مضيئة من الرمل والمرجان، هدايا من طبقات الجليد والثلوج بحجم القارات، هدايا من الدببة القطبية
والفقمات وأسماك السلمون، ومن الغابات العتيقة. يا لها من هدايا رائعة. يا له من زمن للعيش! ص 12.

نشر في صحيفة الشرق الأوسط

فكرة اليوم:

حين تقع العواصف والأعاصير الشرسة في كندا وأمريكا وفي الجوار، وحين ترتفع درجة
الحرارة بشكل غير مسبوق، نشعر جميعاً بأننا ارتكبنا خطأ كونياً بحق الأرض وكائناتها من
بشر وطيور وحيوان وطبيعة. ومن العسير أن تكون شاهداً سالباً في زمن الكوارث الكبرى!





الهوية والهجرة في عيون كاتبة هندية انكليزية - جومبا لاهيري

المجموعة القصصية الأخيرة «أرض غير مألوفة» للكاتبة جومبا لاهيري وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة السنوية الأميركية «جائزة القصة» وتسلمت مبلغاً قدره خمسة آلاف دولار في احتفالية كبيرة أقيمت في نيويورك في الرابع من مارس 2009. حيث حضر وقرأ المرشحون الثلاثة للجائزة والذي وقع على كتبهم الاختيار منافسة مع 73 مجموعة للقصص الصادرة بالانكليزية، خلال الدورة السنوية الأخيرة. ضمت القائمة القصيرة كلا من جومبا لاهيري، جو مينو، وتوبياس وولف الذي تسلم الجائزة الأولى وقدرها 20 ألف دولار عن مجموعته «قصتنا بدأت». وما تزال «أرض غير مألوفة» مدرجة في القائمة الطويلة لجائزة «الكومنوليث» إلى جوار كتاب كبار من أفريقيا، جنوب آسيا، أوروبا، كندا، والأميركتين. والجائزة تعنى بالأدب العالمي المكتوب أو المترجم إلى الإنكليزية وسيلعن عنها هذا الربيع. كيف استطاعت الكاتبة الهندية المشارب - الشرق أسيوية السحنة والدم أن تحصد الجوائز الأميركية وتصل إلى العالمية ترجمة ومبيعات في قرابة عقد من الزمن ومن خلال ثلاثة إصدارات فقط؟ ولم تتناول أعمالها أياً من التابوهات، لم تكتب جنساً زاعقاً، لم تتناول مسألة الإسلام أو الهندوسية، ورغم ذلك نجد كتبها تجاوزت كتب سلمان رشدي في قوائم الجوائز والترشيحات. قصص لاهيري حققت نجاحاً منقطع النظير لم تشهده القصة القصيرة منذ زمن من خلال كتبها الثلاثة التي حازت على جوائز عالمية منها جائزة بوليتزر عام 2000 عن مجموعتها الأولى التي حملت عنوان «مترجم الألام» الصادرة عام 1999. ثم تلتها رواية أولى بعنوان «من أجل الاسم» وكان لها نصيب فتم تحويلها إلى فيلم سينمائي، قامت الكاتبة بتمثيل دور فيه. فيما صدرت «أرض غير مألوفة» عام 2008 ووقع عليها الاختيار لتكون ضمن قائمة أهم الكتب التي صدرت في 2008. فازت كذلك بجائزة القصة في أيرلندا «فرانك اوكنر». المجموعة التي تقع في 333 صفحة من القطع الكبير، تضم تسع قصص موزعة على فصلين. بعض القصص تزيد عن 50 صفحة.

فما سر إبداعها!

القصة عند لاهيري في مجموعتها الأخيرة زاخرة بالتفاصيل على أكثر من محور. لا تقف عند توصيف المكان، الشيء، الشخص، بل تذهب أبعد وتقدم لنا بانوراما عن الانفعال الداخلي والمشاعر والتقلبات التي تعترى شخصياتها التي تحاول العيش في واقع ملتبس غريب، هجين غير مألوف. هذه التفاصيل بكل دقتها ودهشتها تجذب انتباه القارئ وهو يتابع تفاصيل الحكاية التي تصعد إلى الذروة، وتكون النهايات على الغالب غير غير متوقعة. وهنا تكمن بعض أسرار نجاح هذه الكاتبة الشابة التي خطت لنفسها درباً مميزاً - إن وجد فيه النقاد، حاجة إلى أصوات إنكليزية أخرى - وذلك دون أن تجعل من الدين أو الجنس موضوعاً تتعزز عليها. الثيمة الأساسية التي تشغل عليها الكاتبة هي الخوض في حياة المهاجرين الهنود تحديداً، الموزعين ما بين البلاد التي قدموا منها حاملين عاداتهم، روايتهم، ثيابهم، أطباقهم، وما يجري في داخلهم وهم يسعون للتألف مع المحيط الخارجي والمكان الجديد. هذه الرقعة المهاجرة لا شك غنية بالمتناقضات والصدام والاستثنائية، وتجيد الكاتبة تسخيرها في عملها الإبداعي. أرض غير مألوفة في «أرض غير مألوفة» نتعرف على مشاكل الشباب المهاجر الممزق ما بين تقاليد العائلة وبين الرغبة في الاندماج في المجتمع الجديد وذلك من خلال علاقات الحب، الصداقة، الزواج المختلط، علاقة الوالدين بالأبناء، الإدمان على الكحول، الخروج عن طوع العائلة... الخ. القصص تنتصر مرة للشخصية الهندية، وتنتصر مرة للشخصية الإنكليزية أو الأميركية. لا تحاول أن تصدر أحكاماً أخلاقية وتمييزاً بين مجتمع دون آخر. تعتمد لغة بسيطة خالية من المقولات الكبرى الفكرية والفلسفية. تنتحى الكاتبة عن ثقافتها الشخصية، لترسم لنا شخصيات فقيرة، جاهلة، طيبة، ذكية، ومثقفة. وتستفيد بالتأكيد من تجربة حياتها كونها ابنة عائلة بنغالية عاشت ودرست في الغرب، تزوجت من صحافي مختلط الهوية، لتنجب أطفالاً بهوية كونية، وكتباً تتوسل طريقها في العالم. كتابتها خالية من الانفعال، وتلامس عوالم النفس من الداخل بهدوء وحكمة إلى حد ما. قصة «أرض غير مألوفة» تأخذ صفحة من الكتاب، تقحم قلب الحياة المهاجرة وما تفرضه من ازدواجية في المعايير. الشابة هندية متزوجة من أميركي، تبدو سعيدة باختيارها وتقبل أسرتها لهذا الخيار. يبدأ صراعها مع ذاتها بصمت حين تصبح أمّاً وتتخلى عن عملها الذي حصلت عليه بالدراسة والعمل الشاق. تربية الأطفال والتفرغ للبيت، تفقدها الخبرة في سوق العمل، تحرمها من كونها امرأة منتجة مادياً، إذ ينحسر دورها إلى العناية بالأولاد، الطبخ، إرضاء الزوج ومراقبة نجاحاته. هذه التفاصيل كانت أمها تقوم بها، من غير شهادات جامعية ولغة إنكليزية متقدمة. القصة تقدم صورة متمدنة عن الأب الذي يقوم بزيارتها في بيتها الجديد، بعد وفاة والدتها. يبدأ بانتقادها بلطف، يلفت انتباهها إلى أهمية العودة إلى العمل وعدم الاكتفاء بدور الأم - الزوجة. بين سطور الحكاية نكتشف مشاعرهما اتجاه كل من والدها وموت والدتها الذي ترك حزناً بليغاً في نفسها. الزمن في القصة

ليس هنيهة وساعات، بل يغطي حقبة زمنية جوانب من طفولتها، شبابها علاقتها بأهلها، زواجها، وتقاعد والدها الذي طاله التغيير أيضاً وصار عنده «صديقة هندية» ولا يبدو عليه الحزن لوفاة زوجته. أما قصة «الجنة - الجحيم» تأخذنا شهرزاد الهند إلى عائلة بنغالية أخرى. شاب مهاجر لا أهل له في البلد الجديد، ينضم إلى أسرة عرفها بالصدفة. يعامله الجميع كفرد منهم. يدعونه للأكل معهم والاحتفالات ، فيما هو يجري بحوثه التي قدم من أجلها. الشاب الهندي يتعرف على صديقة أميركية. حين يقرر الزواج منها تقع الحبكة «الهندية الكلاسيكية» يبدأ الخصام بينه وبين والديه المقيمين في الهند، الرافضين كلياً فكرة زواجه من أجنبية. على أمل أن ينهي دراسته ويعود ليتزوج من فتاة خطبوا لها. تصور في القصة امتعاض الجالية الهندية من هذا خيار الزواج بأجنبية، من خلال نميمة النسوة أثناء تجمعات الجالية الهندية التي يحضرها الشاب وصديقه. كلهم يتكهنون بأن الغريبة ستخونه، ستتخلى عنه بعد أن تشبع رغباتها. ويحصل بعد الإجاب العسير ومرور السنين أن يخونها الرجل ويتعرف على شابة هندية بعد أن يحقق حضوراً ونجاحاً مادياً. ونراه هو الذي يتملص من علاقاته بأصدقائه الهنود حين يكف عن الاحتياج إليهم كخلية اجتماعية بدلاً عن الأهل. في قصص أخرى كـ«الإلهة فقط» تتزوج الشابة الهندية رجلاً أميركياً يكبرها بسنوات، تعيش معه بحب وسلام إلى أن يحضر أخوها الأصغر ليقيم في بيتها أياما معدودة. يحصل خلاف حاد بينها وبين زوجها بسبب تصرفات أخيها الأرعن الذي تخلى عن دراسته ووقع أسيراً للكحول منذ أن كان طالباً مراهقاً. في هذه القصة تتطرق إلى الخداع والكذب اللذين يمارسهما الولد والبنت على والديهما. البنت تشتري الكحول لأخيها الأصغر وتخفي عن أهلها. يتمكن الكحول من دم الشاب، فيفقد توازنه ومستقبله العلمي، يتم توقيفه من قبل البوليس أكثر من مرة بسبب الشراب وسياقة السيارة بسرعة. أثناء زيارته الأولى لأخته المتزوجة التي رزقت بطفل صغير، يتذبذب تصرف الأخ ما بين الجميل والأنيق إلى أقصى اللامسؤولية والتي كادت تؤدي بحياة طفلهم الوحيد. الشاب يبدي اهتماماً وحباً جماً للطفل. يطلب من أخته وزوجها أن يقتنصا الفرصة ويذهبا لحضور فيلم، فيما هو يعتني بالطفل. حين يعودون إلى البيت يجدون الشاب نائماً مخموراً فيما الطفل الصغير متروك في مغطس الحمام لوحده والماء بارد. وفي القسم الثاني من المجموعة يتبادل شخصان السرد والحديث عن ذكريات الطفولة والفترات اللاحقة. فنقع على لوحات دقيقة عن انطباعات الأولاد والأهل ومشاعرهم اتجاه الفقر، لون الثياب واختلافها عن الآخرين، زواج الأب بعد وفاة الأم.... الخ. على هذا المنوال تدور قصص «أرض غير مألوفة» التي تلقت بشدة مع أجواء مجموعتها الأولى «مترجم الآلام» التي تقع في 200 صفحة وتضم أيضاً تسع قصص. شخصياتها من كل الطبقات الاجتماعية، وتحمل أسماء هندية قد يرفضها الأبناء كما يجري في روايتها «من أجل الاسم» التي تتناول مشكلة شاب هندي لا يحب اسمه ولا يراه مناسباً للعمل في البلد الجديد. يقول في إحدى فقرات الفيلم الدرامي الذي أخرج عام 2007 «أريد أن أغير اسمي. تخيلوا أن يظهر اسم «غوغل»

على بطاقة البنزنس أو في السيرة الذاتية لطلب العمل». تكتب لاهيري وكأنها شهرزاد الهند في ثوب انكليزي وقلب «بوست مودرن». قصصها كحال امرأة تلبس بنطال الجببز الضيق وتضع دائرة حمراء على جبينها، فيما الساري بألوانه الزاهية يتدلى برهافة تأخذه الريح ويتغلغل في ذهن العابر الأميركي والهندي على حد سواء. ويبدو أن «المهجر الهندي - إذا جاز التعبير - قد قدم أدباً مميزاً وغنياً، فهل يستيقظ القلم المهجري العربي ويقدم للعالم «ألف ليلة وليلة» بثوب العصر؟ (تورنتو)

صحيفة السفير 2009-03-24

2

محطات أخرى...كيف تعرفت على إبداعات الكاتبة جومبا لاهيري، 2023

حين كنتُ حديثة الإقامة في كندا وبدأت أتعلم التواصل مع المحيط، كنت طالبة تدرس وتعمل بعد الظهر حتى الليل في مقهى في دوان تاون تورنتو 1998. في تلك الأيام تعرفت إلى زبونة شرقية الملامح وربما إيرانية أو باكستانية كانت طالبة جامعية تسكن في البناية المقابلة للمقهى كي تشرب القهوة وتدرس. تبادلنا خلالها الأحاديث القصيرة فعرفت مني أنني أحب الكتابة والقراءة. حدثتني عن مجموعة قصصية لجومبا لاهيري بعنوان: ترجمان الأوجاع. أحضرتها لي للقراءة وللنقاش حين أنتهي منها. بعد أقل من أسبوع من إستعارة المجموعة القصصية وحين ذهبت ذات يوم وجدت المقهى مقفلاً، وكانت الساعة حوالي الرابعة مساءً موعد عملي حتى الحادية عشر ليلاً. اتصلت بصاحب المقهى، قال: لقد أفلسنا وأقفلنا المحل. كان ذلك صادمًا وغريبًا بالنسبة لي. سألتته عن أجره عملي لمدة أسبوعين ومتى وأين سيدفع لي، فلم يجب... وبعد الكثير من المحاولات والاتصالات الهاتفية فقدت الأمل في أن أحصل على أجره عملي. ومع ذلك شعرت بالذنب لأنني لم أستطع إعادة الكتاب إلى صاحبه، لأنني لا أملك رقم هاتفها ولا رقم شقتها. كان "مستركينغ" كما يريد أن نناديه صينياً قصير القامة هو وزوجته ويروني عملاقة طويلة حين يريدون مني أن أضع شيئاً على الرف الأعلى ويطلبون مساعدتي. كانت علاقتي معهم مبنية على الثقة. وتعلمت في ذلك المقهى الكثير، وبكيت مرات ومرة تعرضت للسرقة مرة ذات مساء. أحد الزبائن طلب مني قهوة وماء وبينما أنا أحضر طلبه، انقض على (الحصالة كاش) وقبض على ما استطاع من العملات الورقية وهرب. صرخت وأنا مصابة بالرعب، وركضت ورائه لكنه اختفى سريعاً. ثم اتصلت بصاحب المقهى والبوليس. ولم يتم القبض عليه. وبقيت أسيرة مخاوفي لفترة غير قصيرة حين أعمل في وقت متأخر. قرأت قصص جومبا لاهيري ولم يكن يخطر في بالي أنني سأصبح يوماً ترجمانة وأحمل أحزان الآخرين في قلبي ولساني. تابعت كتابات أخرى لها وكان هذا المقال بعد سنوات من عملي في المقهى والمطعم

الكندي حيث كنا نعد الحلويات والقهوة والشاي والصندويشات الخفيفة على مدار 24 ساعة. وكان رواد المقهى، أساتذة وكتّاب وطلاب وشرطة ومشردين بلا مأوى يتكاثرون في الليل وفي الأيام الباردة. ولن أنسى بأنني في تلك الأيام استعرت الجريمة والعقاب لديستوفسكي وأعدت قراءتها وازداد خوفي في تلك الأيام وأنا عائدة الى بيتي ليلا بعد انتهاء العمل.

فكرة اليوم:

علاقتنا بذاتنا شائكة والعالم في ثوبه المعاصر شرير وربما كان كذلك دوما. ولكن ينقصنا كتب ومعارف وأساليب جديدة في البحث عن الذات وتحقيق سلام مع دواخلنا أولا، مع هويتنا الروحية والفكرية والبيولوجية.





ما محتوى كتاب السر الذي بيع منه ملايين النسخ حول العالم

تقول الكاتبة بيرن في مقدمة كتاب الطاقة "أن تحقق أحلامك وكل ما تحب، أن تفعل وأن تحصل على ما تريد، في متناول يدك دائما وأقرب إليك مما تعتقد، لأن طاقة الحصول على أي شيء ترغب فيه موجودة في داخلك"

روندا بيرن الأسترالية من مواليد مارس 1951 كانت تعمل في الكتابة والإخراج التلفزيوني في بلدها، إلا أن حياتها اتخذت منحى جديدا "دراماتيكيًا" بعد أن أنجزت كتاب "السر" وأطلقتها. لم تكتف الكاتبة الأسترالية رונدا بيرن التي اعتبرت واحدة من أهم مائة شخصية صاحبة نفوذ في العالم بإصدارها كتاب "السر" الذي حقق نجاحًا منقطع النظير، بل واصلت الحفر في بئر الأسرار الكبرى التي كانت ولا تزال مثار اهتمام الفلاسفة والعلماء وكتب الدين وعلماء النفس. وجاء كتابها الجديد بعنوان "الطاقة" الصادر عام 2010، مكملًا لما بدأته في إصدارها الأول عام 2006 في صيغة فيلم وثائقي معلوماتي وكتاب يحمل الاسم نفسه: السر. ووصلت مبيعات "السر" إلى 19 مليون نسخة في العالم، وترجم إلى 46 لغة عالمية، كما بيعت ملايين النسخ من الكتاب الأول والثاني في صيغة فيلم وتسجيل صوتي. فأى سر بين يدي الكاتبة الأسترالية لتحقيق هذا الاستقطاب المدهش. خبرات

تقول بيرن في مقدمة كتاب الطاقة "سابقى يوم 9 سبتمبر/أيلول 2004 يوما لا ينسى، فقد أعطتني ابنتي كتابا عمره مائة عام لـ"والاك واتلس" عنوانه "السر في أن تصبح غنيا"، وبعد قراءته اكتشفت أن السر معطى للبشرية منذ أقدم العصور، ولكن القلة القليلة

هي التي اختبرته، منذ تلك اللحظة اتخذت حياتي ونظرتي للعالم وجهة مختلفة تماما".
وتضيف أن كتاب الطاقة جاء نتيجة للخبرات والتجارب التي وصلتني ممن قرؤوا الكتاب واتخذوا
من أفكاره مادة لتغيير حياتهم، فكتاب السر "يميط اللثام عن أهم قوة تحيط بنا وتتحكم في مصائرنا،
وهي قانون الجذب الذي يمثل القوة الفاعلة في تسيير علاقاتنا الشخصية المادية والصحية".
وتقول بيرن في مقدمة كتاب الطاقة "أن تحقق أحلامك وكل ما تحب، أن تفعل وأن تحصل على
ما تريد، في تناول يدك دائما وأقرب إليك مما تعتقد، لأن طاقة الحصول على أي شيء ترغب
فيه موجودة في داخلك، وفي هذا الكتاب سأدلك على الطريق إلى الحياة التي تريدها، ستكتشف
الطاقة في داخلك وستجد أن الحياة أسهل بكثير مما تتصور، لقد خلقت كي تعيش حياة مدهشة".
الكتاب في طبعته الإنجليزية يتألف من 240 صفحة من القطع المتوسط، وهو مرفق بالرسوم،
ولا تخلو صفحة من صفحاته من أقوال مأخوذة عن علماء ومفكرين وفلاسفة، بالإضافة إلى
مقتطفات من آيات من القرآن أو الإنجيل، ومن قصائد شعراء وحكماء قدماء ومعاصرين.
ويتناول في فصوله المتعددة ولغته الأنيقة البسيطة الأسرة الأبواب التالية: ما هي الطاقة، ما هي
طاقة الشعور، مستلزمات الشعور، الطاقة والإبداع، الحسن هو الخلق، الحياة تنقاد لك، مفاتيح
الطاقة، الطاقة والثروة، الطاقة والعلاقات، الطاقة والصحة، الطاقة وأنت، والطاقة والحياة.

سر المشاعر

وتتناول الكاتبة أهمية المشاعر التي تتناوب الإنسان حول نفسه وحول العالم، وهذه المشاعر هي التي
تستقطب الإيجابي والسلبي في كل خطوة وفكرة تعبر بأذهاننا، وهذه الطاقة محكومة "بقانون الجذب".
وترى بيرن أن المشاعر هي خلاصة كل حياتنا وعليها تركز مجريات حياتنا، وما نستقبله من نجاحات وإخفاقات
يعود في المحصلة إلى الطريقة التي نتواصل بها مع العالم، و"ما نشعر به هو انعكاس لما نرسله" حسب بيرن.
وتولي الكاتبة اهتماما كبيرا لعمل المخيلة الإيجابية ومقدرتها على استقطاب الخير والحب
والنجاح بل وحتى الثروة. أما مفاتيح استقطاب المال والنجاح والفرح فتتم وفق آلية بسيطة
مفادها أن يتخيل الإنسان ما يرغب فيه، ثم يدرب نفسه على الشعور بامتلاك ذاك الشيء من
خلال إرسال مشاعر الحب والامتنان والعرفان، إلى أن يتحقق ذلك الحلم على أرض الواقع.
وتضرب الكاتبة أمثلة عن حيازة بعضهم فرصة العمل المثالية، أو حيازة آخرين ثروة
لم تكن في الحسبان، وذلك فقط حين بدؤوا ممارسة قانون الجذب والتفكير الإيجابي.
ولا تفوت بيرن فرصة للاستدلال على هذا عبر بعض الأقوال المقتطفة من نظريات الفيزياء الحديثة
والكم، والأفكار المقتبسة من كبار علماء الفيزياء والفلسفة، بالإضافة إلى الشعراء الصوفيين والجدد.

قد تبدو هذه الأفكار أقرب إلى المعجزة، لكنها تمتلك في الآن ذاته أبعاداً دينية وروحانية شاملة، ومما يجعلها أقرب إلى القبول التجارب العيانية المروية من قبل أفراد عاديين وبعضهم شخصيات معروفة عالمياً وإعلامياً، مثل أوبرا وينفري مقدمة البرنامج الأميركي الشهير التي تحتفي بفكرة الكتاب. كما نجد في الجانب الآخر شخصيات تعارض هذا التوجه الروحاني الفكري الجديد وترفضه جملة وتفصيلاً بعد أن أصبح الكتاب مثار جدل طويل في الغرب لسنوات.

الطاقة الكامنة

وتخلص الكاتبة في الأسطر الأخيرة من رحلتها مع عالم أسرار الحب والنجاح والفرح إلى القول "أنت أتيت إلى هذا العالم ومعك الحب، وهو الشيء الوحيد الذي ستأخذه معك.. في داخلك تكمن أعظم قوة في الكون، وبموجبها ستصبح حياتك مذهشة، الطاقة كامنة في داخلك". الكتاب يطرح على الفرد تحديات روحانية متنوعة، لكن في هذه الفترة التاريخية العصبية في حياة الشعوب وبخاصة في الشرق الأوسط، كيف يمكن للفرد أن يكون مفتاح التغيير على مستوى فردي وعام؟ هل يمكن للإنسان أن يغمض عينيه ويتخيل بقوة ورغبة حارة أن جميع الدكتاتوريات التي على هذه الأرض ستزول، وسيحل الحب والسلام والفرح على هذه المعمورة التي أتى إليها الإنسان عارياً من كل شيء سوى الحب؟ ولكن مهلاً فثمة مخيلات شريرة ترجح كفتها عدداً ومقدرات مادية. إن المخيلة رحم الخلق، ولكن هناك من يحلم بالقنبلة الذرية، وهناك من يحلم بسرقة آبار النفط، وحقول القمح والقطن، وهناك من يحلم برغيف خبز وكسرة كرامة وحرية.

نشر في الجزيرة نت عام 2011

سيرة اليوم:

مرة دعاني ابني سلام لمشاهدة فيلم صدر حديثاً ومتوفر أونلاين، وهناك تعرف على كتاب السرّة كان بداية شهرته وناقشنا مسائل عدة طرحها الكتاب. وبعدها بسنوات، أهداني صديق فنان نسخة (سي دي من الفيلم نفسه) هدية في عيد الميلاد. كان فناناً ألمانيا مهتماً ذات وجودية عدمية. لولا التفاعل بين الأجيال والأفكار والحوارات العائلية والشخصية لما تقدم أي منا في الاستزادة من المعرفة العالمية التي قد نتقبلها أو نرفضها ولكن من الضروري أن نبحث عنها كي لا نسكن أفكارنا في بركة آسنة دون تجديد وتحديث. العالم يتطور بشكل مذهل وبعض المعرفة تتقننا من الجهل الشاسع.

فكرة اليوم:

الضحية أنت، والجلاد أنت، والسوط أنت. والسرف في ذهنك وما يجول فيه. كل خروج عن سجن الذات يشكل تهديداً لكل السلطات-الهرمية: السلطة، الدين، السلطة الذكورية، ثم الأعراف والتقاليد والوعي الجمعي المقعر. وكي أؤمن بالطاقة الكونية وطاقتي الفردية لا بد من فتح قنوات التلقي بلا رقيب ولا اشتراطات.



كيف تربح جائزة نوبل وتصبح مليونيراً

إذا حدث وخالفك الأمل في أن تصبح مليونيراً وتفوز جائزة نوبل العالمية في الآداب عليك أن تقرأ طويلاً أرشيف الجائزة الذي لا يتوفر بلغتك العربية. عليك أن تنجز كتابك اليوم وخصوصاً إذا كنت من بلد ديكتاتوره قضى نحبه كالجزء، أو هو على وشك أن يسقط عن عرشه، فيزول مجده الخلي. الحاضر الراهن فرصة لتحرير القلم من الخوف الذي يدمر جدار الإبداع فيفقد الكاتب الموازنة بين الجمالي والمثالي والانساني الحر. الفرصة مواتية والوقت ملائم ما بين ديكتاتورية تنهار وأخرى قد تحل محلها بصورة أو بأخرى. وفي هذه المرحلة المتقلبة وانهيار الديكتاتوريات الكبرى نجد عناوين روايات عربية تدخل حيز السباق في مضمار الجوائز العربية، ويكثر الخلط ما بين التوجه السياسي والتبعية لهذه الجهة أو تلك على حساب الفنية والجماليات. ما بين "الديستوبيا" واليوتوبيا، هناك مساحة للكتاب الذي قد يصنع مستقبلاً مغايراً. ولكي تفوز بمنصب أبدي وكرسي مرموق طوال الحياة في أكاديمية تتجه إليها أنظار العالم كل سنة، عليك أن تولد سويدياً ويحالفك الحظ والحظوة لأن تعين حكماً في هيئة قضاة نوبل المؤلفة من 18 فرداً مختصاً في علوم شتى، كاللغوية، التاريخ، الكتابة والإبداع والبحث الأكاديمي. وظيفة بمقتضاها يقرأ الأعضاء نخبة الكتب الصادرة عالمياً، هذه الكتب التي لا وقت للحاكم العربي أو الغربي الذي يحاول البقاء في منصبه إلى الأبد أن يطلع عليها أو حتى يسمع بها. وهي الكتب ذاتها التي ترعبه فيخصص أجهزة رقابة وطوابير من المخبرين-مدعي الثقافة والمعرفة لمراقبة كل إصدار أو مطبوعة تعبر الحدود أو تخرج من رحم المحبرة ومخيلة الكاتب. هذه اللجنة التي تصبح معاييرها مقياساً لتحديد جودة الكتابة وأهمية الكاتب وهذا ما حدى بالفيلسوف جان بول سارتر، إلى رفض الجائزة لإيمانه بأن

الفردية الابداعية لا يحوز أن يحكم عليها ويصنفها (جمع من القضاة) يعطون لأنفسهم الاهلية المطلقة للحكم على جودة الإبداع أو عدمه. هذه وظيفة بمقتضاها يقرأ الأعضاء نخبة الكتب الصادرة عالمياً، هذه الكتب التي لا وقت للحاكم العربي الذي يحاول البقاء في منصبه إلى الأبد أن يطلع عليها أو حتى يسمع بها. وهي الكتب ذاتها التي ترعبه فيخصص أجهزة رقابة وطوابير من المخبرين-مدعي الثقافة والمعرفة لمراقبة كل غصدار أو مطبوعة تعبر الحدود أو تخرج من رحم المحبرة ومخيلة الكاتب. وكي تكون لديك فرصة التقرب من الجائزة عليك أن تتطلع على وصية السويدي "الفرد نوبل" والخطوط العريضة التي حددها بخصوص الجائزة المخصصة للأدب والتي يحدد فيها أن الجائزة تعطى للكتابة التي تحمل توجهها "مثاليا" وتعلي من شأن "الإنسانية" ولا يمكن أن تعطى لهؤلاء الذين يدعون إلى "العنف" قد تكون هذه معايير صريحة في اختيار العمل أو الكاتب الفائز، لكنها تبقى معايير ملتبسة، إذ ان التصور المثالي للمجتمعات يختلف من جيل إلى جيل، ومن ايدولوجيا الى أخرى، وخاصة في شقيها الغربي والشرقي، الاشتراكي والامبريالي الذي درج الصراع بين شقيه على مر مدى قرن تقريبا. أمثلة كثيرة على كتاب عالميين حازوا على جائزة نوبل وهم منفيين من بلادهم، أو قضوا جزءا كبيرا من حياتهم بعيدين عن بلد المنشأ، ومع ذلك يشترك بالكتاب الفائز أن يكون مقروءا وذا أثر يذكر على أبناء البلد الأول. تبقى هذه الخطوط العريضة مثابة ركيزة "نوبلية" يضاف إليها القيمة الجمالية للعمل الفني وتفردته في الأسلوب والصناعة الابداعية. فيما تغيب وتفتقد تماما الخطوط الواضحة للتركيبة والمعايير التي تضج بها الساحة الثقافية العربية منذ سنوات. وعلى قلة تعداد هذه الجوائز الأدبية العربية التي تحيط بها الالتباسات والتعتيم ويكثر حولها السؤال والتحليلات، نجد اهتماما شديدا بها من قبل الكتاب العرب. يحق لكل كاتب يمتلك الصناعة الفنية الجمالية أن يصبح مليونيرا أو يحمل الجائزة كبطاقة عبور الى الشعوب الاخرى التي تقرأ حقاً. متى، ماذا، أين وكيف تكتب تكتب، إحداثيات هامة في شبكة الدخول الى ميدان السباق في أي جائزة. ولا يغيب عن البال اختلاط الموقف السياسي بالقيمة الابداعية وطغيان جانب على آخر مهما أدعت لجان التحكيم، حياديتها وحكمتها وانحيازها للجمالي اولا وأخيرا. أعتقد أن الفرصة مواتية للكاتب العربي لأن يطلق عنان مخيلته وجموح قلمه كي وينتج تحفا جمالية مثالية أو أقرب إلى اليوتوبيا في زمن يستعر فيه الخراب والقبح إلى منسوب يفوق مقدرة المخيلة على التصور. فصل الجحيم الذي يعيشه الشرق اليوم بين قبضة الديكتاتور العربي والغربي و"داعش" وتوابعها قد تجعل أحدهم يطلق جائزة ادبية حديثة طازجة شرقية تثمن الانسان وتضعه فوق مصاف الدين والايديولوجيا والعصبيات المتناحرة قوميا وطائفياً وعرقيا. كي يكون لديك مقدار من الجنون وحلم الفوز بالجائزة عليك أن تتعرف قائمة الفائزين تاريخيا، منافسيك وقضائك النوبليين(المخلدين) ولا يضيرك أن تتعرف على موقعها الالكتروني، وأن تقرأ أرشيف الكلمات الملقاة في كل مناسبة سواء من قبل المبدع الفائز

أو من قبل هيئة التحكيم التي لا يتجدد دمه إلا بوفاة أحد الأعضاء بين فترة وأخرى. تاريخ الجائزة وملابسات القبول والرفض وكلمات الترحيب بالفائز من قبل أحد أعضاء الأكاديمية السويدية في لجنة التحكيم ومقتطفات من كلمات الأدباء الفائزين أو رفضهم تجديدها في بحوث مفصلة في كتاب بالانكليزية بعنوان " كيف تربح جائزة نوبل في الأدب " للكاتب ديفيد كارتر، صدر بالانكليزية عام 2012.

فكرة اليوم:

الكتابة حرة ودفاع عن الإنسانية ضد القبح وضد الحرب. الحرية فراشات تحتل بروحها النار، وأنا أعيد كل يوم احتلال مقعدي في الطريق إلى حرية التخيل والتعبير كما لو أنني أنا ولست غيري. وأفعل ذلك من أجلي وتلك جائرتي ونجاتي من إسمنت هذا العالم وصواريخه القاتلة العابرة للقارات.





لماذا نقرأ الأدب... جولة مع الناقدة ويندي ليسر

جورج اورويل يجيب رداً على سؤال "لماذا أكتب؟" "يقول أورويل" طالما أنا بحال جيدة وعلى قيد الحياة سأبقى أشعر بقوة نحو أسلوب السرد، وأحب وجه الأرض، واستمتع بالتراب وخردة المعلومات المهملة. لا جدوى من التكتّم على هذا الجزء من روحي. العمل هو أن أصلح بين ما أحب وما لا أحب وبين أساسيات العامة، والأنشطة اللا-فردية التي يفرضها هذا العصر علينا".

نقبل اليوم على تحد جديد وأزلي يختص بالقراءة والسؤال الدائري هو أن يذكر الفرد أهم عشر كتبه غيرته. شهدنا الكثير من الأصدقاء قد أخذ السؤال على محمل الجد وتبارى الكتاب والقراء في صفحات التواصل الاجتماعي ذكر مصادر معرفتهم ومرجعيتهم الفكرية والإبداعية. وهذا يعيدني إلى تقصي أسباب شغفنا بالقراءة، وبجنس أدبي أو فكري دون غيره بالرجوع إلى كتاب صدر حديثاً بالانكليزي بعنوان "لماذا أقرأ. المتعة الجدية للكتب" للكاتبة والناقدة الانكليزية "ويندي ليسر" وهي محررة مجلة أدبية شهيرة "ثري بنيز" وعدد من المؤلفات. الكاتبة تستعرض في فصول عدة أسماء روايات ومسرحيات شهيرة من الأدب العالمي الانكليزي والروسي والفرنسي، وحين كنت أطلع الكتاب، لم أجد متعة في القراءة عن أسماء وكتب لم تصلني مترجمة الى العربية ولا أعرفها بالانكليزية. كما تخصص فصلاً للبحث في ما للكلمة من سلطة، حتى وإن كان الإبداع أدبياً وهذا ما نراه من خلال كتب عالمية وعربية تم منعها وسحبها عن رفوف المكتبات، العدد لا يحصى في الشرق وفي الغرب. وفي بعض الحالات تعرض لمحاولة قتل بسبب ابداعه الأدبي. الكتب تتحدانا بوضوحها وجمالياتها اللغوية المثيرة للفضول. للقراءة متعة قد تكون جنسية، وقد

تكون معرفية وقد تكون متعة مغموسة بالألم (الجريمة والعقاب، دستوفسكي) وشغف التحري ومعرفة أسرار الآخر-الرجل، المرأة، المجتمع. بعض الكتب صعبة وبعضها مملة. بعض الكتب تشدنا وتشبهنا، ونكره بعضها لأنها تتفوق علينا وعلى سجوننا الشخصية ومقاسات أفكارنا الدينية والمجتمعية. وبعض الكتب تمضي بخفة كغيمات بين فصل وبخر ولا تترك فينا أثراً. ويصعب علي أن أتقبل فكرة أن القراءة هواية وترجية للوقت. بل هي عملية حفر وتنقيب وبحث عن كنوز جمالية وفلسفية وتاريخية، في لباس السرد والتشويق وعلى أجنحة الخيال الفاره، أو البحث العلمي الرصين والموثق. لذلك يصح الاعتراف بأن كتاباً أو كتباً قد تخلق فينا إنساناً جديداً، وقد تخلق مجتمعات بإحداثيات متفاوتة. الكاتبة ويندي ليسر، توثق بحوثها باقتباسات لأسماء هامة نعرف بعضها مثل جورج أورويل الذي يجيب رداً على سؤال "لماذا أكتب؟" يقول أورويل " طالما أنا بحال جيدة وعلى قيد الحياة سأبقى أشعر بقوة نحو أسلوب السرد، وأحب وجه الأرض، واستمتع بالتراب وخرده المعلومات المهملة. لا جدوى من التكتم على هذا الجزء من روحي. العمل هو أن أصالح بين ما أحب وما لا أحب وبين أساسيات العامة، والأنشطة اللافردية التي يفرضها هذا العصر علينا". سلطة الكلمة هنا، مفارقة تماماً لما نعرفه من قبضة السلطات التوليتارية والديكتاتوريات المعاصرة المنهارة والتي على شفا الهاوية. كما تأخذنا إلى عمق العلاقة التي تنشأ بين القارئ والكاتب، بعيداً عن السلطة إلا في نسقها الجمالي. وهذه السلطة الجمالية التي يمارسها الفن، قوامها العطاء والمشاركة، وتستمد ودودها وديمومتها من ديمومة القارئ حتى بعد موت المؤلف. ستبقى الأساطير البابلية والاعريقية خالدة كما ستبقى كتابات دستوفسكي وكازانتراكيس ونجيب محفوظ ورباعيات الخيام والرومي. أشك في أن هذه المكتبات الطافحة بالاصدارات الشهرية ستبقى خالدة. القارئ مصفاة ويقطر الحبر في كل مرحلة لتبقى الجودة التي لا تحتكم إلى سلطة الحاضر بما تمليه من توجهات سياسية، ودينية. تستشهد الناقدة بكتابات ومرجعات من القرن التاسع عشر ويردنا بقلم "هنري جيمس" الذي تخصص له فقرات مطولة. " الفن هو ما يصنع الحياة، يصنع الرغبة، الأهمية لاعتباراتها وطريقة ممارستها لهذه الأشياء. ولا أعرف أن هناك بديلاً أياً كان عن هذه الجمالية، والقدرة، ومرآتها" تتوقف الكاتبة للمقارنة بين الخدع التي يمارسها "البهلوان" أمام جمهوره ليحصد التصفيق والاعجاب بشكل مباشر، وبين آلية عمل الكاتب الذي لا يأتيه المردود بهذه الطريقة وتستشهد بمسرحيات لشكسبير، حيث نجد أن الكلمة تتحايل على المتلقي وتوقعه في الخديعة والضحك والبكاء أحياناً. وهذا يقودنا للنظر في مسألة الحقيقة الأدبية والحقيقة التاريخية التي تتقاطع أحياناً ولكنها تفرق في الأسلوب والآلية والغاية. وهذه الحقيقة الأدبية أحياناً تكذب كاتبها ثمناً باهظاً فيكون في انتظاره المنفى أو السجن، أو

الحظر من السفر، وكثيرة هي أسماء الشعراء والكتاب الذين حازوا على جائزة نوبل وهم في المنفى، ومنهم الروس والاغريق والأوربيين على السواء. تقول ويندي ليسر، اللغة الانكليزية هي سجنها الذهبي، وهذه الإعاقة اتجاه اللغات الأخرى تجعلها تعتمد على ما يصل إليها من ترجمات عن اللغات الأخرى" وتعتبر عن تقديرها لما يقوم به المترجمون " يتملكني شعور بالاعجاب العميق لهؤلاء – الشغيلة ناكري ذاتهم، تلك الظلال الفذة، هؤلاء الناس الذين أبعد طموح لهم أن يبقوا في هامش الصورة. ولكن لا مترجم(هو/هي) يرغب أن يسرق انجازهم أو ينكر عليه، وبنفس الوقت، لا يرغب المترجم أن يطفو بصوته فوق صوت الكاتب الأصلي. إنه توازن حذر جداً..." وهي مناسبة للاعتراف بالشكر للمترجمين العرب الذين أثروا المكتبة العربية بروائع الأدب العالمي. وكان لهذه الترجمات اثر على الكاتب والقارئ الشرقي، كما كان للادب الشرقية"بلياليه العربية الالف وأكثر من أثر على القصة في الغرب.

في فصل آخر من فصول الكتاب حول أسباب القراءة تأتي على مقارنة الكتابة كمادة صلبة في اليد ولها رائحة وملمس، والقراءة الالكترونية (اونلاين) أو عبر وسائل حديثة أخرى تخزن الاف الكتب الالكترونية في شريحة خفيفة يحملها الفرد وهو مسافر أو مقيم في مكانه. وهنا نخرج على الجهود التي تبذل لتصنيف الكتب المهمة واعادتها إلى مكتبة الكترونية قد تعمر طويلاً (مشروع مكتبة الاسكندرية في مصر) وبذلك تكون الابداعات الانسانية في مأمن من عنف وارهاب الفئات المنشغلة بالحروب والقتل وتدمير أي إرث إنساني. الناقدة ليسر، لا تعرف ولا تذكر شيئا عن الأدب العربي وعن القارئ العربي المصنف من أكسل قراء العالم وفق الاحصائيات. فيما يصنف الشعب في (نيوزيلندا) في المرتبة الأولى عالميا من حيث الشغف بالقراءة. انهم يتبادلون الكتب في عيد الميلاد كهدايا بدل الشوكولاتا والعطورات والأحذية. شتاؤهم طويل وممل كما صيف بلاد الشرق الأوسط مع فارق الفعاليات الذهنية والإبداعية نشر في ملحق الأثير الثقافي – صحيفة عُمان، 2 أكتوبر 2014

فكرة اليوم: الرقابة الحمقاء تدفع المبدع إلى التمرد والمزيد من الكتابة والحلم بإحداث التغيير سلميًّا.
أعتقد لولا الكتابة لكنت أشقى امرأة ولكن اللغة تطلق أجنحة روحي وتجبرني على التوازن والذهاب أبعد.
قد تكون الكتابة خليط الشقاء الساحر وأنا مغفلة! لا يهم، إذ أتبع النبع الذي في داخلي وإلى آخر المحطات.



الأثر السيכולوجي للقراءة والكتابة كما يراها علم النفس

حصلت على هذا الكتاب منذ عدة سنوات وحاولت الكتابة عنه لكنه بدى معقداً ولم يكن لدي ما يكفي من الوقت للكتابة بعد القراءة والتمعن. هناك كتب يصعب الحديث عنها باختصار فتكون الكتابة مدخلا للقارئ الفضولي للبحث عن المزيد وعن الأصل. ثم عدت إلى الكتاب بعد مضي سنوات على القراءة الأولى وكتبت هذه الأوراق:

الحكايات أحلام معمرة ومعابر معتمدة ومضيئة ندخلها بأكثر من طريق. تقول مارغريت أتوود «كل قصة، في البداية، تكون كما لو إننا نفتح باباً على فضاء مجهول تماماً» فما الذي يحدث لنا كقراء في ذلك الفضاء وبعد العودة منه إلى واقعنا؟! حين يمارس الكاتب الخلق الإبداعي فهو يجرب حريته في تشكيل علاقات أبعد من الواقع قد تثير التعاطف أو التحدي الذي يتجاوز الخصوصية الفردية إلى القاعدة الاجتماعية العريضة. في الكتابة المتخيلة يحرر الكاتب أحلامه، ينتقد الواقع ويغوص في خرابه ونواقصه وجمالياته ويأخذ مشاعرنا في المتاهات معه لو أنه يفتح المعابر الداخلية للنفس ويحثنا على المشاركة. عبر هذه القواسم يحفر الكاتب القارئ على الحلم بما يتاح له من تفاصيل توقظ انفعالات حسية وعاطفية، سياسية ودينية من خلال العلاقات بين شخوص القصة. تلك المشاعر الملتبسة المكتوبة تعيش في ذهن القارئ فترة كما لو أنها واقع محتمل أو حالة وسطية مستمدة من نماذج متخيلة ومتشابهة بالحقبة الواقعية. وعبر هذا النموذج يشتبك القارئ بعالم آخر يحاول الإلمام به بالتعاطف أو النبذ.

نموذج من هذا الصراع الاجتماعي والنفسي المدون في التراث الفكري الأدبي العالمي وصلنا في أقدم أسطورة هي ملحمة جلجامش التي تقوم على ذلك الصراع الحاد في العلاقات، بشرية ونصف إلهية تأخذ أكثر من انعطافة بين جلجامش وانكيديو والمرأة الغاوية تحت ثيمة الصداقة، والعشق، السلطة، والموت كقطب آخر للحياة، وصولاً إلى البحث عن نبذة الخلاص التي قد تقهر الموت وتعيد من نحب إلى الحياة وتلك معضلة ذهن البشري في بحثه عن باب للعودة إلى حيث كان ومنذ بدايات التكوين. ماذا يحدث في أذهاننا وعواطفنا حين نقرأ الأساطير والقصص والكتب المتخيلة؟ هل نعاين نفس الآثار حين نقرأ مقالاً صحافياً أو كتاباً وثائقياً؟ أسئلة كثيرة واختبارات ميدانية عرضها الكاتب الانكليزي «كيث أوتلي» في كتاب بعنوان «أشياء كالعلم، سيكولوجيا الكتابة المتخيلة». وانطلاقاً من خبرته في حقل التحليل النفسي يخوض في هذا البحث الشائك كونه باحث سيكولوجي شغل منصب رئيس فريق البحث العالمي في ميدان دراسة المشاعر وله كتاب في هذا الحقل بعنوان «فهم العواطف» كما أنه اشتغل مدرّساً في حقل علم النفس في جامعة تورنتو في كندا وله عدد من الروايات وحازت روايته الأولى على جائزة الكومونويلث لأفضل عمل روائي 1994. يعتمد الكاتب على اختبارات ودراسات سابقة في هذا الميدان، يدعم أفكاره بمقاطع وتصاویر مأخوذة عن الدماغ ومناطق الانفعال ورد الفعل الحاصلة بعد قراءة رواية أو مقطوعة وثائقية. كما يعتمد في قسم آخر من الكتاب على مقتطفات من الشعر والقصة والرواية وأحاديث الكتاب الكبار الكلاسيكيين بدءاً من شكسبير وصولاً إلى مارسيل بروست، جين أوستن، وانتهاء بتحليل سيكولوجي وأدبي لقصة قصيرة لرانند القصة القصيرة انطون تشيخوف الشهيرة التي بعنوان «السيدة وكلبها الصغير» التي تعتبر قطعة كلاسيكية معروفة عالمياً. يقدم للقارئ نتائج الاختبارات العيانية مشفوعة بدراسات ميدانية أجراها البروفيسور أوتلي على طلابه في الجامعة. كما درس أيضاً المفارقات التي تحدث في ذهنه حين وضعت نسختان من كتابة إبداعية، إحداها مكتوبة قصصياً، والأخرى مكتوبة على شكل خبر واقعي. لوحظ أن الانفعال الذهني والعاطفي متباين إثر كل قراءة. يولي الكاتب اهتماماً عميقاً للمساحة المشتركة ما بين الحلم والكتابة فيعود إلى شكسبير في «حلم منتصف ليلة صيف» يسوق مقاطع على لسان شخوص المسرحية، يخضعها للتحليل النقدي والبحث العلمي متناولاً المسرح كمكان، ملعب، أفنعة وأحداث. يورد أمثلة عن اختبارات قام بها هو، بمعونة باحثين آخرين، خلصوا إلى النتيجة التالية: حين نقرأ عن حدث أو نسمع عنه، يتم تسجيل هذا الحدث في المخيلة، وهذا يستدعي تفعيل مناطق معينة في الدماغ مسؤولة عن الإتيان بالشئ ذاته، الذي نقرأ أو نسمع عنه. هل قراءة المتخيل مفيدة لنا، وأي نوع منها؟ هل يصبح أكثر ذكاءً، حين نقرأ أدباً ونغمس في الفنون؟ وهنا يتناول مسألة الذكاء الاجتماعي والذكاء العاطفي وغيرها من العلوم التي باتت تشغل حيزاً في علم النفس الحديث. يخلص إلى القول إن كتابة وقراءة المتخيل تقوي

الشّعور الاجتماعي لدى الفرد، تقوي فيه مشاعر الإحساس بالآخر في حالاته المشتعبة: الحب، الحرب، الجوع، الموت، المتع الجسدية، الطبيعة والكوارث، الهجرة والموت.

مغامرة الكتابة واكتشاف الذات في صراعها مع الآخر

يتوسع الكاتب في الربط ما بين المتخيل وألعاب الطفولة، يعود إلى تلك المساحة العذراء التي فيها يبدأ الطفل باختراع حلمه وقصته. يربط بين الأحلام في مسرحيات شكسبير واللعب المسرحي، ومسرح الطفولة البرنية فيصير المسرح نموذجاً عن العالم، وتصير بالتالي النماذج الذهنية المكتوبة أساساً للعالم محتمل. هذه النماذج تهمنا في النهاية من أجل فهم العالم- الآخر الذي قد يكون حبيباً، أحياناً، أما، معلماً، أوزعيماً أو متسولاً. مغامرة اللعب الفني تسمح لنا باكتشاف المتعة، تقوي التعاطف الذي يغنينا ويساعدنا على فهم أنفسنا وما يجول في طبقاتها المعتمة. فـ «القدس يصنع جسوراً، الإنسان يصنع أصدقاء» كما يعبر الباحث أوتلي. وكثيراً ما نقيم صداقة بيننا وبين كاتب(ة) ما، وبيننا وبين شخصيات معينة لها تأثيرها من خلال دور في فيلم، أو شخصية في رواية أو أسطورة. هل القراءة مؤثرة؟ هنا رأي للروائي الفرنسي مارسيل بروست، صاحب رواية «البحث عن الزمن الضائع» حول متعة القراءة وجدواها «في القراءة نعيد الصداقة مباشرة، وبنقاء، مع الكتب لا يوجد إكراه اجتماعي. فإذا أمضينا الليلة مع هؤلاء الأصدقاء- الكتب- فهذا يعني أننا حقيقة نريدهم. وعندما نغادرهم نفعل ذلك بشيء من الندم، ولكن حتى ونحن نفارقهم، لا شيء يغير في تلك الصداقات، لا شيء يموت» وهنا طرح أيضاً السؤال: هل القارئ والكاتب كائن اجتماعي أم انطوائي يهرب من الواقع إلى العالم المتخيل؟ وخاصة حين نعرف بأن الزمن الذي يستهلكه الكاتب كي ينتج قطعة أدبية مهمة ثمين وكبير ولا يقاس بالزمن الذي يقضيه القارئ مع الرواية أو القصة التي تخضع لمراحل طويلة بين التنقيح والتصحيح والإعداد للنشر في أجمل صيغة ممكنة. وذلك زمن غير ضائع إذا نجح الكاتب في خلق عوالم تبذل القارئ وتشير فيه الأسئلة والإجابات التي قد تغير مجرى فكره وقناعاته. هذه المتعة والعلاقة المتبادلة ما بين المتلقي للعمل الفني وبين صانعه تولد لأننا في تلك اللحظات نشترك في صنع الحدث، نختبر حال الآخرين وعواطفهم ونتمثلها بلا أقتعة. لكل كاتب أدواته وأساليبه في خلق عواطف تعمل على تفعيل متعة القارئ الذي ليس وعاء استقبال سلبي للمكتوب. ولا بد أن للقراءة متعة، مضافة إلى متعة الحديث عن الكتب، سواء من خلال مقالة أو من خلال نوادي القراءة والصالونات الأدبية، والجلسات التي تجري في هذه المرحلة عبر الانترنت ومنصات التواصل الاجتماعي التي تتيح للجميع إمكانية التعبير والنقد والحديث بشغف عن جدوى الأدب وعن احتمالات المخيلة التي تتجسد لتصبح جسراً يسهم في استيعاب المشترك الإنساني من خلال علاقات البشر ببعضهم، بالأرض، والطبيعة والأحداث الكبرى.

أنت كقارئ أي نوع من الكتب تحوز على اهتمامك، الروايات أم كتب التاريخ والسيرة

الذاتية، ولماذا؟ ولنذهب أبعد ونسأل: هل تقرأ 10 كتب في السنة، أم تكتفي بمشاهدة التلفزيون ومنصات التواصل الاجتماعي؟! وهل تعرف كم يكون عالمك محدودا حين تحارب الكتابة والقراءة. وربما في نهايات كل عام نستطيع أن نعيد النظر في أهمية الوقت، كيف نكسبه، وكيف نخسره وكيف نفتح أبواباً وأمسيات ندعو إليها الكتاب والقراء للحفر في تراث البشرية وإرث مفكرها. وفي نهاية كل عام يطرح بعض رؤساء العالم الغربي قائمة بأهم الكتب التي أثرت بهم. كان باراك أوباما يفعل ذلك، ولكن لا أعتقد أن هذا يدخل في اهتمام القادة العرب. عزيزي القارئ، ابحث عن كتابك، اقرأه وتكلم عنه بحرية ولن تندم.

نشر في الصباح العراقية بتاريخ 21/12/2023

فكرة اليوم: الكلمات هي المفتاح الذي به أدخل به إلى بيت ليس لي وقلب مجهول يقرأني الآن ويجد بعض الصدى والتقاطعات ما بيني وبينه رغم المسافات التي بيننا.



ما الذي شدني في كتاب بعنوان: مت فارغاً!

"حسرة على الذين لم يغنوا أبداً، سيموتون ومعهم الموسيقى"
اوليفر ويندل هولمز

شدني عنوان هذا الكتاب وأربكني عوانه "مُتْ فارغاً، اطلق أقصى طاقاتك كل يوم" للكاتب "تود هنري" إصدار 2013 وخاصة في هذا العصر حيث العالم مصاب بالكراهية والخوف والوباء "فيروس كورونا". الكون يصارع الموت أمامنا في نشرات الأخبار الدولية شرقاً وغرباً. أقلب الكتاب واكتشف أن محتواه ينصب على قيمة الوقت وأهمية العمل الخلاق لتحقيق الطموحات والأهداف التي نجد متعة في ممارستها ما دمنا على قيد الحياة. قدرات الفرد هائلة إن لم يتم توجيهها بشكل سليم قد تدمر الفرد وتقوده إلى الاكتئاب واليأس، الانكسار أو العدوانية فيذهب إلى خط النهاية وفي قلبه وعقله تلك المشاريع الثمينة والقصص الخلاقة والأفكار البارة التي لم تأخذ نصيبها على أرض الواقع. فهل لديك غاية وهدف تعمل على تحقيقه؟ ما هو مخططك والوقت اللازم لتحقيق طموحك؟ ماهي أغنيتك وكيف ستحرر أمنياتك وموسيقاك، أحزانك ومسراتك على خشبة هذه الأرض، أيها الإنسان؟! الحياة رحبة والعالم لن ينتهي اليوم ولا بعد غد. أمامك بحث متواصل ولكن ضباب الحزن والفقد والحروب قد يثقل على عقلك وروحك ويزجك في عتمة القلق والكراهية، فتسقط في وحشتك وتكره الدنيا. فالشخص الذي يكره نفسه والعالم لن يغني. لن يعشق، ولن يقدم للبشرية شيئاً عدا السلبية والعداء. الكراهية كما الغضب مشاعر تولد العنف الموجه خارجياً، أو المرتد إلى الداخل. وأول ما يفعله هذا الشخص هو أنه يقتل رغباته ويعيش بالمعنى الفيزيقي فقط. وهذه ليست كافية للشعور بالامتلاء والتحقق الشخصي. ليس بالضرورة أن نقوم بأشياء عظيمة،

ولكن من المفيد أن نعقد صلحا مع مصالحنا وأهميتها بالنسبة إلينا وللمجتمع والأسرة الكونية.

تأملات في واقع العمل والعنف ضد المرأة

في جلسة عمل للترجمة الفورية في مكتب معالج سيكولوجي، انفجرت امرأة أمامي بالبكاء وهي تقول: لا قيمة لحياتي بعد، لا هدف لدي. ولا أعرف كيف أتخفف من القلق العصبي. لا أعرف طريقي ولدي إشكالات مادية وصحية ونفسية. أحتاج الى تحقيق هدف يجعلني أكثر اتزاناً. ثم توقفت وهي تسمح أنفها وعيونها. كان كحلها ينساب مع الدموع خطوطاً على وجهها البائس. كانت امرأة في نهاية الخمسينات من عمرها، مهاجرة مستقرة في كندا، خرج الأولاد إلى حياتهم، رحل زوجها الذي كان عنيفاً معها طوال العلاقة الزوجية. الرجل الذي أحبه فيما بعد، خدعها ومضى إلى امرأة أخرى. شهادتها الجامعية لم يعد لها قيمة عملية في البلد الجديد. الشتاء طويل وبارد، الحياة الاجتماعية باردة أكثر بكثير مما تعودت عليه في الشرق. أين الفرح؟! ... كيف ستجد هذه المرأة -مثلاً- الطريق إلى الفرح من جديد. كان هذا موضوع الحلقة في ذلك اليوم. وما يزيد وجعها أنها ليست قادرة على التعبير عن نفسها- بطلاقة- باللغة الانكليزية.

الضياح وسط المتاهات الكبيرة مؤلم لاشك. ومهما كان موقع الفرد (هو-هي) ومركزه الاجتماعي والعلمي وموقعه الجغرافي لا بد أن يسعى ان تحرير تلك الطاقة الكامنة التي تدل على حضوره الفردي وتجعله في آخر الطريق يشعر بالرضا عن ذاته أمام مرآة ذاته أو يشعر بالكراهية والغضب.

هذه المشاعر بسليبتها وإيجابيتها سيصعبها الفرد نحو ذاته أو الآخرين ممن يعتقد أنهم سبب بوسه وفشله أو نجاحه. في هذا الكتاب الذي أمامي بحث عميق في كيف نعيش ونبدع كل يوم بكامل كفاءتنا كي لا نموت في النهاية محملين بكنوز الأفكار والطموحات التي لم تتحقق. يقول الكاتب في المقدمة: أحد الأصدقاء سأله يوماً سؤالا غريباً: ما هي أثنى بقعة على وجه الأرض؟ وكانت هناك اجابات متعددة، لكن الصديق قال: المقبرة أثنى مكان على الأرض، هناك حيث مناجم الأفكار والروايات والمشاريع والطموح الذي طمر ودفن مع موت صاحبه. لم تكن ابار النفط والذهب في الشرق والغرب. في ذلك اليوم يقول الكاتب إنه عاد الى البيت وكتب بخط عريض: "مت فارغاً". ضع مافي عقلك وقلبك في إطار التحقيق كي تصل الى النهاية وقد تخففت من الرغبات والأحلام.

نقاط على طريق النجاح الفردي

اقتل الخوف في داخلك لأن الخوف قاتل شرس للإبداع. أحيانا كثيرة يكون داخل الرجل أو المرأة نبع

من التصورات والأفكار الخلاقة على الصعيد الأسري والاجتماعي، لكن الخوف من الرقيب ومن أحكام الآخرين وتقييمهم، يحمل الفرد إلى العيش في كبت ومحدودية قاتلة، روتينية، قطيعية تعمق غربة الفرد بينه وبين أهل بيته ومجتمعه.

اعمل يومياً على التحرر من محاسبة الآخرين ثم وتقليدهم في الوصول إلى الهدف الذي يحقق لك متعة ودهشة. إذا صار لك أن تحرر نفسك ستجد طاقات تفاجؤك. حاول ألا تستسلم لوضعك القائم حتى وإن كان صعباً أو مريحاً، لا شك أن الإقدام سيفتح لك أبواباً لم تكن تخطر ببالك. كفرد في هذا العصر الذي يشهد حقبة عصيبة، أقصى ما تستطيعه هو أن تنحاز إلى ذاتك المبدعة في طينتها الأولى. فأنت قادر على صناعة نجاح فردي، ووضع خريطة الطريق للوصول إذا بقيت على قناعة وإيمان بأن بناء المجتمع يبدأ من الفرد. كتب باركر بالمر " الشيء الوحيد الذي سنأخذه للمجتمع هو أنفسنا. الطريقة التأملية الوحيدة للتعرف على ذاتنا هي العزلة التي ليست أنانية أبداً. إنها أفضل هدية بإمكاننا تقديمها للآخرين". العزلة الفردية القصيرة التي فيها محاكاة ذاتية وصادقة هي الطريق للوصول إلى الهدف الخاص. بغض النظر عن المعتقد والعقيدة والإيمان وعدمه. هناك مساحات خلاقة تحت الحجر والقمع وخاضعة للتهميش، طوعاً وقسراً. فكلما أزحت خيطاً رمادياً وصخرة عن بصيرتك رأيت النور الذي ينبع من داخلك وينعكس على الجدران المظلمة المحيطة.

قد تكون الكراهية سلوكاً شخصياً أو جمعياً. وقد تكون عمام يحيط بالفرد والسلطات العليا فتكون النتيجة خراباً مريعاً إن لم يستيقظ الفرد وينظر بصدق إلى ما تبقى في روحه من شغف. قليل من العزلة وليس مائة عام كما أراد غابرييل غارسيا ماركيز لشعب روايته الخالدة لن تضر بالفرد إذا استيقظ في الوقت المناسب. الكثير من الاهتمام والتواصل مع الآخرين متعة سواء في زمن الكوليرا، أو الكورونا، وسيعيد الموت إلى قمقمه كي تنفرغ للعمل وإعادة بناء ما ترهل وتداعى من الجدران والنفوس والعلاقات.

كتب هنري ميلر "عمق شغفك بالحياة، كما تراها، وبالناس، والأشياء، الآداب والموسيقى. العالم غني جداً. تفاعل مع الأشياء القيمة، مع النفوس الطيبة، والناس الممتعين. انس نفسك"

فكرة اليوم: أكتب مقالاتي وأوراق بلا غاية. ثم أترجم شفاهاً عن بعد. أتكلم من البيت مع رجال و نساء وعاملات في مكان آخر من المدينة. أسقي الزريعة في البيت وخارجه. أقص الورد اليابسة من الغصن الأخضر. الزريعة خير دليل على أن الأيام تمر بي ونكبر معاً ونتعرض للأمراض ونحتاج الشمس والهواء والرعاية. الزريعة لا تقرأ ولكنها تسمع الموسيقى كما يقال.



أفكار ملونة عن الجنة والجحيم عند جون ملتون

كتب جون ملتون في رائعته الخالدة "الفردوس المفقود" "العقل في مكانه، وبمحض ذاته يستطيع أن يجعل من الجنة جحيماً، ومن الجحيم جنة" الفكرة طاقة لها دُبذبات ومدى، ولك أن تتحكم بأفكارك لأنها تؤثر على شعورك، وكما تكتب عليك أن تغوص في عمق مشاعرك، وهناك يكون الحزن والفرح والسلام والبغضاء. اختر ما تراه مناسباً لحالتك وكتب من هناك، ليكون الصدق المشع من ذاتك، ملائماً لذات شبيهة لك في مكان ما من هذا العالم.

*

في الواقع المعاصر، يبدو أننا نعيش في قوالب جاهزة عتيقة وضيقة يفرضها المتحكم بالسياسة والإقتصاد وكلما كسرنا ضلعا من أضلاع القلب في هذه المنطومات أحدثنا ضجة مخيفة في منظومة الآخر فيشعر بالتهديد ويبدأ باطلاق أحكامه الأخلاقية ويذهب إلى ما هو أشرس. يأخذ الأفراد إلى الجحيم الذي له أشكال عدة على الأرض: منها السجن، التعذيب، التعرض للشخصية وانتهاك سمعة الفرد (رجلاً وامرأة). الشواهد لا تحصى في الإطار الاجتماعي والفني في الشرق الأوسط.

*

الفرد في المجتمع العربي محكوم بالآخر ويبحث عن طاقة للنجاة فرداً أو جماعة. ولا أمل في شفائنا من هذا الشقاء والداء إن لم نقم بكشف مع الذات والآخر ونقلب المفاهيم لتصبح البلاد أكثر حرية وعدلاً، وبموجبها يستطيع الجميع التوازن والعيش كما يليق بالإنسان في هذا العصر. تخفف من أحكام الآخر، عش لفكرك واعرض تربة روحك للنور والنار كي تتطهر.

ولكننا نعرف أيضا أن كل خروج عن سجن الذات يشكل تهديدا للسلطات الهرمية: سلطة الحاكم، الدين والسلطة الذكورية، ثم سلطة الأعراف والتقاليد والوعي الجمعي الإزدواجي أخيراً.

*

هناك وجهات نظر وأفكار تدعم هذه الفكرة وهي أننا نستطيع أن نغير أحداثيات وطبيعة الحالة الشعورية التي نحن فيها وذلك بتغيير طريقة تفكيرنا مع ذاتنا ومع الآخرين. أفكارك ملكك، اعمل على تطهيرها من شوائب الآخرين، أفكارك غزيرة، وأنت فرد. اختر بوتقة الكتابة واذهب إليها بمحض اختيارك.

*

سيأتي زمن يحاول فيه الفرد الانزياح فيما تبقى من ذهنه وذبذبات فكره لخلق سجادة للحب والسلام بكل صوره وتمثلاته على هذه الأرض ونعول على هذا مع كل سنة وبعد كل خيبة ودهشة. أنت كنت كنييا قبل نهاية السنة، وبعد نهاية السنة، قبل الحرب، وبعد الحرب، وفي الهدنة ما بين حربين ومعارك. السر هناك وما يجول فيه من أحداث تجري في الجوار. فهل يعجبك هذا الجحيم وتريد أن تستبدله ببعض الراحة الروحية والفكرية؟ نعم بإمكانك خلق البديل بدءاً من الفكرة إلى إطار الفعل الذي يقرب الجحيم جنة، أو بالعكس.

*

علاقتنا بذاتنا شائكة والعالم في وجهه المعاصر شرير، ممنهج وبيد قوى خارقة القبح والعدوانية. ولكي نننصر على أنفسنا، يلزمنا حادثة أخرى ومعارف وأساليب جديدة في البحث عن الذات لأننا في تلك البوتقة نعيش ونأكل ونشرب سواء كنا في أوروبا أو في الشرق، محاطون بالرقابة، مهددون بالسجون والتصفيات الجسدية والمعنوية.

*

المكتبة العربية فقيرة ولا يوجد فيها كتب للعناية بالروح والذات ومن خاتمة العناية الذاتية. في العقد الأخير بدأت تنتشر ترجمة الكتب الروحانية وكتب البحث عن السلام الداخلي وطريق التشافي سواء بالموسيقى أو التأمل أو الرياضة، أو الانحياز إلى مرجعيات غير مقدسة الطابع ولا تتناقض مع المقدس في الآن ذاته. خطاب مغاير لا يستند إلى مرجعيات الثواب والعقاب. ولكن مثل هذه الكتب والأفكار تبدو مستعارة من الغرب ولم تلبس روحها الشرقية رغم أن الشرق منبع الروحانيات.

*

في الثقافة العربية تكون المرجعية الدينية الحازمة هي المسيطرة على العقل وربما فيها دعوة للصبر والشكر وقبول الوضع القائم وانظار الموت والقيامة للذهاب إلى تلك الجنة الموعودة الغنية

بالمغريات. وهذا يفقد الفرد متعة العيش على هذه الأرض بفرح واحتفاء بالزمن الراهن. أنت بين مزدوجتين، ولكنك تملك الفكرة والأمل الذي لا يموت حتى يصل الإنسان إلى المحطة الأخيرة. الانتحاريون مسألة أخرى. إنهم الذاهبون إلى الفناء لأن جحيم أفكارهم الشخصية أكبر من طاقتهم على العيش بسلام في الحيز الراهن.

*

كل فكرة لها طاقة وذنبية وجاذبية. وتلك الطاقة في المحصلة تحدد إحداثيات الجحيم والجنة، على هذه الأرض. كما أرد أن يصور لنا الشاعر جون ملتون في بداية المقال. سواء أخذنا الشاعر إلى الفردوس نظرياً أو تركنا في منتصف الحلم إليه، لا شك أن لدينا من الطاقة الداخلية ما لا ينضب كي نسير إلى الأمام مهما كان الدفع نحو الخلف قوياً وممنهجاً من قبل السلطات الأعلى.

سيقول أحدهم: هذه طوباوية لا تناسب همجية العالم الراهن. أقول: يكفي أن تؤمن بما في داخلك حتى تتغير إحداثيات كثيرة في نطاق حياتك اليومية. ومن هناك تستمد قوة الدفع لإحداث تغيير على نطاق أوسع من شبكة العلاقات الأسرية والمهنية والعائلية. كل شيء يبدأ بفكرة، بكلمات تفكر بطلاقة.

*

ابحث عما فقدته في طفولتك، وابحث عما تركته منسياً بين جدران جسدك وذهنك في فترة الشباب وبدايات النضج. ابحث عن موهبتك المنسية والأشياء التي تدل عليك دون سواك، وهناك قد تجد طريقاً للخلاص.

إذا كنت كاتباً، ابحث عن حلم راودك واتبع الأثر. هذه المقولة ترجمتها نقلاً عن كاتبة أمريكية هي "فلانري اوكونر" "أي شخص نجا من الطفولة لديه ما يكفي من المواد للكتابة مدى حياته" ما دمت حياً وتقرأ هذه الكلمات هذا يعني أنك نجوت من تلك الطفولة ولديك ما تقوله بطريقتك.

*

الكتابة من ركن الطفولة يستوجب موت الرقيب. الأطفال لا ينتظرون أوامر الرقيب بل يتصرفون

عفوية. عد إلى هناك ذهنيًا واقتل الرقيب أو دعه يتنحى كي يمر الكلام بسلام دون مقصات من فمك إلى الكتاب بين يديك، إلينا.
كم رقيباً علينا أن نقتل كي نصل إلى تلك الجمرة، إلى بذور الأفكار التي نغرسها في تراب الخيال والحلم لتعطي ثمراً نتقاسمه مع سكان المجرة ونغتني بالعطاء.

نشر في صحيفة الصباح العراقية 8 كانون الثاني 2023

فكرة اليوم: أريد أن أقرأ كتباً وقصائد لا تتغنى بالحزن، وتبكي وتندب. أريد أن أرمي قصائدي الحزينة تحت مزارب المطر. ولأنك تحبّ حزني الكثيف، سأحرر من حبك وأبتسم ملوحة لعاشق ينتظرني في آخر سطر من الأساطير السعيدة.



مع الكاتب البرتغالي الكندي ألبرتو مانغويل وجها لوجه في تورنتو

الرقابة الدينية والسياسية موجودة منذ بدء التاريخ ويجب محاربتها

محطات.. لقاءات مع كبار كتاب العالم في مهرجانات الأدب في تورنتو
كنتُ محظوظة أو شغوفة بالأدب العالمية وروادها وكان لي فرصة حضور لقاءات مع كبار المبدعين والمفكرين أثناء زيارتهم إلى كندا ومنهم الإيطالي العالمي أمبرتو إيكو، سلمان رشدي، وول سوينكا، آذار نفيسي، مارغريت أتوود، جون رالستون صول، أليس مونرو، وألبرتو مانغويل الذي هو محور هذه الورقة. التقيتُ مع المبدع الموسوعي ألبرتو مانغويل أيام مهرجان تورنتو العالمي للمؤلفين سبتمبر 2023 وكنت مشاركة ومحاضرة حول موضوع (الشعر والحرية) ودار بيننا حديث طويل قبل وبعد المحاضرة الرسمية في الصالة. كنت أستمع وأسأل وأكتب أقواله في دفترتي مترجمة من الإنكليزية إلى العربية. وأقدم هذه البانوراما لأفكار ألبرتو مانغويل لقراء العربية وهو يعلم بأن له حظوة ومقاماً في الشرق الأوسط ويحظى بالتقدير، وقال بلسانه عن نفسه أنه محظوظ، ويعرف بعض المبدعين الجيدين الذين لم يحالفهم الحظ في الانتشار.

هل يمكن لامرأة أن تكتب كما لو أنها وحيد القرن

كنا عدة كتاب من كندا وإسبانيا والارجنتين، خلال حوارنا مع ألبرتو مانغويل تحدثنا عن الكتابة، قلت له: أنا أكتب من موقعي كامرأة شرقية، كمهاجرة، كأم، كزوجة، كإنسانة عاشت مخاض الاغتراب وتجربة اللغة الأولى والثانية. كان يسمع بصبر، ثم قال: ألا يمكنك أن تكتبي كما لو أنك وحيد القرن؟! فضحكت ولم أجد جواباً. وكلما رأيت صورة (وحيد القرن- يونيكورن) في

قصص الأطفال وعلى ثياب حفيدتي، أبتسم وأتذكر تلك الإشارة الذكية والمرحة. الفكرة، أن تناقض مقولة (اكتب ما تعرفه)، بل اكتب ما لست أنت، وما لا تعرف كي تكتشف.

حين جاء ذكر الشاعر محمود درويش، وكان قد التقاه في باريس ويعرف سيرته الشعرية ومواقفه. وفي الحديث عن أن الشاعر صوت الأمة قال مانغويل: هم اخترعوا للشاعر هذه الصفة، هو لم يكن يريد ذلك لشعره. وذكر لنا بأنه منذ سنوات حاول مع آخرين افتتاح مكتبة ضخمة مجانية في رام الله، فلسطين، بمعونته و الأمم المتحدة ولكن الحلم لم يكتمل بسبب الخلافات بين أطراف السلطة الحاكمة في فلسطين. تحدثنا عن الترجمة إلى العربية، ذكر بأن مترجمته إلى اللغة الفرنسية، وهي سيدة عربية (سين) ارتكبت خطأ في ترجمة مادار بينها وبينه من حديث إلى الفرنسية وفهم من كتابتها لمقدمة الكتاب بأن الذي يجمعهما "حميمي" وهذا غير صحيح، والترجمة تخون الكاتب، قالها وهو يضحك. لفتت نظري أناقته الفارحة ابتداء من حذائه إلى قبعته. وحين سألته عن الخاتم المميز الذي في إصبعه، حدثنا عن أسطورة اقتنائه وتاريخه. يبدو لي لو أنه جاهز لكل سؤال والعفوية لديه نابعة من كنز المعرفة التي في رأسه وهو عاشق المكتبات والقراءة والقراء في الشرق والغرب.

البرتو مانغويل يستهشد بجملة لي في مهرجان تورنتو العالمي للمؤلفين

جلسة حوار طويلة حدثت دون تدبير مسبق من قبلي، بل كانت صدفة ثمينة للحديث الكندي الارجنتيني، وكانت الكاتبة التونسية العراقية سمر المزغيني حاضرة معنا حول طاولة مستديرة صغيرة بالمناسبة هو يفضل التعريف عن جنسيته وهويته بأنه كندي فقط فهو يحمل الجنسية الكندية ويقوم متقلبين كندا وبلاد أخرى. كنا نتبادل الأفكار عن الكتابة والترجمة، عن كتبه ومترجميه إلى العربية، ودور النشر، كالساقى وغيرها. أثناء الدردشة ذكرنا فكرة وفقرة من قصيدة لي بالانكليزية، وكان ينصت إلي جيداً. أعاد ما قلته وتوجه إلى الأصدقاء الآخرين حول الطاولة لإيصال تلك الجملة لهم. والتقطنا حينها بعض الصور. إلى أن حان موعد جلسته الرسمية. الجلسة الرسمية لمحاضراته معه بدأت في السابعة مساءً، وكانت مشاركة مع كاتب ومترجم شاب برتغالي Joao Reis ويترجم من وإلى عدة لغات. قلتُ: الحكايات- نصف المحكية، هي التي تهمني وأحاول كتابتها .

الصالة الرسمية وأسئلة الحضور

أثناء الأسئلة المطروحة من قبل الحضور، وسؤال من قبل الصديقة التي كانت جالسة جوارى "سمر المزغيني" عن لماذا يكتب ولمن؟ فاجأني في إجابته لصديقتي بالإشارة إلى

الجملة التي قلتها أثناء المرتجل قبل ساعة . لم يتذكر اسمي- اول مرة التقى به شخصيا كي يشير إليه. فأجاب: الشاعرة التي تجلس في جوارك قالت: نكتب من الحكايات- نصف محكية. ثم توسع في الرد حول الكتابة من أجل تلك الحكايات غير المكتملة، مع ترك مساحة للقارئ للتأويل. البرتومانغويل القارئ العالمي والكاتب الموسوعي، اقتبس جملة مني- جاكين سلام كاتبة هذه السطور- جملة شعرية رددها بآعجاب عن لماذا نكتب ولماذا أنا أكتب الشعر. كانت تلك بمثابة جرعة ثقة، تلقيتها بذهول، وليس الغرور ما شعرت به بل الغبطة، بذلك الإحساس والإمتنان للشعر والأدب الذي يبذل جهودنا ويكمل وجودنا. بعد نهاية الحوار كان هناك ركن لتوقيع كتبه القديمة والجديدة. اشتريت آخر كتبه هو كتاب بيوغرافي عن سيرة العلامة (بن ميمون). لاحظت أنه يوقع للقراء على مهل وفنية كمن يكتب قصيدة قصيرة أو يرسم صورة بخط اليد وبقلم حبر أنيق. كتب لي الإهداء، فقلت له حين انتهى من التوقيع: أنا أتمن أنك كنت تتحدث عن الكاتب الشاب الذي في الجلسة معك أكثر مما تحدثت عن نفسك، كنت لي مثالا سأذكره في كتاباتي. ابتسم وهو يربت على يدي: "إنها مسألة احترام ولطف"

كانت فعاليات المهرجان الأدبي في مدينة تورنتو الكندية ابتداء من يوم 21 سبتمبر ولغاية الأول من أكتوبر 2023.

أفكار جمعتها أثناء حديثنا معا ومحاضرتة والحوار المباشر :

"على الكاتب أن يعلم القارئ كيف يقرأ وهذا يسمح للقارئ أن يتابع ويشعر بالمتعة"

*

"قدر الشاعر أن يتلقى الوحي ويلقيه على الآخر وأحيانا فقط يلامس البعض. أعرف كتابا وشعراء كبار لم يحالفهم الحظ"

*

"القارئ يتلقى صوت الكاتب ثم يعيده ويفسره كما يريد فيما بعد"

*

"أغلب الأوقات نحن نعاني من تناقض الأصوات التي تقول لنا إلى أين يجب أن نمضي"

*

"نحن لدينا دور في هذا العالم، ويجب أن نكمل طريقنا نحن ننظر إلى كل ما يجري من حولنا"

*

"الرقابة تقف ضد الإبداع. يجب علينا تجنب الرقابة، وإذا استمعت إلى صوت الرقيب سوف تتأثر كتابتك. والرقيب يقيم ومنذ بدء الكتابة. الرقابة الدينية والسياسية موجودة منذ بداية التاريخ. يجب أن نحارب كل أشكال الرقابة"

*

"قد يجد الكاتب صوته إذا قام الناشر والسلطة والحكومات بمحاصرة الرقيب، حينها ينتصر صوت المبدع"

*

"إذا كان الكتاب الذي أكتبه لا يزعج أحداً فلا ضرورة له. أريد من القصة أن تضربك على وجهك لتستيقظ"

*

"الأدب لا يعطيك كل شيء ولا يجعلك شخصاً أفضل"

*

"لا أؤمن بأي عمل متحيز جنسياً وجينياً. نحن نريد أن ننظف التاريخ"
"كلمة زنجي كانت مستخدمة في الأدبيات التاريخية فلماذا نريد أن ننظف المكتبات من تلك الكتب اليت كانت شاهداً على تلك الفترة والمصطلحات. إذا كانت التاريخ وسخا لا تنظفه وتلمعه"

*

"قارئ الأدب حين يقرأ كتاباً مهما يسأل: ما هو هدف الكاتب، وما هي حدود حريتنا في ترجمة هذا القول"

*

"الأديب يكتب والقارئ يترجم ما يتلقاه إلى لغات أخرى"

*

"لا يعرف الكاتب الهدف والغاية لأن ذلك يعتمد على المتلقي، أنا أقرأ من تجربتي، حين أقرأ الأوديسة، وأخذ ما يهمني. ما هو مهم بالنسبة لي قد لا يكون كذلك للآخرين"

*

"يجب أن يكون المترجم مخلصاً للأصل، وقد تكون بعض الترجمات أفضل من النص الأساسي"

*

"الترجمة طريقة لإبقاء الكتب حية"

*

"كي تتغلب على الخوف من الكتابة بلغة أخرى، اقرأ بلغة الآخر"

*

"أدب الكراهية، أنا اسميه أدب الخوف، الخوف من الآخر"

*

"في حياتي لم يحدث أن قرأت كتب عالمية ذات قيمة وشعرت بالكراهية منذ السطور الأولى"

*

"أنا أكتب في الصباح الباكر لأن طاقتي جيدة في ذلك الوقت"

*

"القارئ يريد من الكاتب أن يعطيه ما يحب. القصة تأتي من المسافة بين السطور حيث يستطيع القارئ أن يشارك فيها"

*

"نكتب كي نجد ما لا نعرف لأن الأدب عكس السجلات الوثائقية. ولا يعطي الأدب أجوبة، بل يفتح الذهن على المزيد من الأسئلة"

*

"الأدب يسمح لنا أن نذهب في كل الجهات وفي نفس الوقت، والكاتب يواجه القارئ من خلال المفردات، التحركات، بناء السرد، الحلول المبتكرة"

*

"إذا كان الأدب للإجابة على سؤال واحد بجواب واحد، هذا يعني نهاية الطريق ولا حاجة لنا لمواصلة الكتابة أو القراءة"

*

"نحن البشر طورنا ملكة الخيال ليعطينا فرصة التجربة، دون أن نقوم بالتجربة"

*

"الخيال يمثل عضلات السارد كي يقدم صورة عن عالم مكون من إحداثيات، ألوان، أشكال، ومخاوف..."

*

"في الأدب نحن نخترع العالم. وأثناء القراءة نحن ننجذب إلى صوة، صوة معينة، وليس لكل فرد، ونحب الشخصي الذي نحبه نحن لأننا مختلفون، ولا نستطيع أن نشرح لذلك بل نبتكر، نخلق"

*

"إذا أحببت صوتاً لأديب، حاول أن تقلده إلى أن تجد صوتك، خاصتك وتتبناه"

*

"لا يوجد شيء أصلي بعد، كل شيء قيل وكتب من قبل. ولكن الذي تفعله أنت أنك تعيد نفس القصة"

*

"أنا لا أريد أن أتحدث عن كيف تكتب قصة، أنت تكتب والصفحة في متناولك وأنت حر في كيفية تحرير نصوصك دون تدخل الرقيب الذي يقف دائماً على كتفيك"

*

"أنا لا أريد أن أسمع وأقرأ أمشاكل الكاتب والعالم، أريد أن أقرأ ما يمتعني كقارئ، وما يجعلني أكتشف شيئاً جديداً"

فكرة على هامش التواضع والغرور:

لماذا يتعامل الكاتب غير العربي بلطف شديد وتواضع وخلافاً لبعض الكتاب العرب الذين تلقيتهم في مناسبات شتى في مهرجانات المدينة ومراكزها الثقافية في كندا وخارجها؟! كان المبدع الكبير دمثاً ومتواضعاً ومحاوراً فضولياً يستمع ويجيب. الحديث معه حصل في صالة مخصصة لاجتماع الكتاب أثناء مهرجان تورنتو العالمي للمؤلفين حيث تدور الحوارات والقراءات في صالات عدة منذ الصباح حتى المساء. الصالة تطل على البحيرة حيث يوجد مقاعد وطاولات للاستراحة لمن يرغب بالجلوس هناك من الكتاب المدعوين للمهرجان. بعد أسبوع كتبت له عبر الإيميل شاكرة له وقته ولطفه ووعدته أن أرسل له بعض كتاباتي المترجمة كما طلب مني. كتبت له إيميلاً وكتب رداً وكان ذلك في بداية شهر أكتوبر 2023 حين أصيب العالم بجنون الحرب والقتل مرة أخرى، كان ذلك بعد أيام من 7 أكتوبر 2023. أهديته ديواناً لي بالعربية ولم أرسل القصائد المترجمة حتى الآن.

سيمون دو بوفوار في رواية عن المراهقة ...

هل عاشت قبل جون بول سارتر

قادني الفضول للحصول على الرواية الأخيرة "متلازمان" التي نشرت لأول مرة عام 2021 للمفكرة والفيلسوفة الوجودية الفرنسية سيمون دو بوفوار. بعض الأسماء تسبق محتوى الكتاب وتحثنا على البحث في ما تعذر نشره في زمنه. تملكنتي الدهشة والتساؤل: ما الذي منع كاتبة بحجم سيمون دو بوفوار من نشر رواية لها كتبت عام 1954 بعد أن أعطاها شريكها جان بول سارتر رأياً سلبياً في رواية أتوبيوغرافية؟ هل هي التبعية الضمنية المشروطة على المرأة التي تجاهد من أجل الاستقلال الفكري والاقتصادي؟ أم العجز عن تحطيم المحظورات دفعة واحدة والبقاء في ظل فيلسوف وثوري كبير له أثره على الحراك الثقافي في فرنسا والعالم؟ أم أن هناك أولويات للكتابة والطرح في كل حقبة زمنية، وانحازت سيمون دو بوفوار إلى الموافقة مع سارتر في هذا الرأي لتتصرف إلى مشاريعها الكتابية الغزيرة سواء سير-ذاتية أو فكرية أو متخيلة!

رواية الماندرين وجائزة غونكور الفرنسية

الأرشيف يؤكد أن سيمون فضلت أن تنشر روايتها الفلسفية المعقدة المهمة في تلك المرحلة والتي بعنوان "ذا ماندرين-أو الماندرين". وهي رواية فلسفية معقدة عن دور المثقف في المجتمع بعد الحرب العالمية الثانية كما يشير العنوان إلى العلماء البيروقراطيين في الصين الإمبراطورية. حيث ترى الشخصيات في بعض الأحيان نفسها على أنها "ماندرين" أي نخبة غير فعالة تبحث في الدور الذي سيلعبه المثقفون للتأثير على المشهد السياسي العالمي بعد الحرب. وهذه الرواية حصلت على جائزة غونكور حينها وطبع منها ملايين النسخ في فرنسا وأمريكا.

من هما الشخصيتان غير القابلتان للانفصال و للتفريق بينهما في رواية "متلازمتان"؟
أنهما المؤلفة سيمون دو بوفوار وصديقتها اليزابيث لكوين في هذه الرواية الاتوبيوغرافية القصيرة. جاءت تلك الكلمة في سياق رسائل شخصية تم تبادلها بين سيمون دو بوفوار مع اليزابيث لكوين والتي عرفت باسم زازا والاسم ورد في مذكرات سيمون دو بوفوار الشخصية.

سيمون دو بوفوار والإهداء إلى الصديقة التي عرفتھا وأحبھا بشغف على مقاعد المدرسة الإعدادية ثم واستمرت حتى بداية المرحلة الجامعية حيث درست دو بوفوار الفلسفة، فيما التحقت اليزابيث بقسم الآداب في جامعة السوربون. ويبدو أن تلك الباريسية ليست فرنسا التي نعرفها اليوم والتي غدت مدينة الانوار، بل كانت رازحة تحت جور تقاليد كاثوليكية صارمة. ينعكس ذلك في الرسائل المتبادلة بين سيمون واليزابيث (زازا)، وهي منشورة في نهاية الرواية مؤرخة بين عامي 1920-1929. انتهت الرواية الاتوبيوغرافية بموت (زازا) في ظروف غامضة حين كان عمرها 21 سنة. ويذكر أن أندريا، اسم بطلانة القصة وشخصية "سيلفي" هي سيمون دو بوفوار كما يرد في صفحات أخرى في ختام الرواية.

هل أثرت تلك العلاقة الملتبسة على حياة دو بوفوار وكتابتها اللاحقة؟

أقول ربما، لو تعيش سيمون دو بوفوار تجربة شخصية خاصة مع واحدة من بنات صفها حين كان عمرها 9 سنوات لما ألقت هذه المفكرة الوجودية كتابها الثوري "الجنس الثاني" الذي اعتبر مانفيسيتو الحركة النسوية الثانية حين صدر عام 1949.

لكن سارتر، المفكر والفيلسوف لم يتقبل تلك الرواية حين عرضتها سيمون دو بوفوار عليه، وكانت نظرته إليها بأنها لن تلفت اهتمام القراءة، وموضوعها ليس مسألة مهمة في الوقت الذي كان العالم يحارب من أجل قضايا أساسية كبيرة وهي الاشتراكية ومناصرة الحركات العمالية والرأسمالية البرجوازية ما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية.

وهنا يلح علي سؤال: هل ستتحرق المرأة كلياً من إملاءات وسلطة الرجل الذي تعيش معه أو في حمايته، سواء أكان فيلسوفاً أو تاجر سيارات؟!

أجواء الرواية وملابسات الصداقة وموت زازا-أو أندريا

ماتت (زازا) في ظروف غامضة في 25 ديسمبر 1929. بسبب فيروس تسبب لها في هلوسات وحمى، أو بسبب الاكتئاب والجنون الذي قضى على صحتها النفسية والجسدية وأدى إلى الموت المبكر الغامض. تنتهي القصة بمشهد دفن (أندريا) التي يقوم الأهل بنثر الكثير من

الورود البيضاء على قبرها، وحدها سيمون(سيلفي) تضع ثلاث زهورات حمراء على القبر. تخلص سيمون دو بوفوار في مذكراتها : ان صديقتها كانت ضحية المجتمع وقُتلت نفسها وروحيا بسبب التقاليد الصارمة وحصار الأسرة والعشيرة التي كانت تتبع تقاليد كاثوليكية بوزجوازية ذات خلفية عسكرية. كانت البنت متمردة-اندريا- متقدمة على عصرها تتمتع بفردية عالية في التفكير لا تتناسب مع حركة المجتمع الفرنسي البرجوازي في العقد الثالث من القرن 19. التحرر والاختلاف الفكري كان سبب كآبتها لأنها لم تستطع تحمل متطلبات الحياة الجماعية واشتراطاتها القاتلة للفردية الشخصية. لم تستطع كل المحاولات المحيطة ترويضها لتجعل منها امرأة مثل أخواتها وأمه، كي تكتفي بالزواج المدبر لتعيش مثل أمها التي أنجبت 9 أولاد وبنات ولم يكن لديها فسحة للاهتمام بنفسها، بل قامت الأم بدور الجلادة وحجبت عن ابنتها أي رغبة خاصة بما في ذلك العزف على القيثارة مما حدى بها للقبول بالزواج من رجل انكليزي خارج الأقارب والعشيرة كي يأخذها إلى انكلترا بعيدا عن أسرتها. لم تستطع سيمون دو بوفوار أن تبقيا في دانرتها.

أفكار على هامش المرأة الفرنسية والعربية: حين أتمعن في هذه القصة التي انتهت بموت البطلة (زازا) في 25 نوفمبر 1929، أجد بالتوازي هناك آلاف الحالات القمعية التي ما تزال تحدث في المحيط العربي والشرقي، حيث تكون البنت مجردة في كثير من الأحيان من حقها في اختيار الدراسة أو الشريك أو المهنة.

كتبت سيمون في مقدمة الرواية الإهداء إلى زازا وترجمته هي: إذا كنت أبكي الآن فلأنك ميتة، أو ربما لأنني باقية على قيد الحياة؟ يجب أن أهدي هذه القصة لك، ولكنني أعرف أنك هنا الآن فيها، وأنا هنا أتحدث معك بصيغة أدبية. إضافة لذلك، الحقيقة هذه ليست قصتك، ولكن ببساطة هي قصة مستوحاة منا. أنت في القصة لست (اندريا) وأنا لست سيلفي التي تتكلم باسمي.

*

ماذا قالت مارغريت أتوود في مقدمة الرواية: اخترت ترجمة فقرة أخيرة من الكلمة التي تتناول مقارنة مفصلة بين جيل سيمون دو بوفوار والدة مارغريت أتوود، التي عاشت واسرتها في حرية شديدة قياساً للحال في باريس في تلك الحقبة. وتأخذ أتوود فرصتها في تحليل الخط السياسي الذي سار عليه سارتر في علاقته مع الاتحاد السوفياتي والثورة الفرنسية. بالإضافة إلى الإعجاب بثورية سيمون وروحانيتها المتميزة في مجتمع ذكوري الفلسفة والتقاليد. "عزيزي القارئ، أقرأ وأبكي، المؤلفة نفسها بكت، وهكذا بدأت القصة بالدموع. يبدو أنه وبالرغم من ظاهرها المتسم بالتمنع، سيمون دو بوفوار لم تكف عن البكاء مدى حياتها لفقدان زازا. وربما هي نفسها، عملت بكل هذه الجهود كي تصبح ما كانت عليه وكنوع من التعويض والتذكير

بأن دو بوفوار كان عليها أن تعبّر بفكرها إلى أقصاه ذلك أن زازا لم يكن بمقدورها أن تفعل."

*

الآخرون والأول والثاني في جحيم سارتر وسيمون دوبوفوار ونحن جيل الألفية الثالثة سيحفظ التاريخ مقولة جان بول سارتر الشهيرة "الآخرون هم الجحيم" والتي جاءت على لسان واحد من أبطال مسرحيته التي بعنوان "لا مخرج، أو نهاية ميتة" والتي كتبها عام 1944. وستبقى دو بوفوار علامة فارقة في تاريخ الحركات النسوية العاملة وبخاصة في كتابها الفلسفي الشهير "الجنس الآخر" 1949. في كلا الكتابين يقتحم الفلاسفة أيديولوجيا العلاقة الشائكة بين الأنا والآخر المختلف جنسياً وفكرياً ولنا أن نحلل ونفكر ونسقط ذلك على أسلوب معيشتنا ومفاهيمنا عن الحرية والفردية الشخصية والالتزام الاجتماعي. الكتابة بحرية والتفكير خارج الإطار التقليدي يحكم على المبدعة أن تكسر الإطار التقليدي لتغوص في الكشف عما يعاني منه الفرد وإن كان في ذلك مخاطرة ونقد لاذع. ولا أدري إن كان بإمكان المرأة أن تفعل ذلك حين يعاكسها القانون المدني والاجتماعي والديني! نشر في صحيفة عمان مسقط

2024

فكرة اليوم: هل من ضرورة لنشر كتاب أو أوراق كاتب راحل، لم ينشرها وهو على قيد الحياة؟

هناك أسئلة تطرح في الساحة الثقافية عن هذا والأمثلة كثيرة وكتاب كبار نشرت أوراقهم بعد موتهم. بعضهم يستنكر النشر بسبب ضعف الكتابة وعدم اكتمالها. برأيي أي نشر هو إضافة ولا يضر بسيرة وقيمة الكاتب ما دام لم يكتب وصية تمنع النشر كما في حالتنا هذه مع رواية المفكرة سيمون دو بوفوار. أرى أن تلك الكتب تكمل سيرة وتفتح باباً حتى وإن بدت هشة أو عادية. شخصياً، أتمنى أن أنشر ما لدي من مخزون نصف منجز حتى الآن قبل أن أغادر هذا العالم. ما أردت التخلص منه، فعلته قبل سنوات ومزقت مسودات كثيرة كانت مكتوبة بخط اليد. وما بقي في جهاز الكمبيوتر وذاكرته، بعضه تافه وبعضها يستحق التدوير والمعالجة.

عواالم وقصائد الشاعرة غابرييلا ميسترال وجائزة نوبل

فقط الجاهل الذي لا يحترم الإنسانية ولا الآداب العربية والعالمية يقول لي ولك: لماذا الشعر؟ أو أنا أكره الشعر والشعراء، فهو بضاعة كاسدة. وأعتقد أن العالم غرق في الحماقات والحروب لأن قادة الشعوب لا يقرأون شعراً وأديباً، تلك الديناصورات التي تبيع وتشترى صفقات الأسلحة الباهرة، فيما أفراد الشعب جياع وضحايا. ولكن سيكون هناك دوما عشاق إستثناء يمارسون الشعر ويترجمونه ولا يصلهم مردود مادي مقابل موهبتهم ووقتهم.

زارني صديق منذ 25 سنة وفي يده هدية لي، عبارة عن نسخة مصورة لديوان قصائد مختارة للشاعرة غابرييلا ميسترال. لم أكن قد قرأت لها من قبل. قال: هذه الشاعرة ستعجبك وسنتكلم عنها في لقاء آخر بعد أن تقرأها.

أنا أؤمن الهدايا الشعرية وخاصة في الفترة التي كنت ألتقط الكتاب العربي بشوق في سنوات الهجرة الأولى. غادر الشاعر الصديق كندا عائداً إلى بلاده إلى غير رجعة وصار له شأن وحضور هناك. وكلما قرأت غابرييلا ميسترال، أبتسم وأقول لنفسِي: إنها شاعرة وأحبها.

غابرييلا ميسترال قصائد مختارة

ديوان من إصدار دار المدى، عام 1998 وترجمة الشاعر العراقي المترجم الراحل حسب الشيخ جعفر الذي مرت ذكرى رحيله في شهر ايار/مايو يحمل الديوان 48 قصيدة. وصدر لها روايات وشعر نذكر منها "ياس" ورواية "تدفق رفيقا أيها النهر"

*

غابرييلا ميسترال و بعض جوانب شعرها

ولدت الشاعرة غابرييلا ميسترال في تشيلي عام 1889 ورحلت عام 1965 نالت جائزة نوبل للاداب عام 1945. عاشت حياتها في فقر مدقع ويقال أنها نالت مرة جائزة تقديرية ولكنها لم تستطع الحضور لتسلم الجائزة لأنها لم تكن تملك ثوبا مناسباً. عملت معلمة في مدرسة، وعانت شقاء الحياة بكل ألوانه. كان الشاعر بابلو نيرودا أحد تلاميذها في الصف والذي فاز ايضا بجائزة نوبل عام 1971. يقال أنها أخفته في بيتها حين كان ملاحقا (كما يشير المترجم في مقدمة الكتاب). كانت الشاعرة من أنصار حرية الرأي والتعبير وتنشر كتاباتها في الصحف المحلية بتخوف ثم انتشر صوتها وصيتها خارج البلاد. عينت كقنصل في تشيلي بعد تلك المسيرة الشاقة والمعطاءة.

*

الشاعرة غابرييلا ميسترال، أمومة خصبة بلا إنجاب، عاشقة حتى آخر عمرها لرجل وحيد مات منتحرا في ظروف غامضة، خصوبة روحية تلد الحياة شعرا من عالم الأشياء بحسية عميقة، حملت رؤية امرأة مرهفة ومثقفة، يختلط في كتابها عشق الحياة مع الأسى والقلق الوجودي. أنجبت قصائد وفي قصائدها أنجبت أطفالا، رجالا، أحلاما ورؤى تخالها أعماق من الواقع وهذا ما سنراه في قصائدها وكلماتها خصبا وعميقا. كانت خلاقة في وحدتها، متقدة برغبات الصانعة الحازقة والجزلة، تسخر واقع الحياة والطبيعة لصنع منمنمات شعرية كاشفة للحقائق، مكسبة إياها أبعادا وتجليات شاهقة.

الشاعرة والآخر: إن الدخول في عالم قصائدها يقودنا إلى أن الآخر في حياتها هو الغياب. ذلك الغياب الذي يترجل ويتنقل متخذاً أشكالاً وتجليات شتى حتى نكاد نلمسه، نحكي ألوانه بعيوننا، نشتم رائحته خصبا وقويا.

غياب الطفل وغياب الحبيب، غياب العالم الجميل الناصع له مقام في نصوصها، و هي الشاعرة التي لم تنجب ولم تتزوج ولكننا نلمس في قصائدها أطفال بحجم الروح الالهية. وذلك الغياب الذي يرهقها حيناً ويهدد أفرانها وأوجاعها حيناً آخر حتى يستحيل العالم طفل تعيد ولادته بشغف القصيدة وحنكتها .

إنها الشاعرة التي تعاونت مع روحها ورواها وفكرها كي تسليخ عن جدران الروح والجسد أنشودة العدم.

احتضنت في فراغها عوالم متناغمة وحزينة ومترنحة، تغص بما ينقص وما يجرح وما يرفع الأمل

خطوة إلى الأعلى
ارتمت في حضن الطبيعة الأم، فصارت أما تحنو وتغضب، تبكي وتشاكس ويبقى حضورها وكلماتها
واقعا أسمى يتداخل في شرايين الحياة نبضا نبضا.

من هذا العالم المصتخب بكل الألوان تقطف بلمسات حاذقة وراعة الجمال الكامن في الأشياء تلتقط
اليومي والعادي من مفردات ومشاهد الحياة وتفصل منها ثوبا للقصيدة.

أتوقف عند هذه القصائد:

في قصيدة

وأنا أهرز المهدي

البحر يؤرجح الملايين
من أمواجه متناغما
وأنا، مصغية إلى هدهدة البحر،
أهرز طفلي .
الريح رفيقة القمح
تؤرجحه بلطف
وأنا أصغي إلى هدهدة الريح
أهرز طفلي .

الله يؤرجح الملايين
من عوالمه في هدوء
وأنا مصغية إلى الله،
أهرز طفلي.

الله يؤرجح الملايين
من عوالمه في هدوء
وأنا أضمك إلى صدري

فما أنا بوحيدة. – ص 20

ونلمح هنا قدرة الخلق المتخيلة في القصيدة تتجلى بطفل تحتضنه الشاعرة في عزلتها متماهية في الكون/ البحر/ الريح / القمح/ الله/ الطفل....

وفي قصيدة قصيدة " أرق " تكتب مراحل من حياة الشاعرة المتأرجحة بين فقر وعوز وبين الراحة واليسر :

شحاذاة كنتملিকে انا اليوم

وها أنا ارتجف بلا توقف،

واتسانل طوال الطريق،

الما تزل معي ؟ ألن تذهب ؟

أريد أن ابتسم في الطرقات كلها

وائق بالناس جميعا ما دمت قد جنت إلي.

غير أنني تعلمت أن أخاف حتى في أحلامي

وأتسانل: أنت هنا؟

ألن تذهب؟

وحيث نرى في السؤال ما هو أقوى من استجداء حضور الرجل الحبيب وما هو أعمق من محض رغبة تخضع لانزياح حسي. ويقال أن الشاعرة لم يكن لديها ثوب مناسب كي تذهب لاستلام جائزة نوبل وحضور احتفال الاكاديمية السويدية بالشعر والشاعرة. أنا لا أستخدم كلمة كبير وكبيرة في وصف صاحب الصنيع الإبداعي، فالنص يشهد على مقام صاحبه(هي/هو)

*

وفي قصيدتها " سأغني النشيد الذي كنت تحبه":

تقول:

سأغني ذلك النشيد الذي أحببته...

كي تقترب وتصغي،

كي تتذكر تلك الحياة – كانت حياتك أنت

سأغني كل غسق...يا ظلا لي.
لا أريد أن أصمت
فكيف ستجدني بلا صرخة مني ؟
وأي شيء ينبك عني أكثر صدقا منها؟ ما زلت أذكر تلك التي كنتها قديما
ما أنا بالمنسية أو الضائعة

....

...

وكم شاهق هذا الإصرار على مواجهة الحياة بصفع ذاكرة الموت... وبتجاوز الذات الشخصية
لتحل محلها الذات الشاعرة بلا وجل محلقة في فضاء الكلمة المجرد الى حيث المطلق. شيء ما في
روحانيته يذكرني أيضا بالشاعرة الإيرانية التي توفيت باكرا "فروخ فرج زاد" حيث المعابر الروحية
ترتقي بإحداثيات الكتابة إلى أعماق الفكر وإلى سماء الشعرية المنقاة المصفاة المقطرة كدمع وأحجار
كريمة تسبح في محبرة كونية لا تعرف الموت والجفاف بل تتجدد بكل قراءة.

*

في قصيدة أنشودة النجمة
" قلبي. أنا أبهج العالم كله بأشعتي،
ولم يعد ضوئي غير دموع.".....

...

وتتعالى رغبته في تحطيم هذا الظغيان الاسود من العالم في تصوير مدهش من خلال قصيدة " أبواب
" التي في آخر الديوان ومنها:

أبواب هي قشريات مكتنية
لا مد يأتيها، وبلا رمال
أبواب هي سحابة قاتمة عاصفة
فوق ارض سعيدة، كبيرة
آخذة في استقامتها هيئة موت لا مفر منه
وأنا انحنى أمامها
كقصبة مرتجفة في الريح.

...

....

في النور الأبدي كما في الحياة
سيكونون لطفاء معي وسننشد معا
أغنيتنا بين الأرض والسماء.
وكالريح بأغنيتنا هذه
سنرج الأبواب بابا بعد باب
وس يخرج البشر إلى عالم مفتوح
كالأطفال المستيقظين
وقد سمعوا كيف تتساقط الأبواب الحاقدة
منهارة فوق العالم كله.

هنا وكما في قصائد أخرى كثيرة تسخر الشاعرة مقدراتها المذهلة الرقيقة لتكتب شعرية الأشياء
وعناصر الطبيعة متناغمة مع الروح، كالشوكة، السنبل، الأبواب، الغيمة، الآنية الفخارية الجماد
والصخب للانطلاق الى قلب الحياة و الامل والغد.

حين يهدي الشاعر، أشعار غيره لصديقة تهتم بالشعر، يختلف كثيرا عن يهدي منفضة سجائر أو
زجاجة عطر. وبتصوري ومع مرور الوقت لا يفقد هذا الشعر نضارته وشبابه وأثره وجدواه وجوهره.
فقط يحتاج إلى وعي يفتح الباب إلى حقول الجمال الأبدية التي جوهرها الإنسانية.

نشر في صحيفة الصباح العراقية

فكرة اليوم: أما أنت أيها الغريب حين تذهب إلى البيت إحضر معك الكثير من قلبك والكثير منك. اخلع
أقنعتك على عتبة المنزل وضعها قرب حذائك.
كن ذاتك فالعالم مليئ بأشباه البشر والنسخ المزورة.
ودعنا ندثر العالم البارد بالحب لعله يشفى من آثار المجزرة.



الفصل الخامس

أسرار المحبرة

جويس منصور وجائزة غريفن الشعرية العالمية

أعلنت الصحف الكندية عن القائمة الطويلة لجائزة غريفن الشعرية العالمية في العاشرة صباحا يوم 20 مارس، 2024. وفي العاشرة و5 دقائق وصلني بريد الكتروني فيه أسماء الفائزين بالقائمة الطويلة وفيها تفاصيل الأسماء والكتب الفائزة من كندا وخارجها. وكان اسم الشاعرة المصرية الفرنسية جويس منصور يحتل بعد ساعات واجهة المشهد الإخباري العام في الصحف الكندية اليومية. وخاصة أن مترجمتها عن اللغة الفرنسية، كاتبة كندية الأصل وتقيم في مدينة تورنتو وهي استاذة وتحدث الفرنسية، هنا حيث اللغة الانكليزية هي السائدة في قطاعات العمل والشارع. اسم المترجمة: ايملي مور هاوس. ويبدو أن للمترجم الكندي حصة في هذا العرس الابداعي. هناك اسم مترجم كندي آخر من فانكوفر في القائمة الطويلة. الكتاب الفائز هو مختارات شعرية بعنوان "جراح الزمرد" في صدد التعريف عن الشاعرة جويس منصور، ذكرت صحيفة كندية انها سورية يهودية الاصل منفية من مصر) وعاشت في فرنسا في مرحلة صعود الموجات السريالية في فرنسا، وكانت على علاقة قريبة بروادها كما ذكر المترجم عبد القادر الجنابي في ترجمته لمختارات من شعرها منشورا في ايلاف.

ومن المؤكد أن الشاعرة لا يعينها الآن إن كانت هويتها سورية أم مصرية أم فرنسية، أم يهودية. لقد كانت قصيدتها وسلوكها نموذجا للتمرد في الواقع وفي اللغة وفي قاموس الجسد ومعاركه الايروتية، السورية.

ولقد أنجز أيضاً الكاتب المصري والمترجم "محسن البلاسي" كتابا عن سيرة حياة جويس منصور وأعمالها في القصة والفنون والشعر. والإصدار بعنوان: "جويس منصور... طفلة مسك الروم"،

ما هي حصة المترجم من جائزة غريفن؟

يحصل المترجم على نسبة 60 بالمنة من قيمة الجائزة، و40 بالمنة تعود للمبدع صاحب العمل الأصلي، هو/هي. وهذه قسمة حق لأن المترجم مبدع أساسي في هذه الحالة. وقد سبق أن فاز بالجائزة الشاعر الفلسطيني غسان زقطان مترجماً من قبل المترجم الأمريكي الفلسطيني فادي جودة. وهناك أسماء عربية وصلت إلى القائمة القصيرة، وأسماء فازت بجوائز كندية أخرى...

ويذكر أن الجائزة في هذا العام 2024 قدرها 130 ألف دولار كندي، تعطى لديوان شعر واحد إما كتب بالانكليزية أو ترجم إليها من اللغات الأخرى. وكانت سابقاً تعطى لشاعرين، شاعر باللغة الانكليزية وكندي الأصل، والآخر قد يكون من أي دولة من العالم ومترجم إلى الانكليزية. يبدو أن غلاء المعيشة في السنوات الأخيرة في كندا جعلهم يرفعون قيمة الجائزة للفرد الفائز. ومن الملاحظ أن في القائمة شعراء مترجمون من اوكرانيا، ومن اسبانيا، ومن افريقيا وغيرها. سوف تعلن القائمة القصيرة في 17 ابريل القادم 2024، أما الفائز النهائي فيعلن عنه في 5 حزيران 2024 ويستلم كل شاعر 10 الاف دولار إذ وصل إلى القائمة القصيرة. كما أن الجائزة خصصت فرعاً لجائزة الكتاب الأول. وقدرها 25 ألف دولار مع رحلة ترفيهية إبداعية إلى إيطاليا لمدة 6 أسابيع.

*

اين تتجه بوصلة الذائقة الكندية في السنوات الأخيرة: من قراءتي ومتابعتي للحراك الثقافي الكندي، أدبياً وسياسياً، ألاحظ أن هناك دعم شديد للكتاب المثليين والمتحولين جنسياً، كما هناك دعم وتشجيع واضح لتتمين الحديث عن (الامراض النفسية والاكتئاب والعزلة). كما هناك حيز لأدب العرق الأسود أكثر بكثير من ذي قبل وكذلك أدب (الكنديين الأوائل) وهذا ما تطرحه. نعم الآداب لا تشتتني أحداً ولكن لكل مرحلة استثنائات.

من هي لجنة التحكيم جائزة غريفن لعام 2024؟

هناك شاعر كندي-إيطالي الأصل، وآخر ألماني وشاعرة أمريكية في لجنة التحكيم. وحصل أن التقيت بالشاعر الكندي (ف.إ. موريتز) في أمسية شعرية 2019 أقيمت في داون تاون تورنتو، وقرأت قصيدة مترجمة من شعره، وقصيدة لي على هامش الاحتفال. وسبق أن نال هذه الشاعر جانز غريفن عام 2009. وشغل منصب شاعر البرلمان في سنة انتشار وباء الكورونا. من هو مؤسس الجائزة؟ هو رجل الاعمال الكندي سكوت غريفن وهو صاحب دار النشر الكندية

(انانسي برس). التقيت به مرة 2005 وذلك وسط احتفال كبير حضره كبار الشعراء والسياسيين في منطقة تورنتو، لرفع الستار عن تمثال شاعر كندي هو (الفريد بوردي) الذي رحل قبل سنوات وترك بصمة شعرية مميزة على الخريطة الكندية.

هامش اليوم: أرسلت هذه المقالة الى عدة وتعذر نشرها لأسباب شتى ولا أعرفها، واحدة من الأسباب التي وصلتنني بأن الشاعرة (يهودية الأصل) ونحن الآن في حالة حرب مع إسرائيل ونعتذر عن النشر.

فكرة اليوم: الشعر لا يدين ولا يستدين. الشعر يكشف خراب الروح والعالم بطريقته ولا يدان قائله لانتمائه الوراثي إلى أي عرق وشعب وديانة، مادام قادراً على صنع الجمال وتحرير الإنسان من القيود.





جويس منصور ، المصدر : الأنترنت.

نحبكم أيها الرجال ولكن... 2

لابأس، وأعترف مقدماً أن السؤال عن "الرجل" أيقظ مشاعر تشبه الإحباط في نفسي، وذهبت في كآبة قصيرة. وكلما هممت بالكتابة عن الموضوع، يتشتت ذهني، فأنصرف إلى المطبخ، إلى البراد، أتناول أي شيء، أكله هكذا بلا شهية ولا جوع. لا بأس ازداد وزني أكثر من (كغ) ولم استمتع بوجبة واحدة هذا سبب وجيه في أن رجلاً ما سينظر إلي ويقول في سره أو في العلن: إنها امرأة معقولة، ولكن لو كانت ممتشقة القوام- أكثر- كما النساء اللواتي يعشعشن في رأسي واحتلاماتي! إنتبه ابني إلى قلقي، سألني ما بك؟

قلتُ: مشغولة بكتابة مقال عن الرجل والحياة.

صمت قليلاً ثم أجاب: أعتقد من الأفضل يا أمي أن تذهبي معي إلى السينما ونشاهد فيلماً كوميدياً. قرأت ما كتبه الناقد العربي (سين) عن المرأة الكاتبة، بحوثها التنظيرية ما قبل " غرفة فيرجينا وولف " وما بعد الحداثة وما يحيط بها من شوك وثمار محرمة، حَبَرَ عشرات المقولات الموثقة من مصادرها الأجنبية والعربية ولم تسعفه الروح والتواريخ وأدوات النقد، لرؤية المرأة بأكثر من " ذكورة ناقصة " كما علمه السيد " فرويد " في علومه السيكلولوجية!

أريد أن أخلص لبعض صور "الرجل" التي في رأسي، وبعيداً عن المقولات الإنشائية والإستشهاد بقافلة من الكتب والمقروءات شرقاً وغرباً، أريد أن أكتب من وحي كلمة الرجل والرجولة وليسامحني كل الذين أحبهم:

كان يقول أنه أحبني بكل عيونه الزرقاء المشرعة على سحر الشرق وحكايا ألف ليلة وليلة. كان يقول لي أنه من اللباقة أن يحمل عني الحقيبة والأكياس إن كنا في مشوار. يقول أن من اللطف أن

يفتح أي باب يصادفنا كي تعبر المرأة وهو تالياً.. وبالضرورة أن تنتظري قليلا كي أساعدك على ارتداء المعطف حين الإنصراف من المقهى.

كنتُ أطيل النظر في زرقة عينيه بقلقٍ وندخل في تفاصيل القلب ومستقبل البيت.

كان يقول: لي شرط أن تنجب الزوجة طفلاً على الأقل وهذا أهم لدي من كل شيء آخر- رغم أنه أب ولم يحرم نعمة الأبوة في زواج سابق. كان يجب أن أقول لا أرغب بالإجاب ثانية، وأصر عليها لأكثر من سبب.

كان يقول: إذا أردت أن تعربي عن اهتمامك بي وتريدين بهجتي، لك ان تعرفي أنني أحب المرأة التي تهتم بمعدتي والمطبخ كثيراً، هل سمعت بالمثل القائل " الطريق الى قلب الرجل معدته " فأشبه في غيظٍ ودهشة: حتى أنت يا هذا...! كم يتقاطع الشرق والغرب!

كان يقول: أحبك ومنجذب إليك، ولكنني لم أفهم لماذا، أنت لست أكثر جمالا من نساء سابقات عرفتُهن وتفضلين الكتابة والقصيدة عن الطبخ وتفضلين عدم الإجاب وهذا لا يناسبني. فأجيب بكبرياء حزين: بل أنت وهذا وذاك لا يناسبني أيضاً ولينصرف كل إلى ما يطيّب له.

*

الرجل كائن خائف، قلما يفصح أمام المرأة عما يجول في رأسه، وعن حاجاته العاطفية ومنغصاته الجنسية.

الرجل يعرف كيف يكون عشيقةً، ويفشل في أن يكون زوجاً عاشقاً.

الرجل يبحث في المرأة عن أم، وتتعبه المرأة " الندية " بل يخافها ويعشق مملكته.

الرجل الجميل الذي أنتظرته لم يأت بعد، سأقول لنفسي أنه سيأتي.

لا بد أن يشرق من سفح القصيدة أو سرّة الرواية وحين ينفّض عن كاهله تراثاً من العادات والتقاليد والأمثال الشعبية التي جعلت منه عبداً لها، وجعلتُ منه سيداً يعرج ما بين روحه وجسده وتبعات الواقع.

هكذا أعتقد، وسأفرح إن قلتم أنه بينكم وترونه.

*

كان لي في الحب نصيب، وكان من المفترض على العاشقة أن تبهر عكس التيار والعائلة والمجتمع كي تظهر بنصر اسمه الحب، وكما صورته لها أحلامها وأقوال عن الحلم والمساواة والحرية والمستقبل وكان ذلك جميلاً وحميمياً وسالفاً. كان لا بد أن نقرأ الكتب ذاتها ونمشي الطرق العسيرة والطيبة ونتفق ونختلف ونصرخ ونبكي ونبتسم...وعند اختبار الحياة الحقيقي توقفنا وأعلننا الهزيمة.

قال: هذه القصيدة لا تشبهني. لمن كتبتها؟

قال: أحبك ولكن من الأفضل ألا تواظبي على القراءة والكتابة.
قال: توقفي عن الصعود. لقد قطعت شوطاً لا يلزمك ولا يلزمني، تقدمت أكثر مما يحتاج البيت والجوار.
قلت: لا أستطيع المراوحة في المكان، لا أستطيع العودة إلى الوراء، تأخرت عن حلم المرأة التي في بطني.
قال، وقلت.... ولم يبق من شيء سوى جرح في الذاكرة والطريق و تجربة قابلة للتاريخ وللنسيان.

قالت صديقتي بعد عشرين عاماً: هل يستحق رجل، العناء والتضحية؟
قلت: لا أدري! ثمة رجل جميل تائه في ملكوت آخر.
ثمة رجال سوف نلدهم، نعطيهم الحياة ذات حب.
أنه هناك، خلف القدر وخلف بوابة الكلمات، وأصدق من كل الأيديولوجيات، يمينها ويسارها، رجل لا يحد بجغرافية وتقاليد يخطها الشرق أو الغرب. يلزمني كذبة أعيشها كي أخفف نزع الروح وعتبها.
*

أردت هذه الكتابة المباشرة إلى حد، ولكن ثمة عتمة تحتاج إلى حفريات وتهوية وشموس عالية.
ثمة قواسم مشتركة تخضع لها الأسر الشرقية، ويلزمننا الأخذ رجالاً ونساء بمقولة " قتل الأب "
في بعدها الفلسفي والسوسيولوجي.

هامش: نشرت هذه الكتابة في عدد يناير 2005 مجلة "الرجل" اللندنية رداً على سؤال تقدمت به الكاتبة السورية غالية قباني، مديرة تحرير المجلة.



المقابر والمجازر في جداريات من الإرجنتين الى فلسطين

ما أكثر المقابر المجازر في العالم، فكم مشروعاً فنياً يحتاج الإنسان والفنان في الشرق كي يتحدث للعالم عن مجرزة دير ياسين، صبرا وشاتيلا، حلبجة، جنين، والمقابر الجماعية؟. الذاكرة خائنة والحقائق تطم. أتراها الفنون تقدر على أن تعلمنا الحياة والإبتسام لشمس الصباحات، للمستقبل! المجازر والطغاة العمالقة في الشرق لهم أخوة وأشباه في الغرب. هنا وقفة مع الأرجنتين وأوجاعها من خلال الصورة الفوتوغرافية واللوحة التشكيلية والتنسيقات الفنية.

الفن يقاوم الموت بلا أسلحة وبلا عنف. الصورة تذكر وتعيد الحياة للمفقودين الذين ابتلعتهم الحروب وأياد الطغاة وطغمتهم. هذا ما لمسناه في عرض فني بعنوان "جدران الأسى/جدران الأمل" الذي أقيم في أحد مراكز جامعة تورنتو حيث كانت ندوة عن مخلفات الحرب ودور الفن في التذكير بالحياة، إنعاش الذاكرة والعمل جماعياً فنياً واجتماعياً، وذلك من خلال أعمال وسيرة الفنانة الأرجنتينية الأصل "كلوديا برناردي".

حضرت العرض لأرى كيف يتعامل فنانون العالم مع المجازر والعنف الأهلي والحروب في بلادهم. رحبت أتصفح الوجوه كأنني أريد أن أعرف ما الذي دفع هؤلاء للحضور، أتراهم نجوا من حرب ومجرزة يوماً ما، أتراهم فقدوا في المجازر عزيزاً أو وطناً!. حضور مختلف الجنسيات والأعمال حضر ليشهد على صور الحرب وأشغال الذاكرة عبر شاشة منصوبة في الصالة. كانت الفنانة تعرض سلايدات وأعمال فنية وصور فوتوغرافية توثق الحرب الأهلية والمجازر والمقابر الجماعية التي حصلت في الإرجنتين في الثمانينات. الفنانة التي تقع أعمالها في خاتمة "المقاومة عبر الفن" تحدثت عن دور الفن في تحدي السياسة، عن حفظ الذاكرة الجمعية، ذاكرة الإنسان الذي سمع

وشهد وفقد ومن ذهب ضحية لحروب يشعلها الديكتاتوريون. وعن أهمية أن تعيش هذه الذاكرة وتنقل صوتاً وصورة وفناً إلى الأجيال القادمة.

صور المفقودين وثيابهم

عرضت بعض صور المفقودين في تلك الحروب التي تقول عنها "حروب قذرة". تحدثت عن المجازر والمقابر الجماعية على وجه الخصوص، من خلال مشاهدتها العيانية وعملها الميداني مع فريق انثربولوجي يقوم على فحص بقايا الجثث المغمورة في بطن المقابر الجماعية، وذلك للتعرف على هوية الضحية. الفنانة كانت تعمل مع أختها الصغيرة وشباب آخرين في هذا البحث المجمع المرعب. صور نرى فيها الشابة جالسة في حضن الأرض ومن حولها أطراف وعظام وجماجم، تحاول بهدوء وحذر أن تزيل عنها التراب لتذهب بها للدرس والتحليل. ومن بين العظام والأفئاص الصدرية للأطفال كانت إحداهن تنتشل قميصاً، ثوباً وحذاء لطفلة. تنقل هذه الأثواب وفردات الأحذية ليجمعوا منها تشكيلات فنية موجهة.

ثياب الموتى لاتكبر ولاتهترأ بسرعة. بهدوء وثقة كانت تتحدث كلوديا برناردي عن أهمية أن تجعل من ذلك صورة حية تنطق فنياً، لتجوب بها دول العالم، وبخاصة البلاد التي خنقتها الحروب، أو خرجت حديثاً من حرب. كانت تحكي للحضور باقتضاب كيف كان رجال المليشيات يأتون ليفصلوا الأبناء عن الأبناء، الأمهات والفتيات، ويصار إلى قتلهم بعدها ورميهم في مقابر جماعية عديدة. بعضهم مما لاعلاقة له بالسياسة إطلاقاً، وبعضهم كان منتبهاً إلى اليسار. كانت هناك صور فوتوغرافية كثيرة توثق وجوهاً وشخصيات وأمكنة.

لهذه الرسالة الإنسانية كرسّت برناردي التي فقدت كل أفراد عائلتها، طاقتها وألمها وأملها، وذلك من خلال الفن صورة ورقصاً ودروساً تعليمية ومحاضرات. وهي التي حصلت على شهادة دكتورا فخرية في الفنون، وعملت بالتعاون مع نساء أخريات لتأسيس مدرسة فنون في الأحياء الفقيرة في السلفادور، وراحت تعمل مع الأهالي والنساء والشباب لخلق مساحة لهم للتعبير عن دواخلهم، لتقديم صور عن الحرب الأهلية من خلال رسم جداريات مشتركة. جداريات تحيد عن العنف وتمجد العيش المشترك والسلام. جداريات لاتنتقم، بل تروي الحقيقة وتحلم بالعد.

تقول برناردي أن هذا المشروع الفني، اجتماعي إنساني بالدرجة الأولى، والجميع بنظرها يحمل ذاكرة ويستطيع أن يرسم حكاية في جدار الألم وفي جدار الأمل حتى وإن لم يكن فناناً يوماً. وتركز في مشروعها على التذكير بأسماء النساء والشباب الذين مايزالون في عداد المفقودين. ومن خلال

الصور والسلايدات نقلتنا لحضور الاحتفال باحياء ذكرى تلك المجازر. رأينا الأطفال يشعلون الشموع ويرددون عن ظهر قلب أسماء وأعمار الأطفال الذين هم في عداد المفقودين. كانت برناردي تقول "من قال إننا ننسى، من قال كل شيء ضاع".

التفالو بالمستقبل بعد المجازر...

المجازر والمقابر الجماعية تصلح موضوعاً للفن وللتذكير بنعمة الحياة. ويبقى أفق الفن أرحب من أفق آلهة الحروب. الشمعة الوحيدة في الصور التي عرضتها الفنانة كانت تضيء مساحة كبيرة من العتمة. العتمة الشاسعة تنهار أمام النور. نور الفن والأمل. الأمل الذي بدا قوياً وحاضراً في صوت الفنانة النحيقة ونظراتها القوية اليت تغالب الحزن.

أحد الحضور سأل كلوديا برناردي: "تبدين متفائلة كثيراً، هل أنت هكذا حقاً؟" فأجابت وهي تضحك: "نعم أنا متفائلة، لقد علمتني التجربة مع النساء اللواتي فقدن أطفالاً وشباباً، أن ابتسم. رأيتهن بألم عيني يبتسمن..."

وأضافت "الديكتاتوريون يريدوننا أن نبقي حزانى، لكننا لن نفعل".

الفنانة والأكاديمية الأرجنتينية كلوديا برناردي كانت تعمل في تورنتو برفقة "جولي جارفيث" للإشراف على إنجاز جدارية يرسمها شباب في تورنتو-كندا، من خمس قارات، يعكسون من خلالها قيمة "فن الجماعات" للتعبير عن الألم والأمل. كما أنها افتتحت أول مدرسة للعناية بهذا الفن في أحياء السلفادور الفقيرة وهي تموله من عائدات عملها والتبرعات. تدرس الفنون أيضاً في معاهد وكليات في كندا وأمريكا والأرجنتين حيث تقيم متنقلة، حاملة معها جداريات. جدران فنية زاخرة بالجمال، تجوب بها قارات ودول أنهكتها الحروب.

سؤال اليوم: ما المسافة بين الأرجنتين وفلسطين، بين جدران الألم والأسى وجدران الفصل العنصري بين شعب وآخر؟

تعرفنا كقراء عرب على روائع مترجمة من آداب أمريكا اللاتينية والقادم من تلك الرقعة الجغرافية التي تعد "عالمًا ثالثاً"، ووجدنا فيها كنوزاً غنية. وفي هذه الصفحة الفنية نقع على مساحة تلامس مساحات معتمة من أوجاع شرقنا العربي الذي يقاوم الموت أيضاً وبأكثر من وسيلة.



لماذا ينشر الأصدقاء بعد العودة إلى الوطن... وداعاً كريم

ظروف وتساؤلات تعترض يوميات الفنان والمبدع المهاجر حديثاً أو التمرس في المنفى، فقد ضاق الحال ببعضهم وقرروا بعد سجال طويل مع الذات والواقع العودة إلى البلاد التي قدموا منها، حاملين حنينهم وخيباتهم وتجربة المنفى والأمل في تحقيق الذات في البلد الأم.

اذكر منهم الشاعر أحمد عبد الحسين، الذي عاد إلى العراق وتفرغ للعمل في إحدى صحفها. وهناك الكاتب الصحفي إبراهيم الحريري الذي عاد إلى العراق أيضاً وبعد عقود من رحلة طويلة مع المنفى امتدت من العراق إلى مصر، لبنان ثم إلى كندا، العراق. وأيضاً الشاعر محمد جابر النبهان الذي عاد إلى الكويت للعمل في المجال الثقافي حاملاً وأولاده جنسية كندية وهو الذي ينتمي إلى فئة "البدون" هوية. أما المسرحي العراقي كريم جثير فكانت عودته مأساة أخرى تضاف إلى تجاربه التي لا تخلو من المرارة، فبعد فترة قصيرة من عودته كتب وأخرج مسرحية ونجح في عرضها في العراق، ثم انتحر في ظروف ملتبسة وفي أوج شبابه. وتبعه هجرة معاكسة للكاتب الصحفي إبراهيم الحريري الذي غادر كندا، "ليناضل" في العراق من جديد، وهناك أصدر كتاباً بعنوان "القيامة" وهو عبارة عن مختارات من كتاباته القصصية والدرامية، وقصص الأطفال.

يعتبر الانترنت أحد الحلول البديعة للتواصل ما بين الشرق والغرب و نافذة لإيصال كلمة الكاتب المهجري إلى الآخر أينما كان. فإلى جانب المواقع الشخصية والمدونات وغيرها من وسائل الاتصال السريع.

أما فرق الرقص الشرقي فهي كثيرة رانجة وتحوز على إعجاب الجمهور الكندي وهناك دروس خصوصية لتعليم الرقص.

اتصل بي أحد الأصدقاء الشعراء مرة يقول: لقد تسلخ الجلد عن يدي وأنا أشتغل حمالاً، صدقي

إنني تقدمت للحصول على عمل تنظيفات وجمع قمامة في محطات المترو، ولم أتلق رداً. في ظل هذه الحالات ماذا يمكن للشاعر أن يكتب وهو يعرف أن بلاده التي أتى منها غنية وخيراتهما الكثيرة محترقة ومحصورة بفنات قليلة. يوجعه أنه منفصل عن ذاته وبيئته، حريته مرةً ومدفوعة الثمن مسبقاً.

بعض حالات الضياع أو الضحية أيضاً نجدها بين عدد من الشباب المثقفين العرب الذين يكتبون باقتصاد شديد، كما لو أن كتابتهم معالجة لهذه الأنا المحتضرة التي فقدت اتزانها قبل الهجرة

وبعدها

كلمة القيتها في حفل تأبين الكاتب في مدينة تورنتو وحضر الجلسة الكثير من اصدقائه العراقيين والعرب. 2007

ما أصعب هذه اللحظة، ها أنذا أكتب أول نعوة لصديق كان يحب المسرح والشعر والنساء والعراق. كريم، أيها الصديق المبدع المجنون الساخر الشقي الحزين الصاحب السوريالي الطفل الكبير اللامعقول المعبأ بألف جرح وقصة ومسرحية عراقية وعالمية. أ هكذا تذهب إلى نهاية العالم وحيداً بلا وداعات!

إنها المرة الثانية التي تذهب فيها إلى نهاية العالم. كانت الرحلة المجنونة الأولى كما أخبرتني وأنت مشرق بالابتسامة الساخرة والعبثية: برفقة الخمر وفي أقصى الشتاء القطبي وحيث الجليد يغطي العالم، ارتفع حنينك إلى نهاية العالم وكطفل ملحاح وشديد الحزن طلبت من زوجتك أن تذهب بك إلى نهاية العالم... لبست معطفك الشتوي والقفازات..تقبلت الزوجة جنونك، صعدت السيارة.

- الآن، إلى أين تريد أن تذهب يا كريم؟

- الله يخليك إلى تلك البحيرة التي زرناها صيفاً.

تعبر سيارة الغرباء شوارع المدينة وتلوجها وعلى الغالب يرافقهما لحن عراقي شجي... يصل الحزن إلى حافة البحيرات المتجمدة، يترجل كريم أرضاً، يفرص مأسوراً لتلك العتمة المحيطة والصمت القارس. يشعل سيكارتة، يتأمل العالم. يكاد يتجمد برداً، تنطفئ السيكرة، رمادها يختلط

بالجليد. يعود كريم إلى السيارة

- هل وصلت إلى نهاية العالم يا كريم؟

- نعم يا منى، لنعود إلى البيت الآن.

(هامش: منى كانت زوجته في ذلك الوقت)

*

تقاسمت معي بعض حكاياتك المجنونة الشقية، كنا نتبادل الضحك والسخرية والتداعي، وفي كل الأوقات، كنت تكتب السيناريو في رأسك على ما أعتقد وتخترع المسرح والأبطال وتذهب في

التداعي خارج العالم - هذه الحكاية اشترت إليها سابقاً في إحدى حواراتي، ولم أشر إلى اسمك، وحين أخبرتك بذلك قرأتها مبتسماً وأضفت حكايات أخرى. في لقاء آخر أردت أن تحدثني عن تلك المجنونة في الباص وكلامها الحكيم. رحت تصف لي التفاصيل وكأنك عثرت على مشهد لمسرحية عالمية. ثم توقفت فجأة وقلت: "بس.. وداعتي لا تكتبها، لأنني أنوي كتابتها."

كان جوابي "وداعتك" يا كريم مارح أكتبها، بس تعرف أحلى كلمة في اللهجة العراقية هي كلمة "وداعتي" فتضحك موافقاً. كنا نحكي ونؤلف شفاهاً، نسخر نقهقه ونتبادل حكايات الطرقات والمترى ومجانين المقهى. نتبادل قصاصات غربتنا، كتاباتنا، الأخبار التي قرأناها، وآخر السجلات الشديدة التي تدور في المواقع العربية الالكترونية والعراقية على الخصوص.

*

- كريم، لماذا غادرت تورنتو بدون أن تودعني! الأنني قلت لك مراراً أنني أحقد على الحقايب ومن اخترعها، أم أنك أردت أن تكمل النص المشترك بشيء من الفنتازيا! وحين التقيت ببعض الأصدقاء من سوريا، أرسلوا لي معك بعض الإهداءات. حين سألتوني ان استلمتها منك، قلت لهم أنك لم تعد بعد، ولا أدري إن كنت ستعود إلى كندا. يبدو أنك ذهبت يا كريم إلى نهاية العالم ولن تعود، ولكن المفارقة المحزنة، أنك هنا كنت ترتجف من قسوة البرد والغربة، وهناك ذهبت يا صديقي مرفقاً بالحرارة الشديدة اللاهبة التي لم ترحمك ولم تمهل العراقيين في تفادي النيران المشتعلة، داخلاً وخارجاً، نيران الحزن والفقد، نيران الحنين والغربة، نيران الجوع إلى الخبز والدواء والوردة، وعلى الصعيد الآخر نيران الحقد والعصبية التي يشعلها الجهل ودعاة ترويح العنف والقتل وسحق الحياة في هذا العراق المضمخ بحزنه وخيراتهِ وإبداعاتهِ ومعرفته التي تنهت إلى آخر العالم.

*

- هلو .. شلونك أسف أن الوقت متأخر شوي، سأموت من الصداع يا جاكليين..، رأسي رأسي لم أعد احتل..
- اه سلامتك يا عزيزي.. ماذا حصل؟ هل أخذت الأدوية، هل ذهبت إلى الطبيب ثانية، هل كلمت أحد ليأتي لمساعدتك من الأصدقاء؟
لا أدري ماذا أفعل، الوقت متأخر وبيتك بعيد.. إذا كان الوضع سيئ جداً، أقترح أن تطلب الإسعاف. يصمت كريم: لا مأكو داعي، سأحاول أن أنام، سأحاول.

- مع السلامة كريم، أحكي معي غداً

*

اتفقنا أن نلتقي في إحدى محطات المترو في دوان تاون تورنتو، وكان الوقت صيفاً

- اقترح يا عزيزي أن نذهب إلى مقهى إيطالي جميل، أتردد عليه أحياناً

- لا لدي مخطط آخر، لدي رغبة أن نجلس في مكان مرتفع جداً وأنيق

- أوكي ما عندي مانع، بس بشرط ألا ينتحر أحد منا من تلك الشرفة. كنا نسير وكان كريم يضحك

بحيوية ويخبرني قصة مجنونة أخرى- حين أتفق مع حبيبته في المراهقة على أن ينتحرا سوية من فوق أحد الجسور ثم يتوقف فجأة "لماذا أحكي لك هذه القصص، هل يوجد رجل عاقل يسير مع امرأة وشاعرة ويحدثها عن حبيباته ومغامراته العاطفية"

- نعم يا كريم، لا غلط في هذا وأنا سعيدة وكأنني أقرأ رواية قبل التنقيح ودخول الرقابة.

حين ذهبنا إلى المكان الذي أختاره وجدناه محجوزاً بالكامل فاخترنا مقهى على الرصيف. مضى

الوقت سريعاً وغنياً ثم مشيت معي إلى محطة المترو وقلت أنك لا ترغب في العودة إلى البيت،

تريد أن تتسكع حتى التعب. وفي اليوم التالي اتصلت بي، أخبرتني أنك وبعد أن تتركني مررت بجانب مطعم فلافل، فاشتريت سندويشة ثم استأجرت تاكسي وعدت إلى البيت منتشياً كأمر منفي.

ضحكت من كلماتك: "وداعتي" أنت مجنون يا كريم تشتري فلافل وتستأجر تاكسي ولم تتركب المواصلات العامة؟!

فتجيب: "وشكو بيها" كنت مستمتعاً برفقتك ورغبت أن أحتفي بالمناسبة وبنفسي.

- تعرفي ... لدي رغبة أن نكتب نصاً مشتركاً، لقد قرأت لك "حوارية السيد والعبد.."

وبعض النصوص المشتركة، ما رأيك أن أبدأ الحوار ثم تكتبين دورك؟

- لا أدري يا كريم أوعلى الأقل ليس الآن... لاحقاً

*

- ما هذه الحقيبة يا كريم؟

- أنها أنا، هذه الحقيبة هي كريم! أنا لاشيء خارج هذه الحقيبة. فيها كل أرشيفي، قصاصات الصحف

والمجلات والمواد التي نشرتها في الصحافة العربية، كل ما كتبت وما كتبه الأصدقاء عني، فيها رسائل شخصية من أصدقاء في العراق وسوريا واليمن وأصدقاء عراقيون في الخارج...

فتحت الحقيبة وأخرجت بعض الرسائل وبعض الشهادات التي تصب في مجرى نقاشنا عن الوطن

والطاغية البائد، عن المنفى الطقس والمجتمع، وعن تجربتك في المسرح في اليمن وفي تورنتو.

وحدثك عن جانب من تجربتي مع بعض العراقيين هنا من شعراء وجمعيات مدنية وسياسية.. وعن

آخر الكتب التي استعرتها أو قرأتها. وعن عراقي آخر طرق بابي يوماً وأراد أن يأتي علي حقيبته قبل العودة إلى العراق...وحين سألتها ماذا في الحقيبة؟ ضحك ساخراً كعادته وأجاب "لا شيء سوى وطن موقوت"

- يشعل كريم سيكارتته وينظر بعيداً: لا مسرح عربي هنا، لاهية لي هنا، أنتِ ماذا تفعلين هنا؟
- ياااه يا كريم، هذه حكاية أخرى، ولكن هل كنت تحتفظ بكل شيء!
- تصوري رغم ما تشكله بالنسبة لي من هاجس وتاريخ وحقائق، فهي لا شيء بالنسبة للكنديين، ليست مكتوبة بلغتهم...لسنا مكتوبين بلغتهم (يبتسم بمرارة وحزن)
- ولكنني يا كريم لا أملك حتى هذه الحقيبة، أكتب وأنشر وقلما تصلني جريدة أو مجلة أو قصاصة. أكثر من مرة رجوت أصحاب المجلات وأعطيتهم عنواني، وعدوني خيراً ولم أتلّق الخير بعد.. يلعن أبوهم...

- أنتِ ترددين كثيراً كلمة "يلعن أبوهم" قالها وهو يتصفح بعض الأوراق المصفرة وصور شخصية.. ثم قرأ لي فقرات من رسائل شخصه لمتقنين كان يتواصل معهم...
- هذه حقيبة حزينة يا عزيزي أقفلها أرجوك، وأرجوك أيضاً أن تغير السي دي العراقي الحزين، لقد نسخت لك بعض موسيقى المبدع السوري "عابد عازرية"
أشعل كريم سيكارتته محلقاً مع اللحن والمقاطع المغناة من ملحمة كلكامش، وبعض القصائد الصوفية..نحن الآن نصغي ويترنح صديقنا وهو في طريقه إلى نهاية العالم.
ذهب كريم ولم يعد ليأخذ الكتب التي استعرتها من مكتبته: عالم صوفي/ابن قيم الجوزية/ملحمة آل ماركس للكاتب الإيطالي خوان كويتيسولو.
- ولكن هل يوجد "آل ماركس" يا كريم؟!
- نعم يوجد كل شيء، أقرأها ونحكي لاحقاً
- سنلتقي يا صديقي في ذلك المقهى العالي ونكتب النص المشترك، مافاتنا من المسرحية- الحياة. كريم باي الآن.

نبذة عن الفنان المسرحي والكاتب كريم جثير:

ولد الفنان الراحل في بغداد عام 1961 في العراق. حصل على الدبلوم في المسرح من معهد الفنون الجميلة/ بغداد 1980-1981، ثم نال البكالوريوس في المسرح من جامعة وينيك - مانيتوبا في كندا عام 2002. وكان الفنان الراحل قد أقام مسرحاً صغيراً في بيته عام 1977 وقدم على خشبته عام 1979 مسرحية (أصوات من نجوم بعيدة) تناولتها الصحف في حينها واعتبرتها تجربة رائدة في

مسرح البيت.

كتب كريم جثير وأخرج و وقام بتمثيل عشرات الأعمال المسرحية في العراق واليمن وكندا وأميركا. عمل في اليمن مدرسا لمادة المسرح من عام 1996-91 أضافة الى كتابته النقد المسرحي وأخرجه عددا كبيرا من الأعمال المسرحية. آخر عمل قدمه في اليمن مسرحية (آه أيتها العاصفة) للشاعر العراقي عبد الرزاق الربيعي.

وصل عام 1996 الى كندا. أخرج في وينيبك باللغة الانكليزية مسرحية Paper Trails ، كما أخرج ومثل باللغة الانكليزية ومن خلال دراسته في جامعة وينيبك مسرحية (أغنية التم)، مسرحية (الاستثناء والقاعدة)، و (مشاهد شكسبيرية) جمع فيها بين اللغة العربية والانكليزية مثلها مع (أرك ديفز) والفنانة الهندية الحمراء (ربيكا). وصدر له عام 2001 وعن دار نشر نينوى في دمشق كتاب (الأقنعة ومسرحيات أخرى).

عاد إلى العراق بعد سقوط نظام صدام حسين، وكان قد انفصل عن زوجته التي عادت أيضا إلى الكويت مع ابنتيهما. ذهب ليعيش ويبدع بلغته الأم وبين قومه، لكنه انتحر مشنوقا عام 2007.



اجلس هنا واقرأ معي ...



تعال، اجلس إلى جوارِي، هذا الكرسي مريح، ولكن انتبه، لا تتحرّك كثيراً فقد ينقلب إلى الخلف، في أية لحظة، اقرأ معي هذه الأوراق، وانظر كيف تتردد وتقف حائرة، تتساءل، بأيّة نكهة، ستتجلى لي ولك بعد كل تلك السنوات؟!

أذكر في طفولتي إصبعي الصّغير، الذي كنت أغمسه لأتذوّق الملح، السكر أو الحامض، ولم يكن في قاموسي حينها طعماً للمرارة، سوى نبتة شوكتية، خرنوبية، تنمو في براري الجزيرة السورية، تُسمّى "الحسّوك"، نلتقط ثمارها البنية أو الخضراء في الصّيف، ثم نجلس على صخرة نظيفة، نحفّ قشرتها الخارجية مع قليل من الماء، إلى أن تزول الطبقة المرّة، - كلمة المرور السرية - إلى قلب الثمرة الصّغير، القطني الأبيض اللون.

كلما اصطبغت أصابعنا الصّغيرة، بالألوان، ونخرتها الأشواك، كلّما ازدادنا سعادة. كانت تعرف الصّبر "المز"، كلّ نساء البلدة، فتدّهنه الأم على حلمتيها، عندما تقرّر الفطام. سأقلب الآن الأوراق لنقفز سوياً، إلى أول عمل لي في تورنتو، هذا الإنجاز العظيم، لامرأة شاعرة، ونادلة، تنظّف الطاولات بالمعقم، بعد ذهاب المنشردين، لتنهك في أوقات الفراغ، بقراءة كتب تستعيرها من المكتبات العامة أو يزودها بها الأصدقاء. تقرأ المقالات والقصص، وتتصفح الجرائد الموجوة في المحل، وتقصّ ما تراه مناسباً، كي تعود إليه حين اللزوم.

دخل صاحب المقهى، وهو رجل صيني قصير، مبتهج، ومتفانل بالحياة دوماً، ليتأمل قيامي بالعمل، في يومي الأوّل، حيث تعرّفت على زميلة، تعمل هناك، ناداها صاحب المقهى وسألها: هل تدخّن صديقك؟

أجابته: أحياناً! فأردف قائلاً:

وجهاً يشبه شخص أكل للتوّ شريحة من الليمون الحامض، قولي لها، أنّه من الضروري أن تبسم، ليخرج الزبون فرحاً، ليعود ثانية، وكما ترين العمل قليل إجمالاً... عادت إلي صديقتي بعد أن ذهب المعلم وتركنا وحدنا، وهي تضحك من كل قلبها، تبّلغني رسالة صاحب العمل قائلة:

ابتسمي أيتها المرأة الحرة وتعلّمني كيف أستخدم جهاز المحاسبة وكل التفاصيل المتعلقة بالعمل. نعم تعلّمت الدرس، " بس كيف بدّي ابتسم إذا روعي من جوارح تتطلع " ؟ قلتُ لها، فرسمت ابتسامة غريبة على شفتيها قائلة:

".. ابتسمي هيك متلي " أوكي؟ فضحكنا معاً! ودخلتُ إلى المطبخ أتأمل محتوياته وأدخن السيكرة. وأنظر في محتويات حقيبتي للبحث عن الورقة والقلم لأكتب الأسعار والملاحظات المهمة بخصوص المبيعات والأسعار ومايلزم.

ماذا؟ أتتني حوالة مصرفية من مجلة كتبت لها مقالاً مؤخراً؟ ياللسعادة، المبلغ 70 باوند انكليزي، أي ما يقارب 140 دولار كندي، وإذا حاولت أن أحوله إلى فنانجين قهوة كندية بعدد الزبائن، سيكون لدينا حوالي مائة زبون، يعني مائة ابتسامة غصباً عن روعي وأمي وأبي.

لن أعد ساعات العمل التي ستنتضي إلى أن أنجز هذه الابتسامات والمبيعات. المسألة ليست هنا، المشكلة أن الحوالة التي وصلت لم استطع استلامها باسمي، لأنها لا تحمل اسمي الشخصي الرسمي، بل الاسم المستخدم في الكتابة لا يطابق أوراقي الرسمية. أعيد النظر إلى الحوالة المصرفية التي خسرتها، وإلى الجرائد وقصاصاتها ووجهي الذي يتذوق الحياة بالألوان. يقاطعي زبون ظريف أنيق: هل لديكم شوربا وصندويش طازج، فابتسم وأذهب لتحضير وجبة عشاء للغريب- عفواً للزيون ونحن الغرباء وأفكر بعدد المقالات التي كتبت مجاناً، ربما صاحب المقهى أكثر كرمًا وعدالة من بعض أصحاب الجرائد العربية الذين يبيعون حبرنا للقارئ ولا يكلفون خاطرهم بكلمة شكر.

يا لهذا الشتات والبحث الذي لم يأخذني إلى جوهر الحياة بعد. لا أدري إن تعقدت حياتي أم ازدادت متعة وغموضاً. إنها بالمحصلة ما أردت أن أختار.

لقد أمتد الشتات ولم أر الأطفال الجدد في عائلتنا. لقد انغمست في الكتابة وأصبح لي اسم للكتابة واسم للحياة، وجه واحد يشعش فيه الحزن الصمت الشرود والتوق إلى الفرح. وجه يعيش على مائدة الحياة يتعلم كل يوم درساً ويكتب بصمت، ماوراء الابتسامة، ماوراء الصمت، الخوف، الأمل والفرح. اسم حقيقي يحمل الماضي والعائلة والذاكرة، واسم جديد يحملني ويحمل اسم ابني الوحيد..

سئلت كثيراً عن اختياري لهذا الإسم، وكنت في كل مرة أقدم تبريراً مختلفاً عن السابق وفي كل الحالات كنتُ صادقة. يبدو أن لكل فعل أو خيار أكثر من مبرر مقنع للشخص، وقد تكون كل المبررات غير مقنعة للآخرين. لقد عرفت مؤخراً أن أبي منزعج جداً من هذا الاختيار. ولم يكتفِ بذلك. أقدر جيداً الآن، كيف يشعر أب حين تتخلى ابته عن اسم العائلة. لكنني حاولت إقناعه ببعض الكلام الذي لايقنع فلاحاً صادقاً عفويّاً وصريحاً حد الجرح.

كان لا بد من شراء هذا الجهاز الحديث "كمبيوتر" الاختراع الحضاري التكنولوجي والذي يدعى الحاسوب بالعربية. لن أحصي عدد الابتسامات وفناجين القهوة والأخطاء التي ارتكبتها والدموع التي ذرفتُها إلى أن أتى ذلك اليوم، وحملت الجهاز إلى بيتي. ذهب معي صديقي الطيب لمساعدتي في اختيار شريك حياتي التكنولوجي، مواصفاته، اللغة العربية بجانب الانكليزية، كان الاختيار موفقاً. الآن أنا معكم وأكتب بعد أن لفظ الجهاز الأول أنفاسه بعد سنوات من الخدمة المخلصة والنزقة والغيبة، واستبدلته بآخر ثم آخر.

اكتشفت من الصحيفة العربية التي اشتريتها من المخزن العربي موقعا...فذهبت أستكشف الموقع. عثرتُ على منتدى للحوار المباشر وكان ذلك من أول المنتديات على الشبكة كتبت الومضة الأولى هناك، عن امرأة نظرت إلى المرأة، فتشظت إحداها، ولم أحدد حينها هل كانت الشظايا، شظايا امرأة أم شظايا المرأة؟؟؟ ومنذ تلك الساعة أصبح لي أصدقاء "افتراضيون" وصديقات وقرّاء أتواصل معهم إلى اليوم.

تورنتو لا تنام وكذلك أنا، رغم النعاس العالق بجفوني، أستقلّ العربية في منتصف الليل، وأتوجّه إلى عملي - للمرة الأولى - كنادلة في مقهى، أتأمل وجوهاً غريبة تجلس قربي، صبيّة تقرأ وتكبو على كتابها، شاب يداعب ويقبل صديقه، وامرأة تأكل وجبة سريعة وفي حضنها حقيبة كبيرة. شلالات- سيل من القامات الهائلة تتدفّق بصخب في المحطة، تندلق على الأرصفة، على الباصات، يصل رذاذها إلى شوارع المدينة.

حسناً، لم يبق إلا القليل من المشي، لأصل إلى المقهى، حيث ينهمر العمل طوال الليل، كأنهمار الثلج دون توقّف، ترافقه ريح تصفر، تلسع الوجه، تاركة جفافاً وقرصات حمراء، يا إلهي هل سأنجح في هذا الاختبار العظيم؟

أتمسك بقبعتي والशलّ لنلا يحلّقان بعيداً، وأغرق في معطف وقفّازات هواجسي ومخاوفي، أعبر المنعطف ذاته حيث يجلس المتسول ذاته، يطلب منّي بعض النقود، يهرّ قمعه الورقي الذي كان يخشخش، ويقرقع بقطع نقدية معدنية.

هـ، ياإلهي فتاة شبه عارية في مثل هذه العاصفة؟!!!
كانت تقف في زاوية الشارع تستر عريها بتنورة قصيرة جداً وجوارب عالية سوداء، ومعطف قصير أيضاً، تروح تجيء، مثل غراب نحيل القوام يتقافز على بياض الثلج، ويبيدها سيكارة، تصبغ وجهها بالأوان متنافرة وصارخة، تلبس كعباً عال ورفيع، والغريب أنها لا تتزحلق؟! وأخيراً، وصلت الى عملي في وسط المعمة، أضع المريلة والقبعة البيضاء، ألصق ابتسامة ميكانيكية على شفتي بسرعه، وأنخرط في هذا الزحام، تغيرت وردية العمل، يسلّمون، ونستلم، عمالاً، طلاباً، نساء، ورجال من الشرطة، يتناولون من حين لآخر فنجاناً من القهوة وقطعة من الحلويات.

اليقظة مطلوبة، الكل يؤدي واجباً ما، حتى الشابة اليت كانت في الشارع، أتت تصطف في خط الانتظار، لتأخذ فنجاناً من القهوة، وتؤدي ما عليها من واجبات، ولكن ما هذه الكدمات المنتشرة على جلدها؟!

بينما هي منشغلة بالتفتيش في حقيبتها عن ثمن القهوة، فهمت أنها لا تحمل شيئاً، فانصرفت إلى الزبون الآخر الذي ينتظر طلبه على نزق، وإذ بها تلقى ضالتها، وتجلس مع زبون يتحدث إليها همساً، يبخلق في صدرها وجسدها المعروض للخدمة الليلية، وفي نظراتها المغناجة اللعوبة، ثم خرجا معاً.

الحمد لله، قلّ الزحام، وأنهيت تقريباً ما عليّ، أجلس لأشرب فنجان قهوة، أقرأ كتاباً، أترك على الصفحات سطورا، أنظر عبر الزجاج إلى الشارع الفسيح الممتد والهادئ، لقد تلاشى خوفي ورهبتي تماماً، أنظر إلى الساعة أمله بانتهااء دوريتي وحلول الصباح. لكل مهنة متاعبها أليس كذلك؟ هاأنذي أشعر بتشنج في عضلات الرقبة، بعض الألم في أسفل الظهر، وتعرّق في القدمين رغم أن حذائي الرياضي مريح.

أضواء تتكسر على الواجهة الزجاجية النظيفة. ثلوج جميلة قريبة وبعيدة تغمر ليالي تورنتو الموحشة والأليفة، رغم أنها في الليل كما النهار، تضجّ بالحيوية، شاسعة ضيقة، أليفة غريبة، عاهرة وقديسة، طاحونة بشرية لا تكف عن الدوران.

بدأت خيوط الصباح بغزل قميص الصّباح، ومازال باب المقهى يُفتح يُغلق، والزبائن يتدفّقون، بيتسمون، يعبسون، يتكلمون بلطف، بنزق، أتساءل بيني وبين نفسي، هل سيمضي هذا الليل على خير؟

وإذ بزبون يناديني، يسألني بغضب:

"أين الابتسامة" ؟ أريد الابتسامة قبل القهوة، من أي بلد أنت؟ يرتفع صوته متابعاً، أنتم تهاجرون إلينا ولا تجدون شيئاً أليس كذلك؟ فأنفجر بوجهه بلكنتي الانكليزية المفشكلة، يغادر بقرق، وأعود إلى طاولتي أبكي، وإذ بيد ناعمة جداً، دافئة، تربت على كتفي وتناولني ورقة كتبت عليها: أرجوك ابتسمي، وابقى قوية، إنها المرأة التي كانت تجلس في آخر المقهى، تضع خمسة دولارات إكرامية (بخشيش) وتنسحب، وأسحب من جيبي منديلا كي أمسح مطراً سقط من غيمة قلبي وعيني.

من صمتي الى العالم أكتب الحب والشتاء وقطرات المطر المتجلد، إنها تחדش قلبي المشلوح تحت سقف الحب رغم أنني أقفلت الأبواب والنوافذ. وتحت عراء الرغبة غفوت أحرق في سماء مشتركة بيننا ووحيدة. أحرق في الكلمات وأجفل من ذوبان الروح دمعة وجمرة لا أريد النظر طويلاً في قلبي المشلوح على أبواب لغة هاربة. تحرقني نثرات الثلج فلا تدعس بصمتك يارجل- قلبا متكوراً فوق كلمات كانت فائضاً من خطوات في صداقة الموت. شتاء آخر- أنا وبرفقة القلب كله. القلب مغامرة جميلة ومغارة وعضلات. ماذا يفعل حين نخرط في دروب الغابة وحين تكف العاصفة عن محاكاتها، وتتفرغ للصراخ في وجه الاشجار!

لقد مشينا طويلاً معاً أيها القلب الصديق وكانت الاشجار تحميها من البرد ومن الخوف من السقوط. وألتقطنا كثيراً من الصور التذكارية. كلها كانت حقيقية. لم نذهب يوماً إلى عيد الأشرار ولم نلبس الألبسة التنكرية وحفلات "الهالوين" ربما كنا نحتاج إلى رفقة مجنونة كي نفعل ذلك لأنه حتى تلبس قناعاً شريراً، لا بد أن يرافقك آخرون في ذلك تصور يا قلبي: لا يمكننا بمفردنا أن نصبح أشراراً، ان لم يرافقنا أحداً.

2

المقاهي في تورنتو ليست رومانسية ولا هادئة بل ضجيجها مزعج لمن يريد أن يقرأ ويكتب وتحديداً في (تيم هورتنز) الشهير. وفي الغالب تكون الكاولات صغيرة الحجم، الكراسي غير مريحة، واي حديث خاص يجب أن يكون همسا ناعما والا سيسمعه كل من حولك. يستهلكنا الاستهلاك السريع والإيقاع الأسرع في مدينة من أكبر المدن في العالم وأكثرها ازدحاماً وغلاء- تورنتو، العاصمة الاقتصادية وقبلة الأقليات المهاجرة.

في المقهى الكندي، أنقصى الغراب والسلوكيات واسترق النظر الى بعض الحالات الخاصة. مثلاً: يأتي أحد المشردين و يضع (أكياس النايلون الكثيرة جواره) وتنتشر رائحة تزكم النفس. يشتري قهوة، ويخرج محفظة متسخة مهترأة سوداء فيها قصاصات جرائد وصور. يضع على الطاولة عددا

من الصور. يرتبها ويعيد تغيير موقعها، ثم يبصق على كل صورة على حدة ويعيد جمعها من جديد وهو يتكلم مع نفسه. في ذلك الحين أتمنى لو أسمع ما يقوله للصور المهترأة التي يصر أن يعيدها إلى محفظته بأصابعه المتسخة وأظافره الطويلة بوجهه الذي ربما لم يحتضنه أحد بحنان منذ أن صار رجلاً من هذا العالم.

أخشى أن تتقاطع نظراتي مع نظراته، فأشعر بالذنب لأنني شاهدة على كل هذا البؤس اللعين الذي يمشي على ساقين ويتنفس ويحكي مع نفسه. الفارق بيننا انني أحكي مع رأسي وفي مطبق وهو يحكي بصوت مسموع. وحين يخرج يأخذ فنجان القهوة الورقي معه ويترك خلفه رائحته وأثار أصابعه على وجه الطاولة الزهرية المربعة في المقهى الكندي.

في المقهى الكندي الذي تختلط فيه رائحة القهوة المحروقة مع رائحة المشردين بلا مأوى الذين يأخذون قيلولة طويلة على مقاعد المقهى وفي يدهم فنجان الكرتون الفارغ. لم يكن الحال كذلك قبل ربع قرن. وكان لي زاوية محبة- طاولتي في زاوية المقهى، حيث أجلس وتصلني الثمرات والأحاديث من الطاولات المجاورة.

وتتغير طبيعة المقاهي والأماكن العامة مع تغير الأحوال الاقتصادية والعجز المادي الذي تعاني منه الطبقات الفقيرة في هذا البلد وذاك.



غرفة الكتابة وبيتي الصغير في كندا

"بيتي صغير بكندا" تغني فيروز لي هذه الأغنية وأنا أمام الكمبيوتر أكتب وأنشر في المدى أوراقاً. أخرجُ إلى الشرفة، أنظر إلى العالم. السماء رمادية، المشهد قاحل في هذا الوقت من السنة. فضلات الحمام على حافة الشرفة التي لم أخرج إليها إلا مرات معدودة طوال الشتاء. أنظر إلى أصيص الزريعة أجده مقلوباً. أعرف أن السنجاب قد أتى ثانية ليطمّر حبات الفستق في الأصيص. البناية الشاهقة المقابلة تكسر أفقي كلما حدثت في البعيد. لا أحب هذه العمارة، قلت لصديق على الهاتف، فأجاب بجدية: سأشتري لك قصراً فخماً يليق بالقصيدة حين أربح بطاقة اليانصيب. بيتي الذي كان هناك يتأرجح فوق خيط الذاكرة. صوت فيروز يعبأ صباحات هذه البلاد وإلى آخر مدينة صغيرة في وطني الذي اسمه سوريا. صوت فيروز كان يرافقتنا ونحن نعلق الحقايب على أكتافنا ونقبل الصباح ذهاباً إلى المدرسة التي تقع قريباً من بيتنا. بيت أبي الذي هناك.

*

مذ كنا صغاراً كانت لعبتي المسلية "بيت بيوت" كنا نرصف حجارة صغيرة لنصنع بيتاً بحجرات متعددة ونترك مسافات للباب والشباك. كنا نخترع أصحاب البيت والضيوف على شكل دمي، وافتراضياً نقدم لهم فناجين القهوة والشاي، العنب والزبيب. كرماء كنا ونصرّ على الضيوف أن يشربوا ويأكلوا ويناموا في بيوتنا الافتراضية. في نهاية اللعبة كنا نتخاصم ونخرّب البيت الذي عمرناه، نكسر الصحن على رأس الضيوف، ونذهب لنشتكي لأمهاتنا. بعد ساعات قليلة نعود إلى اللعب من جديد، نبنى بيوتاً جديداً من الحجارة ذاتها. هنا في بيتي الذي في كندا صحن كثيرة وملاعق ومقاعد... وهنا قلما يأتي المعارف والأصدقاء إلى البيت، لقد جعلنا من المقهى مكاناً للتعارف واللقاء. وما يزال الحنين يمسك بيدي ويجعلني أطلب رقم هاتف صديقة في حلب كانت

تلاعب معي هناك "بيت بيوت" نتحدث عن أحوال بيوتنا وقلوبنا فيما الشمس تشرق على بيتها في سوريا، وفيما الليل يغمر جدران بيتي في تورنتو.
كم بيتاً يعمّر المسافة ما بين ديريك أقصى الشمال السوري، وتورنتو الشمال القطبي؟

*

في البيت الذي أسكنه اليوم يقيم معي حجر سوري صقيل تلتصق به عشبـة بحرية. التقطت الحجر عن شواطئ اللاذقية حين كنت في زيارة إلى البيت- الوطن. البيت في الانكليزية هو الوطن، الوطن في العربية ليس بيتاً. أحياناً يصعب أن يكون البيت بيتاً، البيت غربة والأفراد غرباء. يقول صديقي الذي يسكن في مدينة أخرى: لن يصبح المكان وطناً إلا إذا أصبح لك فيه قبور وموتى. صديقي هاجر إلى البيت في رحلة عكسية قبل أن تصبح كندا وطنه. هو الذي كان بلا وطن ولا هوية في بلده الأول. كان قدره أن يكون كويتياً من جماعة الـ "بدون" بيت. في هذا البيت أقيم مع أشياء ثمينة قليلة معدودة، منها وشاح أمي الكحلي الذي أخذته منها قبل السفر. لم ألبسه إطلاقاً. تقيم معي ياسمينة وحيدة محفوظة في دفتر الهاتف محصورة مع عنقها الصغير الناعم تحت الغلاف البلاستيكي للدفتر. ومن الماضي أيضاً ما زلت أحتفظ بحمالة مفاتيح على شكل مبخرة عمرها أكثر من ربع قرن، أعدتُ تصليحها واستعمالها من جديد بعد أن تقطعت سلاسلها الفضية الناعمة. نظر إليها ابني سلام وقال "يااه، أتذكر هذه "العلاقة" كنت ألعب بها وأنا صغير. فأجبت: نعم، إنها قديمة جداً. إنها هدية تذكارية من أول شاب أحببته في مراهقتي. ثم أقول لنفسي: كان الشاب يعني دوماً "كل دا كان ليه لـمـا شفت عينيه "لمحمد عبد الوهاب. نسيت الأغنية وأشياء وذكريات كثيرة من الماضي. بعد الهجرة لم أعد أدندن في البيت. احتلني صمت، هجرتني الأغنية. اليوم، تفصلني عن البيت والأغنية سنوات ومحيطات. يرن جرس الهاتف، يأتيني صوت آخر يدندن عبر الهاتف مقاطع من "كل دا كان ليه". أنصتُ وأبحث عما جعل الغناء يهرب من شفتي.

*

أفتح باب الشقة بصمت. تقع عيني على مفتاح معلق في سلسلة ويتدلى من مسمار في الجدار. إنه مفتاح بيتي الذي هناك. أضع المفاتيح على الطاولة في حضان قوقعة على شكل صحن. أتأكد من أنني أغلقت باب بيتي الذي لا ينتظرني فيه أحد، ولا أنتظر أحداً سوى القصيدة أو ما ينتمي إلى عالمها. أقول: يااه، لقد وصلت أخيراً إلى البيت. كم تألمت حتى تعلمتُ أن أحب هذا البيت. لم تعد الجدران خصماً، لم تعد ثقيلة كما كانت سابقاً. بين هذه الجدران ولدت قصائد صارت كتباً، تكورت عناقيد أفكار ومقالات وحياة زاخرة بكل شيء.

أخلع حذائي المثلث بالغربة والشتاء، أعلق المعطف في الخزانة المجاورة لباب الخروج وأضع في جيبه القفازات. أبدأ بتفقد الرسائل الصوتية الهاتفية. أتفقد البريد الإلكتروني. كأني أغادر البيت

افتراضيا. كأنني فيه ولست.

*

في طفولتنا كنا نرسم البيوت على دفتر الرسم بسهولة وتلقائية. لم يكن أي مشهد طبيعي يخلو من صورة بيت. إنه هناك في زاوية المشهد أو منتصفه. ودائماً هناك طريق إليه، درب متعرج كنهر، وعلى الضفة الأخرى من المشهد نهر يضفي على البيت ربيعاً. كنا مغرمين برسم الربيع، وكم تأخر الربيع. حين كبرنا، بقيت تلك البيوت مرسومة في ذاكرتنا، حين أردنا أن نعددها بالحبر ونمنحها وجوداً آخر منفصلاً عن بيت الذاكرة، اختلط علينا دفتر الرسم بدفتر التاريخ والجغرافية وأشجان الذاكرة والنفس. هذه البيوت ما أن نفتح أبواب الروح عليها، حتى تستيقظ بين أصابعنا الفراشات المنسية، آثار الشتات، ذاكرة الحب الأول، إشراقات الروح وعذاباتها. الكتابة عن البيت تأخذني إلى رحم العلاقة بيننا وبين أسياننا وأسفارنا. هناك بيوت لا يمكننا الخروج منها، ولا العودة. هناك بيوت يوجعنا الحنين إليها، هناك بيوت تقيم فينا حتى بعد سقوطها إثر حرب أو تحديث عمراني. في طفولتي كانت تحيط بي الأشجار التي تقف بين سطور قصائدي المكتوبة في بيت اسمتي يفتقد الأشجار وظلالها. حاولت أكثر من مرة أن أزين أركان بيتي بأشجار وخضار. مرة اشترت ثلاث شجرات لتعيش معي داخل البيوت. كنت سعيدة بهذه الرفقة. أطلقت على شجيراتي أسماء مبتهجة. التقتت للأشجار صوراً أرسلتها لأصدقائي هنا وهناك. يا لحزني، ماتت في فترة قصيرة شجرتان، وبقيت واحدة معي حتى الآن. أتعجب كم كانت يد أمي خضراء. حين زرعت في ركن بيتنا هناك شتلة صغيرة جداً أهديتها لها حين ذهبت إلى مدينة حلب للدراسة الجامعية. صارت الشتلة شجرة عمرها أكثر من ربع قرن وما تزال خضراء وتصعد إلى الأعلى. أمي أطلقت عليها "جاي" وما تزال تحكي لجاراتها اللواتي يطلبن غصناً من هذه الشجرة، ونقص عليهن تاريخ هذه الشتلة وأسباب وجودها. الشجرة تعيش معي في ألبوم الصور، ولي في ظلها صورة فوتوغرافية التقطتها لي أمي. أخي يعرف مدى علاقتي بتلك الشجرة. منذ عدة سنوات، وجد شتلة من نفس الفصيلة، فأرسلها لي بالبريد من السويد، حين يقيم، كانت الشتلة صغيرة مغروسة في تراب قليل، لم تقو على السفر الطويل فماتت في فترة قصيرة.

الذاكرة تشببتك بخيوطها الداخلية، متمسكة بذلك الرحم وتلك الرائحة وذلك الوجود الأول الذي لا يفارق وجداننا. نقطع آلاف الأميال، نتقدم في العمر والتجربة ويبقى ذلك البيت واقفاً داخلنا. عليه ترتكز أرواحنا حين توشك العواصف أن تقتلع جذورنا. اختبرت تلك العاصفة وذاك الحنين حين زرت سوريا في السنوات الأخيرة. شدني الحنين إلى بيتي الأول في "دير بك/ المالكية" أقصى الشمال السوري. المنزل بيع لعائلة كردية مذ كنا صغاراً. ذهبت مع أمي وأبي لزيارة "بيتنا العتيق" كما نسميه. دخلت الغرفة التي ولدت فيها. لم أجد ما يعنيني، كان هناك فقط الشباك الذي

الشمس ودغدغت عظامي. ما تزال الشمس تزور أطفال الساكنين الجدد. التقطت صوراً فوتوغرافية لذاك الشباك فقط، وعلى عتبة الباب وجدت دموعي تنهمر. بكيت كمن يريد أن ينفذ وجع الغربة على أعتاب البيت، ويدخل إلى طفولته المستحيلة. دخلت غرفتي-غرفتي وغرفة أخوتي، لم أجدني. قطعت الطريق إلى الداخل السوري، دخلت بيتي الأخير في "محافظة حمص" الذي سكنت فيه بعد زواجي وترعرع فيه ابني الوحيد، لم أجدني. البيت مهجور وينتظر، وعلى جدرانه معلقة بعض الصور، وفي ركن منه ما تزال صناديق كتبنا المختارة تنتظر الترحيل. لقد أصبحت أرض الدار وحشية تطوها الأعشاب والأشواك البرية، وبعض الشجرات التي ما تزال واقفة. عبرت تحت شرفة بيتي في حلب الذي بيع لعائلة أرمنية ولم أجد لي أثراً هناك، سهرت قبالة تلك الشرفة وأنا ضيفة في بيت صديقتي التي كانت تلعب معي "بيت بيوت" في المالكية، من شرفة بيتها كنا نطل على شرفة بيتي الذي كان. لم أفكر أن أذهب لألقي التحية على الجدران والأبواب التي احتضنت ربيع عشقي وحببي الذي كان عاصفاً وانقضى. بعد هذه الزيارات الموحجة في الصميم، أصابتنى الحمى، الغثيان والصداغ الحاد، سقطت طريحة الفراش حين عدت من رحلتي إلى بيت أمي وأبي الذي يفقد الأولاد الذين ترعرعوا بين جدرانه، في حديقته الأمامية، برفقة الورد الجوري، تحت ظلال شجرة الرمان وعرائش العنب. أمي بفطرتها حدست بما يجول من أعماقي، كانت يدها تمسح شعري وجبينني، تلمس جمرة الروح التي نهشها الحب والأمل، غياب الحب وغياب الأمل، وغياب الغياب. عدت إلى بيتي الذي في كندا، ومعني كل الصور وكلام كثير مطمور بين جذور الروح. توقعت على روحي حاملة معي كل البيوت وأسرارها. حين وصلت مطار تورنتو، انتظرت حقائبي ودفعته أمامي كمن يحمل في القلب كدماً وفي العين نهراً. لم اتصل بأحد كي ينتظرنني. أردت أن أقول لنفسني: أنت قوية، برافو، يلا، لقد وصلت بالسلامة، قطعت البحار والمحيطات كي تصلي إلى هناك وتعودي إلى هنا، كي تغادري البيوت التي عشت فيها شبه وحيدة رغم الصخب والأهل والزحام. وكي تذهبي من جديد وحيدة إلى بيتك المغلق على نفسه.

دفعت الحقائب ووقفت في ركن لا يعيق حركة المرور. دخنت سيكارة وصرت أبحث في جيبي عن الكلينكس كي أمسح الدمع العنيد الذي لا يحتبس والمخاط أيضاً. انتبهت امرأة شرقية الملامح إلي. تبادلنا السلام، قالت أنها تنتظر سيارة زوجها. سألتني عن موقع بيتي، واقترح أن تأخذني في طريقها إلى منطقة قريبة من بيتي، وبعدها أدبر الأمر. كان الوقت عصراً، ليس صيفاً ولا شتاء. ذهبت مع العائلة نصف الطريق. ثم استأجرت سيارة فيما تبقى من هذه الرحلة الطويلة. حين وصلت إلى البيت كان المذياع ما يزال يثرثر كي يؤنس وحشة الأشياء التي في البيت، ما يزال يثرثر

بالانكليزية ليلاً نهاراً لمدة شهر ونصف.

ابتسمت وقلت: استقبلني الراديو، سي بي سي راديو كندا الوطني.

وبعد أقل من نصف ساعة رنّ جرس الهاتف...قفزت ولم أكن أتوقع أحداً يعرف موعد وصولي. أجبت على الهاتف بلهفة. كانت سيدة على الخط تبيع شيئاً ما، تقدم دعاية لشيء ما. سألتني "كيف حالك اليوم؟" قلت: بخير، شكراً. قالت بلطف: "عظيم ليس الجميع بخير هذه الأيام، عظيم أن يقول الفرد أنني بخير، أليس كذلك؟"

قلت: في الحقيقة، أشتكي من حرقه في عيوني، وصوتي سقط مني في الطريق، ولا أتكلم الانكليزية الآن!

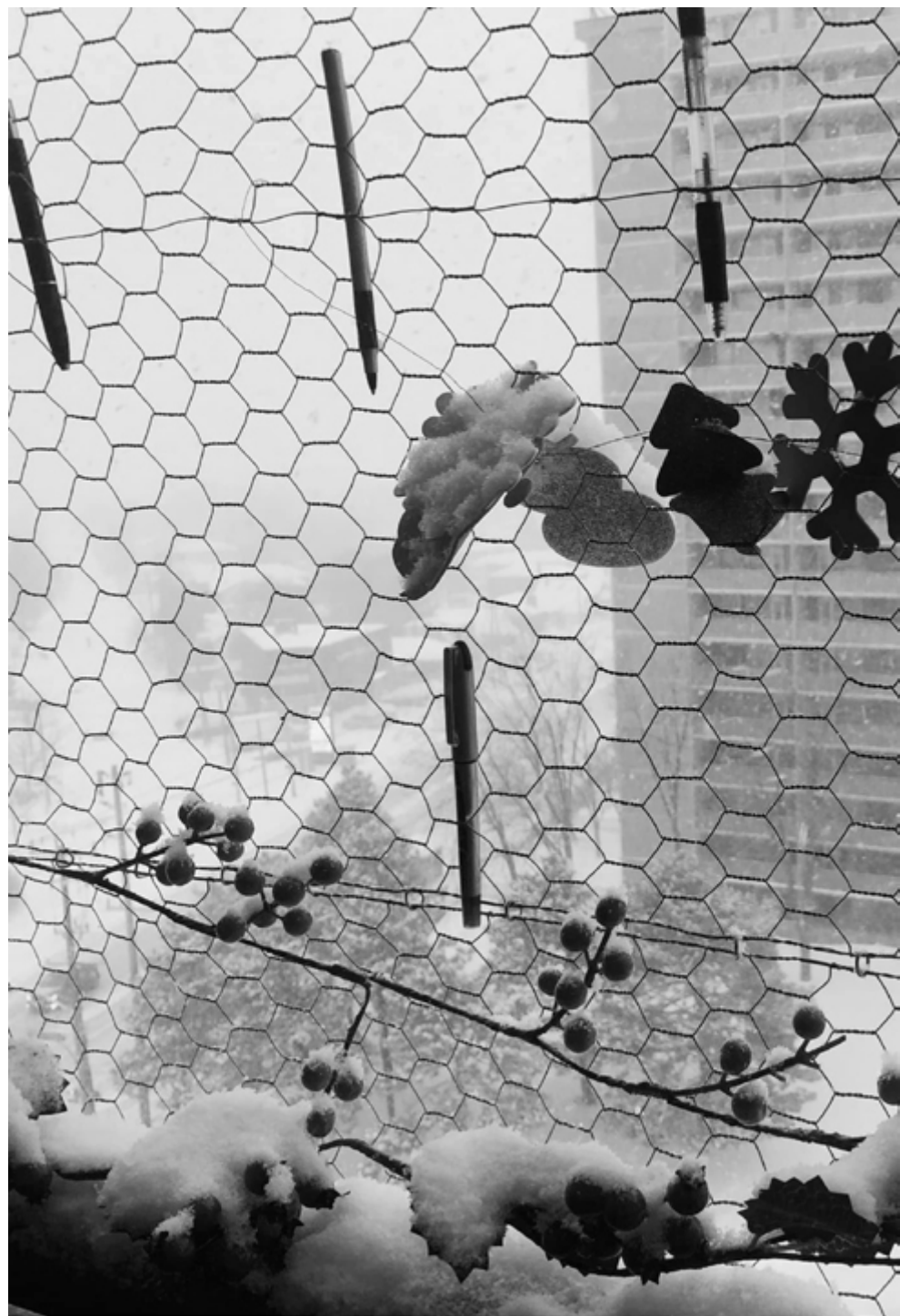
قلت: لدينا خطة جديدة ورخيصة، للهاتف والانترنت والتلفزيون....

قلت: لا يوجد عندي تلفزيون، ولكن عندي أريكة للبيع، وعدد من الكراسي الجديدة، هل تشتريين؟! لم تحر جواباً فأقفلت خط الهاتف. تعثرت بحقائبي. جلست على الأريكة وفي يدي علبة السجائر، بيضاء وعليها رسم امرأة زرقاء وترقص...

علبة السجائر تلك، فارغة الآن مكونة على الرف، كلما وقع نظري عليها، أتذكر وطناً، بيتاً، حبيباً، ودخاناً عابقاً.

فكرة اليوم : أتمنى أن أجمع سردياتي حول ثيمة البيت في كتاب.

بعد نشر النص تلقيت الكثير من الايميلات والإعجاب وبعضهم اقترح علي أن أكتب كتاباً عن مواضيع تخص البيت والهجرة. بالطبع تلك الرحلة كانت تتسع للمزيد ولكن النشر في الصحف يفرض عدداً محدداً من الكلمات. ولفت نظري كيف تم تداوله نقلاً عن الصحيفة ونشره في مواقع الكترونية كثيرة بعضها اختفى وبعضها ما يزال على الشبكة الالكترونية ولم يكن هناك هواتف جواله كما هو الحال الآن ولا منصات التواصل الاجتماعي. ولدي بعض الاصدقاء الذين كتبوا لي في ذلك الزمن وما يزالون أصدقائي ونقرأ بعضنا بمحبة.



7 السينما والخيال الفلسطيني في كندا

أوراق فيما يخص الاهتمام والدعم المخصص للجانب العربي المهجري في كندا وأمريكا ومن خلال مشاهداتي. لقد حصل السوريون اللاجئون من لبنان ومن سوريا على خدمات استقرار وتأهيل وتوظيف كما لم يحدث من قبل وذلك بعد موجة اللجوء في العقد الأول من القرن 21. وأعطيت لهم تسهيلات للتوظيف وافتتاح مطاعم وأعمال صغيرة. وكل مرحلة وعقد تحدث انقلابات جذرية في اجندة هذه الدول وتبعا للسياسة والمستجدات في المنطقة الشرقية وطريقة إدارة النشاط الثقافي في هذه البلاد. وهنا بعض الأمثلة الميدانية في قطاع السينما وفي قطاع الجوائز الأدبية...

كان هناك مراكز ثقافية وعربية تخص الجاليات المهاجرة وكانت تلك تلقى الدعم الحكومي لإقامة الأنشطة الفنية والثقافية والاجتماعية ما دامت تقع ضمن التوعية السلمية بعيداً عن العنف والتفرقة والسلفية. ومنها المهرجان للفيلم الفلسطيني، الذي أقيم في ذكرى النكبة في عامها الستين وكنت حاضرة وأقدم التغطيات الإعلامية في حينه. وبعض كتاباتي تلك نشرت في موقع (الجزيرة نت) وبعضها في الصحافة المحلية المهجرية والشبكة الالكترونية العربية.

1

أفلام وجوائز لعرب أمريكا ، عام 2010

لأول مرة وفي عام 2010 حصد الشعر والفن العربي الأميركي جوائز مرموقة في أميركا، فقد ذهبت جائزة الزمالة الفنية لعام 2010 إلى المخرجة الأميركية من أصل فلسطيني شيرين دبس عن فيلم "أميركا"، وذهبت جائزة الزمالة الشعرية إلى الشاعر الليبي الأصل خالد مطاوع لتمييزه في الشعر والترجمة. وتقدر الجائزة بـ 50 ألف دولار لكل فنان تم اختياره من القائمة الطويلة التي ضمت 302 اسم

من مختلف المشارب والألوان، من 18 ولاية أميركية.

وتكمن أهمية الجائزة في أنها الأولى التي تضع الإبداع العربي على خارطة التقدير والاحتفاء في أميركا. فهذا مكسب وفرصة للتعريف بالصورة الإنسانية الحقيقية للإبداع القادم من العالم العربي، بعد أن لحق به الكثير من التشويه وبخاصة في السنوات العشر الأخيرة.

حقق فيلم "أميركا" للمخرجة شيرين دبس انتشاراً وشهرة عربية وعالمية منذ بداية عرضه عام 2009، في أميركا وكندا وعدد من الدول العربية. كما شارك في عدة مهرجانات سينمائية، ليس آخرها مهرجان "كان" الفرنسي عام 2009.

وتكمن قوة الفيلم في المعالجة الشفافة التي مزجت بين الاجتماعي والسياسي والفكاهة في إطار كاشف لعمق المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني سواء في الداخل أو الشتات.

تجربة الاقتلاع

ويقدم الفيلم تجربة الاقتلاع من خلال تجربة امرأة فلسطينية قوية وشجاعة تتخذ بصعوبة قرار الهجرة كي تنقذ ابنها من مستقبل غير مضمون، وخاصة بعد أن تجد نفسها وابنها يتعرضان للإهانة على إحدى نقاط التفتيش من قبل جنود الاحتلال الإسرائيلي.

تفكير المرأة في مستقبل ابنها دفعها إلى مغامرة الرحيل، ولكن تجربتها لم تكن سهلة حين وجدت نفسها دون عمل ولا نقود، واقعة تحت عبء العيش في منزل شقيقتها وزوجها الذي لم يكن كريماً معهم في البداية.

تمثل شيرين فاعور دور منى، الشخصية الرئيسية التي تقوم بالبحث عن عمل منذ الأسبوع الأول، ورغم دراستها الأكاديمية وخبرتها العملية الطويلة في البنوك، فإنها لم تجد فرصتها إلا في محلات الهامبرغر.

وهناك تتعرض لإهانات عنصرية من قبل طلبة المدرسة التي يتعلم فيها ابنها الوحيد. إلا أن التجربة لم تكن سلبية في كل جوانبها حيث وجدت تعاطفاً وتقديراً من قبل مدير المدرسة الأميركي الذي اكتشفت أنه -يا للمفارقة- يهودي.

من خلال الكلمات التي ألقته والحوارات العديدة التي تناولت تجربة شيرين دبس وهذا الفيلم نجد أنها تمر بتجربة التمييز العنصري ووصمة الإرهاب التي علقت بالعرب المسلمين، إذ يتعرض منزل والدها الطبيب للتفتيش.

وهنا تبدأ الأسئلة تكبر في ذهنها وهي لا تزال فتاة عمرها 14 سنة. حين تقول لوالدها: يجب أن أفعل شيئاً، أن أقدم فيلماً عن هذا الوضع. يجيبها الأب: ولكن أنت عربية، لا يمكن. وفعلاً تواجه الفنانة بعض الصعوبات في إيجاد ممول لفيلمها لكنها لا تعمد الحيلة، بل تصل بقوة فنّها وقصّيتها إلى مصاف النخبة فنياً وإنسانياً وتكّلل جملة نجاحاتها الفنية بجائزة مادية قدرها 50 ألف دولار.

ترجمة الأدب العربي إلى الانكليزية والمترجم الليبي خالد مطاوع

الشاعر خالد مطاوع قد هاجر من بلده الأصلي ليبيا إلى أميركا وهو لا يزال يافعاً وهناك تشرب فنون اللغة الإنكليزية وآدابها. ودرس الكتابة الإبداعية في الجامعات الأميركية ومن ثم قام بتدريسها. لم ينسلخ الشاعر عن لغته الأم وثقافتها، فأنكفأ على ترجمة الشعر العربي إلى الإنكليزية مقدماً بذلك عدداً من الأسماء العربية إلى قراء الإنكليزية الجاهلين تماماً بأبعاد الشعر العربي. كما سجل الشاعر المترجم خطوة مميزة تحسب له حين أقدم مؤخراً على ترجمة الشاعر السوري أدونيس للقارئ الإنكليزي، وساهم مع الشاعر في عدد من الجولات الشعرية في عدة مدن أميركية. ويرى مطاوع أنه يعيش الترجمة كحالة إدمان لا يمكن كبحها. ويثمن تجربة الترجمة ويذكر مثلاً الأثر الذي تركته قصيدة الشاعر العراقي الكبير سعدي يوسف عن أميركا، حيث استخدمها المتظاهرون ضد الحرب على العراق.

وجاء ترشيح مطاوع لهذه الجائزة لأن تجربته الشعرية تمزج بين الفردية المركبة بنكهة وطقوس الشرق والتجربة المهجرية التي تنهل من نبع المعرفة والحساسية الفنية كما يرى النقاد الذين ثمنوا ديوانه "خسوف الإسماعيلية" الذي ترجم الشاعر نفسه إلى العربية. يذكر أن جائزة الزمالة الفنية الأميركية هي جائزة سنوية وهذه هي الدورة الخامسة لها، وقدمت مكافآت مادية لـ 52 فناناً تتراوح أعمارهم بين 32 و 71 سنة، في حقول إبداعية عديدة تشمل: المسرح، و"الميديا"، والتصميم، والسينما، والشعر، والرقص، والرسم، والتمثيل وغير ذلك. ويتسلم بموجبها الفنان 50 ألف دولار غير مشروطة بأي التزامات. وهي بالتأكيد "تجعل الحياة أسهل" وفق تعبير الشاعر مطاوع.

مهرجان الفيلم الفلسطيني الأول في تورنتو في الذكرى الستين للنكبة الفن يروي قصة فلسطين

تحضر فلسطين صورة وفناً في تورنتو كندا بكثافة ولمدة أسبوع، وإن كان قد سبق ذلك بعض الأفلام المتفرقة بين فينة وأخرى، وأهم الأفلام التي سبقت هذه التظاهرة فيلم "33 يوماً" للمخرجة الفلسطينية مي مصري. وحسب مصادر البيت الفلسطيني، عائدات هذا الفيلم كانت سنداً للإعداد لهذا المهرجان. أقيم مهرجان الفيلم الفلسطيني في إحدى دور السينما العربية "سينما بلوور" في داون تاون تورنتو وقدم

نخبة من الأفلام الفلسطينية الوثائقية والدرامية المتخيلة، المنتجة والمصورة داخل فلسطين وخارجها،

السويد، الدنمارك، كندا، أمريكا. نذكر منها: ذاكرة الصبر، ليموناده، السياقة إلى أرض الزيتون. العروض كثيفة وتتراوح بين 36 فيلماً، بعضها حاز على جوائز عالمية وعربية ومتوسطة وبعضها يعرض في كندا للمرة الأولى. التظاهرة كانت بين 25 أكتوبر وإلى 1 نوفمبر، وجذبت حضوراً جيداً من الكنديين متعددي المشارب.

تم التحضير لهذا المهرجان والعمل على إطلاقه بمناسبة الذكرى الستين للنكبة والتي تصادف هذا العام. المبادرة أعد لها وأشرف عليها ودعمها البيت الفلسطيني في ميسيساغاتورنتو. حظي المشروع بدعم كندي رسمي نذكر من هذه الجهات: هيئات دعم الفنون في تورنتو ومانيتوبا، ومنها: تورنتو آرت كونسيل، أونتاريو آرت كونسيل، وهذه هيئات حكومية تدعم المشاريع الإبداعية والثقافية والكتابة والفنون. كما حظي المهرجان بدعم من قبل صحف ومراكز محلية منها: مجلة ناو، وومن بوك ستور، وبعض أصحاب المحلات العربية.

"ملح هذا البحر" فيلم عن الهوية والتمزق وفلسطين

يوم السبت 25 أكتوبر 2008 تم الافتتاح وسط حشد كبير كندي وعربي. البطاقات بيعت كلها في اليوم الأول للمهرجان. قرابة ألف مقعد حجزت كلها وبقي آخرون خارج الصالة ينتظرون العرض الثاني. كنت حاضرة في صالة السينما في داوون تاون تورنتو.

تنوع الحضور بين عربي وأسود وأبيض من مختلف الأعمار. في البداية عرض فيلم قصير بعنوان "أم فلسطين" وتبعه فيلم "ملح هذا البحر" ويوم في فلسطين، الأرض تتكلم عربي.

كانت ضيفة المهرجان في الافتتاحية الفنانة والشاعرة الفلسطينية- الأمريكية سهير حماد، التي حضرت من أمريكا، مكان ولادتها وإقامتها الحالية. تحدثت باختصار عن الفيلم وأشادت بجهود المشاركين في إحياء هذه المناسبة، كما تلقت الأسئلة من الحضور بعد نهاية العرض الفيلم، وتركزت على تجربة التصوير، حيث قامت حماد بدور البطولة في هذا الفيلم والذي عرض في مهرجان "كان" لعام 2008.

الفيلم يتناول مسألة الهوية والتمزق ما بين الحلم والواقع. تمثل دور البطولة سهير حماد والشاب الأمريكي الفلسطيني يشار دعاس، الشابة تحمل جواز سفر أمريكي حصلت عليه بحكم ولادتها في بروكلين أمريكا، والشاب يحلم بالحصول على فيزا للهروب من قسوة الواقع اليومي المغلق الذي يعيشه الشباب الفلسطيني. بطله الفيلم "ثرياً" تعود للمطالبة بمبلغ من المال تركه جدها في إحدى البنوك التي تقع الآن في إسرائيل، وتجد صعوبة شديدة في الحصول على المال، فتقرر أخذ حقها بالقوة وبمساعدة الشاب "عماد" الذي تعرفت عليه كسائق تاكسي، وشاب آخر يحلم بصناعة السينما والسفر إلى كندا.

يتفقون على السطو على البنك واستعادة المبلغ الذي يعود لجدها. تمت العملية بنجاح ولكنهم لم يأخذوا قرشاً أكثر من المبلغ المشار إليه في المستندات الشخصية التي تملكها. اللقطات مأخوذة في القدس ورام الله وفي فلسطين المحتلة. من المواقف المؤلمة في الفيلم مغامرة "ثرياً" في الذهاب إلى بيت أهلها الأول والذي تسكن فيه شابة يهودية استقبلتهم ودعتهم للمكوث معها، ولكن البطلة لم تستطع أن تتقبل لطف "المضيقة" ولم تستطع أن تنسى أن هذا المطبخ وهذا البيت كان مكاناً لجدها وجدتها ووالدها. من النشاطات المرافقة لهذا المهرجان ندوة حول السينما الفلسطينية، قدمتها المخرجة الفلسطينية جاكى سلوم ورفيف زيادة وشخصيات أكاديمية كندية من جامعة تورنتو. كما عرض خلال أيام المهرجان فيلماً خاصاً عن الشاعر محمود درويش وماتحملة تجربته من قيمة أدبية لغوية جمالية تاريخية وإنسانية، هو الذي عاش تجربة المنفى في أكثر من أرض.

ولكن هل سيكون هناك مادة للعرض جديدة وقيمة كلّ عام، وما مقدار التأثير الذي تتركه هذه المهرجانات على المشاهد-غير العربي؟

الجواب يعتمد على الإمكانيات المادية والفنية في هذا الحقل لدعم الراغبين في تقديم رسالتهم الفنية الإنسانية الجمالية. وفي كل الحالات يكفي أن يثير العرض لدى المشاهد سؤالاً، صدمة، دهشة، ويكشف حقيقة كانت مغيبّة.

كلمة اليوم: الفن يتكلم ويعرض دون عنف ودماء. الفن حضارة أما الأحزاب القومية والطائفية والدينية فهي باب إلى الهاوية والخراب الذي يدمر كل تقدم ممكن للشعوب والحضارات.



8 من شرق تمثال الشاعر تاراس نشخشنكو

ليس الشرق وحده، بل والغرب أيضاً، مقلّ في تكريم الشعراء بإقامة نصب أو تمثال أو حديقة بأسمائهم. ففي تورنتو كندا المدينة الشاسعة التي تكثر في حدائقها التماثيل والمنحوتات الفنية والجماليات المتنوعة، قلما نجد تمثالاً لشاعر. هناك -

تمثال الشاعر الكندي ألفرد بوردي

تمثال قديم لشاعر وتمثال نصفي لشاعرة، وتم مؤخراً نصب تمثال كامل من البرونز الأسود للشاعر الكندي "آل بوردي" الراحل منذ عشر سنوات تقريباً، وقد خُطت على حافة التمثال عبارة تلخص مكانة هذا الشاعر في الوجدان الكندي وهي "صوت الأرض"، وكان ذلك في منتصف أيار/مايو 2008. أزاحت أرملة الشاعر الغطاء عن التمثال ليبقى حاضراً وسط ساحة "كوينز بارك" برفقة الأبطال والأحصنة التي شاركت في الحروب وبرفقة الجندي المجهول وكبار زعماء البلد. يجلس الشاعر بينهم وعينه تتجه نحو الشارع العام، لعله يلحظ حسناء عابرة ويدعوها لكأس البيرة - الكندية - التي كانت شرابه المفضل.

تم تكريم هذا الشاعر الذي كان من أوائل من خطوا خريطة إبداعية شعرية لهذا البلد الذي يسمى كندا واستقلالها عن دول الجوار وعن الكولونيالية والتبعية التي خضعت لها من قبل بريطانيا. الشاعر الذي حق له لقب الصعلوك، عانى الفقر الشديد وبيديه شيد مسكناً له ولزوجته، ليقيه من شتاءات اونتاريو الفظة الطويلة. الآن يضع المارة وردة عند قدمي التمثال ويتنهدون، يرفعون ظهركم المتعب ويقولون: واو، كم تمضي الأيام مسرعة. كنا صغاراً حين درسنا شعره وقرأناه على مقاعد الدراسة. ثم يتابعون السير وتلاوة القصيدة عن ظهر قلب. يغادرون تمثال الشاعر لكن يبقى الحمام ليترك

فضلاته فوق أزرار قميص تمثال الشاعر. الشاعر لا يعبأ بذلك، لقد كان يحب الحمام، كما كان درويش يعني له حين يطير وحين يحط الحمام، قيل عن صوت آل بودري الشعري بأنه ”صوت الأرض“.

تمثال شاعر اوكرانيا تارس شافشينكو وسرقته من المنتزه الكندي
لم يكن الشاعر يقاتل من أجل حرية مستلبة بالمعنى السياسي. ولم يكن منفياً من بلده لكنه كان من أوائل من ساهم في صياغة هوية فنية وأدبية لبلده الذي استكمل وجوده بالاعتماد على الهجرات والمهاجرين قديماً وحديثاً. وحق لهؤلاء المهاجرين أيضاً أن ينصبوا تماثيل لشعراء من البلاد التي قدموا منها. ونذكر منهم تمثال الشاعر تارس شيفشنكو الروسي الاوركرايني (9 مارس 1819-10 مارس 1861) والذي كان يتيماً وعبدًا مملوكاً من قبل الإقطاعي. الشاعر فقير، واشترى الأصدقاء والمعجبون حريته بالنقود، من خلال لوحة فنية رسمها فنان مؤمن بموهبة هذا الفتى. كان المبلغ كبيراً في ذلك الوقت لأن المالك كان يدرك أن هذا الشخص يمتلك موهبة وقدرات خاصة. عاش الشاعر منفياً لسنوات لأنّ صوته الرفض ونقده للسلطة القمعية الحاكمة في تلك الفترة كان مسموعاً وغير مستحب. ولم يستطع ”شيفشنكو“ اكمال دراسته الفنية الاكاديمية إلا من خلال المساعدات والقبول التشريفي وبدعم من قبل كبار الشعراء والفنانين المعروفين في ذلك الزمن. بعض البلاد تُحار في صياغة هوية لها. وبلاد أخرى لها هوية متجذرة في الأرض والتاريخ، يحاولون نفيها وطمرها، لكنها تتجذر بالكلمة وبالصورة، بالحجر وبغضن الزيتون. بعض البلاد لا يحتلها الغريب القادم من شتات الأرض بل يقوم أبناؤها باستعباد أبنائها الأدنى في السلم الاجتماعي والاقتصادي. يستعبدون أبناء مدينتهم وقراهم، بشر مثلهم لهم نفس لون الجلد ونفس اللغة والجنس منغرس في العظم والجينات ذاتها. تتضخم سطوة السلطة الحاكمة ويبقى صوت الشاعر أكثر عشقاً للحرية والأرض، يشهد الشاعر بكلمات بعيدة المدى والصدى تبقى مزرعة في الوجدان الكوني. لأنها ”في البدء كانت الكلمة“ التي تخبر وتبوح، وتحمل دمة الوطن وصنوبراته وتلوجه، ضبابه وجماله.

من هي كاترينا...

كثيرون يمرون بتمثال الشاعر المنفي يتنهدون ويقولون: هنا شاعر كتب لنا صفحة في الحب، غازلنا بها حبيبائنا اللواتي لم نستطع أن نحفظ بهن. هذا شاعر علمنا كيف نغني ملحمة عن امرأة أضناها العشق وحملت بذرة الحب في جسدها، فرجمها الحبيب بخيانة النكران، ونفت المرأة نفسها عن البلاد لتبحث عن بيت تحتمي به هي وجنينها من ”عارها“. يذكر أن الملحمة الغنائية الشعرية ”كاترينا“

التي كتبها تاراس شيفشنكو، والتي كانت تحكي قصة امرأة تعرضت للطرد بعد حملها - المنكر - دون زواج. وفيما بعد أصبحت هذه الشخصية ملهمة لكثير من الرسامين الروس، وترجمت القصيدة الطويلة إلى لغات عدة.

سرقوا التمثال الشاعر المنفي ليلاً...

إنه التاريخ وما أكثر زلاته. دوماً هناك شعب، فقير وبخيل وسلطة وتخلف ورجعية وطغاة، صغار طغاة، وسارقو لقمة عيش ووطن. وهناك شعر وشاعر وحلم مكسور، علم ممزق وأرض مستباحة، أرض تحرسها الأقلام والقصائد والروايات والفنون. بعضهم يرى في التمثال تاريخاً ووطناً وجمالاً وإجلالاً لصوت يقاوم دون سلاح ويبتكر صوراً للحياة البديلة، وبعضهم يرى فيه كتلة حديد أو برونزاً أحمر أو أسود.

هنا في تورنتو تسلل بعضهم في الليل إلى المنزله وانتهك وقفة الشاعر المنفي، تاراس شيفشنكو، في حديقة العالم وحيدا تحت البرد وتحت الريح وتحت الشمس. تسلل السارقون، وضعوا سلماً خشبياً أوصلهم إلى رقبة الشاعر، جعلوا الشاعر يترجل عن ملكوته، جروه في ساحة المنزه، أدخلوه إلى شاحنة كبيرة، سرقوه عن أبناء جاليتهم وعشاق الفن. في المصنع قطعوه إرباً إرباً، ثم باعوه قطعاً برونزية (خردة) للتجار، فيما كان البوليس مشغولاً بالبحث عن التمثال المسروق.

بقي رأس الشاعر التمثال مصيبة أفلقت السارقين. أين سيذهبون برأسه؟

رأس الشاعر مشكلة، في الحياة وبعد الممات. حاولوا تقطيع الرأس بالمنشار، ثم عدلوا عن ذلك، ذهبوا ليبيعوه على أنه تمثال "نينين"، لكن القدر وضعهم في قبضة البوليس واستعاد عشاق الشاعر ما تبقى من رأسه المجزوز. لينضم إلى المتحف الصغير الذي يقيم في دوان تاون تورنتو، لينام على الأرض محاطاً بشرافيف اوكرانية الصنع. ليستلقي بشاربه الكث وسحنته القاسية، ينظر في عين الزائر ويشير إلى صفحات من تاريخ الرق والعبودية والحرية واستعادة الحياة بعد الموت. استعادة ذاته وفردوسه المفقود بالكلمة الشاعرة التي جعلته فرداً في "أسرة الحرية" التي يسمع عنها الكثيرون في القرن الحادي والعشرين ولايتذوقون نعمها.

قصائد باللغة السريانية في المتحف

كان صباحاً مباركاً حين أخذتني الصدفة إلى ذاك الشارع واستوقفتني اسم المتحف الصغير الذي ترعاه وتدعمه الجالية الأوكرانية في تورنتو، وبدعم من بلدية تورنتو. قرعت جرس الباب بعد تردد، فتحت لي سيدة شابة روسية، وقدمت لي جولة لأكثر من ساعة وهي تستعرض حياة الشاعر، لوحاته المعلقة على الجدار، وآخر ما استجد في قضية محاكمة سارقي التمثال. لاحظت اهتمامي بالموضوع،

ومعلومات عن الشاعر، ثم نسخت لي إحدى قصائد الشاعر مترجمة إلى العربية، والسريانية أيضاً. ألتقطت صوراً لما تبقى من رأس التمثال. كان وقع أسنان المنشار عليه موجعاً يمتد من الرقبة ويتوقف قبل أن يصل الفم.

نشر في صحيفة المستقبل اللبنانية 2008



أنا وحبّات الرز في معرض المدينة

لست وحدك إن كنت مصاباً بالحمى المكسيكية، لست وحدك إن كنت من ضحايا الحرب على العراق، لست وحدك إن كنت مهاجراً إلى كندا أو أمريكا، لست وحدك إن كنت من الضحايا-العابرين بشكل غير قانوني المنطقة الحدودية بين المكسيك وأمريكا

لست وحدك إن كنت سجيناً في العالم-ذكراً أو أنثى. وحدك وتمثلك حبة رز واحدة إن كنت "ستيفن هابر- رئيس وزراء كندا، أو ميكائيل جان- القائمة بمنصب الحاكم العام الحالي في كندا. ولست وحدك الذي يتجول في هذا المكان بين أكوام الرز مندهشاً ممعناً النظر في الإحصائيات والكلمات المعدودة المكتوبة بالحبر الأسود على أطراف الكرتون الأبيض المقوى. الطقس يشي بحكايات كثيرة تخفيها الأضواء الخافتة الموزعة بعناية في صالة العرض، ويختلط عالمك هنا بالضوضاء والكلام غير الواضح، القادم من آلة تسجيل خفية تسرد أخباراً من العالم.

العرض الغريب...وأكوام الرز

اختتم العرض في مدينة تورنتو عن حبة الرز. إحصائيات من خلال حبة رز، تخبر عن عدد القتلى، المرضى، المهاجرين. في صالة العرض 897 مليون حبة من الرز، ما يعادل 12 طن من الرز، ما يعادل وزن 11 سيارة، أو 945 بسكليت!. كل حبة تمثل نسمة من العالم. الانطباع الذي ستخرج به من المعرض الغريب الطريف بأنك لست وحدك، بأنك تنتمي إلى كتلة ما. تمثلك حبة الرز بين الأكوام الموزعة بعناية على أرضية بيضاء منتشرة في صالة بقاعتين كبيرتين في مبنى "هابرفرونت سنتر" المخصص للمعارض والقراءات والمهرجانات الشتوية والصيفية على مدار السنة.

ليست تورنتو المدينة الأولى التي استقبلت هذا العرض لمدة أسبوع، إذ سبق أن قدم لأول مرة في

انكلترا عام 2003 وبدعم من القنصلية البريطانية، وانتقل بعدها إلى عدد من دول اوربا واستراليا. "عن كل الناس في العالم " عنوان العرض الذي جرى العرض تحت إشراف (ستان كافيه) وبمشاركة فريق من الشباب الذين يتواجدون في صالة العرض للرد على أسئلة الحضور ولتحديث الإحصائيات وتسجيل ملاحظات الزوار ومقترحاتهم. الغاية من العرض تمثيل الحراك البشري المعاصر وتفهم أفضل لموقع الفرد.

حين سألنا أحد القائمين على تنسيق العرض عن كيفية عدّ حبات الرز، قال انهم يعدون حبات الرز حين تكون الكمية قليلة، ويستخدم الميزان للكميات الكبيرة. كل 60 حبة رز تزن مقدار أونصة. صاحب الفكرة هو الانكليزي جيمس ياركر & كريج ستيفنس، ويتم تنفيذها بالتعاون مع فريق عمل. غاية العرض تمثيل روح المدينة التي يحضر فيها، ويرتكز على الامريكيتين. أثناء التجوال في المركز، كان أحد العاملين يضيف كومة جديدة من الرز على طبق كرتوني أبيض. سألته عن هذه الإحصائية فقال: انها نسبة الناس الذين يعانون من السمنة في تورنتو، وفق إحصائيات المراكز الصحية والعيادات.

عند دخولك صالة العرض، ستجد طاسة في المدخل كتب عليها "تفضل، خذ حبة رز" وربما ذلك لتعداد عدد الزوار، إذ هناك طاسة أخرى في الجهة الأخرى من الصالة، فيها حبوب تشير إلى عدد زوار المعرض خلال فترة العرض. أول كومة تستقبلك وأنت تهتم بالدخول إلى المعرض تمثل "عدد الذين سيولدون في العالم اليوم، فتنقسم للخبر، ثم تقطب إذ تجد بجانبها كومة تشير إلى عدد الذين سيموتون اليوم.

الإحصائيات تركز على عدد السكان، عدد المهاجرين من عرق ما في عام ما، كتمثيل عدد الكنديين الأصليين في بداية اكتشاف كندا وعددهم اليوم، عدد المهاجرين إلى تورنتو. الكومة الهائلة الحزينة كانت الإحصائية التي تمثل عدد السجناء في العالم. كانت كبيرة، وبجانبها كومة أصغر تمثل عدد السجناء الذكور في كندا، وإلى جوارها حفنة أصغر تمثل عدد النساء السجينات في كندا.

تطالعك كومة ضخمة تمثل عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى، وأخرى تمثل ضحايا الحرب العالمية من كندا، وأخرى تمثل الضحايا المدنيين في العراق منذ عام 2003، ثم حفنة تمثل عدد القتلى من الجيش الأمريكي في العراق منذ عام 2003... إحصائيات مشابهة عن ضحايا الحرب في أفغانستان، الحرب الأهلية الأخيرة في سيريلانكا، عدد ضحايا الايدز في العالم، الأفريقيين الذي تم استقدامهم كعبيد إلى امريكا في بداية رحلة العبودية. كل كومة رز تحمل رسالتها، وتثير في الزائر إحساساً عاطفياً ما، قد يكون استنكاراً، حزناً أو ابتسامة. بالإضافة إلى هذه المعلومات التي تحملها حبة الرز عن الحروب والكوارث الصحية وضحايا الأعاصير التي أصابت منطقة الامريكيتين مؤخراً، نجد دراسات تشير إلى التوزع الطبوغرافي والسكاني لبعض دول العالم.

حبات الرز على بقعة بيضاء تشير إلى عدد السكان في كل كيلومتر مربع. ونجد زوايا تمثل عدد ضحايا السفينة الشهيرة "تيتانيك" وعدد العاملين فيها، ثم حبة رز واحدة تمثل المغنية الكندية الشهيرة "سيلين ديون" التي رافقت بصوتها الرائع تلك التراجيديا. وهناك ما يمثل الأمهات الوحيدات، عدد اللاجئين في تورنتو، عدد العاملين، العاطلين عن العمل.

هل للشرق تمثيل في هذا العرض العالمي...

مشيت بين الأكوام وأنا أبخلق في هذه البشرية التي تمتد أمامي بكوارثها وحروبها، بعدد ضحاياها، سكانها الذين يعيشون ويموتون في هذه الساعة وأنا اجوب صالة العرض بحثت عن نفسي وسألت في سري: إلى أي كومة رز أنتمي اليوم؟ وجدت لي تمثيلاً في كومة تمثل سكان تورنتو. فقلت: لست وحدي، إنني جزء من مدينة هائلة الحجم ومختلطة الأعراق والألوان. وبما أنني عربية المنشأ أثناء بحثي بين هذه الإحصائيات، لم أجد تمثيلاً يذكر عن العالم العربي بملايينه، حروبه الأخيرة والأكثر قدماً.

تقدمت من الشاب الإنكليزي الذي يلبس معطفاً بلون الحنطة، وسألته عن كيفية إجراء العد، فأراني الموازين وأكياس الرز المختومة التي ما تزال مكونة في الجانب. صرحت له عن استغرابي من عدم حضور إحصائيات تخص الملايين العربية في الشرق الأوسط، والاكتفاء بتمثيل وحيد عن ضحايا العراق وتوزيعها السكاني.

كان يستمع باهتمام وجدية ويقول: سأسجل ملاحظاتي. فاسترسلت وقلت: ولا يوجد إي إشارة إلى ضحايا حرب تموز في لبنان، ضحايا الحرب بين إسرائيل، فلسطين، لبنان والدول الأخرى؟ بقي الشاب منصتاً فتماديت وقلت: ولا يوجد أي تمثيل للهجرات العربية إلى الأمريكيتين. رحّْتُ أشرح له شيئاً عن إنجازات المهاجرين العرب في كندا أو أمريكا. بقي الشاب منصتاً. ووعد ببحث هذه الملاحظات مع فريق العمل. قال أن العرض قابل للتغيير كل يوم حسب أهيمّة الاقتراحات. بعد أن مشيت والتقطت صوراً كثيرة، سألت عاملاً آخر عن مصير هذا الرز بعد انتهاء العرض؟ قال: سيتم غسله وتغليفه في حقائب للتبرع به لجهات خيرية مختصة بتوزيع الغذاء المجاني على المحتاجين في تورنتو. خرجت وأنا ممتلئة أسئلة ودهشة وفي جيبي حبة رز. أنا حبة رز أنتمي إلى تلك الكومة تمثل عدد سكان تورنتو، جالسة في مقهى على الرصيف أشرب قهوة كندية، أراقب المارة الملونين من كل دول العالم، لاجئين ومقيمين، عاملين وعاطلين عن العمل.

الآن أنتفس بعمق وأغوص في ذاتي المحمّلة بأكثر من انفعال وعاطفة وسؤال. أضع حبة الرز على الطاولة أمامي وأفركها كما لو أنها المصباح السحري وأقول "إن وجدت نفسك وحيدة تشربين القهوة

على رصيف المقهى الكندي، فأنت لست وحدك!"!
صحيفة، عمان، مسقط 28 حزيران 2009



الاشتباك والتقاطع بين المثقف والسلطة

يبدو أن العلاقة بين السياسي والمثقف تتقاطع في عدة مسارات اذا نظرنا إلى واقع الثقافة العربية وليس إلى النظريات حول الثقافة والمثقف. السياسي منفذ لبيانات الحكومة أو مقر لها. لديه ايديولوجيا ومنبر سلطوي ورعايا، وهناك أيضاً الخارجون عن وصايته. الحيز الثقافي أيضاً موزع إلى زعامات لها أتباعها وحواشيها، وعلى الجانب الآخر يقف المثقف الهامشي الخارج عن التبعية والأمين للفعل الثقافي المحض. لن اقول إنه يكون في حالات كثيرة على تضاد مع وجهاء ومثقفي السلطة، بل هو طرف اختار أن يحمل الصليب ويذهب صعواداً ونزولاً، بلا زوادة ولا معيل إلا حبره وقلمه. كلا السلطان تمارسان الإستلاب والتكريم والتبجيل وفقاً لمصالح وأجندة. الأصوات التابعة يصبح لها وزن إذا لاقت استحساناً من قبل جهة ثقافية ما، ولا تكون دائماً مقدرتها الفنية والإبداعية حكماً. الهامشيون محكومون بإنجاز عمل مضاعف كي يحظوا بشهادة الاعتراف بموهبتهم وصلاحياتهم لثقافة المرحلة وربما يداعبهم الأمل في أن "التاريخ غربال" وسيحفظ أصواتهم في الأرشيف بعد أن تنتفي المصالح والاعتبارات الخارجة عن الإبداع. ثقافتنا اليوم هرم من السلطات المتوارثة.

*

الكتابة الإبداعية والصحفية ليست فعلاً حيادياً على الإطلاق. وليس هناك كاتب (ة) لا يحمل رأياً حول مايجري في البلاد العربية والعالم، اجتماعياً وسياسياً. فالسياسة تتحكم بالهواء والخبز والسيارة والكمبيوتر والصحيفة والكتاب والعلاقات العامة الثقافية والشخصية. الهواء النظيف لايمكن للمواطن الحصول عليه إلا إذا وضع السياسيون برامج لحماية البيئة. الكمبيوتر لا يمكن الإستفادة منه إلا اذا قامت الحكومات بوضعه في خدمة الفرد دون كلفة باهظة وبدون رقابة وحجب وتوصيات على

الدروب والنوافذ والمواقع. الكتاب لا فائدة منه إن لم نتعلم كيف نقرأ وكيف نجعل محبة الكتاب واردة في برامجنا التعليمية الابتدائية والأكاديمية. بعض القائمين على الدوائر الثقافية جعلوا بعض الكتاب يكسرون أعلامهم ويذهبون في قتل الموهبة بصمت. بعض السياسيين جعلوا المواطن يكره نفسه وحياته، وما موضة "الانتحاريون" التي تهدد العالم اليوم إلا بذور سياسات مريبة تعمل تحت ذرائع دينية أو وطنية قومية.

*

الاشتباكات بين السلطتين متبانية. هناك حالة المثقف الموالي للسلطة، والمثقف المعارض ليس من حيث الانتماء والتنظيم المؤدلج، وإنما من حيث تبني المثقف فكرة حرية التعبير والرأي كإنسان فاعل وغير تابع. السلطة السياسية تخاف من أصوات "الأحرار" ولا تتوانى عن اختراع أساليب لترهيبهم وقمعهم سواء بالسجون بالفتاوي بالمنع أو المصادرة. صوت المثقف الحقيقي لا يترطب حاشية السلطة لهذا يصبح وجوده مضاداً لمصالحها ورغبتها في أن تسود، لذلك يجد المثقف نفسه في خاتمة المطاف صامتاً على مضض أو ناطقاً بربع المأساة. والصمت ليس من ذهب.

*

تلتقي السلطان الثقافية والسياسية حين تجتمع المصالح. أما إذا كان صوت المثقف يعكر صفو السياسي، فتقوم حينها السلطة باستخدام أدواتها لإعادة إحكام القبضة على "الخارجين عن الركب" وذلك بممارسة سلطتها القانونية التشريعية فتصدر أحكام وتشريعات جديدة بما يخدم ديمومتها، إلى جانب تأثيرها الفاعل على الحالة الاقتصادية والمعيشية للفرد، كأن تحرمه من وظيفة يعتاش منها وتبقيه في مراثون الركض وراء حاجاته اليومية، أو تمنحه مايكفي للعيش الرغد، بينما تسد في وجهه سبل التواصل المعرفي والثقافي مع العالم الخارجي.

*

المثقف الأمين لحلم الإنسان بغد أفضل ولديه بعض آمال في تحقيق مجتمع يحترم الفرد وملكاته سيدفع ضريبة ما. ولكن هل بإمكان المثقف أن "يظلم" السياسي؟ لا أعتقد ذلك. حين يكون للمثقف رأي ويمارس حريته في التعبير ويمارس حريته الانتخابية والمدنية كل ما عليه هو أن يدلي بصوته الحر وينتظر النتائج-غير المزورة. فالمثقف لا يحمل سلاحاً ولا يقيم سجوناً، بل تسخره السياسة أحياناً في مشاريعها الكبيرة ومعاركها وتجعله في سن ما وتحت ظرف ما أداة طيعة وفرداً مغسول الدماغ ينفذ ولا يعترض، إلى أن تأتيه الصحوه يوماً، فينتفض على المتن والهامش.

*

ما هو موقع المرأة في هذه الحالات؟ يقودني هذا للقول: وهل حقاً نالت المرأة استقلالها في الرأي وأصبح لها موقفها السياسي الصريح! ما نلاحظه في مجتمعاتنا أن زوجة "البعثي" يجب أن تكون

أو تصبح بعثية، زوجة الشيوعي، شيوعية على الغالب، ولا أدري إذا كانت زوجة الإرهابي، إرهابية. الاختلاف والتناقض يكون أقل حدة إذا وقع بين الأخوة والأخوات والوالدين، منه بين الزوج والزوجة. فالعيش المشترك وفي إطار تحكمه سلطات هرمية بطيركية لا يستقيم إذا كان أحد الشريكين غير متقبل لفكر الآخر وأعماله. اختلاف وجهات النظر حول الثقافة والسياسة يعمق الشرخ بين الزوجين وقد يؤدي إلى الانفصال أحياناً لأن ذلك ينسحب إلى أبعاد عميقة من شخصية الفرد. وتخفت هذه الإشكالات حين تكتفي المرأة بعملها كربة بيت ومربية أطفال تبتسم لانتصارات زوجها وأفكاره على الدوام.

*

الأرواح الجافة، لا يمكنك أن تضخ فيها الحب والشعور بالحاجة إلى الآخر، معنويا. هذه قلوب تعيش وتنبض ويديرها عقل يبدع أولوياته كما يروق له، و يناسب مصالحه. وهناك قلوب تتوقف فجأة عن النبض.

ليست مسألة وقت ما يعانيه هذا العالم بل قلة شعور بالمسؤولية والرغبة في التواصل ونكران المصلحة الشخصية. وهذا حق. كن ما شئت حيث تشاء، ولكن كن أنت واخلع قناعك المزدوج الفاره. من يحب وطناً أو كلباً، من يحب امرأة أو حديقة، من يحب عائلة أو مكتبة، سيدد وقتاً كي يغذي هذا الرابط بالقليل من الاهتمام. ولحسن حظ الانسان أنه لا يموت لمجرد أن يجف قلبه شعوره ويصبح كما الآلة تسييره أو امر لا إنسانية. فقط الكلب يموت حين تحبسه في البيت وتتركه بلا رعاية. الحديقة ايضاً تموت، حين تبالغ في سقايتها أو تمنع عنها الماء.

الانسان، خلق من تراب وماء، ثم نفخ فيها الروح. القصة كلها تتعلق بماذا نفعل بتلك الروح، وإلى أين نقودها وكيف. حافظوا على قططكم وكلابكم، اذا كنتم من عشاق الحيوانات. انبشوا أرواحهم، قبل أن تموت كليا في الشتاء والصيف والحرب والسلم والاغتراب. أو لا تفعلوا شيئاً. لك حرية أن تموت وتحيا مثل كلب، مثل وردة، مثل شجرة، مثل كائن طبيعي، مثل امرأة عادية، مثل رجل شهيم، مثل غزالة بريّة، مثل حمار غريب. ولك سلطة الاختيار وقلب الموازين في محيط بيتك وشبكة العلاقات العامة والخاصة، وتحديداً في سلوكك وكتابتك الابداعية ورسوماتك ونشاطك الفكري الذي يتسرب إلى الأولاد والجيران ويترك الأثر.

سؤال اليوم: كم سلطة واجهتك في الطريق إلى عالم النشر والكتابة والقراءة؟!



ليالي المرقص الكندي في الخارج

في المرقص المهجري الذي رواه عرب من كل الأطياف والأعمار يرتفع منسوب الحمى و الحمأة الوطنية حين يردد المغني الشاب "حيو سوريا بالعامية أو تحيا سوريا، بالقومية العربية الفصحى وعلى سبيل التحيات الوطنية الجامعة لسوريا تغلي الاجساد وتشب الى الساحة-على قدم ونصف. المهاجرون الذين في الخارج يحتشدون في هذا المرقص، وليس لنا أن نعرف هويتهم المعارضة أم الموالية، فالإضاءة شحيحة، وهذا ليس من شأن الداهيين الى سهرة ترفيحية.

يتعالى صخب الايقاع العربي العالي المنغمس بدخان الارجيل الكثيف، الممتزج بأصواء خافتة زرقاء وحمراء وخضراء، في المحفل العربي الراقص القابع على أطراف تورنتو، حيث يجتمع الشباب والصبايا لينفضوا عن غربتهم بقايا البرد والعزلة خلال شهر كنيب بارد وعاصف يطبخ بأشجار كندا، بيوتها وشوارعها، ويهل علينا بكل أنواع العواصف الطبيعية، التي ليست طبيعية. لا شيء طبيعي هنا وهناك، في هذا المرقص، في هذا الجليد، في هذا العالم.

تنفعل الأجساد مع صخب الموسيقى والطعام والشراب... فتهرع الى ساحة الرقص، فلا تعرف إن هي متألمة أم أنها منتشية، أم أنها مخدرة تحت مؤثرات شتى.

المغني الذي لمع حذائه جيدا ووضع كمية كثيفة من مثبت الشعر كثيفة تحافظ على خصلات شعره الأمامية شعره مرفوعة كحرف الديك، صار يتقن صنعه في هذا الزمن حين الموت والحرب تحصد أشجار البلاد وأرواح العباد، وتحرق ما تبقى من البيوت، وتفجر ما تبقى من أمل بالخلاص من رجس القتل المحلي والمستورد خصيصا لهذه المرحلة القلقة من تاريخ الشعوب.

يبدأ المغني بالقاء التحيات على الشعب الراقص المتضامن في هذه الساحة مع قضايا الامة. يحيي المغني الأقطار العربية قاطبة- لم اسمها لاتكم تعرفونها عن ظهر قلب. وحين يصل الى القاء التحيات

على سوريا، ينفعل المرقص والراقصون كلهم، تتبارى الأجساء بالهياج ورفع الأكف في الهواء نحو الله ربما، ثم الترنج بخفة على وقع اللحظة، تتلوى ألما، أو شبقا، أو على سبيل الانفعال البريء. لا أحد يمكنه أن يتكهن بما يجري في كنه الأجساد المهاجرة الهاربة من البرد، الغارقة في ليل العالم البارد، اللاجنة إلى المجهول.

السيدات اللواتي يلبسن فساتين لا يصلح طولها سروالا داخليا لجذات من بلادنا، يبدعن في الرقص وجذب الأنظار الجائعة والشرهة. السيدة المتناسقة في حجم أعضائها المكشوفة - تنفعل بشدة تنقز على وقع العبارة "حيو سوريا واهل سوريا وشعب سوريا" ويقفز طرف الثوب الأسود الشفيف الى أعلى، فيظهر ردفها المسبوك النحيف، الأيمن ثم الأيسر وهي تتمايل مع الإيقاع، ويتمايل الشباب المتحلقين في المرقص الشاسع حول طاولات محتشدة بالاراجيل الطويلة العامرة بالجمر. ينفث الشباب الجمر، وينفث آهات وطنية شبقية، وما شابه. يرفع أحدهم يده في الهواء ويصرخ: "كاسك يا وطن..". فيقاطعه آخر من طاول أخرى وفي يده خرطوم الارجيلة ويقول "كس...أختك..." ويبدأ الخناق، فيتدخل (حارس الامن) وبفض العراك بين الجمهور العربي... ويستمر الغناء... تنفعل شابة تلبس ثوبا أحمر قصيرا ملتصقا بفخذيها، وتشده الى الأسفل كلما تذكرت أن ما هناك تقريع ضمير وحشمة، فيتأرجح ثديها الأيمن والأيسر العامر المكشوف بحماسة وجراة، يهتز معانقا الأضواء والدخان وروائح الأجساد المتشابكة على مقربة وسط ساحة معبأة بالحياة. تشد ثوبها الى الأسفل، تشد حمالة الصدر إلى أعلى، ترفع شعرها بدلع مبالغ فيه، تتمايل كأنها سنبله قمح في وجه الريح. تتمايل ، فتصطدم بالرجل الذي يرقص في جوارها ويوشك العراك أن يحتدم ثانية مع كل صدمة مقصودة أو عرضية. لا ننسى أن المرقص دوما بحماية أكثر من خمس رجال حراسة أمن المكان لحفظ السلامة العامة ومراقبة أي تحرش - لا أخلاقي محتمل.

المغنى يرى الانفعال الوجداني الحار والحاد، فيصر على القاء التحية على سوريا مرارا. فيحتاج من في المرقص.

تسترعي انتباهي تلك السيدة التي يصعب عليها أن تتوازن لسبب ما، فلا تتمالك نفسها كأنها مخمورة بوطنيتها، لا أستطيع الجزم بأنها سورية أم لبنانية - فترقع طرف قميصها الأزرق الشفاف إلى أعلى وهي تنظر الى سقف المكان، متناسية صدرها المكشوف للهواء والأضواء ونظرات النساء والرجال إليها، تنظر الى السقف كي تشتكي إلى الله أو ربما تتبهل طلبا للخلاص. خلاص جسدها وجسد البلاد العربية والكندية والعالم. خلاص من هذا الجحيم.

العيون تحمق في الفراغ، تحمق في كعوب الأحذية العالية، في المؤخرات، في الأتداء، في الشفاه التي تشرب دخان الارجيل بشبق ونهم. تصر إحدى السيدات على أن تطلب بيرة خالية من الكحول، وتأكل مقبلات سورية لبنانية مصنوعة بحرفية عالية وحلال.

ترقص السيدات حول الطاولة، ويترنج الرجال حول الطاولة اكراما لسوريا، محبة بمصر، غيرة على السعودية، الاردن، دول الخليج، العراق، اليمن، الأردن، فلسطين وسائر المشرق. لم يشتتني المغني أحدا دولة أو موالاً يشير إلى هذا البلد وذلك. لفت نظري الرقص المتقن الذي يجيده شباب من دول الخليج والسعودية. ويجدر الذكر أن أغلب هؤلاء الشباب، يذهبون إلى السهر دون نساء، ويرقصن في حلقات متناغمة مع اللحن.

"حيو سوريا" فيحيون سوريا وترتفع الأصوات... وتحيا هكذا البلاد في ليلة هوجاء، على إيقاع عربي واجنبي يشارك فيه بعض "المناضلون والمناضلات" في الخارج الذين تعبوا من اللقاءات مع هذا وهناك، وتعبوا من النضال على "الفيبيوك" أو وراء الكواليس في حضرة مسؤول ما، وتعبوا من انتظار لا شيء.

هكذا دوما، ويحتلظ العهر بشبق الوطن، بالوطنية، بالشبق الفردي، بالموت، بالغيرة، بالضياح هنا، كما هناك.

كان هذه الخلطة الرهيبة العجيبة صناعة محلية داخلية شرقية وليست مستوردة ولا مخطط لها سابقا. إنها واقع عيني صادق. إنها بضاعة الأوطان السلبية وردت إليها في ليلة ليالي ليالي تورنتو الكندية الشتوية الكنيية، أو في ليالي موازية متشابهة قد تحدث في امريكا أو باريس الأنيقة المحتشدة بالمهاجرين والمنفيين، أو في ليالي البلاد المهزومة التي ترقص رعبا وعفا منذ ألف عام، ومنذ أن تربعت السلطات الأبدية على رقاب الشعب، وفصلت لهم فساتين بمقاييس وألوان محددة مثيرة ووطنية، بعضه يصر أن يلبس علم بلاده أو يحمله ويرقص فوق الطاولة إلى أن يسقط من عشق البلاد التي لفظته، أو خانها.

بعض الفصائل، لها طلبات محددة، أنواع محددة من الشراب، وطريقة معينة في الاجتماع بين الحريم والمحرمين. بلاد أنجبت هذا الزخم من القسوة القومية والشخصية وتركته يتلاطم في عتمة العالم وكمن يريد التأكيد على أنه يرقص مذبوحا من الألم.

حين انتهت السهرة وسط ضباب الدخان وروائح المتعرقين وعطور النساء الساذجات والماركات العالمية الفخمة، بدأ الجميع بارتداء ثيابهم الشتوية السمكية استعدادا للتشر كل باتجاه بيته. هناك من يصير على قيادة السيارة بنفسه ورأسه ممتلى بالمفرقات الكحولية والنشوة الجامحة.

عند الباب الخارجي وفي درجة حرارة تتجاوز ناقص 30 تجد بعض الشباب والنساء يدخلون أمام الباب، ويتحدثون في السياسة بصوت صاخب وعنيف. أحدهم احتدم غضبا وهو يسمع رأيا يخالفه حول ثورات الربيع العربي والشتاءات المتعاقبة، فمسك العربي الآخر من ياقة قميصه وقذفه برشقة من الألفاظ البذيئة وانصرف وهو يبصق على الأرض ويقول "ابن الشر..ط.....وفوق ذلك خان أيضا"!

كان حارس المكان الأقرب إلى المكان غائبا في الزاوية يقبل إحدى الفتيات وعلى وجهه ابتسامة حمقاء. وكان وجه البنت مهذلاً وحزينا كعلم البلاد المخلوع في أكثر من مكان. ذهبْتُ إلى هناك تلك المرة فقط لأنني كنت في اشتياق للأجواء السورية والحفلات الشرقية والأكل اللذيذ الذي افتقدته بعد أن كانت حياتي في سوريا عامرة بالشهرات مع الأهل والأصدقاء وكان يتخللها العزف والرقص والحوار والمحبة وأشياء أخرى. وبالطبع هناك حفلات وسهرات تقام على مدار العام في مطاعم عربية فاخرة ويكون لها طابع عائلي لطيف يسمح للجميع بالاستمتاع والترفيه عن النفس بعد أيام من العمل الطويل والمرهق. وفي تلك السهرات يحضر عرب من كل الأديان وتتنوع الألبسة بين سيدات يلبسن بطريقة محفظة وأخريات معتدلات وبعضهن مبالغات في العري والماكياج. المساحة الشخصية وخيارات لا تضر بأحد ما دام هناك حدود لكل فرد.

كانون الثاني 2013 ، تورنتو



الكتابة من حضن الأمومة شعراً وسرديات

نقلة مهمة قامت بها رنا التونسي حين وسعت في هذه المبادرة الى تحريك رقعة الكتابة الأنثوية الأمومية الراكدة. طلبت منا كلمات تجارب تخص شؤون الأم الكاتبة وعلاقتها مع الأولاد والأم والأب وطريقة انتمائها الى نصها ومجتمعها أو مدى انسلاخها عن الخط العام.

شاركت في "ديوان الأمومة" ١٦ كاتبة عربية يقمن داخل الوطن العربي وخارجه. وهن: مرام المصري، هدى حسين، سمر دياب منال الشيخ، رنيم ضاهر، سميرة البوزيدي، مايا أبو الحيات، ورجاء غانم، عزة حسين، هدى عمران، مروة أبو ضيف، سهلا السباعي، سارة عابدين، سهى زكي، أميمة عبد الشافي، كاتبة هذه السطور جاكلين سلام ورننا التونسي محررة كتاب "ديوان الأمومة" حيث يجتمع فيه نسق من العلاقات المتباينة والمتقاطعة من سيرة المرأة العربية الكاتبة في هذه الحقبة المعاصرة والجيل الجديد.

الكتابة والعمل في المهجر الكندي

أذكر أنني تأخرت كالعادة في إيصال الشهادة في وقت قصير كما طلبت صديقتي الشاعرة المصرية رنا التونسي. كانت فترة عمل عسيرة وشائكة روحياً ونفسياً وعملياً بالنسبة لي. كنت اشتغل حينها مترجمة للسوريين القادمين كلاجئين الى كندا للاستقرار وذلك في نهايات عام ٢٠١٥ وبداية ٢٠١٦. كنت أعمل ساعات طويلة في مطار تورنتو الدولي وأتعرف على وجوه اللاجئين واللاجئات السوريين القادمين من مخيمات وبيوت مهجورة مهدمة. تجربة مدهشة وعميقة. كنت أشعر بالذهول وأنا أرى أمهات صغيرات جدا في السن ولديهن عدد كبير من الأطفال الصغار. كنت أصاب بالصدمة والحزن

وأنا أشهد أن بعض الأمهات الشابات لا يعرفن حتى كتابة اسمهن باللغة العربية فكيف بالانكليزية. نساء خرجن من القرية، من الحقل، من الخيمة و العتمة إلى كندا. وكان هناك بالطبع نساء يحملن الشهادات العملية

والأدبية العالية. كن يحملن حقائب وذاكرة وغبار البلد، سوريا. ولا شك يخفين ركاما من الخوف والعنف والصدمات والذهول.

كان عملي مرهقا نفسيا وذهنيا. مع ذلك أقتطعت الوقت من ساعات العمل والبيت في بداية عام ٢٠١٦ لأكتب عن علاقتي بالأمومة ابداعيا وعلاقتي بالأهل والبيت السوري الأول، وعن عشقي وعن ابني الوحيد-سلام وعن علاقتي بالبيت الكندي.

الانتماء للشعر والحلم

حين عشقتُ الرجل الذي تزوجته وكنت طالبة في كلية الهندسة الكهربائية في جامعة حلب، كتبت في دفتر المذكرات الذي أهداه لي رسالة فيها رغبة حارة في أن أصبح أما لطقلين، نسمي الأول سلام، تشبنا بحلمنا في السلام، والطفلة سيكون اسمها مايا. لم أكن أكتب للنشر في حينها. لم يبق من كل مذكراتي شيء إلا قصاصات صغيرة وأحترق الباقي واندثر. كنت قارئة نهمة قبل أن أكون كاتبة أو أصبح أما. تذيل الأوراق ولا يبقى من فصول الروح والجسد إلا العشق الأمومي الذي يحتضن العالم ومن هنا كانت كتاباتي عن "المحبرة" كما لو أنها الحاضنة الأمومية التي تحتوي العالم بأسره، وتعرف كل متناقضاته وتسميها مواربة مرة وبجراً مرة أخرى.

حين تزوجت وأنجبت طفلي الأول بعد عدة سنوات من التأجيل المتعمد، صار عندي سلام. وكانت تلك اللحظة الخالدة الباقية إلى الأبد في ذهني، صورة ولدي بين يدي، أتأمل وجهه الأبيض الملائكي صباح الأول من أيار ١٩٨٧ في مشفى حمص الوطني في الصباح الباكر. جاء الولد-الحلم، ونامت في حضني القصيدة التي لم أكتبها، القصيدة التي أعجز عن كتابتها، القصيدة التي صارت تمشي على الأرض وتبكي وتحبو وتأكُل وتغضب وتغيب عن البيت وعني. لم أكتب الأمومة حتى الآن رغم وعيي بأن المرأة الكاتبة تأخرت لم تلتفت بعد وبشكل إبداعى لصوت الأمومة وملابساتها.

نحن النساء، ما زلنا نكتب المواضيع التي يتطرق إليها الرجل رغم ادعائنا التحرر من سلطة الرجل ومن إملاءات الثقافة العربية التي تفرض القيود المادية والعنوية على ذهن المرأة المبدعة، والأفراد عموماً. لم أنجب الطفلة التي كنا نحلم بها. كانت الظروف تفرض علينا بعض الأثقال. كنا ما نزال نبحث عن استقرار مادي وظرف انساني جميل نستطيع من خلاله العناية بالأطفال كما يليق بالحلم الشعري العالي. تعثرنا، ولم تكن الظروف مواتية. هجرنا سوريا إلى كندا، بدأنا رحلة الصراع مع كندا، المكان الجديد، قررت ألا أنجب من جديد. صار لي خمس ولادات هي المجموعات الشعرية التي أشعر أنها كتبت بخليط من الروح والدم والنفس خلال الطواف بالعالم داخلاً وخارجاً، شرقاً وغرباً.

جعلت من قصيدتي ابنة وأما وصديقة لي. كانت الكتابة والشعر الملاذ الذي يقيني من أوجاع الغربة

والمنفى. تعرضت علاقتي الزوجية للارتباك والفشل والافتراق. رحل والد ابني والرجل الذي كان حبيبي مصاباً بالسرطان وهو معياً بالأحلام الشابة والأمنيات التي لم تتحقق.

بدأت النشر على نطاق واسع في كندا وباسم جاكليين سلام. سلام اسم ابني الوحيد وليس اسم عائلتي. اسم

الأصل: جاكين حنا. صار انتمائي لاسم الابن الذي أنجبته هو القصيدة والأمومة في تجليات لها أكثر من تفسير ومعنى. وهذا ما أغضب والدي قليلاً ثم تناسينا الموضوع أو انشغلا بالحياة وتفاصيلها اليومية. حين هاجرنا إلى كندا بدأ ابني وأنا تعلم اللغة الانكليزية. اكتسبت أنا لغة جديدة قوية اشتغل بها يوميا وأكسب لقمة عيشي من خلالها كمترجمة فورية وتحريرية. أما سلام فبدأ ينسى الكتابة والقراءة التي تعلمها في سوريا حين كان صغيراً. ما يزال يتكلم العربية بطلاقة لكنه لا يقرأ إلا القليل وبصعوبة. رغم عدم إطلاع على ما أكتب بالعربية إلا أنه فخور دوماً بكوني كاتبة، ويشجعني كثيراً لمجرد معرفته بأن محور زهوي وبهجتي هو الكتابة والشعر. أحيانا أقرأ له بصوتي بعض النصوص فيفرح بها. في عام ٢٠١٣ تم تكريمي في كندا كشخصية أدبية مميزة في حفل الكتابة الإبداعية والشعرية، وكنتُ تواقفة أن يكون ابني الى جوارى في حفل التكريم. بل يخذلني بل كان فخوراً وسعيداً. فيما خذلني أغلب الأصدقاء الذين أعرفهم هنا. على قلتهم ولم يتكلف أحدهم عناء الحضور والمشاركة في فرحي آنذاك. كان الفصل شتاء وعاصفة ثلجية تقطع أوصال المدينة الباردة في ذلك اليوم.

العلاقة بالأسرة والكلمات المكتوبة

أنا امرأة لا تقرأني أمي لأنها لا تقرأ ولا تكتب. لا يقرأني ابني، ولا يقرأني أبي ولا يقرأني الأصدقاء الكنديون، ولا يقرأني الكثيرون من الأصدقاء الذين تركتهم في سوريا. أمي كانت تعتقد أننا نقرأ ونكتب كي نحصل على تعليم جامعي ويتوقف ذلك بالزواج على حساب الزواج وانجاب الأطفال.

حين كنت أتصل هاتفياً بأبي الذي يعيش في سوريا، كان يسألني: متى ستنتهين من الكتابة؟ هو يعتقد أنها مشروع قصير أتسلى به لأجل قصير. ابتسم وأجيبه : هذا مشروع الحياة كلها يا أبي. لولا الكتابة لسقطت في الخيبة ولا تكسرت بألف صورة. كانت الكتابة خلاصاً وأماً وأباً وحضناً ووطناً بديلاً. أصبح لدي الآن خمس مجموعات شعرية غالية على قلبي ومئات المقالات والترجمات، والبحوث وما إليه من ترجمات إلى العربية ووجهات النظر في أمور اجتماعية وثقافية بما ذلك علاقة المرأة والمجتمع وبالإبداع. هذا النتاج الأدبي لا يقرأه الأهل. وهذه الغربة ربما تتيح لي مساحة من الحرية بحيث أكتب ما أريد دون الالتفات إلى رد الفعل الذي قد يصدر عن أي كان. أكتب ولكن الرقيب هو الناشر العربي الذي يعترض على كل كلمة خارجة عن التقاليد والقاعدة العامة التي لا إبداع فيها.

بتصوري أنني كأمرأة ما زلت أسيرة الموروث الاجتماعي ولم أكسر التابوها كما يليق بقصيدة امرأة في القرن ٢١. أرى الحاضر مترمناً وأسود ويضع الاقتعة والحجاب على الكلمات.

لي أمل، في الأيام القادمة وحين أصبح امرأة حرة كما أريد سأكتب قصيدة عن حلمة الثدي، عن ألم الرضاعة الأولى، عن آلام فطام الطفل عن الإرضاع. سأكتب عن آلام العادة الشهرية ومشاكلها، سأكتب عن الجسد الذي عشق وحمل وأنجب وعاش مخاضات الأزمنة كلها. سأكتب ولن يقرأني من أحببت بهذه اللغة أو تلك. سأكتب وأؤمن بأن في هذا العالم توق لأن نذهب بعيداً في اجترار الجمال وكشفه بلغة الأنثى الأولى والتالية. وهذا امتحان

المرأة الشاعرة الراغبة في التجديد.

النساء ينجن الأطفال ويصبحن أمهات بيولوجيات، ويكتبن نصوصاً عاقراً، جذباء الرحم. أمهات يكتبن عن دورة القمر ونجوم الليل ونجوم الظهيرة ويبتعدن أميالاً عن حلمة الثدي المشفقة التي تنزف دماً وهي تصر أن تلقمها لوليدها كي يشبع. يكتبن عن رومنسيات غابرة ويترفعن عن الخوض في إشكاليات التواصل بين الأم والبنت والإبن والأسرة.

الكتابة الإبداعية في حقل الجسد الأنثوي تحتاج إلى شعرية وبعد نوراني، وعمق ورهافة كي تعانق الروح في أعلى تجلياتها دون أن تسقط في الابتذال والارتجال بعيداً عن جوهر المخيلة القصصية والشعرية.

المسافة بين الوالدين والأولاد وبين الشاعرة والنص

لم تتغير علاقتي مع الوالدين والولد بسبب الكتابة. علاقتي حميمة مع أمي وأبي، والمسافات التي تفصل بيننا حرمتنا كلنا من مراقبة التطورات عن كثب. في طفولتي ومراهقتي كنت ابنة خجولة ومطبعة وأعمل على إرضاء الأهل دون مشاكل، وفي نفس الوقت لم أفعل إلا ما أرغب به كاختيار شريك حياتي، والفرع الجامعي الذي أرغب به، ومن ثم كان لي دوماً مساحة حرة لا أسمح لهم باختراقها. كنت أصمت وأفعل ما يروق لي وما زلتُ أفعل ذلك حتى الآن. يؤلمني أننا سنموت جميعاً ونحن عطاشى لمعرفة بعضنا البعض.

أبي رجل قلما يتكلم عن طفولته التي كانت موجهة، إذ عاش يتيم الوالدين. أمي تزوجت وهي صغيرة السن وحملت أعباء أسرة من ٧ أولاد وزوج. لم تقرأ لكنها فنانة في الخياطة والتطريز والمحبة التي تشرق من روجها الطفلة. أمي - تخبأ طفولتها في صدرها وتنام وشعرها الأبيض يحلم بيدي التي تمسحه بحب وحنان.

يد أبي الخشنة الوديع، ما تزال تقطف لي حبات الرمان من حديقة الدار وتخبئها لي في الشتاء. يده التي تقطف العنب والتين وتصنع الزبيب لنا ما تزال خاوية تلوح لي عند الوداع بصمت الأب الجليل الواقف كجبل يكتم في داخله سيرة لم نسمعها منه بعد. أنا وأبي نحب الجلوس في حديقة البيت صباحاً وعند الغيب. أنا أقرأ كتاباً وهو يعزق الحشائش بين مشاتل الورد الذي تزرعه أمي وتزين أعمارنا والأفق بالعبق والعطر. معاً، كنا نقرأ الأفق والحديقة والغيمة وسنابل الحنطة. هم يزرعون قصائد وأنا أقطفها وأعدها في

ماء المحبرة وأعطيتها اسماً، يكمل سيرتهم في روحي.

والدي قصائدتي التي ستكتب يوماً بدون مثالية. علاقتنا بالأهل مشوبة بالمواقع والأسرار وما زلنا نكتم عن بعضنا، الغصات الحقيقية.

الأمومة كتاب الحياة الأولى والمتأالية. الكتاب أمانة الأزلية والمحبرة الحافلة بالأسرار

حين أكتب أنسى أنني أم، وأنسى أمي وأبي. وأنسى أنني ابنة، وأني كنت زوجة. أكتب نسياني وسهوي وبحثي عن نقصاني وذاتي. أكتب ما يعتريني من نقصان ومخاوف أرزح تحتها كأمراة مهاجرة، وحيدة، عنيدة، تحب الحب وتعيش الاغتراب الروحي والوجودي والجغرافي عن جوهر الحب والعلاقات الاجتماعية. أكتب كأمراة غريبة وفي كل سطر تحاول أن تكون صورة أعلى من الواقع وأكثر إشراقاً من المرحلة المرتبكة المعاشة.

الألم والفرح، وجها القصيدة، سكتبهما امرأة اسمها أخرى قادمة من حلمي، وقد يكون اسمها "مايا" أو سناء، أو مهجة. سكتب المرأة الجديدة ما فاتنا نحن من شاعرية وحرية. سيقراً آباء لا نعرفهم تلك القصائد، وسيقرأ الأبناء الجدد سيرة الأمهات والآباء والمنفى والوطن الذي تلتهمه الحروب.

كل النساء أمهات سواء أنجب أطفالاً أو لا. الأمهات لسن قديسات على الدوام. الأمهات الكاتبات لسن دوماً شاعرات متمدنيات. التغير البيولوجي الذي يطرأ على جسد المرأة وروحها في مراحل الحمل والانتجاب والرضاعة وما بعد، لا يقتصر بالنضج دوماً في الفكر والمعاملة الاجتماعية وتبادل الأدوار بين الأمهات والأبناء. هذه الخلية الأسرية ما تزال بحاجة الى بحث جاد ونقد قوي. بعض الأمهات والآباء دكتاتوريات تعيش تحت جلدنا وتفرض قائمة من المحظورات بطريقة مختلفة.

الأمومة احتضان للعالم وضمان لأوجاعه. الأمومة، سلطة وجهل حين تعتقد المرأة أن العالم الذي كان من صلبها، خرج عن إرادتها، ويحاول قتلها لذلك يجب أن تسيطر عليه بعنف مضاد. الأمومة، شجرة تعطي الظل والثمر والجمال وتقف هناك في أعلى الجبل، وتموت وحيدة إن لم يمر بها الآخر ليستريح، ليراه، ليرعاها بشغاف القلب. الأمومة كتاب الحياة الأولى والتالية. الكتاب أمنا الأولى والباقية حين نرحل ويبقى الحبر والأثر.

عن الحب وقصيدة النشر. القراءات الأولى والكتابة

المخيلة رحم القصيدة ولا قرار لها. سيرة الشعر كما الحب من أعمال الروح لا تخضع لثوابت ومقاييس. الحديث عن خياراتي في الكتابة ملتبس ويتقاطع مع خياراتي في الحب والتي لا تفسر بدقة وموضوعية إلا

بالقدر الذي أحاول شخصياً أن أحدد المنطلقات والتأويلات. كيف وقعت في شبك و غرام القصيدة وذهبت إليها برغبة وشغف؟ فلاش باك: أبي فلاح نشيط، أمي خياطة فنانة لا علاقة لي بأجواء المثقفين، لا أصدقاء يتحدثون عن الكتابة وعن الكتب بشكل عام، فما الذي جعلني أقرأ طلاس السريالية وفلسفتها وأشخط بقلم الرصاص تحت الكلمات والسطور وكأنني أبحث عن ثروة، عن كنز مفقود؟

الوقوف على شبك الذاكرة اليوم يأخذني إلى بيتنا في المالكية لاستعيد بعض الصور وأنا في مرحلة الدراسة الثانوية. أجدني ذاهبة إلى أول معرض كتاب أحضره في صالة المركز الثقافي وأشتري بعض الكتب. الكتاب الأول وهو الآن على طاولتي بعنوان "بيانات السورالية/ أندريه بروتون/ ترجمة صلاح برمدا/ السعر ٣٥٠ قرش. سوري). الكتاب الثاني بعنوان "فلسفة السريالية" والكتاب الثالث عن الآثار والتاريخ بعنوان "إبيل منعطف التاريخ" فأني حكمة في هذا الخيار وهل كان مفتاحاً لدخول المتاهة وعوالم قصيدة النشر؟ لم ينقطع عشقي للكتابات الأثرية والآثار وأساطير الشعوب، لم تأخذ كلماتي قالباً محدوداً ومجرباً كوصفة جاهزة لاختبارات الروح والذهن والمخيلة التي لا ترتحن لمقياس.

بعدها كانت المرحلة الجامعية والانتقال للدراسة في مدينة حلب، كلية الهندسة الكهربائية، بداية الثمانينات، وهناك

كان الحراك الثقافي طبيعياً وسط الطلبة من جميع الجهات والانتماءات والتوجهات الفكرية والفلسفية والأدبية. وكان البحث والعطش إلى المعرفة معرفة الذات والمجتمع. وكان الحب. كان العشق إلى جانب الخصام والجدل الذي لا ينتهي حول فلسفة المادية التاريخية، فلسفة السريالية، الفن لأجل الفن، الفن لأجل الشعب. وهذه حالة لمسها أي مثقف (ة) سوري في تلك المرحلة. كان هناك رفض للشكل الجديد من الكتابة المسماة قصيدة النثر، رفض لمدارس الفن والرسم الحديثة، رفض للحداثة والكتابة خارج إطار الواقعية الاشتراكية.

كنت أستمتع بقراءة الشعر النثر والسرد وراويع الأدب العالمي المترجم. هذا وأنا في طور البحث والإطلاع والكتابة بصمت في دفاتري الخاصة التي لم يطلع عليها إلا أقرب الصديقات والأصدقاء— أنا أيضاً لم أكن أعرف ماهية ما أكتبه. اليوم أقرأ وأكتب عن الأدب الكندي وقصائد الهنود الحمر— سكان كندا الأوائل، ونصوص الأفارقة في كندا وأمريكا. وهذا عالم خصب يجدد علاقتي بالكتابة والقراءة.

كانت قصيدة النثر الخيار الأول، وهي حالة تشبع روح تلك الفتاة التي بدأت تمارس حرياتها الصغيرة وخياراتها في الحياة. كان ذلك مترافقاً مع تغيرات مرافقة في وسائل العمل والأليات. انتقل الفلاحون من مرحلة الحصاد بالمنجل، إلى استخدام الآلة الحاصدة. حل التلفزيون الملون محل التلفزيون الأبيض والأسود. كان الجينز الضيق موضحة وخياراً، وكنت سعيدة أن أقص شعري قصيراً وأتمرد على تلك الضفيرة الطويلة، رغم أن أبي لم يعجبه قص الشعر. أعتقد أن أُمي لم تقص شعرها طوال عمرها، بل كانت تضفره وتجمعه مثل "الكعكة" وتثبت به بالدبابيس إلى الخلف. وفي ذلك الوقت كنت قد بدأت أنزع الأقراط الذهبية

التي وضعوها في أُنفي منذ الولادة، رغم أنها كانت ناعمة وحلوة، مصممة على شكل وردة وفي داخلها فص أزرق. كم أتمنى لو أنني احتفظت بها.

ما علاقة هذا بخيارات قصيدة النثر أو التفعيلة أو الموزون؟

بالنسبة لي الصلة قائمة في العمق.

أشتغل في قصيدتي على امتداد خريطة محاورها الحب والجمال والإنسان، وقصيدة النثر لا تبخل على عشاقها بهذه الروح والأريحية.

قصيدة النثر والحب شريكان لي في هذا الوجود وبهما أكمل نقصاني، وأزيج قناعاً عن نواقصي، وبهما أتجمل وأتزين للحياة القادمة، للفرح المستتر خلف خيوط النصوص المحبوبة بكل ألوان النهار والليل.

الشعر حاضنة الخلق. الحلم رفيق الشعراء وهم في طريقهم إلى الهاوية

أريد للشعر أن يصبح مكنسة. أريد للشعر أن يكون الرنة التي توفر لنا الأكسجين حين يتلوث العالم. أريد للشعر أن يصبح السلم الذي يصلني إلى ذاتي، ويصلني إليك. بالشعر أصعد فوق عثراتي.

لا يمكن للإنسان أن يعيش بدون مكنسة تزيل الغبار وتؤمن له حيزاً نظيفاً. لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن التنفس وعن الصعود والنزول والذهاب إلى الأمكنة السرية والعامّة. جوهر الشعر والحاجة إليه مرتبطة بوجود الإنسان، بغض النظر عن كل أشكال السطوة والهيمنة والإبتزاز. البشرية منذ البدء في مازق ما بين الجمالي والجوهري والاستهلاكي. الشعر منذ البدء، هو وجهنا الذي نحاول أن نرسمه، أن ننصر له، أن نتمرد عليه.

أحياناً نسطو عليه بأنفسنا، أحياناً نترك له أن يهيمن علينا، وفي كل الأحيان يدرك الشاعر بأنه في لحظة كتابة الشعر وبعد الكتابة، ليس هو الكائن الذي كان قبلها. فلا خوف على الشعر إلا من الإنسان الذي يفقد صفاته الإنسانية ويأخذه عشق السلاح والقتل المجاني. لا خوف على الشعر من الفنون الأخرى، سواء أكانت سرداً أو صورة أو فوغرافية. إنها فنون ترفد نهر الاحتياجات الروحية وتمنح العالم مذاقاً لا يعرفه إلا من نهل من هذا المعين. لكل فن من هذه الفنون، نكهته وجمهوره، أدواته وأساليب تعبيره.

نحن بحاجة الى قارئ الشعر المفتون بالسحر الكامن والمعلن. النص يتيم دون قارنه النذ. لا بأس أن نحلم بالقراء الجدد. الحلم رفيق الشعراء حتى وإن كانوا في طريقهم إلى الهاوية أو السماء السابعة. الشعر تمرين على التنفس من رنة الكون حين يشخّ الأكسجين. وقد تكمن ضرورته في أنه السلم الذي أصنعه بالكلمات لأصل إلى قلب المجهول، قلبك أيها القارئ. وربما رحلة خارج الذات والزمان والمكان، متجاوزة الحالة الفردية الشخصية إلى نقيضها. يلقي بالشعر أن يصبح جبهتي المتبقية لصنع الجمال والحب في عالم تكثر فيه مبيدات الإنسان. أو لا أدري لماذا الشعر، لعله كذبة لطيفة أعيشها وأبحث عن عشاقها. وجدنتي أكتب الشعر كي أبقى قريبة من حلمي الذي يضيع ويهيم في خراب هذا العالم. القصيدة صديقة

النقصان، والدليل إلى ما يغني وما يفيض عن حلمي الباذخ. أريد للقصيدة أن تهمس في قلب القارئ بعضاً من أسراري التي لم أكتبها حرفياً على الورقة البيضاء أو في قلب الملف الإلكتروني. للقصيدة عناقها الموجع الرهيف والمخادع، فافتح لها باب روحك عزيزي القارئ لأنها بك تستعيد الحياة وتتجدد. أريد للشعر أن يصبح مكنسة أيضاً.

نبحر بكلماتنا لنقيم للأيام عيداً باسم الشعر. نغمس في دروب الحياة التي تستحق الجميل الباهر، وأحياناً نصاب بالعمى ونتعثر في الطريق إلى الشعر.

المحبرة أنثى والكلام ناقص

ما تكتبه النساء من خصوصية يكمن فقط في الإضافات المختلفة التي يطرحها النص كونه يعكس طريقة الكاتبة (المرأة) في النظر الى ذاتها والعالم، بعد أن تعودنا أن نتلقى ما يكتبه الرجل أغلب الأحيان عن ذاته والعالم والمرأة.

لم يعد ممكناً سحب البساط من تحت أقدام الشاعرة، إذ أسست موطئ قدم والوقت كفيل بأن ترصع كانناتها. قصائدها لتزين عنق الوجود بما يليق به. ورغم هذا التقدم النسبي الذي نشهده إلا أننا ما زلنا بحاجة إلى انتفاضة نسوية أدبية لتعيد إلى عشتار صوتها وصورتها الخلاقة.

فعل الخلق الشعري يستدعي أقصى الاشتباك مع الذات ومع الواقع بكل تفاصيله، قبيحه وجميله، بؤسه وأبيضه ، وكلما امتلكتنا حيزاً أوسع من القدرة على النظر والتعبير وبلا طائفة واسعة من المحظورات غدت القصيدة كياناً أنضج، ليس هو الواقع وليس منفصلاً عنه.

وكذلك الذات الفردية ليست الا جزء من ذاكرة جمعية كونية، وما الفرد في النهاية الا حجراً صغيراً أو وردة في

عروة هذا الكون، وكذا القصيدة.

هذا نحن ومجتمع يسوده النظام الأبوي، كان وما يزال يلعب الدور الكبير في تهيمش وحجر النساء بعيدا عن النشاط الفاعل وعن الكتابة تحديداً لأنها تستدعي أقصى الانطلاق والاشتباك مع الذات والعالم ومفاهيمه، وفي المقابل نجدنا ازاء شرعية وراثية لامتلاك المرأة وملكاتهما، ما بين الأب والأخ والى الزوج وقد يصار ذلك الى الولد ايضا.

لعل التجربة العيانية وشواهد من حياتنا اليومية تضعنا بلا شك امام العثرات في مجتمعنا . اذكر عندما كنت صغيرة كانت أمي دوما تردد علينا " ادرسوا، عليكم بالتحصيل العلمي العالي، انها نعمة لا تدركون قيمتها الآن ، والله لو كان جدكم(رحمه الله) سمح لي بالتعلم لأصبحت كاتبة!

ضحكت مرة وقلت لها : أمي وماذا كنت ستكتبين ؟ تابعت أنشغالها بحياسة شالات صوفية لنا ومطرزات فنية تزين اركان البيت.

الإبداع والقيود

فعل الخلق الشعري يتطلب من المبدعة التعري من القيود والرقابات بفعلها اللانساني لتتمكن من ملامسة هواجسها وجسدها وروحها وخيالها وايداع ذلك كله على بياض الورق وفي مواجهة العالم لتنجب قصيدة جديدة.

للاسف نكتب احيانا ونحن نخاف ان نخدش الحياء، ان نخدش الخراب، ان نخدش القبيلة، ان نخدش السلطان او حفيده، ان نخدش الزوج او الاب او الصديق، ان نخدش الورق، ان نخدش الدين، فنظفر بكم مرعب من النذب المتقرحة والمستورة بعناية او ارتباك في جسد القصيدة او في قعر الروح.

طقوس القصيدة والمرأة الغائبة

كيف ومتى أكتبها-ابنتي القصيدة؟

في الطريق إلى القصيدة يختلط الحاضر، بالماضي والمستقبل.

قبل أن تصل-الكاتبة- إلى عتبة المحبرة لتعمد قصيدة أخرى وتعطها اسماً وتاريخاً وجغرافية، أراها تستسلم لنداء جهول. تستقل القطار ولا تدري إلى أين، تقرأ القصائد المعلقة على وجوه المسافرين، تسترق النظر إلى سحناتهم وما وراء النظارات. تدخل في ذاكرتها، تنبشها، تكتب على الهواء، تبتسم أحياناً وتغص أحياناً. في تلك اللحظات الخاطفة تجمع مؤنتها الشعرية، حين يدها في جيبها وروحها في كل مكان تكتب يصمت ومضة ولا تكتب شيئاً قبل أن تكتب الومضة الأولى للقصيدة، تراها في حديقة مجاورة تمشي بلا دليل ولا غاية. تترك الجمال الباذخ في تلك الشعاب وتنزوي لتسامر تلك الشجرة العتيقة الضخمة المقطوعة وجذعها المتشطي. تجلس بين الأخشاب- بقايا الشجرة، تلتقط للمشهد صوراً فوتوغرافية، وتطلب من الرجل العابر وصديقه أن يلتقط لها الصورة. تسألها المرأة "لماذا تأخذين صورة هنا تحديداً؟"

تجيب: لدي مشروع عن الأشجار الكندية يتبادلون الابتسامات والأمانى، ينصرفون

تنصت إلى ألحان الطيور على الشجرة المقطوعة، والطيور على ربيع الشجرة المجاورة. تحاول أن تقع على الفاصل الشعري ما بين الحالتين والأغيتين. ما بين الغربة والجذور والاجتاث والغناء الذي يتواصل. تكتب الومضة بذهول صامت. تعود وفي حقيبتها أجزاء من لحاء تلك الشجرة ومحمولات أخرى يراها الآخرون فيضحكون في سرهم.

القصيدة الواحدة تتسع لغاية.

قبل أن تصل إلى تلك اللحظة - الومضة، تجمع في دفترها أقوال المجانين. كلمات السكارى، صور العشاق في المقهى، في الشارع العام وعلى شاطئ البحر.

تشاهد ما يحدث في نشرات الأخبار والصحيفة. كثيراً ما تأخذ الأحداث عن الكتاب الذي تقرأه. الحدوث الذهني الأول ومضة تحدث في الرأس بصمت. تحدث في الواقع وتحدث في المخيلة- البئر التي قلما تتذكر ماسبق ووضعت فيه من صور واعترافات.

تخربش، تتأمل غدا في غيابهم، وحضورهم. لكل حالة برقها وذاكرتها، سقوطها، انتصارها وكومة أسرار مقطوعة.

الشعر يرميها في أقصى العتمة وخلف موائد اللذة والألم والنور، ثم يمضي.

في تلك اللحظة، يختلط كل ما سبق ويتحول الشريط الذهني إلى أبجدية قد تضحك، قد ترتعش من البرد، من العشق من الخوف. ترتعش في عزلة الشعر. تتحول بجسدها وحسها وروحها، لتصبح الحديقة والقطار والمسافرين والأعشاب البرية، الضارة والنافعة وتصبح الحب والمكان والأزمة.

الفاعل مجهول اسمه الشعر ينهر قيلولتها، يوقظها من سريرها ويحلم بها. فتكتب شذرة وتعجز عن لملمة ما تبقى. يأخذها من كتابها المدرسي، يخطفها، يتسلط ويملي ويتلو كيمياء الحياة بمقادير أخرى، يسمونها في الشعر الحديث "ومضة". الجسد يشهد هذه التحولات. الومضة لحظة انعقاد الجسد ليصير كلمات يعدها الحبر.

يتبلور زخم الوعي المخزون ليقف على عتبة اللاوعي ويكتب السطر الأول والتالي. ما بعد الومضة، الفاعل المجهول يصبح أليفاً حنوناً طيباً، يقبل المساومة والتغيير والتنقيح. تتبدل مواقع السلطة حتى التلاشي والإنصهار الأليف. يعتدل مزاج الكلمة وتخفت عاصفتها وجموحها وتأخذ الزمان والمكان المقرر في النص الشعري. إنها مرحلة العزق والتشذيب. وقد تكتفي بعزلتها لفترة قبل أن تذهب إلى القارئ في دائرة أوسع ويعاد تشكيلها كومضة جديدة في دائرة المجهول.

الومضة، امتداد وانسياب لا ينفصل عن اللحظة التي يقرأني فيها وجه مجهول ويعيد تشكيل الحالة بينه وبين الكلمات، فيختار أن يسامرنى في ظلال الكلمات أو يغادر على عجل.

أيها الشعر، كم وهبتك من نفسي!

في هذه اللحظة من الليل حيث العاصفة الثلجية تقطع شوارع تورنتو، والبرد يحتل الفضاء، أكتب لوحدي ولا من أم ولا أب ولا أخ ولا رجل ولا ابن ولا ابنة في جوازي في المدينة هذا الفصل في كندا بأسرها. لا أحد لي. وأقول أنني لست وحيدة ولست حزينة. ولا أدري ما الذي كان سيكون عليه مصيري لو لم يكن هناك هاجس التحليق في

نص جديد إلى هناك، إلى قلب القارئة المجهولة التي هي ابنتي وأمي وأختي. الشعر بساط الريح حيث يعانق قلبي وجه القارئ الغريب البعيد.

شهادة كتبتها حين دعيت للمشاركة في كتابة شهادة عن تجربتي مع الكتابة كامرأة وأمّ من قبل الشاعرة المصرية رنا التونسي التي أشرفت على تحرير كتاب حول هذا الموضوع. صدر الكتاب بعنوان "ديوان الأمومة" عن دار "ميريت" في مصر صيف ٢٠١٦.



تأملات في مترو تورنتو... الكلاب وأنا

يشكل المترو (القطار عبر الانفاق وفوقها) عصب التنقلات في مدينة تورنتو الكندية التي تعد واحدة من أكبر مدن العالم. شخصياً أستخدم المترو للذهاب إلى العمل. أحياناً أقرأ الكتاب الذي في يدي، وأحياناً أقرأ وجوه العابرين. أحياناً أكتب الشخصيات والمواقف في دفتر الملاحظات. هنا بعض أحوال مترو المدينة التي يعيش فيها خليط بشري متنوع من كل الألوان والأجناس.

خرجتُ مرة في الصباح الباكر وكنت على موعد للذهاب للترجمة الفورية لوزراء كنديين سيتحدثون عن تجربة استقدام اللاجئين السوريين إلى كندا. لبست ثيابي الرسمية وفي منتصف الطريق إلى مكان انعقاد المؤتمر، توقف المترو لعطلٍ ما. اختنقتُ. لم أستطع الخروج من النفق. حين تدبرنا طريقاً للخروج، استقلت سيارة أجرة، كانت عشرات الرسائل الصوتية قد وصلتني من مكتب العمل يسألون عن تأخر الترجمة. حين وصلت إلى المكان، دقناق فقط أمامي كي أرتب شعري وأشرب الماء، ثم قُدمتُ إلى الوزيرة والشخصيات التي ستلقي خطاباً سأقوم بترجمته مباشرة في حضور عدد كبير من القنوات التلفزيونية الكندية. أثناء إلقاء الخطابات عن دور كندا الإنساني حيال مساعدة اللاجئين وتقديم فرص العمل لهم، كنتُ أقول في نفسي: أنا سورية- كندية ومن الممكن أن أتضرر لو توقف المترو في ساعة حرجة. المترو واللغة وسيلتان للوصول إلى مكان والعبور إلى الطرف الآخر.

*

الكلاب أيضاً تستقلّ مترو تورنتو: حين تكون برفقة كلب وتستقلّ عربة في المترو، ستحظى بكل الاهتمام من الركاب. إنهم يداعبون الكلاب ويتحدثون مع مالكيها بود شديد. ذات مرة كانت سيدة بجواري تحمل في حضنها كلباً صغيراً وسيماً. الشاب في الكرسي المقابل، صار يداعب الكلب ويقول للسيدة: «الكلبك شخصية مميزة، أعجبني كلبك» نظرتُ إلى الكلب بعين فاحصة وفي داخلي مشاعر متناقضة. مرات كثيرة أرى امرأة تجلس في

مقعد في المترو، تبكي ولا أحد يلتفت إليها.

في ساعات الازدحام الشديد، أركض بين الجموع كي أصل إلى المترو وكلي أمل أن أجد مقعداً. حين أصاب بالخيبة أبدأ بتصفح عناوين الكتب التي يقرأها العابرون إلى قلب المدينة. وأسترق النظر إلى وجوه الأشخاص. بعضهم ينام وبعضهم يأكل. أقرأ الوجوه ككتاب وأدوّن الملحوظات أحياناً. العالم محصور في عربة أمامي، أتمنى لو أكتب المفارقات والصور. ينام الشحاذون في المترو أحياناً. يصحبون معهم أكياساً كبيرة تفوح منها رائحة عفنة. رائحتهم أيضاً تنتشر في المقطورة. أحياناً أغير مكاني كي أبعد من مصدر الرائحة.

*

في المناطق المكشوفة في المترو يتناهى إلى سمعي المحادثات التليفونية الخاصة. أسرار تصلك بالعربية والإنجليزية. أبتسم وأنا أستمع إلى امرأة عربية تشتكي من زوجها، أو العكس. يحدث أن أنغمس في قراءة رواية وأجتاز المحطة التي سأنزل فيها، حينها ألعن الكاتب وأبدأ بتأليف كذبة مناسبة عن سبب تأخري عن العمل.

نشر في مجلة الفیصل السعودية ٢٠١٧

ج

مشروع دراسة دماغ الإنسان وأمراض الزهايمر والخرف

حسب الإحصائيات المتقدمة نوعاً ما، يوجد حوالي 5 مليون شخص في العالم يعاني من أمراض ضعف الذاكرة والدماغ بما فيه الخرف أو العته. وبالتأكيد هناك الملايين التي لم تشخص حالها ولكنها تعرف انها تعاني بدرجة او اخرى من مشاكل الذاكرة والنسيان. الشرق الأوسط يتكتم على مشاكل نفسية كثيرة وهناك نوع من العيب والعار فيما يخص حال الاسر التي بين أفرادها مشاكل عقلية ونفسية. في 31 اب(اوغست) 2018 تم اختتام عرض مشروع مجسمات فنية تعطس صورة الدماغ وتتناول ما يخص الدماغ وأمراضه، كخلل الذاكرة، النسيان، الزهايمر، وكل ما يقع على هذا الخط البياني الذي يعاني منه بشكل خاص المتقدمون في العمر. هذا المشروع يشير الى ان التقدم في العمر وفي أحوال صحية غير سليمة نفسياً وجسدياً قد تؤدي الى اختلال او تراجع في وظائف الدماغ وفعاليته اليومية العادية. والبحث ما يزال جار في هذا الحقل لان اعتلال الذاكرة. طبيعة عمل الدماغ ما تزال حقلاً يتطلب المزيد من البحث العلمي الجاد والمكلف مادياً. كان المشروع معروضاً في ساحة بلدية تورنتو، وكنت أذهب هناك بعد أن أنهى عملي في الترجمة في أحد المكاتب التابعة للهجرة واللجوء. هذا المشروع الذي بدأ عرضة على التوالي منذ ثلاث سنوات في مدينة تورنتو الكندية، يعرض هذا المجسمات في مواقع عامة وسط المدينة للفت انتباه الناس الى هذا المرض. المجسمات الملونة تلفت انتباه المارة. وهناك روابط لجمع تبرعات لمتابعة الكشف عن خفايا هذه الامراض التي كالسرطان ليس له علاج ناجع وكذلك الزهايمر وأمراض الاختلال العقلي وفقدان الذاكرة القصيرة المدى او الطويلة المدى.

أسباب عدة تدخل في إطار اعتلال الذاكرة والدماغ ومنها: الصدمات والخوف. الصدمات

الاجتماعية، الحروب، فقدان عزيز، فقدان كل شيء، فقدان كل ركانز الاستقرار، الكرامة والاحتياجات الانسانية الاولى التي يوجهها الفرد سواء بسبب الحروب أو اللجوء الانساني او السياسي، او بسبب اللاعدالة الاجتماعية والقانونية، والعنف المنزلية، وما اليه من مجاهيل لا نعرفها..

الإحباط و الاكتئاب والأمراض النفسية: أسباب هامة في اعتلال الذاكرة. إضافة إلى ذلك، أمراض القلب كارتفاع معدل الكوليسترول والضغط العالي للدم وصدمة القلب والدماغ التي تسبب شح الاكسجين في الدماغ. فكلما تضيق الشرايين، قل الاكسجين، وحين يقل الاكسجين يفقد الدماغ بعض الخلايا التي تموت او تتخرب. وبناء عليه تقل مقدرة العقل على المحاكمة العقلية السليمة.

الترجمة في حالات المرض النفسي والاختلال العقلي:

الأمثلة عديدة ومؤلمة أغلب الأحيان. مرة كنت أعمل مع أسرة مهاجرة وكان لديهم أطفال معاقون عقليا، وحصل ان قام الولد بضربي بحبل بلاستيكي على وجهي فيما أنا واقفة أترجم لوالدته ولموظفة رعاية وحماية الأطفال. تركت الصدمة والضربة أثارا حمراء على وجهي لمدة يومين. اتصلت بشركة الترجمة وأخبرتهم عن عدم رغبتني للذهاب هناك ثانية.

*

كنت أعمل مرة في الترجمة مع رجل عجوز في احدى مشافي تورنتو. الابنة وزوجها كانوا مع الوالد العجوز الذي فقد الكثير من معرفته وحكمته ووقاره، وهو ينسى أخذ الادوية او يرفض الدواء والأكل ويطلب الخروج من المشفى والعودة إلى بيته الأول-في الشرق.

رغم ان الابنة تجيد الانكليزية الا ان المشفى طلب مترجمة محلفة وحيادية كي تنقل رغبات الأب العاجز على ما هي عليه حفاظا على رغبته الشخصية وإرادته وحسب المفردات التي يستخدمها. وهذا من عمل المترجم المحترف تحت القسم والذي يعمل بامانة يحاسب عليها اخلاقيا وقانونيا إن لم يفعل.

حين أرادت الباحثة الاجتماعية ان تسأله بعض الاسئلة لتختبر ذاكرته ومقدرته العقلية، بدأ بمغازلتها ولمس يدها، والتصريح لها: كم هي جميلة وكم هي بيضاء ناصعة!

وكذلك أثنى على عملي كمترجمة وقال " والله يا ست جاكليين، الكل في المشفى يشكرون من خدماتك ... " الابنة تعاملت مع الموضوع بابتسام وخفة والمرضة كانت مرحة وتفهم هذه الحالات. وكانت تلك أول مرة التقى بهذا السيد وأسرته، و آخر مرة.

قالت الابنة: كان أبي محامي كبير في البلاد، ولغته الانكليزية ممتازة، لكنه الآن لا يتذكر الكثير.

حين سألته الممرضة: ماذا ستفعل لو حصل حريق في بيتك وأنت وحدك؟
قال: سأطلب الاطفاء. وحين سألته عن رقم الاطفاء،
كان يتذكر فقط رقم الاطفاء في بلده الأول الذي هجره منذ أكثر من 40 عاماً.

*

كلنا قد نفقد مع التقدم في العمر بعض جمالنا وقوتنا العضلية والعقلية، سنفقد المرونة الجسدية والحكمة، سنفقد مع الوقت كل شيء، أو الكثير ان لم نجد من يرعانا ويحنّ علينا ويقوم بواجبه الديني والانساني اتجاه. سنموت ولن نأخذ معنا أي شيء. وما بين رحلة الحياة في مرحلة العجز ورحلة الوقوف على باب الموت، نحتاج الى الكرامة، الكرم، العطف، التعاطف، المحبة، الحب، الاحترام، والتقدير، سواء أكان الفرد غنياً أو فقيراً، رجلاً أو امرأة.
في البلاد المتقدمة، يوجد دور خاصة للعجزة، وعناية متفاوتة. بعض العائلات تعجز عن خدمة كبار السن، فيرسلوهم إلى دور العناية بكبار السن وهذا مكلف مادياً. ولا معلومات لدي عن توفر مثل هذه الخدمات في بلاد الشرق.

في هذا الصيف كنت في ساحة المدينة أتأمل هذه الادمغة المصنوعة بالألوان والاحجام والمعاني التي تحفز الناس على التفكير في مسألة امراض التقدم في السن والشفقة على كبار السن ومشاكلهم الذهنية. لا بد م خدمات وبحوث متطورة تحفز على إبداع طريقة حياة كريمة وصحية للعاجزين والعاجزات في كل مراحل الحياة. كان حجم الأدفعة المعروضة مصمم بطرق فنية مختلفة وكان هناك مسابقة لانتقاء أجمل تصميم وذلك لجمع تبرعات للمرضى وللأبحاث المستقبلية في هذا الحقل الذي يعتبر غامضاً للغاية الآن!

أفكار اليوم: حين أنظر إلى الثروة الهائلة المسخرة من أجل التسلية والصواروخ العابرة للقارات وكل أنواع التطور التكنولوجي الذي يسخر العلم والمال من أجل قتل البشرية، اقول برومانسية، ماذا لو وفروا تلك الثروة للبحث في طرق ناجعة لمعالجة السرطان، والزهايمر والخرف...ورفع معدل خط الفقر في كل البلاد!



استضافتي للحديث عن الكتابة والترجمة من قبل جامعة البصرة العراقية

لغات الدولة الرسمية في كندا ومهنتي:

في كندا يعمل البرلمان الكندي بلغتين رسميين هما الانكليزية والفرنسية منذ عام 1959 وتم ترجمة كل كلمة في جلسات البرلمان. هناك أكثر من 200 لغة عالمية محكية في كندا. وهناك حوالي 60 لغة يتكلمها سكان كندا الاوائل، الهنود الحمر. وهناك ما يزيد عن 7 مليون مواطن كندي مولودين خارج كندا.

هناك وكالات اشتغل معها تقدم ترجمات الخدمة عن بعد ووجهها لوجه بأكثر من 180 لغة عالمية، وعلى مدار 24 ساعة. 7 ايام في الاسبوع.

أعمل لحسابي الشخصي وفي حقول متعددة منها مؤسسات الخدمات الاجتماعية للقادمين الجدد الذين لغتهم لا تسعفهم على التواصل مع الاخر. اشتغل بالتعاقد مع المجلس الكندي للهجرة واللجوء ومع زوارة الهجرة والجنسية الكندية. وكالة حماية الحدود الكندية. المشافي والصحة النفسية. مؤسسات النظام القضائي والمحاكم الصغيرة والعائلية، وقضايا مخالفات المرور والسيافة، القضايا المتعلقة بالدفاع عن النساء المعنفات، ومشاكل الطلاق واقتسام الممتلكات وحضانة الأولاد. بالاضافة الى العمل مع أقسام البوليس والطوارئ بكل أبوابها المفتوحة على المفاجآت والدهشة. كلها تكون في أجواء قلقلة للشاهد ومشحونة نفسيا على الغالب.

لم يسبق أن حضرت للترجمة في مناسبة سعيدة. لعل أسعدها حين تحصل عائلة أو فرد على قرار ايجابي بخصوص اللجوء، أو الحصول على (رتبة عاجز عن العمل) أو حصول امرأة على بيت للسكن بعد الانفصال عن الزوج في حالات العنف المنزلي، أو الترجمة حين اجتماع الاهالي مع

بعد الهجرة من سوريا الى كندا

هاجرت من سوريا الى كندا عام 1997 و أقيم في مدينة تورنتو. كندا بلد التعددية الثقافية واحترام حقوق الإنسان، احترام حرية الدين والاحاد والتوجه الجنسي، هذا يقتضي من المترجمة أن تكون واعية ذلك. الحصول على الجنسية في هذه البلاد يقتضي القسم على أن احترام لائحة حقوق الإنسان بكل بنودها. تورنتو، واحدة من أكبر مدن كندا و من أكثر مدن العالم تنوعاً إثنيا وعرقيا. اللغات المحكية فيها ربما بعدد لغات العالم، وتوفر الحكومة والوكالات والجامعات مترجمين متدربين يجري تأهيلهم على مدار السنة للقيام بهذه المهمة. ويعتبر حق الحصول على (ترجمان) واحدا من حقوق الإنسان المهاجر.

شغفي بالكتابة قادني إلى العمل بالترجمة. ثم وفرت لي الترجمة مادة خصبة للبحث والكتابة والتأمل في أحوال الشعوب والبشر على اختلاف مشاربهم. وإذا أسعفني الوقت سأكتب مدونة- لتكون وثيقة تاريخية وشاهدا على مرحلة مهمة تقع خلف كواليس الأحداث العامة. وأهميتها تأتي من أنها ليست تجربة شخص، بل تجربة شعوب في الشتات. وهذا ما يحرضني عليه بعض الأصدقاء المتابعين للقليل الذي نشرته في هذا المجال سواء على صفحة فيسبوك، أو في بعض المجلات الكندية الانكليزية والعربية.

الأجناس الأدبية والتجربة العلمية والدراسة الجامعية

أكتب الشعر والقصة والمقالات بالعربية. كغريبة أنقل لساني للعمل والكتابة الابداعية والصحفية بين لغتين متناقضتين من حيث الأسلوب والبناء والقواعد. ربع قرن في كندا وما أزال أتعلم وأهذب ملكاتي في الوصول الى قلب اللغة الأم واللغة الثانية. وأحاول أن أكون عنصراً فاعلاً في خدمة الرسالة الإنسانية الجمالية التي اخترتها طوعا وما زلت مقتنعة بجوداها وأهميتها في عالم تعصف به الحروب والكوارث وتقتله العزلة والخوف من المختلف الآخر.

دراستي الجامعية في سوريا كانت في حقل الهندسة الكهربائية. بعد سنوات من اختبار الذات والمجتمع الجديد قررت الاستمرار في حقل الترجمة الفورية بين العربية والانكليزية -حسب الطلب من قبل الهيئات الحكومية والخاصة لتلبية احتياجات القادمين الجدد في مرحلة الاستقرار اليت قد تطول أو تقصر.

بعد سنوات من الخبرة في هذا الحقل، صرت وعاء أسرار وهموم وقصص لا تحصى منها الحزين ومنها المريع ونادرا ما يكون فيها فرح وسرور. صار قلبي اسفنجة لاحتواء أوجاع اللاجئين.

صرت قناة لحمل المعنى بين لغتين. أترجم دوما بضمير المتكلم. مرة أتكلم كشرطي، كضحية، كقاضي، كمجرم، كرجل عنيف، أو طفل عاجز. الترجمة بضمير المتكلم تثقلني بما ليس في ومني. ويتوجب علي ان أتخفظ على مشاعري وانفعلاتي مهما كان قبح الحدث وشجته. في هذا الحقل اختبرت أعماق الآخرين وسيرهم الشخصية، تعرفت على مخاوفهم وكوابيسهم عن قرب. تعرفت بعمق على المجتمع من الداخل. أحيانا أشعر بالحرج من تفاصيل أسرارهم التي لا أتمنى أن أعرفها....

حتى أنني دعيت للترجمة لامرأة في المخاض، ولطبيب الأسنان، أو لاتمام معاملة في البنك أو في السجن. وهناك خاتة في الطب النفسي تدرس وتشخص الأعباء التي تقع على ذهن المترجم حين يتكلم بضمير الأنأ وهو يشغل في هذه الحقول على اختلافها.

الحمد لله/ لم أصب حتى الآن بلوثة -على ما أعتقد- أو بخلل عصبي أو نفسي من جراء الاستماع إلى مصائب العالم العربي في حضيضها. ربما لأنني أفرغ هذه الشحنات المتناقضة والثقيلة أشكال عديدة من الكتابة الابداعية. ولقد أنجزت العدد من المحاضرات عن القضايا الاجتماعية المهجرية الأسرية من خلال قراءاتي بشكل عام ومن خلال اطلاعي على الواقع في أشد حالاته عراء وصدمة وصدقا. وشاركت في جلسات حوار مع طلبة في جامعات كندية حول تجربة الكتابة والعمل وحرية التعبير والرقابة.

المترجمون عمال في الخطوط الأمامية في زمن الوباء

خلال سنوات عملي في القطاعات السابق ذكرها أدركت أهمية أن يتعلم الفرد أكثر من لغة كي تكون اللغة الأخرى بابا لتلقي المعرفة والعلوم ومما تتيحه اللغات الأخرى من معارف، طبية، تكنولوجية، أدبية واجتماعية. وتزداد هذه الأهمية في عالم اليوم حيث التنقل والهجرات واللجوء حدث يومي في حياة الشعوب قاطبة.

ويعتبر العراق بجغرافيته وأثنيتة التاريخية العريقة مركزا للإشعاع المعرفي ولانبثاق اللغات الأولى والترجمات. وما تزال بعض هذه الرقم والمخطوطات القديمة الثمينة محفوظة قيد الدرس والتفكيك والعرض في مكتبات عالمية وعربية تعنى بحفظ الآثار والتراث الانساني.

كما نجد الحاجة الماسة لمعرفة اللغة الأخرى ممثلا في نشرات الأخبار اليومية حول العالم. وكذلك ازدادت الحاجة الى الترجمة الفورية في المحاكم الدولية وفي المؤتمرات الدولية التي تعقد كل يوم في مكان ما من العالم وبلغات الكون. للأسف، أو لحسن الحظ خدمات الترجمان مطلوبة في الحروب كما في أيام السلم، في حالات انتشاء الأوبئة.

ومهما يكن من أمر، فإن الحضارات تغني بالترجمة وتلاقح العلوم والإبداعات. والساحة العربية اليوم

بأمس الحاجة إلى تفعيل هذا الجانب كي يصل الصوت العربي إلى العالم بكل جمالياته وأوجه إنسانيته العميقة، وكي يتم بالتالي قلب الصورة المسبقة السلبية التي تشكلت لدى الآخر على مدى سنوات وقرون، اتجاه العربية والإنسان العربي.

والمترجمون هم الخط الأمامي في تفعيل هذا الالتقاء السلمي بين الشعوب ومن هنا تكمن أيضا ضرورة تناول هذا الموضوع بصيغ عصرية ومبسطة. ونحن المترجمون كنا في خانة عمال (الخطوط الأمامية) والفائدة الوحيدة كانت لنا أولوية أخذ اللقاحات المضادة للفيروس – كوفيد 19. كي نكون مستعدين للخدمة عند الحاجة.

بعض التحديات أمام المترجمة

استطيع القول أن أغلب المترجمين الذي أعرفهم في كندا ومن لغات عالمية هن في الاصل أصحاب شهادات عليا، جامعية، دكتور، ماستر وأحيانا أطباء، وإعلاميون، وأصحاب خبرات في حقول علمية مهمة. قدومهم الى البلد الجديد، لا يفسح لهم الفرص للعمل في الحقول الأكاديمية التي قضوا سنوات من عمرهم في دراستها. فيختارون أي مهنة تساعدكم على العيش. الترجمة قد تكون نافذة مؤقتة، وأحيانا كثيرة يذهب أصحاب الشهادات إلى العمل كسائق سيارة أجرة، أو نقل طلبات من المطاعم إلى البيوت، أو حتى العمل في المقاهي والبارات. أنا شخصا، اشتغلت في السنوات الأولى من هجرتي نادلة في مقهى. كنت أكتب قصائد على صفحات الجريدة التي في يدي. كنت أقرأ حين يغيب الزبائن لدقائق، كنت أبحث في القاموس عن كلمات جديدة. وأحيانا كنت أبكي وأشتكي. مرة قال صاحب العمل للزميلة التي تعمل معي: قولي لصديقتك أن تبتسم للزبائن قليلا، وجهها يشبه وجه من أكل ليمونة. فضحكت صديقتي وهي تخبرني. كان يجب أن أحرر روحي من أثقالها كي تصبح الحياة ممكنة. وما زلت أفعل ذلك. أشتغل في معالجة الشقاء الانساني اللاجئ والمهاجر، ثم أفتح النافذة كي تغرق روحي في تلال الثلج الممتد على مد البصر.

الشعر أيضا يجعل الحياة ممكنة. قبول المختلف واستقبال ما تجود به الحياة علينا من قصص أتاح لي أن أتعلم مع الأيام كيف أصنع خلاصي اليومي الصغير. وأحيانا أجدني شبه عاجزة وخاصة في هذه السنوات القاسية التي كان الوباء سيدها وقاضيتها وحاكمها ولسانها المرير.

في فترة الحجر الصحي، فكرت كثيرا بأحوال قلة من المهاجرين الذين لم يكن ممكنا الترجمة لهم عن قرب، وجهها لوجه. بعضهم لا يجيد استخدام التكنولوجيا بسبب ضعف في اللغتين، العربية والانكليزية. هؤلاء ضحايا الحروب والفقر والجهل، يدفعون ضريبة مضاعفة. للشئات سيرة لا تنتهي.

الترجمة والحيادية واختلاف القيم والمعتقدات

الترجمة ليست فقط إجادة للغتين بل عمل يتطلب تحد للفتاعات والمعتقدات الشخصية الفردية

ماذا يعني أن تكون مترجماً في كندا أو أي دولة غربية، وما هي التحديات التي قد تواجهك وتختبر صدقك في الامتثال للقسم الذي تعيده كلما بدأت جلسة عمل أمام في عيادة نفسية، أو أمام محامي، أو قاضي، أو طبيب العائلة؟ وماذا يعني أن تكون حيادياً أثناء الترجمة؟

مثلاً، وأنت في العمل سيأتي من يشتكي من الاضطهاد الطائفي، وسيتكلم بتفاصيل مريضة قد تكون ضد طائفتك كمترجم، أو ضد دينك كمترجم، أو ضد قناعاتك فيما يخص المثلية الجنسية وحق المثليين في الزواج، أو حق الفرد في تغيير جنسه. ستسمع ما لا يرضي خاطرَكَ وإيمانَكَ ومعتقدَكَ ولكن مهنتَكَ والقسم الذي تعهدت به، يتطلب منك الأمانة في أداء الواجب كلغة وترجمة فقط لا غير. ليست مطلوباً منك أن تحاكم الآخر وفق قناعاتك النفسية والدينية حتى وإن كنت أو ترى في قوله ما يناقض مبادئك الدينية أو تجربتك الشخصية.

في هذه الحالة وإن كنت تجد نفسك ملزماً بقناعات معينة تتعارض مع هذه المهنة عليك أن تكون صادقاً مع نفسك وتختار عملاً آخر بدل أن تعرض نفسك لمخاوف أخلاقية وشرعية أنت بغنى عنها.

منذ أيام كنت أقرأ عن شكوى امرأة تعمل في كندا تشتغل في ميدان الاستشارات الاجتماعية، وبأنها في حيرة من أمرها ولا تستطيع الفصل بين قناعاتها وتوجهها الديني وبين القضايا التي تسمعها وتعالجها كإخصائية اجتماعية. وكانت تبحث عن مخرج توفيقى وهذا غير ممكن.

الترجمان يتعلم الشئام وينطقها

لا غرابة في أننا أحياناً نشعر بالحرج حين يكون لزاماً علينا أن ننطق الشئام البذنية التي يتراسق بها الأفراد في الخلافات الأسرية وحالات الشجار والاعتداءات الجنسية التي قد تحدث في البيوت، أو السجون، أو في شارع عابر. أذكر من جلسات التدريب للحصول على شهادة مترجم: يجب أن نقرأ عدداً هائلاً من الشئام التي يتم تداولها في البلاد العربية الممتدة. وستصاب بالذهول حين تتعرف على قاموس البذاءة العربي-الانكليزي الرهيب. أعتقد أن لا حياء في الترجمة الفورية. الترجمة كالفنون ليست عملاً خاضعاً للحكم الأخلاقي. وهنا أشير إلى مأزق الترجمة الحرفية، إذ يقوم بعض المترجمين العرب على تنظيف النصوص المترجمة من الكلمات البذنية أو المخالفة لقناعاتهم، أو تحويلها والالتفاف عليها.

الأمانة والصدق والحياد، واجب أخلاقي وشرط أساسي في هذه المهنة لأن مصائر الأفراد قد تكون معلقة في جملة أو مفردة.

مواقف محرجة تعرضت إليها أثناء العمل كترجمانة
لا تنظر إلى الترجمانة

في الصيف كما في الشتاء أيضا يرتكب بعض الرجال مخالفات قانونية وعنفا منزليا ضد نساءهم وينتهي بهم الحال للمثول أمام محاكم البوليس والمحكمة. في الحالات التي يعترف فيها الرجل بأنه (مذنب) يعفى من العقوبة والسجن ويشترط عليه الخضوع لدورة تأهيلية مدتها (12) جلسة. مرة في الأسبوع لمدة ساعتين أو أكثر، يحضر فيها الرجال العاقين في جلسة جماعية ليحدثوا علنا أمام زملائهم بما حدث مع المرأة سواء، صديقة أو شريكة حياة.

في هذه الجلسات، أنا المترجمة تتناوبني مشاعر البهجة والأسى، الغيظ والعتب، ومهما كانت مشاعري فأنا أبدو حيادية ومستمعة ويقظة لكل كلمة تقال. أعيد الكلمات التي تقال مترجمة الى اللغة الأخرى، نادرا ما أبتسم.

المأزق في هذه الجلسات الجماعية أن الترجمة يجب أن تكون "همسا" مستمرا بلا انقطاع. في الجلسة الواحدة قد يكون هناك أكثر من رجل مخالف من نفس اللغة، وأحيانا يكون في الصالة عدة مترجمين من لغات مختلفة (رجال ونساء) يتكلمون بلا انقطاع. الأستاذ يلقي المحاضرة، والمترجمة تستمع وتترجم همسا في نفس الوقت. تخيل تهمس ساعتين في أذن رجل غريب يجلس وكرسيه متقدم خطوة عن كرسي المترجمة!

الرجال في الجسات من كل الأعمار والأعراق والطبقات. هناك الأبيض والأسود الذي ولد في هذا البلد ويتكلم الانكليزية، ويحمل شهادات عليا. وهناك المهاجرون من كل دول العالم في هذا المكان لسبب أو لآخر. هذه مقدمة مختصرة عن العقوبات المدنية الطوعية التي يختار الفرد (المخالف) اتباعها كي يصبح مؤهلا للعودة إلى بيته وزوجته وربما أولاده أو صديقته(غيرل فند) ، إذا أراد ذلك في النهاية . إذا تأخر الفرد دقيقة عن الموعد، يكون الباب مقفلا ويمنع الفرد من الدخول، وهذا ينطبق حتى على المترجمين الذين يطلب حضورهم. (سبق أن حرمت من الدخول بسبب التأخر عن الجلسة لمدة 5 دقائق)... إذا تكرر الغياب مرة أو مرتين، لا يمنح الشخص اشعار (التخرج من الدورة) مهما كان العذر، إلا إذا كان هناك تقرير طبي من المشفى أو حالة طارئة تعطيه الحق في حضور جلسات بديلة.

قبل الدخول في الحلقة الجماعية للاعتراف بالذنب أمام الزملاء قبل بدء الجسات الجماعية، يكون هناك لقاء فردي مع مديرة المركز الذي سيتم الاجتماع فيه. غالبا ما يتم تعيين امرأة في هذا المنصب كي تأخذ المعلومات من الشخص وتعطيه التفاصيل الأولية عن سير الجسات وماذا يتوقع منه.

هذه الحادثة لم أستطع أن انسأها رغم مرور سنوات عليها وذكرتها في أكثر من مناسبة في الإطار الشخصي وفي الكتابة. الوقت: صيف. المكان: داون تاون تورنتو. مكتب في الطابق العاشر. غرفة واسعة فيها طاولة كبيرة وعدة كراسي. الحضور: الشخص الذي اعترف بأنه مذنب ووافق أن يخضع

للدورة التأهيلية. المترجمة. الموظفة التي تقوم بأخذ المعلومات اللازمة حول الحدث وسبب حضور الشخص لهذه الدورة، وما الذي يريد أن يتعلمه خلال هذه الجلسات.

حين بدأت الجلسة، قدمت نفسي للشخص وعرفته بدوري كمترجمة باللغتين العربية والانكليزية. بدأت الجلسة. وبعد قليل قالت السيدة للرجل: انظر إلي حين تتكلم، لا تنظر إلى المترجمة. قمت بترجمة الكلام. لكنه بقي ينظر إلي حين أتكلم وحين يتكلم. في الحقيقة كان يحملق وينسى نفسه. ولا يجيب على السؤال بشكل مباشر، بل يلف ويدور.

السيدة امتعزت أكثر وقاطعته وقالت له أن ينظر إليها حين يتكلم ولا ينظر إلى المترجمة. لكنه لسبب ما لم يكف عن النظر إلى المترجمة وهو يتكلم. جزء من السبب عائد إلى أن الشخص ينظر إلى الآخر الذي يتكلم لغته الأولى. وحين يتكلم بالعربية سوف ينظر إلى الشخص الذي يجيد العربية في الغرفة، أو المكان.

كان الرجل عصيبا، ومظهره متسخ ولا يبعث على الارتياح. كان يتحدث كمن لديه لوثة من الكذب أو غيظ و عدم الرضى عن هذا النظام أو لا أدري ماذا. لا يهم انطباعي في أي حال. ولكنه لم يستطع أن يغض النظر عن المترجمة وينظر إلى المتحدث بالانكليزية وهو يتحدث بالعربية.

إلى أن شعرت السيدة بالغضب وقالت له بعصبية واضحة: " لا تنظر إلى المترجمة، إنها مجرد أداة. انظر إلي "

ثم استدارت نحوي وقالت امرأة: "قولي له ألا ينظر إليك"

(في قلبي قلت: عليك اللعنة انت وهو والترجمة والمترجمة وها الشغلة الوسخة...العمى بعيونك)

أجبتها: "لقد ترجمت طلبك عدة مرات. ورجاء لا تقولي عن المترجمة " أداة" أنا لست أداة. أنا كيان وإنسان وأساعدك على التفاهم مع الطرف الآخر..."

امتعزت أكثر وكانت عدوانية ومعالم وجهها تقطر غضبا. وكانت على وشك أن ترفض طلبه بالانضمام إلى المجموعة التي سيعاد تأهيله للحياة الاجتماعية من خلال تعاليمها. في النهاية حصل على الأوراق المطلوبة وغادر المبنى وهو يجرح خلفه جلابيته المتسخة وذقنه الاشعث وكيسا يخشخش بمحتوياته.

حين خرج وعادت السيدة إلى الغرفة كي توقع لي وأنصرف. دار حديث متشنج بيننا واعترضت ثانية على أسلوبها وطريقة حديثها معي، بل اعتبرت كلمة (المترجمة أداة) بمثابة إهانة. وقلت لها في المرة القادمة: لا تضعي كرسي المترجمة قبالة الشخص الذي يتكلم نفس اللغة، وأنا شخصا لست هنا كي أتقبل الإهانة أو النظرات غير المريحة من شخص مثل هذا. حتى أنه يبدو معتوها. وأنا ملتزمة بكل أصول العمل والمهنية.

خرجت حانقة ووعدت نفسي ألا أعود إلى العمل في ذلك المركز. اتصلت بالوكالة التي اشتغل معها وأخبرت الموظفة بالتفصيل عما حدث، فضحكت وقالت: نعم معه حق أن ينظر إليك يا جاكليين. ضحكنا

لأننا نعمل معاً منذ سنوات طويلة وهي تعرفني جيداً. انتهى الأمر بعدم العودة إلى ذلك المكان. ولكن حصل وذهبت إلى جلسات أخرى مع رجال آخرين خاضعين للتأهيل للعيش بسلام مع أسرهم وفي المجتمع وهناك حدثت قصص أخرى مختلفة في طبيعتها.

هذه الورقة كتبت من محاضرة أونلاين، وتمت المداخلات على شكل أسئلة وأجوبة تشعبت من ميدان الترجمة الفورية إلى التحريرية، وإلى دور الشعر والأدب المهجري وعوائق وتحديات ترجمة الكتاب العربي إلى اللغات الأخرى. والجلسة مسجلة بالفيديو ومنشورة على موقع جامعة البصرة العراقية بتاريخ 26 يناير 2022. وصلنتي الدعوة من قبل مكتب عميد كلية الآداب في جامعة البصرة الأستاذ ماجد عبد الحميد الكعبي وبترشيح من قبل البرفيسور الدكتور كاظم العلي والدكتور الأستاذ جاسم خليفة سلطان.



حين أصبحت جدة في زمن الكورونا. معابر الكتابة والعمل

حين حلت لعنة الكورونا على مدينة تورونتو، أكبر المدن الكندية، أصبحت جدة لطفلة صار عمرها 6 أسابيع ولم أرها بعد. حين حل الفيروس علينا، كان عملي في حقل الترجمة الفورية في أوجه. أعمل في المستشفيات مع المرضى الذين لا يستطيعون التواصل بغير العربية، وكذلك في دائرة الهجرة واللجوء والمحاكم. بالإضافة الى العمل في ملاجئ النساء المضطهدات. جاءت الصدمة، وبلا مقدمات، فقدت عملي مثل غالبية الكنديين، وعدنا الى مجرد مستمعين لنشرات الأخبار والتوصيات والاحصائيات. زوجة رئيس وزراء كندا، صوفي تروودو كانت في الحجر الصحي وتعافت. عدنا الى الجدران حتى إشعار آخر. الالتباس شديد والحاجة الى الآخر تتبلور الآن بعنف لا يرحم. يبدو أننا لم نفقد حسنا الإنساني الاجتماعي، رغم أننا نعمل مثل الآلات في هذا الأمكنة والعمارات المعلقة في سماء المدينة.

أنا شخصياً أحب الطين، وعلاقتي بالأرض والطبيعة متأصلة في شراييني. تملكني الحنين الحقيقي، والرغبة في أن تتلوث قدماي بالعشب والتراب والرمل، لكن بلدية تورونتو وضعت إشارات تحذير تمنع التواجد في الحدائق الصغيرة المنتشرة حول أي تجمع سكني. بعد شهر من الحصار، خرجت وفي نيتي أن أسرق لحظة في حضن الأرض لأنني لا أستطيع احتضان رجل أو طفل أو عجوز. احتضنت الشجرة وتمرغت بالعشب وجلست وجهاً لوجه مع شمس. تأملت وسمعت أصوات العصافير وأنا أمنع العصافير والهواء من سماع بكائي الجواني. ومنعت دموعي من السقوط. الحنين الى التراب والطبيعة الذي يجعلني هشة وأكثر من غريبة. الطين شريكي في الرغبات والتحويلات. الأرض الآن مهجورة ولربما، تحن لأقدام عشاقها الذين وضعوا في ما يشبه السجن، كطريقة لتحدي

الفيرس. نلعب لعبة الاختباء، لكن بكراهية لهذا الفيلم وبطله (كورونا). سأكتب قصة قصيرة أقتل فيها هذا البطل، وأخرج منتصرة الى حضن من أعشق في هذه المعمورة.

الترجمة في غرفة مريض من الشرق

في آخر جلسة عمل لي في المشفى، بداية شهر آذار الماضي، التقيتُ مريضاً في قسم معالجة السرطان. كنت أترجم للأب الذي كان يشرف على رعاية ابنه الصغير المصاب بالسرطان في إحدى أكبر مستشفيات المدينة. من لهجته، عرفت انه سوري الأصل ثم انتبعت الى "كأس المتة" المركونة في زاوية الغرفة. كانت الطيبة تعطيهم التعليمات وتجيب على أسئلة الأب. لم يكن حينها الوباء قد بلغ أشده.

خرجت من هذا القسم لأجد رسائل صوتية من الشركة التي أعمل فيها، للالتحاق بالترجمة في قسم آخر في المشفى نفسه لأمر طارئ. المشفى ضخم وسهل أن يضيع فيه المرضى، أخذت التعليمات وذهبت الى الجهة المعنية. هناك وجدت عدداً من الممرضات يرتدين العدة الكاملة للوقاية من الفيرس، أعطوني قناعاً وقفازات وثوباً خاصاً بالمرضى. سألتهم لماذا كل هذا الحذر؟ أجابت إحدى الممرضات "يشتبّه في وجود فيروس في القسم".

أصبّت بالهلع لأنني لم أكن مهياً نفسياً ولا مهنيّاً للعمل في هذا الموقع. ولم يكن أمامي سوى قبول المهمة لأن العائلة في حاجة الى خدمة المترجم في هذا الوقت المخيف. أخذت الطيبة تشرح لهم الخطة التالية. وأصر الوالد أن يقاطع المترجمة مرات، وهو يكثر من الدعاء أو الشكوى من الطيبة الأخرى والمترجمة الأخرى التي زارتهم في يوم سابق. ثم يختم بالقول: "الأمر بيد الله، لا غير ونحن نتق بالله ومقدرته على الشفاء".

انتهى عملي لكن الخوف بقي في داخلي، والقلق من شبهة التعرض للفيروس. بعدها بأيام، حدثت الهزة الكبيرة، والإيعاز بأن على المترجمين البقاء في البيت كما غالبية الكنديين، على أمل ان تبدأ "الترجمة من بعد عبر الهاتف أو الفيديو" كمرحلة انتقالية. وانشغلت بدورات تدريبية (اونلاين) للترجمة من بعد. الميديا والأخبار تتحدث عن "الوضع الجديد الذي سيصبح هو المعتاد". وحتى اللحظة، لا يمكنني تخيل "القفزة الجديدة في حقل العمل في المدن الكبرى. أشعر أننا سنصبح مثل كائنات أفلام الخيال العلمي بعد حين. والانتكسار العظيم يقع على أرواحنا الهشة، نحن الذين نكتب الشعر والأدب، ونخوض في سراديب النفس في أقصى تحولاتها وأكثرها حميمية واغتراباً.

أفكر في حال المهاجرين الذين لا تسعفهم لغتهم على التواصل مع الدوائر الحكومية والطبية والخدمات الاجتماعية خلال فترة الحجر الصحي. رغم حرص بعض الدوائر على الانتقال للترجمة عبر الهاتف في بعض الحالات.

لغة غرفة التوليد

حقل الترجمة تضرر، كما الأعمال الصغيرة الأخرى والمطاعم وبرامج الترفيه والموسيقى والسينما، الخ. وكمن يصطم بجدار لامرئي، أصبنا بكابوس شمولي كوني. عدنا بهلع وضجر وانكسار، نقلل الباب على أنفسنا حتى إشعار آخر- منذ منتصف آذار 2020 ولغاية تاريخ كتابة هذا النص، الأسبوع الأول من أيار 2020. ويسمح الخروج من البيت فقط للتسوق وشراء الأدوية أو المشي، والمسافة بين شخص وآخر يجب أن تكون مترين. الزيارات ممنوعة بين الأجداد والأحفاد والأولاد. المخالفة القانونية يفرضها ضباط البوليس الذين يجوبون الشوارع في السيارة وتتراوح بين ألف وألفي دولار. التزمت بمكاني، حيث أعيش وحدي في شقة لها شرفة شرقي تورونتو. لا أريد أن يصبح لدي سجل جنائي بسبب رغبتي في احتضان صديق أو صديقة أو ابني.

سمعت قصة لزميلة تعمل مثلي في الترجمة الفورية، كان عليها ان تكون مع امرأة حامل، وفي مخاض طويل، وفي وضع صحي خطير، في قمة تفشي الفيروس في اونتاريو-كندا. المترجمة في أشد القلق، وفي الآن ذاته لديها الرغبة في أن تخدم المريضة في تلك الساعة العصبية. توقفت الأشغال كلها تقريباً، ولم يتوقف الإحتجاب وممارسة الجنس والحمل. اللافت للنظر أن اللاجئين الجدد يكثرون من الأطفال وينجبون أكثر مما يحتمل وضعهم الصحي والمادي.

وأصبحت جدّة مع وقف الاحتضان

الحياة تولد في ضفة، والموت يقطف المنات هنا وحول العالم. كنت وابني الوحيد، سلام، وزوجته، ننتظر ولادة الطفلة بشغف وخوف في نهاية آذار، قمة انتشار الفيروس في المدينة. كنت على الهاتف أترقب كل رسالة تصلني من ابني، ليخبرني عن تطورات الوضع في غرفة التوليد. لم يُسمح لغيره بالبقاء معها في المشفى. في الصباح الباكر، ولدت الطفلة معافاة هي وأمها، وكانت الفرحة مخلوطة بالدموع والشوق لاحتضان هذا الكائن الصغير الذي حلمنا بانضمامه الى عائلتنا التي هي خليط سوري- كندي.

حين استلمت صور حفيدتي، بكيت وضحكت بين الجدران في الصباح الباكر. خرجت الى الشرفة لعَلّني احتضن الأشجار البعيدة وأنا أبكي وأنظر الى العالم وهو يغطس فجراً في النوم والصمت والعزلة. التقطت صوراً للشرفة، وصورة لوجهي ملتبس

الصورة والخبر الى أخواتي في السويد، فكتبت أختي: "مبروووك، بس ليش حزينة وبكيانة — وإذا صرتي تيتة ختيارة!"

كل يوم أنتظر فيديو قصيراً أرى فيه حركات الطفلة، شفيتها وأصابعها ووجهها الصغير الجميل. أفكر في أي لغة سنتكلم أنا، وحفيدتي أنا، العربية أم الانكليزية. أكتب بعض السطور عني وعنهما في مفكرة كلمات بالانكليزية ثم بالعربية، مجرد تاريخ لانفعالاتي كجدة في الكورونا تايمز.

الترجمانة والكتابة الإبداعية

قبل انتشار الفيروس وفي مدينة تورونتو، لم يكن لدي وقت للكتابة كما أرغب بسبب العمل والحاجة لتأمين لقمة العيش ودفع فواتير الإيجار وما إليه. كانت مشاريع عديدة تنتظر في الكمبيوتر. بعد الأسبوع الأول من الصدمة، حيث قمت بتعزيز البيت والعودة الى الصورة والأوراق السجينة في الأدراج. مزقت الكثير، وأخرجت ثياباً من الخزانة للتبرع. استقرت روحي ووضعت للقلق حدوداً. قررت أن أنجز مجموعتي القصصية وأطلقها للنشر قريباً. ثم بدأت بالعمل على إنهاء مهمتي في ترجمة أدب الهندو الحمر- الكنديين الأوائل، والذي نشرت الكثير من قصائده في الصحف العربية منذ سنوات. الآن سأبحث عن ناشر وأعرف أن هذا الوباء سيؤثر في دور النشر والعلاقة مع الكتاب بشكل عام. الشيء الذي لاحظته، في هذه العزلة، أنني ابتعدت من الخوف من الرقيب. كتبت بحرية أكثر، على فرض أن الموت قادم، ويجب ألا أموت ولدي رغبات كثيرة غير مؤرخة. لا أريد أن يفاجئني الموت، وليس في يدي إلا يدي والكلمات التي أريدها كتاباً يصل الى يد أخرى في آخر العالم. كنت قبلها بشهر اقرأ في كتاب بعنوان: "مت فارغاً"، محوره يدور حول "كيف تحقق هدفك وتنش ما في داخلك قبل الوصول الى خط الموت. وحين يأتي الموت ستكون قد عشت بقوة وافرغت كل ما في قلبك وعقلك من تطلعات وأهواء". شخصياً، لا شيء يساعدني على التحقق أكثر من الكتابة. سأكتب حتى وإن توقفت كل الصحف والمواقع ودور النشر.

لقد كتبت في البيت رسائل إلى نفسي، وأفكار ساخرة علقتها على الباب والشباك والمرآة والبراد تقول: ابتسمي، أنت في البيت. ابتسمي كي تخف التجاعيد حول فمك وعينيك أيتها الجدة العاشقة للحياة والمحبرة الأنثى. ابتسم يا صديقتي واكتب بحرية أعلى وافتح باب قلبك للغد.

نشر النص في موقع (المدن) عام 2020

حكايات وشغب وبعض أسرار المحبرة

كل زاوية في بيتي تصلح للكتابة في أي وقت من النهار أو الليل. أكتب لأن الصمت عنف. أكتب لأنني امرأة تعشق الحياة والحرية، أكتب لأنني أحلم بأن الحرية يجب أن تأخذ مساحة طبيعية في بلاد الشرق، و أحلم بأن يقل عدد الكتاب والصحفيين المعتقلين. أحلم أن يتقلص عدد الفتاوي الهزلية التي تختصر حقوق الإنسان وحرية الفردية إلى الحد الأدنى. ولأنني اخترت مساحة من الحرية الشخصية في مكاني الحالي في كندا، فلماذا أخرس وأصمت وأكتفي بالقيام بدور المرأة التقليدية العاجزة عن اختيار لون فستانها وحمرة الشفاه! وأكتب لأن في دمي كريات التحدي الخضراء الحرة. ولأن أوراقي احترقت مرة بفعل فاعل، بفعل رجل قرر أن يحرق كل مسوداتي لأن فيها ما يثير الريبة في طريقة البحث والتفكير.

لم أكن أعرف أنني شاعرة، أو سوف أصبح كاتبة. كنت مغرمة بالحبر والكتابة منذ طفولتي. منذ بداياتي في المطالعة حين كنت في المدرسة الابتدائية. لم يكن في بيت أبي وأمي إلا بعض الكتب التي تعد على أصابع اليد، وربما أحضرها أخوتي الأكبر مني في البيت. لذلك وجدت الغواية كلها في مكتبة المركز الثقافي العربي في مدينتي الصغيرة النائية عن المركز السوري، مدينة ديريك-المالكية، محافظة الحسكة، أقصى الشمال الشرقي السوري. هناك كنت أقرأ قصص الأطفال المترجمة عن الروسية، وتعرفت على حيوانات لم نكن نراها في حارتنا. حيوانات ذكية، خبيثة، جميلة، غريبة، حكيمة، مرسومة بمهارة وألوان زاهية. كان الدجاج والغنم والكلاب في القصص أجمل من الدجاج والقط والكلاب التي نراها في الجوار. سرفتني الحكايات وأعطتني بعض الأسرار والشغف.

ماذا تقرأ النساء وماذا يقرأ الرجال
أذكر طفولتي وشبابي وأنا أقرأ رواية حنا مينة (الشمس في يوم غائم) جالسة في شباك بيتنا القديم

الطيني أراقب الثلج النائم وأحلق في فضاء أبعد من جدران البيت في سوريا...صرت أحلم بما يمكن لفاتة مثلي لم تغادر مدينتها يوما بأشياء كثيرة، تعاقب الكلمات الصامتة النائمة في بين دفتي كتاب وتستيقظ كلما فتحت الصفحة.

الكلمات سفر وتحريض على التخيل والتفكير. ويشاع بأن النساء في الشرق والغرب يعشقن الكتب الرومانسية والروايات والقصص التي تسرقهن من أرض الواقع، فيما الرجال يفضلن في الغالب، قراءة التاريخ والعلوم والجغرافيا... لا أدري إلى أي مدى هذا صحيح، ولكن أعتقد أننا لذلك أيضا يقضي الناس الكثير من وقتهم في مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي هي كتب في الأساس، ولكنها مبدولة للعرض والتلقي بشكل جماعي، أو فردي حسب الحالة الاجتماعية. اذكر أن طفولتنا كان هناك تقنين في مشاهدة التلفزيون، ولم تكن هذه الأجهزة منتشرة في كل البيوت، بل كانت ساعات البث معدودة والاختيارات قليلة، على العكس تماما مما يجري اليوم في العالم. الصورة قراءة بالأبعاد الثلاثية، وحلم الكاتب أن يصبح عمله الروائي قصة أو فيلما لينال الشهرة ويكسب ماديا.

شغف كتابة المقالات

أحيانا أكتب المقالة لأنها طريقة أخرى في كتابة الحلم ونقد الواقع وتبسيط الضوء على عثرات وجماليات العالم. وأكتي لأنني لا أستطيع أن أتخاذل وأشتغل في شركة لبيع العقارات، أو في بيع السيارات. مع ذلك يبقى لدي حلم أخضر بأنني حين أفوز بمكافأة مادية سأفتتح مكتبة في مدينتي التي ولدت فيها ليصبح الكتاب متوفرا لطفلة أو طفل أو امرأة تبحث عن خلاص ومنفذ ومتعة من خلال المعرفة سواء الأدبية أو العلمية بكل ميادينها. إذ أن الحكومات في بعض البلاد تتأخر كثيرا في دعم الحقل الفني والثقافي الذي نعود إليه في النهاية.

أتخيل لو لم يكن هناك كاتب نوتة موسيقية أو كاتب فيلم وسيناريو، أو كاتب أغنية، كيف كان العالم سيدد الفرح والبهجة حين الخروج للسياحة والاصطياف أو القيلولة من أعباء الأعمال الثقيلة؟ ولنضع في اعتبارنا أن الحياة المعاصرة، تموت فيها الحياة الاجتماعية بشكل أو بآخر. وهذا ما نشهده بشدة وحدة في زمن انتشار وباء الكورونا الذي أجبر العالم كله على البقاء في البيت أكبر وقت ممكن. وكانت العودة في هذا الأثناء إلى الكتب، التلفزيون، الموسيقى، التأليف، وذلك كتعويض للتواصل الاجتماعي الذي هو شرك أساس ومكمل لوجودنا نحن البشر – الحيوانات الاجتماعية التي تحب المشاركة، المنافسة، النجاح، الأخذ والعطاء والبماء والتنقل والسفر بغية اكتساب تجربة المعرفة والمسرة.

سفر واستكشاف ...

أكتب لأنني أقرأ بلا حيادية. أكتب لأن الصمت موت وعنف أحياناً. ولأن فراغ الصفحة الأبيض يثير الشهية والتحدي. بل أكتب لأنني أتعثر بكل هذا الفرح والحزن والدهشة أمام لغز الروح والكون. بل أكتب لأن الفكرة التي أردت أن أقولها لصديقي تغاضيت عنها لأنه نسي أذنه في البيت حين أتى. أكتب لأن صديقتي أفلتت قلبها قبل أذنيها ، بل لأن الأذن تخون ولا تجيد التفسير، بل لأنني تناسيت جوهر الكلام ونحن جالسان على طاولة في ذلك المقهى وفي تلك الزيارة الأولى والأخيرة. أكتب كي أرى أفكارى في فم الآخرين وبين أيديهم. وكلما انهيت ورقة جديدة، أجد أن المشيئة ناقصة والكلام ناقص.

أين يقع بيتي في كندا.. أين يقع قلبي

أكتب من بيتي وشرفتي الخاصة في كندا، كما لو أنني ملكة نفسي وهذا العالم الصغير الجميل الذي يحتويني وأشيائي المهمة. أتواصل مع الصحافة في أي مكان من الشرق. هذه احتمالات أكتبها اليوم وغداً سأكتب لأسباب مغايرة، أهمها الحلم الذي أوليه رعاية خاصة. أكتب كي أحلم بأن الحرية ستأخذ مساحة طبيعية في بلاد الشرق، وأحلم أن يقل عدد الكتاب والصحفيين المعتقلين. أحلم أن يتقلص عدد الفتاوى الهزلية التي تختصر حقوق الإنسان وحرية الفردية إلى الحد الأدنى وإلى حد منع الكتب من الوصول إلى القراء لأسباب مختلفة. تلك الرقابات تمتد إلى اختيار نوع الثياب ونوع الكتب، ونوع الأغنيات التي على المرأة أن تلتزم بها إلى حد كبير، تقتل أبسط مقومات الحرية والتعبير والتفكير التي هي حق وليست منحة من الأسرة والمجتمع وهيئاته الحاكمة السلطوية. وفي بيتي الصغير الذي في شرق تورنتو، في بناية شاهقة، تكثر الكتب والزريعة واللوحات التي أنقلها من ركن إلى آخر مع تغير الفصول. ويتسلق السنجاب الشارقة العالية ويتحرش بالزريعة المعلقة على الشرفة.

يقول لي ابني أحياناً: أرى كتبك في ازدياد، هل تقرأين كل هذا؟

ابتسم وأقول: أحاول...وأقول: قد تحتاج إلى التبرع بها أو التخلص منها بطريقة ما بعد رحيلي. لا أستطيع أن أفكر بمصيرها الآن.



منعطفات بين المقبرة والمطارات والى مدرسة الكتابة الإبداعية

في عام 2007 ذهبت لتحسين مهاراتي في الكتابة الإبداعية، غير المتخيلة عبر برامج ودورات متفرقة كانت تقام في جامعة رايرسون الكندية في داون تاون تورنتو. كان الدرس جلسة واحدة في الأسبوع، عدة ساعات، مجموعة من الطلاب والطالبات بنسبة أكبر، يحاولون التقدم في الكتابة. كانت أستاذتي الكاتبة الكندية "بث كابلان" وعثرت عليها في فيسبوك وتبادلنا الرسائل. وما زلت املك المسودات المكتوبة بالانكليزية وعليها تصحيح البرفيسور التي كانت تشجعي كثيراً رغم أخطائي وكانت ترى شيئاً مميزاً في أسلوبي يختلف عن الكاتب الانكليزي الأصل. حين بدأت أختبر مساحات الحرية في الشارع والذهن، بدأت أكتب، وما زلت أتعلم وأتعثر، وأفشل أحياناً، وأتعلم من جديد. يقيني أن باب الآداب رحب والإبداع الحقيقي لا يحتاج إلى دراسة جامعية أو شهادات عليا كي تصبح كاتباً ولديك صوتك الخاص.

هل يمكنك أن تتعلم الكتابة كما تتعلم الهندسة والطب وعلم المحاسبة والكمبيوتر؟
الجواب: لا، ليس قطعاً، وليست المسألة معادلة ذات أطراف، تؤدي إلى نتيجة محسوبة علمياً.
الجواب، نعم تستطيع أن تحسن أدواتك ومعارفك واكتشاف صوتك، حين تتوفر لديك الموهبة والشغف.

الشغف؟ وما علاقة الشغف بكتابة القصة والشعر والرواية والصحافة
نعم، الشغف، الهدف، الرغبة، الإخلاص، الانفتاح على العلوم والمجتمع ضرورة. هذه الفنون لا تدر بالاً (كثيراً) ولن تستمر إذا لم يكن لديك إيمان برسالة وفكرة.
هل تصل الفكرة أدبياً، هل تنجح أدبياً لمجرد أنها فكرة عظيمة بتصورك؟
الجواب: لا، لن تصل لأبعد من أصدقائك وربما بعض أفراد أسرته.

أحياناً، الأسرة تكون عائقا وخاصة الأزواج والزوجات في المجتمع التقليدي. في السنوات الأخيرة نلاحظ إقبالاً كبيراً في الثقافة العربية على مناهج وورشات الكتابة الإبداعية تقام في البلاد العربية، أو أونلاين وهناك من ينبذها وهناك من يجدها مصدر رزقة وشهرة.

قراءات عام 2007

كاتبات المنفى يقرأن عن "قبعة هاديس" والمقبرة في تورنتو

عدة كاتبات كنديات من أصول متفرقة، تمت استضافتهن في مهرجان "الخبز والورد" في صالة مستودع كتب النساء في تورنتو بدعوة وتنسيق من قبل هيئة "قلم" كندا الدولي وذلك احتفالاً بعيد المرأة العالمي وتذكراً لمسيرة "الخبز والورد" التاريخية في نيسان 2007. افتتحت الأمسية بترحيب من قبل مديرة هيئة القلم في كندا، السيدة "إيزبيل هاري" تحدثت فيها باختصار عن رسالة "القلم" ودعمها لحرية التعبير... كما رحبت بالشاعرات المشاركات والحضور ومنظمي اللقاء الذي استمر من السابعة حتى العاشرة مساء 15 آذار 2007 حيث قرأت كل من: الشاعرة إيما بلتران (المسيك)، بترونيلا كليتيو (الفيلبين)، جاكلين سلام (سوريا) فريشتا مولافي (إيران)، وفرزانا حسن (باكستان).

أقيمت المناسبة بدعم أيضاً من قبل فرع "دراسات المرأة والجنس" في جامعة تورنتو وجهات أخرى. ولم تقتصر على القصيدة، بل تنوعت القراءات ما بين فقرات بحثية في موضوع الإسلام والمرأة، أوراق سيرة ذاتية، ومعاينات يومية تقص رحلة الكاتبات وهجرتهم إلى البلد الجديد. لم تكن الكتابات رومانسية ومستسلمة، بل كانت في معظمها نقدية تحمل صورا متفرقة من المعاناة، وتصف مآزق الطريق أمام "الأقليات الملونة" رغم موضوعه "التعددية الثقافية" في كندا. قرأت الكاتبة الإيرانية فريشتا مولافي، المقيمة في كندا منذ سنوات، ولها عدة إصدارات قصصية وشعرية، فقرات من تجربتها اليومية في كندا، معاناتها في الحصول على العمل، ونزقها بل رفضها لخانة في الإستمارة تطلب تحديد "العرق"! قرأت مولافي ما يشبه كتابة اتوبيو جرافية عن حالة المنفى والقادمين الجدد ومعاناتهم مع اللغة والحصول على موطن قدم في المجتمع الجديد. اختتمت ورقتها بهذه الفقرة التي اخترت تقديمها للقارئ، إذ تقص علينا بلسان الحكواتي القديم، سيرة حديثة. ونجد في هذه الفقرة، فالقادم الجديد، مرغوب به - ومرفوض في الوقت نفسه. تقول مولافي: "الآن وهنا، أشعر أن شبح الحكواتي يهيم بين هذه المشاهد. أهدق فيه لأكتشف فيه آثار جدتي. إنها في الوريد، وأن هذا شبح أحد ما يلبس "قبعة هاديس" ويخيم على عالم الناس اللامرنيين. ومع ذلك هذا

الحكواتي، مثل جدتي، أبدي خالد ، صوت أفراد لا صوت لهم. والصوت الآن يقص حكاية كندية: كان ياماكان، في سالف الزمان، كانت هناك أرض قديمة جداً، حدث أنها استقبلت بعض القادمين الجدد البيض، الذين أتوا وأجبروا السكان الأصليين على أن يرتدوا قبعة هاديس، ثم أتى قادمون جدد آخرون ذلك أن الباب الذي يفتح مرة لا يمكن إغلاقه أبداً. هذا بالتأكيد لم يكن محبذاً لبعض من القادمين سابقاً. في الوقت نفسه، كان جلياً أن هذه البلاد التي فتحت ذراعيها وأبوابها تحتاج إلى قادمين جدد. لهذا السبب وجد المراقبون القدامى حلاً: على الرحب والسعة بكل القادمين الجدد بكل تأكيد، ولكن فقط إذا قبلوا الهدية: قبعة هاديس".

ومن الجدير الإشارة إلى أن "هاديس" اسم إله الموت، ملك الموتى، بل هو الموت شخصياً، والقبعة هذه تساعد على التخفي، كان يلبسها أحد الجبابرة/ الآلهة في رحلة بحثه عن "ميدوزا" التي تحيل كل ما تقع عليه إلى حجر.

بينما قرأت الشاعرة إيما بلتران المكسيكية الأصل بعض القصائد المهداة إلى عدد من النساء اللواتي خيبن أملها وكسرن قلبها، إلى جانب قصائد عن نساء لهن مكانات عالية في قلبها (الجدة - الأم - الصديقات). فيما قرأت الكاتبة والشاعرة فرزانا حسن فقرأت من كتاب لها بعنوان "الإسلام، المرأة والتحديات اليوم" ويعرض الكتاب وجهة نظرها عن المرأة في الإسلام في حالات خاصة كمسألة الحجاب، الإرث، الزواج والطلاق... وغيرها من القضايا التي تشكل عقبات أمام حرية المرأة في البلاد الإسلامية.

بينما قرأت الشاعرة برونيليا كليتيو، قصائد عن "الترحال والأمكنة" مسبغة على الكلمات رؤيتها الشخصية في صور شعرية تعكس موضوعة الشعور بالاغتراب، وختمت بقصيدة طويلة عن جمال سلاح الـ"أوزي Uzi" وصورت المنطق الذي يحكم اختراع الأسلحة وتحديداً هذا السلاح الأمريكي الصنع. ما بين التهكم والسخرية من هذه القطع الحربية ومروجيها ومنتجيها، تحدثت عن المتاجرة بالبلاد الأخرى واستغلال ثرواتها تحت يافطة الديمقراطية. لم يكن اسم هذا السلاح مألوفاً لدي، فبحثت عنه في الشبكة، وعرفت أنه سلاح يستخدمه الجيش الإسرائيلي، وله أشكال وأصناف ومقاسات متعددة.

أما الشاعرة جاكلين سلام فأعربت عن شكرها للحضور والمنظمين وعن خصوصية هذا اليوم بالنسبة لها. وأشارت إلى أن أول مشاركة لها في قراءة عامة كانت في تورنتو بمناسبة يوم المرأة العالمي عام 1998. قرأت بالإنكليزية إحدى القصائد من مجموعة كريستال، وبناء على طلب بعض الأصدقاء قرأت قصيدة بالعربية.

ثم ختمت بورقة شخصية مؤثرة عن السيرة اليومية في تورنتو وأولى خطواتها في المهجر، فتسرب الدمع من ورقتها وصوتها إلى عيون الحضور...
نقتطف من هذه الورقة "الدرب بعد المقبرة" فقرة تقول: "...ومن هناك بدأت، وتفصلني سنوات عن الحدث، عن تلك الساعة، لكنني ما زلت أعود إلى تلك البناية، إلى ذلك البيت، مرة للعمل طوعاً في المناسبات التي يقيمونها لجمع تبرعات، ومرة لقراءة الشعر ومشاركة النساء في رحلتهم... ومازلت أذهب إلى تلك المقبرة أحمل وردة، أو شمعة أضعها على قبر فقير مهجور. أحياناً أنتشل وروداً من قبر مكتظ بالزوار وأضعها على قبر لا يزوره أحد. أفعل ذلك بخوف من الموتى الذين قد يراقبوني، وكنت أفعل ذلك كي أجدد مبرراً لزيارتي إلى هؤلاء الغرباء الذي لا أعرفهم وأحياناً يتعذر علي لفظ أسمائهم. أنظر إلى الصور، الكلمات المحفورة على الرخام، الزهور الطازجة والذابلة، والشموع والفراغ.. وأتابع السير والبحث عما تشنت من أحلام، وعما تبقى..."
وعند اختتام الأمسية كان هناك بعض الأسئلة من الحضور الذي أبدى إعجابه بإيقاع ووقع اللغة العربية الشعري والمحبب للأذن الأجنبية. استمرت المناقشات الجانبية مع الكاتبات بينما تم توقيع بعض الكتب. وعلى مائدة جانبية حضرت أطباق من "البابا غنوج" والحمص بالطحينة، الجبن والفواكه، والشراب.
هذه الفقرة نشرت في صحيفة المستقبل 22 نيسان 2007

طرقات أولى...
الرحلة من مطار بيرسون الدولي في مدينة تورنتو
في خريف 1997 وصلت إلى كندا وما زلت أفكّ شيفرة المكان والذات الجديدة والقديمة ويفاجئني الكشف في كل انعطافة. الرحلة عسيرة وثمينة وكانت المحبرة معبراً إلى بيوت وقلوب بعيدة جمعني بهم الكلمة والشعر والرغبة في الوصول إلى عتبات أعلى من الجمال الكوني. في هذه الرحلة التي صار عمرها ربع قرن سنة، كم تعثرت ووقفت وما زلت واقفة. مات بسبب سكتة قلبية وحيداً في غربته الرجل السوري الذي أقلنا في سيارته من مطار تورنتو. كان الوقت مغيباً والمدينة رمادية والصورة في ذهني ما تزال حية.

ثم مات زوجي السوري الذي كان شريكي لمدة 15 سنة بعد انفصالنا قبل ذلك بسنوات قليلة. ومات الجار السوري الذي كان يسكن في شقة مع أسرته في العمارة التي استأجرنا - أنا وابني ووالده - فيها شقة للمرة الأولى في تورنتو، المدينة التي أدرجت هذه السنة في المرتبة الرابعة عالمياً بين المدن الأفضل للعيش. في غيابي ومات وقتل وسجن وفقد وأصدقاء كثر في سوريا وأصبح الكثير من الأهل

والجيران لاجئين في دول الجوار والعالم وها هم يعانون الموت البطيء والرعب اليومي.
ليس هذا كشافاً تاريخياً شخصياً. فالسوريون يموتون في الداخل وفي الخارج منذ قرن، والآن وأنا
جالسة إلى جهاز الحاسوب أصيخ السمع الى أيامي، أكتب والبيت فارغ تماماً من أي نفس عدا طقطقة
أصابعي على الكيبورد، وهسهسة الحاسوب الذي هو صلة الوصل بيني وبينكم شرقاً. هذا لا يعني أنني
سأموت من الحزن ولا من السعادة. لدي كم من الحلم وزوادة من الحبر والفرح أتقاسمها مع العابرين
الذين يهتمهم ألا يدعسوا على ظلهم وظلال الآخرين.
كن رفيقاً أيها الغريب، أيها الغرباء!





هل قتل تولستوي أنا كارنينا... ومن قتل أمي

خبر وفاة أمي في حادثة تحت عجلات قطار في استكهولم

منعطفات تشكل الوعي الفكري والنفسي التي لها الأثر في كتاباتي شاسعة ومتعرجة كالطريق بين كندا وسوريا، بين تورنتو مدينتي التي أسكنها الآن، وبين ديريك المدينة وحلب وحمص حيث درست وعشت. القراءات وبأكثر من لغة كانت النبع الذي إليه أذهب كي أروي عطش الأسئلة التي كانت في ذهني منذ أولى مراحل الوعي.

فيما يزيد عن ربع من الهجرة إلى كندا تغيرت فكراً وأصبحت جدة ولي كتب مخزونة أتمنى أن يسعفني الوقت لإنجازها قبل الوصول إلى خط النهاية.

بدايات الرحلة مع الكتاب

حين كنت طفلة وأقرأ كثيراً، أذكر أول كتاب قدمت له عرضاً في المدرسة كان استعارة من مكتبة المدرسة. كان مطلوباً من طلاب الصف تقديم ورقة لحصة الإنشاء والتعبير في المدرسة الابتدائية. قرأت رواية أنا كارنينا للكاتب الروسي ليو تولستوي. وأذكر أنني غضبت عليها وحكمت عليها بمنظور أخلاقي اجتماعي سائد آنذاك، رأيته امرأة تستحق العقاب لأنها أخلت بالقوانين العائلية والطبقية. وصفت لي المعلمة والطالبات حينذاك.

وبعد مرور ما يزيد عن نصف قرن من الزمن على تلك المرحلة، أقف في ركن بعيد عن البيت الأول لأسأل: لماذا قتل تولستوي أنا كارنينا بطلة روايته التي أحببناها، وهل قتلها الراوي عقاباً لها على أفعالها، ليقدمها أضحية للمجتمع، أم قتلته العادات والتقاليد السائدة، أم كان انتحارها إدانة للمجتمع نفسه؟!

ويرتبط السؤال بآخر حادثة قتل قرأت عنها في منصات سوشال ميديا، قتل شابة جميلة كانت

تغني في السودان. ترى من الذي يقتلنا في الشرق عدا الطغاة الكبار والحكام الذين بيدهم السلطات العسكرية والتشريعية؟!

نحن الأفراد، أبناء تلك المجتمعات نقتل بعضنا لمجرد خروج بعضنا عن الخط العام ، وذلك قتل بأكثر من صيغة ويقف حاجزاً في طريق التقدم المدني الذي يرفعنا عتبة أخرى على صعيد التقدم الاجتماعي والفرح الفردي.

**

أكتب ما عجزت أمهاتنا عن الوصول إليه

في بيتي الأول في ديريك، أقصى الشمال الشرقي في سوريا، ولدت وعشت حتى مرحلة الثانوية العامة. كنت أستعير الكتب وأقرأ لأن اللعب في الحارة لم يشف فضولي الطفولي. لم أنشأ محاطة بالكتب في البيت، بل محاطة بالسؤال المتمرد والخجول الذي كنتُ أبحث عن إجاباته بين الكتب التي كنت استعيرها من مكتبة المركز الثقافي في المدينة التي تقف على حافة الريف والمدينة من حيث الطابع العمراني والاجتماعي. لم يكن في بيتنا مكتبة. هناك الجيران يتقاسمون الخبز والحكايات والثروة الفضولية، ويعرفون كل ما يجري في بيوت الحارة. يعيشون بتآلف وحذر كخليط متناغم من قوميات وأعراق عدة هي: السريانية والعربية، والكردية، والإيزيدية، والأرمنية. كان ذلك في ستينات وسبعينات القرن العشرين وكما اختلف الحال الآن في سوريا في العقد الأخير من هذا القرن حيث قذف بالآلاف السوريين إلى الشتات محملين بأسنلتهم ومخاوفهم وطموحاتهم القلقة. كانت الكتب رافداً للمزيد من الأسئلة والفضول.

أقف هنا بكامل غربتي لأجمع في رأسي فضائل وضحايا عالمين متناقضين ومتباعدين جغرافياً وأكتب قصتي بصوتي كخليط يشبه طريقتي في التفكير والرؤية وبحرية ليست كاملة ما دمت أكتب للنشر غالباً في الصحافة ودور النشر العربية.

الخطوات الأولى في كندا. كل مهاجر هو آخر ويشير الريبة.

تدرجت في عملي اليومي من نادلة في مقهى وطالبة على مقاعد المدرسة لتعلم اللغة، إلى الوقوف أمام القضاة والبوليس والمحامين والمساجين وضحايا العنف المنزلي للترجمة لهم من العربية إلى الانكليزية، وبالعكس. وهذه تجربة لا بد أن تترك الأثر وتتغرز في صلب اللغة والكتاب الذي أحرره والذي يحمل عواصف روحية وطبيعية.

وكي أتعلم أبجدية المكان الجديد واللغة الانكليزية أحاول أن أطور أدواتي المعرفية. ذهبت إلى دراسات في حقل الترجمة الفورية والتحريرية وقمتُ بتدريسها وتدريب الطلاب الراغبين في العمل

في حرفة الترجمة الفورية. درستُ في برامج متفرقة وخاصة الكتابة الإبداعية، في الجامعة

واونلاين. عرجتُ على حقل العلوم الاجتماعية وعملتُ في مركز للنساء المعنفات. كتبت عن هذه التجارب في مقالاتي الصحفية منذ بداياتي في النشر عام 1998. كانت الصحافة المهجرية والصحافة اللبنانية والعربية كريمة وتستقبل أغلب كتاباتي رغم الرقابة والقص بين مقال وآخر. لم ينشر لي ما يذكر في الصحافة السورية رغم أنني حاولت أن أرسل بعض المجلات في بداية انطلاقي في الكتابة. وكان العالم لي بيتاً وكنت غريبة الروح في كل البيوت.

هنا لا أعرف جاري الذي يسكن في الشقة المجاورة. ربما أنا الغريبة البرية، أسير وفي رأسي أسئلتني ولا ألتفت. علمتني الغربة الحذر والحواجز والحدود أيضاً. لم يعد البيت مكاناً للقاء بل المقهى. الغرباء يخافون بعضهم بسبب التشجيع على الفردية اعتماد مبدأ التعددية الثقافية في كندا، وهي سلاح ذو حدين بنظري. إذ تصبح هذه الخلايا المتعددة الأعراق جيوباً منكشمة على نفسها، ويصبح الخروج عن الفوقية والانخراط في الخط العام محفوفاً بالريبة من الآخر. الآخرون ليسوا الجحيم، فكل فرد حامل لجنته وجحيمه وفصوله الفردية.

المراحل العملية في الحياة الواقعية كان لها شديد الأثر على صفحات الكتابة. أعتقد أنني تعلمت دروساً في الكتابة من ورشات الكتابة كما تعلمت من تجربة العمل في المقهى أو في مأوى النساء المعنفات. كما تعلمت من الجلوس للقراءة والكتابة وأنا أراقب رواد المقهى أو وجوه اللاجئين والمهاجرين الجدد حين أعيد سرد قصصهم بلغتين، العربية والانكليزية. أين سأنهب بكل هذه المشاهدات إن لم أضعها في كتاباتي وبطريقة خلاقة نسميها إبداعاً.

هل الهجرات عقوبة أم نجاة أم أنها قصة الحضارة منذ بدء التكوين والتدوين؟ الوجود برمته قائم على الهجرة والفقد منذ أول ذكر وأنثى على هذه المعمورة كما تشير الأساطير والكتب. الهجرة الأولى أو النفي لأجدادنا الأوائل آدم وحواء جاء كعقوبة على ارتكاب الفعل الجنسي ومنذ ذلك الحين ونحن نحاول أن نتجذر في الأرض ونبنى بيتاً. كان بعدها هجرة نوح وآل بيته ومخلوقات الأرض الصغيرة، مكافأة للنجاة من بلد يعم فيه الخراب وقبل أن يغمر الطوفان المكان. وكان لابد دوماً من حماسة سلام تدلهم على بيت ليسندوا إليه غربتهم وأقدامهم وأحلامهم المتعبة المترعة بالخوف من المجهول.

الهجرة الثانية كما يوثق التاريخيون كانت هجرة الأفارقة في القرن الخامس قبل الميلاد وتبعتها موجات متعاقبة، إلى أن صار حق الهجرة واللجوء حقاً إنسانياً يرد في لائحة حقوق الإنسان. وصار حق اللجوء في الحصول على خدمات الترجمة مكفولاً أينما ذهبنا، وحقاً شرعياً ومتوفراً في البلاد

الهجرة حكاية البشرية والغرباء في الأرض

يبدو أن الإنسان يحتاج إلى حكاية من الخيال ومن الواقع كي توسع حدود معرفته بالعالم. وكلما عرف واختبر وابتعد عن البيت الأم يزداد حضوره وغيباه اشتباكا في هذا الكون. أتحدث هنا عن حالة عمومية لها خصوصيات لدى كل فرد. ما موقعي من هذه الخريطة الكونية ككاتبة وامرأة؟

أجلس الآن على مقعد خشبي وأعاين امتداد العشب الأخضر أمامي ويكثر فيه الورد الأصفر الوحشي الذي يجب قصه كي لا يقتل العشب. أو لنقل انا جالسة في منتزه صغير جوار البيت ويصلني صياح أولاد من الحضانة المجاورة. يلعبون في حديقة المدرسة. ألوانهم متباينة، أغلبهم سود وشوكولاته. تقول لهم المعلمة اركضوا. وبعد الركض هناك مغريات للأكل قبل انصرافهم إلى أهلهم الذين يعملون في مكتب ما من هذه المدينة الملونة

الكتابة في جوار الطبيعة بعيدا عن العمران الاسمنتي الشاهق

أكتب ما أرى، ثم أعود إلى البيت لأكتب في البعد الآخر..

لماذا خرجت إلى هناك وجلست أكتب باستخدام هاتفني الجوال، ولا أحد غيري في الساحة كلها. الهواء بارد قليلا. يأتيني اتصال من العمل. أقفل صفحة السرد كي أعرف ما العرض وما العمل المطلوب. يبدو أنني لم أنجز عملي كما يجب. قرأت الايميل المرسل. هناك تنبيه لي والسبب : كان لدي عمل ولم أذهب إلى الشركة في الوقت المحدد. لم استطع أن أكتب لهم عذري وانشغالي العامر بقصيدة حب أو بكتابة ورقة عن الهجرة وأثرها على تجربتي الإبداعية رغم إخلاصي لعملتي الذي اعتبره انسانيًا، إذ أخدم شخصا فقد لسانه حين هاجر من بلده إلى هذه الأصقاع ولذلك يحتاج لساني كترجمانة. أسرع في الكتابة كي ألحق بخواطري التي تتقاذفني بين شرق وغرب. أفكر في تبرير هذا الخطأ!

ويمر القطار الأخضر والأصفر بالقرب من كتف هذه الساحة. هناك طيور سعيدة والسناجب تلعب. رائحة الأرض والعشب الأخضر منعشة. ألتقط صورة للقطار وأدندن بنفسني قصيدة الشاعر العراقي مظفر النواب "الريل وحمد" لست حزينة ولا أحد يستطيع أن يوقف القطار والأفكار وتداعيات جاكين في كل خطوة. أتذكر بيت أبي في البلاد حيث نشأت محاطة بالأشجار، وربما لذلك ألوذ بالمنتزهات التي

تقف قبالة مساحات اسمنتية شاهقة في مدينة تورنتو التي تستقطب المهاجرين من العالم ومعهم

السنتهم الغريبة التي تحمل الأسى والأمل.

لغة البيت الأول والفقد الكبير

أعود إلى الهجرات الأولى وأسأل: ماذا كانت لغة آدم وحواء؟ هل كان لديهم ترجمان؟ أم كانت الأفعى تتكلم أيضاً. لا نعلم.

مهنة الترجمان قديمة قدم بابل بيت أجدادي الأوائل. الألسنة الأولى كانت آرامية وأنا لساني الآن عربي ويخزن قبلة بكل لغات الارض للحب الذي أفقده كل يوم وأعثر عليه في طيات قلبي وإليه أسافر دون بطاقة سفر. الحب ونقيضه، الحب وعقابه، الحب ببعده الكوني هو أصل الحكاية، هو سيرة الجسد في سفره وفي بحثه عن الخلاص من الحرب، من الفقر، من الموت دون أثر يذكر. اللجوء إلى الحياة حق كل فرد، والحكايات المكتوبة الوثيقة المهجرية التي نتركها للتاريخ كل بلغته وتجربته.

الكرامة والخبز والورد كانت قبلي في الكتب وبحثي وسعيي في هذه الأرض. سنعيش ونموت في حنين إلى المفقودات الكثيرة في تاريخنا المعاصر القلق والمخيف. لقد وصلنا إلى الذكاء الاصطناعي في زمن شح الروح الإنسانية. الفقراء في الأرض كثر والمعتبون في طاحونة الحرب والشتات كثر، فلماذا لا ي اخترعون لهم حلاً حتى الآن و بذكاء انساني عادل!

سنختار الحلول الجمالية في الكتابة الروائية والشعرية والحكايات.

دراسات الشتات والترجمات في حقل الدراسات الإنسانية

المهجر أو النفي واللجوء إلى الآخر للبحث عن الأمان والعيش الكريم، سيرة طويلة ومع ذلك نجد في الجانب العربي تقاعساً في دراسة هذا الحقل وأثره في رحلة الحضارة المدنية المعاصرة. في كندا وجامعاتها هناك حقل لدراسات الشتات (ديسبورا) المهجر. وهي هذه حمولة ثقافية وفكرية سوسيولوجية وسيكولوجية تضع الآداب الحديثة تحت مجهر التحليل للخلوص إلى معرفة مغايرة للساند. إنهم يدرسون ثقافتنا ولغتنا. خلال تجربتي الميدانية تمت استضافتي في عدد من الجامعات الكندية للحوار مع الطلبة حول اللغة والمنفى، المكان الجديد ومصاعب الرحلة، الحرية والرقابة والقمع في البلاد العربية وسوريا، وذلك يقع في حقل الدراسات الإنسانية وأدائها.

في كندا والعالم يستضيفون (الآخر-المهاجر واللاجئ) في ندواتهم ومنابرهم من أجل فتح باب التقارب والتفاهم الذي قد يبقى ناقصاً بين هذا العرق وذاك. إذ نلاحظ لدى بعض الشعوب تلك العنصرية العرقية المتمزطة التي تظهر بشكل مبطن أو معلن أحياناً.

وخلال التجربة لاحظت في البدايات ذلك التهيب والقلق من الحديث بلغة غير اللغة الأم فيها "لكنة"

ليست انكليزية خالصة. والخوف من العثرات الذي يؤثر على الإداء بصورة أو بأخرى. أذكر أنني في أيام الهجرة الأولى كنت أتردد في طرح أي سؤال حين أذهب لحضور أمسية أدبية. كنت أخاف أن أخطئ، أخل من لكتي السورية-الانكليزية، أخشى أن يكون سؤالاً في غير مكانه، وإلى أن تعلمت أن أعتقل خوفاً وأحرر لساني وأطلقه كما هو في هذا الشتات اللعين الثمين.

قراءة الأدب الكندي وباللغة الانكليزية والأثر

تركزت قراءاتي في السنوات الأخيرة على الانكليزية، وبشكل خاص الأدب الكندي الذي قدمت الكثير من المقالات والدراسات عنه. منذ أيام وقع في يدي ديوان شعري لكاتبة كندية معروفة رانيا اسمها كارول شيلدز، وعنوان الديوان "القدوم إلى كندا". أثار العنوان فضولي، فحصلت على الكتاب كي أتعرف على شيء يشبهني في التجربة. حين علمت أن الكاتبة هاجرة في طفولتها من امريكا إلى كندا مع أسرتها، ابتسمت وقلت لنفسني: هذه لا تشبهني في رحلتها لأسباب كثيرة: امريكا جارة كندا الأقرب ومتشابهة في كثير من الطقوس. اللغة واحدة وهذا أصعب مأزق يواجهه الكاتب حين يهاجر إلى بلد لا يجيد لغته، اصف إليه أن الهجرة في السنوات المبكرة من العمر تختلف حمولتها الوجدانية عن المهاجرين في سن متقدمة من العمر.

لا أدري ماذا كانت ستفعل الكاتبة مارغريت أتوود الكندية المعروفة عالمياً لو أنها اضطرت إلى اللجوء إلى بلد بعيد مثل سوريا أو السعودية؟ ماذا كانت ستكتب وكيف، وبأي لغة؟

دراسة أثر الرحلة في الكتابة

بناء على ما سبق أنا وكتاباتي خليط حضارتين ولغتين وثقافتين. حفيدتي اسمها آنا، أمها كندية انكليزية وأحاول أن أعلمها بعض الكلمات العربية. أحاول يومياً خلق قاعدة للتوازن بين هذه المتغيرات وهي كثيرة وتطال العلاقات الخاصة والعامة. في الجلسة الواحدة يهدف أن يجتمع أصدقاء من دول العالم في مكان عام أو في زيارة شخصية عائلية. تتقاطع اللغات واللهجات ووجهات النظر وتتنافر. الأزياء وأطباق الأكل تتنوع ويتجه الحديث نحو الذاكرة القديمة والمشاهدات اليومية. وجهات النظر حول ما يجري من حروب اليوم تتقافز إلى مائدة الحديث وتربكنا أحياناً. نخلف فيما بيننا، نخلف مع أنفسنا أيضاً ونتابع الرحلة. وأعود إلى بيتي لوحي لأكتب اغترابي. وأكمل حكاية هذا الإنسان المقهور في الطريق الذي لا يؤدي إلى الجحيم الكوني، في الحلم بأن الإنسان أذكى من الآلات التي اخترعها والقوانين التي سنّها على مر الحضارات.

نشر في الملحق الثقافي لصحيفة عمان يوم 31 أوغست(تموز) 2023
وصلني خبر وفاة أُمِّي في حادثة قطار يوم 19 مايو 2023 في السويد.

أنا كارنينا بطلة رواية الكاتب الروسي ليو تولستوي، وأُمِّي بطلة المجهول
هذه التداعيات كتبت يوم وفاة أُمِّي وقبله وقبل أن يصلني الخبر وبعده

19 مايو 2023

في عطلة نهاية الأسبوع، يذهب اللاجئون إلى صور العائلة في الألبوم، يجلسون على عتبات بيوتهم
التي في الصورة، يدعون الخيال لرشفة قهوة وكليجة... يتنفسون عطر الورد التي هناك في الصورة.
أحيانا يكون وأحيانا يصعب عليهم أن يسمعون نفس الأغاني التي كانت تسعدهم مع أخوتهم وأهلهم في
تلك البلاد التي أحرقتها عصابات وعصبيات وفتن وحكومات داخلية وخارجية.
في عطلة نهاية الأسبوع، أحيانا لا يكون لدى المهاجر وقت للنظر في ألبوم العائلة، أو الاتصال بالعائلة
التي هناك، لأن الروابط انقطعت بسبب الشتات، وبسبب الاختلاف في تأويل المرحلة، وبسبب التناحر
على أشياء مادية وأخرى غير مادية، بل منتهى التقليدية.

في عطلة نهاية الأسبوع، يتذكر المهاجر في العالم، أنه يجب أن يضع خرزة زرقاء في رقبته لأنه نجا
من الحرب مرات ولم يموت. لكنه يعرف أن في داخله شيء مات، شيء مفقود، شيء لا تملأه الدولارات
الكافية للمعيشة. شيء يشبه صرة موت معلق في الرقبة.

في عطلة نهاية الأسبوع، يختار كل كيف يقتل نهاره، بالعمل، بالحب، بالمشي مع الطبيعة، بالكتابة أو
القراءة، بالصمت، بالثرثرة، بالكذب، بالحق، بتلقيق حكاية بطولية عن نفسه(هو-هي) ...
في عطلة نهاية الأسبوع الطويلة... تفتح المدينة أبوابها كلها للغرباء كي يحتشدوا فيها ويلتقطوا
الصور السعيدة وهم يبتسمون.

لا شيء يحدث بشكل مختلف عن بقية أيام الأسبوع. ويحدث ما لا نريد أن نتحدث عنه بشجاعة
وصدق. اليوم تعلن كندا بداية الصيف... هذا صيف بارد. والحرارة 20 درجة وهناك حادث سير في
مكان ما من المدينة.

أكثر الحالات حزنا، حين ينجو أحدهم من الحرب ويحصل على اللجوء، ثم يصل هنا فندسهه سيارة
عابرة، أو يصاب بالازهايم فجأة.

وفي كل الأيام، عش بامتلاء كي تموت فارغا من كل ما تحلم به. اعط الحياة ما لديك. وقل لنفسك: أنا
كل متكامل في ذاتي، ووجودي قيمة في حد ذاتها، وهذا يصنع كل الفرق إنمنا كنت.

20 مايو 2023

في تلك اللحظة، حين كنت أكتب هذا السرد الذي نشرته على صفحتي في فيسبوك، كانت أُمي تغارق الحياة، صدمها قطار في استهكولم، السويد. وحتى الآن لم نعرف كيف اختارت أن تذهب للسير في مواجهة القطار، وهل كان ذلك قرارها أن تعبر السكة إلى العالم الآخر، أم خذلها ذهنها المتقدم في العمر ولم تعرف كيف تجد الأمان وتتابع الحياة بسلام بعد الهجرة.

السلام لروحك يا أُمنا الغالية... جرحنا كبير بفقدك يا أُمي ... وأنا الذي عشت افتقدتك منذ أن غادرت سوريا وإلى الأبد. هل أخذتك أنا كارنينا إلى سكة القطار أيضا كي تخلصي من هذا العالم. حادثة قطار يا ماما !! هذا آخر ما كنا نحسب له أو نتوقعه في رواية مهجرية لعلمي أكتبها ذات يوم.

يوم 18 مايو 2023

الله يقبل أن تغير اتجاه سيرك ووجهتك ١٨٠ درجة إذا كانت الطريق غير سالكة ولا تأخذك إلى الغاية التي في رأسك. إذا كانت ورقة البحث أو القصة في يدك غير مقنعة ولم تصلك بالمراد، ابحث عن مخرج آخر للكتاب ولذلك في كل شوارع المدينة تجد زاوية للانعطاف الشديد.

في الطريق العام خطوط تقف عندها وسرعة تسير وفقها في كل حارة. وإذا خطر لك أن تغير الطريق وتمشي في الاتجاه المعاكس، يجب أن تنتظر إشارة مناسبة للانعطاف وإلا قتلت نفسك أو صدمت أحدا وقتلته، إذا كنت تقود سيارة أو قطارا أو تمشي عكس السير وسط طرقات محتشدة.

كلمات لن تقرأها أُمي: أُمي، أحبك كلما كبرت وكبرنا وبيننا كل هذه المسافات الهائلة جغرافيا وفكريا. أحبك وأحزن عليك كلما قلت لي "بنتي لا تكتبي وترعبيهم وتخلي العالم تحكي عليك وعلينا"

أُمي التي لا تقرأ ولا تكتب، تخاف من كلماتي لأسباب أعرفها وهي من أكثر نساء الأرض حزنا وشفافية. أنا ورثت عن أُمي حزنا ثقيلا وضحكات رانقة وقلبا كريستاليا يشع ويجرح إذا تشظى. حين كتبت مجموعتي الشعرية (الثانية) لم أتردد اطلاقا في ان أسميه (كريستال) لم أفكر كثيرا كما فعلت حين اخترت العناوين الأخرى للكتب اللاحقة التي لم ولن تقرأها أُمي التي تخاف علي لأسباب هكذا. ولأنني سيدة نفسي ووحدني في بلد لا أهل لي فيه. وحده ابني-سلام- يكبر هنا قريبا من قلبي ويشاركني في المناقشة والأفكار ويقول "اكتبي ما يحلو لك، لا تخافي شيئا ولا أحدا. أنت امرأة حرة"

الأدب المهجري المعاصر يتجدد في كتابات اللاجئين والمنفيين الذين يعيشون خارج الجغرافية الطبيعية الأولى للوطن الأم. والذين ليس لديهم جوار سفر متجدد لزيارة الأسرة كلما أيقظتهم الحنين والرغبة. هؤلاء الكتاب حالهم يختلف عن حال كتاب يعملون في كندا أو أوروبا كسياحة وتحسين وضعهم الاقتصادي والعلمي، ولديهم جنسيات مزدوجة ودخل مادي ميسور ووراثة أملاك عن الأجداد، فيستفيدون من خيرات كلا البلدين. بنظري كتاباتهم لن تحمل تجديداً يؤكد أن هناك أدب مهجري.

التجربة الذاتية

أما عن تجربتي، أنا لم أعد إلى سوريا سوى مرة واحدة خلال ما يزيد عن نصف قرن. مات أهلي ولم أرهم، تهدم بيت أبي وأمي ولم يبق لي ما أعود إليه هناك. هل لذلك أثر في كتاباتي؟!

نعم، وإن لم يظهر ذلك فهذا يعني أنني غير صادقة في شعوري وكتاباتي. دواويني الشعرية وكتاباتي السردية تكشف جانباً من هذه التجربة المهجرية.

تجربة الهجرة تكسب الكتابة الإبداعية عمقاً ووعياً إضافياً له مفارقات إذا امتلك الكاتبة (ة) مهارات الصنعة الإبداعية. كتاباتي بصيغها الشعرية والسردية والبحثية تتفرع على أكثر من مدارج جغرافي وتمتد إحداثياتها في محاور الشرق والغرب، الداخل والخارج، البيت الأول والتالي.

وتختلف تجربة المهاجر من فرد إلى آخر. أنا اخترت الاندماج والأخذ من الثقافة الانكليزية ما أمكن شخصياً، أسعى منذ قدومي إلى تطوير معرفتي والإطلاع على الاصدارات الأدبية والفكرية التي تصدر في كندا والعالم الانكليزي.

ومازلت عاجزة عن استيعاب قصص السناجب التي تتسلق إلى طابقي في بناية من 20 طابق

وتحضر معها حبات الفستق السوداني، أو تلتقطها من جارة تسكن في الطابق الأعلى وتعود إلى الأسفل.

الترحال ويقطعة الحواس والتلقي تكسب تجربتي غنى وتنوعاً وإن كان الواقع اليومي متعباً معنوياً وجسدياً.

العيش في هذه الأمكنة ليست رحلة رفاهية واستجمام لآلاف اللاجئين، بل صدمات بأبعاد مغيرة لمعاناة الأفراد في البلد الأول. إنها مطحنة ومعركة يومية مع الوقت، مع الماكينة الاقتصادية التي تحاول أن تبتلع روحنا وعقولنا. إنها محطة غنية بالمتناقضات، إضافة إلى أن الطبيعة وقسوتها تؤثر بطبيعتنا ونمط العلاقات. فالشتاء الطويل البارد الجليدي، معاناة يومية وتترك أثرها الواضح في كل ما أكتب وأنا أعقد مقاربات روحية بين بيتي وحارتي هنا، وبين بيت طفولتي وشوارع مديني التي في رأسي.

وإذا عدنا إلى تجربة أجدادنا المهجريين الشرقيين الأوائل أمثال جبران ونعيمة وعريضة سنجد تلك العلاقة بالطبيعة وشطف العيش والحنين ودروس الحكمة ماثلة وشاهدة على التجربة والمكان. لكل نص مكان وحواس وتجربة. حالياً أشعر أن هذه الهجرة تبتلع المكان السابق وتقول لي: سيكون لنا هنا قبور بلا زوار.

كتاب الحاضر متشابك بخيوط الماضي والغد الملتبس إلى أن يأتي زمن وتتعب ذاكرتي من التدقيق والمقارنة فأصبح كائناً مهاجراً لا يشبه ماضيه تماماً ولا يشبه اللاجئين القادمين من بلاد أخرى يسكنون في البيت المجاور لبيتي.

مجلة الهلال المصرية العريقة عدد تموز 2024، تحقيق صحفي أدراه أشرف الثعلبي.

رحلتي الأدبية بين خط الخوف والرغبة، ابريل 2023

كتبت رحلتي بين خط الخوف والرغبة في رفع سقف الحرية.

حين غادرت سوريا 1997 ببطاقة ذهاب بلا إياب كان لا بد أن أتهيأ لولادة جديدة في أرض غريبة نائية. أدمنت سنوات الهجرة الأولى وأطلقت صوتي بحرية مواربة.

في هجرتي ولدت من جديد كي أمسك بالحلم عبر القلم. بعد وصولي بأقل من سنة، نشرت كتاباتي وشاركت في مهرجانات للأقليات وفي المسيرات السلمية لمناصرة حرية الكتاب السجناء في العالم. كنت أحسد كتاب العالم على حدود حريتهم التي ليست متاحة لي باللغة العربية.

في كندا صار لي حرية أن أصرخ بوعي للمرة الأولى. قرأت بالانكليزية واشتغلت بها في مهنتي

كمترجمة. درستُ كطالبة لغة، وسجلت في ورشات للتمرين على الكتابة الإبداعية بالانكليزية في جامعة "رايرسون" في تورنتو. علمتُ نفسي بالقراءة والبحث وما زلت أحاول وأتعثر وأحفر الطريق. قرأت ما استطعت من الآداب غير المترجمة إلى العربية، وكتبت عنه مقالات وترجمات نشرت في الصحافة العربية وستصدر في كتب. لي كتاب سيصدر قريباً ويشمل حورات ومقالات فكرية أدبية عن أدباء ومفكري الخليج الكندي والانكليزي. فيه اشتباكات الأثر الذي تركته تجربة الهجرة في كتاباتي، مقالة وقصيدة وترجمة وسرداً قصصياً ورحلة يومية.

هذه العلاقة الملتبسة بالأشياء والعالم غرزت في حس السائحة التي تريد أن ترى أكثر ما يمكن، تلتقط صور الشارع ثم تعود إلى كتابتها وقراءة دواخلها. في الكتابة من هناك تحضر العلاقة مع المكان جغرافياً، لغة، طقس، حالة نفسية، وأسئلة وجودية وتأملية طُرحت في أدبيات أجدادنا المبدعين المهجريين الأوائل الذين لم يقتصروا على كتابة الشعر بل أثروا المكتبات العالمية بسرد رؤيوي وفكري وفلسفي.

نحن جيل الشتات والهزيمة والحروب المتتالية لم نتجاوز كثيراً حجم الكارثة المعاصرة في الشرق المتهالك.

نشر في صحيفة العربي، إبريل 2024. أجرى التحقيق الكاتبة اللبنانية دارين شوماني.

طرقاآ أخرى...شتاء 2024

أفكار عن الفن المهاجر والتراث

في المنفى ينكسر المعنى. حتى المعنى الذي يخص اللقاء الأدبي والصداقة والحب الأول والتالي. ويبقى هناك شيء يجمع أفراداً في الشتات، هو اللغة وأسلوب التعبير عن الرحلة، والهروب إلى شيء مجهول يتعارض مع مسألة الانتماء. من جانبي هو الانتماء إلى فكرة جمالية كونية، ليست قومية، وليست دينية، وليست مذهبا، وليست عرقا. تعبنا من كل هذه الخسارات.

وبما أن مساحة هذه الشيء الجمالي ضئيلة قياسا إلى المصالح المادية الفردية والدولية، يقترب المنفى من الانتماء إلى اللاشيء مهما أَدعى الانتماء إلى قومية ودين ولغة مشتركة.

في الشتات، لا مشترك إلا الاغتراب الذي لا يندمل إلا بتقديم أرواحنا كأصحيات أو قرايين منتجة للفنون، وبكل صيغ الإبداع على معبد هذه الكرة الأرضية.

تغيير بنية المجتمع الفكرية ونقله إلى المدنية خطوة بما في ذلك إنصاف المرأة وموقعها، يكون بالمواقف الجريئة على أرض الواقع وليس في المخيلات والشعارات وفقط والروايات والقصائد.

الشعاراتيون وأصحاب الأفكار الزاهية المغرية سببوا دمار المجتمعات العربية بممارستهم الانفصام الحاد بين الفعل والقول.
كنا وما زلنا بحاجة إلى ربط النور بالتنوير ، وربط السلام بنزع أسلحة الكراهية وأسلحة الجهل والدمار والقتل وبحاجة إلى ربط الأحذية بأربطة صالحة للسير كي لا نتعثر بها حين نمشي في طريق الحرية ونقع ونتكسر كما الألواح الجافة.



- البدايات والميول إلى اللغة الأجنبية

الترجمة ليست قاموساً. هذا ما قالته الأستاذة في معهد تدريب المترجمين، حين ذهبت لأكون مشرفة ضيفة أثناء دورة تأهيل الطلاب المتدربين للحصول على شهادة مزاولة الترجمة الفورية. الشركة التي كنت أعمل لديها كانت تثق بعملي وترسلني في المهمات الصعبة والتي تتطلب مهارة في الترجمة، ومقدرة على التواصل الاجتماعي، واستيعاب الجانب الآخر بحيث يمكنه (هو وهي) أن يشعر بالارتياح للإدلاء بالشهادة أو لتقبل الملاحظات والتصحيح أثناء فترة التحضير للاختبار. فالترجمة الفورية أو الشفاهية تقتضي ذلك التناغم والتواصل الذي يجعل المهمة أسهل على الجميع. هذا الحقل الذي يجمع مهارة فن التواصل ومهارة فن خلق البديل في وعاء اللغة الأم واللغة الأخرى. كانت التقارير التي تصل عن مهارتي من الجهات التي أعمل معها، ممتازة، مما جعل الشركة نفسها تدعوني لتدريس أو تدريب الطلاب في دورات التأهيل للعمل في الترجمة الفورية. وبعد ذلك تم اقتراح اسمي لجهات أخرى كي أقوم بتصحيح وتقييم الامتحانات الخاصة بشهادة الترجمة في أونتاريو كندا، بالإضافة إلى عملي لحسابي الخاص.

كيف أصبحت ترجمة، وما هي المصاعب التي واجهتني بعد الهجرة إلى كندا؟
دراستي الجامعية في سوريا كانت في حقل الهندسة الكهربائية. بعد سنوات من اختبار الذات والمجتمع الجديد قررت العمل في حقل الترجمة الفورية بين العربية والانكليزية - حسب الطلب من قبل الهيئات الحكومية والمنظمات لتلبية احتياجات القادمين الجدد.
لنعود إلى البدايات... حين كنت طالبة في ديريك، شمال شرق سوريا. جرت مسابقة للغة الانكليزية

في الصف الحادي عشر بإشراف أستاذ اللغة الانكليزية "كريم إيليا" وفزت حينها على جميع الزملاء في الصف وأهداني المعلم قلماً أنيقاً كتشجيع. وحين أنهيت الثانوية العامة، كان معدل علاماتي في اللغة الانكليزية جيداً، فذهبت إلى جامعة حلب لتقديم طلب لدراسة الأدب الانكليزي وحصلت على قبول في الجامعة. بعد ذلك غيرت رأيي والتحقّت بكلية الهندسة الكهربائية، كنوع من التمرد الأرعن على وصايا الأستاذ والأهل بأن أهم وظيفة أو مهنة للمرأة هي حقل التعليم.

حين هاجرتُ إلى كندا في عمر 33 سنة، كان ابني(سلام) في التاسعة من العمر وكان علينا أن نخوض كغيرنا رحلة الاغتراب في جوانبها الجميلة والمرّة. عدتُ ثانية إلى المدرسة الثانوية في كندا لإتقان اللغة الانكليزية التي هي ضرورة لمن يريد أن يكمل الدراسة الجامعية. أردت أن أعمل في الحقل الاجتماعي فتقدّمت للدراسة في معهد "جورج بروان" الشهير في أونتاريو كندا، وحصلت على القبول، ولكنني لم أكمل بسبب الوضع المادي الصعب، إذ أن القروض المادية لن تكفي لتغطية نفقات العيش والدراسة بدخل فردي.

تابعت الدراسة الاكاديمية للغة والعمل في قطاعات أخرى وإلى أن استقر هواي على ممارسة الترجمة الفورية كمهنة بعد انخراطي في برامج مخصصة لتعليم ممارسة الترجمة الفورية. اشتغلت على سبيل المثال، نادلة في مقهى وصنعت الحلويات والصندويش وكنتُ أتعرّض حتى في الكلام مع الزبائن وأتعلم. كنتُ أذهب إلى المدرسة صباحاً، وإلى العمل بعد الظهر وحتى منتصف الليل. في وقت الاستراحات وحين تخفّ زحمة الزبائن، التقط الصحف اليومية الكندية(تورنتو ستار مثلاً) أو الصحف المتوفرة مجاناً(ناو مجازين)، وأقرأ باستخدام القاموس. أضع خطاً تحت الكلمات الجديدة، لمعرفة المعاني. ثم أسجلها في دفتر الملاحظات الذي في حقيبتي.

في يوم ما لم يكن لدي ثمن قاموس (عربي-انكليزي) فأهداني أحد الأصدقاء قاموساً صغيراً(اكسفورد، انكليزي-انكليزي) ثم اشتريت بعدها من مستودعات الكتب المستعملة عدة قواميس(ويبستر، ذا سوروث) وبعدها معاجم المصطلحات القانونية والجناية والطبية وما إليه كي تساعدني في ممارسة مهنتي كترجمة ومترجمة تحريرية في نفس الوقت. وطوال 20 سنة لم انقطع عن تطوير مهاراتي باتباع دورات جديدة وحضور ورشات عمل بشكل شخصي، واونلاين. تعلمت الكثير ولم أصبح قاموساً ومازلت أعود إلى القاموس كي أختار الكلمة الأنسب في أي مشروع للترجمة. مثلاً: واجهتُ صعوبات في ترجمة الرتب العسكرية للذين يخدمون في الجيش. وأحتفظ بمقواميس صغيرة خاصة بحقل الصحة، والقانون، والاجتماع. وحديثاً هناك مصطلحات جديدة تتعلق بالمتحولين جنسياً ومثليي الجنس وما إليه.

الترجمة تقتضي التوسع في المعارف والقراءة باستمرار

استطيع القول بأنني علمتُ نفسي خارج الجامعة. كنتُ ومازلت أتعلم. قرأت كثيراً جداً في اللغتين العربية والانكليزية إلى أن صارت لدي الكفاءة والثقة للعمل في الترجمة بعد أن اجتزأت كل الاختبارات المطلوبة لمزاولة المهنة. وتمكنت من نشر مئات المقالات عن كتب قرأتها بالانكليزية وقدمتُ أفكاراً عنها في أهم المجلات والمنابر الأدبية العربية المعنية بالترجمة والثقافة. وفي كل مقال كنت أقتبس بعض السطور وأترجمها.. وهذه المقالات جمعتها مؤخراً وسوف تصدر في كتاب كي أحتفظ ذلك الجهد وتلك الثروة الأدبية الفكرية التي تعد نافذة على الأدب الانكليزي وتحديداً الأدب الكندي، شعراً وقصة ورواية، وعلوم اجتماعية. وربما تكون رافداً ومرجعاً للجامعات العربية. بالإضافة الى ذلك وعلى مدى 25 سنة بتقديم الكتب التي تثير شهيتي قمت بتقديمها إلى الجانب العربي. المقالات والدراسات نشرت في المجلات الأدبية المرموقة ومنها: مجلة آداب أجنبية، مجلة الفيصل، مجلة قوافل السعودية، وغيرها، وفي صحف ورقية مطبوعة، منها، الصباح العراقية، جريدة عمان (مسقط)، السفير اللبنانية، المستقبل اللبنانية، الحياة، الشرق الأوسط اللندنية، الزمان العراقية... وعدد لا يحصى من المواقع الالكترونية ومنها: الجزيرة نت، ايلاف، والحوار المتمدن، وليس حصراً. بالإضافة إلى صحف المهجر الكندي: أخبار العرب، والوطن، المغترب، وموقع كندا اليوم.

الكتابة للانتصار على الذات

تلك الكتابات المتشعبة، الترجمات والمقالات التي قدمتُ من خلالها خصوصية إبداعية، كانت طريقتي في مقاومة الأسى والاغتراب عن اللغة الأولى والبيت والأهل. كانت كتاباتي وقراءاتي بمثابة هوية جديدة لذاتي التي لم تعرف الإحباط رغم مشقات الطريق. وبكيت مرات أثناء العمل كترجمة (عربي-انكليزي) وخاصة حين كنت على احتكاك مباشر مع قضايا المهاجرين واللاجئين، والنساء المعنفات.

تجارب وتحديات من واقع عملي مترجمة في تورنتو

تدرجت في عملي اليومي إلى الوقوف أمام القضاة والبوليس والمحامين والسجناء وضحايا العنف المنزلي للترجمة. وهذه تجربة لا بد أن تترك الأثر وتتغرز في صلب اللغة والشعر الذي أحرره والذي يحمل عواصف روحية وطبيعية. وقمتُ بتدريب الطلاب الراغبين في العمل في حرفة الترجمة الفورية. ودرستُ في برامج متفرقة وخاصة الكتابة الإبداعية، في الجامعة واونلاين. عرجتُ على حقل العلوم الاجتماعية وعلمتُ في مركز للنساء المعنفات. سمعتُ قصص الشعوب والمآسي. وذلك يزيدي حنواً على العالم، وغضباً عليه أيضاً لشدة جشعه وانحرافه عن العدالة

والتسامي الإنساني الذي يليق بالجميع في كل مكان.
فالترجمة وأنت داخل المكان وفي المؤتمرات والجلسات القضائية والمجتمع، تختلف عنها وأنت جالس أمام الكمبيوتر في العراق أو سوريا تترجم نصاً شعرياً أو رواية.

ترجمة الخوف والعنف وجها لوجه مع الضحية

طلبت مرة للعمل ك مترجمة للقسم البوليس في تورنتو. المرأة كانت ضحية للعنف المنزلي. انتابني الخوف من المثل أمام ضابط البوليس ك مترجمة محترفة. قلت للموظفة " لا أريد الترجمة للبوليس، لا أحبهم" أجابت: "ولكنك اجتزت الامتحانات ولديك الكفاءة المهنية واللغوية للقيام بالعمل، هناك امرأة بحاجة الى مهارتك اللغوية كي تدلي بشهادتها"

حين نخاف تنكسر السنننا وتتساقط الكلمات ميتة بلا صدى بين شفاهنا. تحدثت نفسي وذهبت الى مهمتي في قسم البوليس. أتى الضابط لأخذي الى غرفة التحقيق. شعرت بالرغبة، تعرقت يدي وخفق قلبي حين قال لي الضابط " هل تكلمت مع الضحية في الصالة؟" قلت: لا، لم أتكلم مع أحد. أخذ الضابط اسمي الكامل وخرج من الغرفة. عدت بذاكرتي الى سوريا حيث لا يرى ضابط البوليس إلا ليهين مواطننا أو ليعتقله ويعامله باحتقار. بذهني كنت اغادر حدود الغرفة واصل الى سوريا التي فيها تكثر النساء ضحايا العنف المنزلي اليومي، السياسي والديني. عاد الشرطي مبتسماً مع زميلته الشرطية ومعهم المرأة -الضحية، لاجراء تحقيق مصور بالفيديو. كان لساني ببغاء ماهراً. بعد ذلك صار لقاء الشرطة سهلاً من الناحية النفسية.

بعد سنوات من الخبرة في هذا الحقل، صرت جسراً وقناة لحمل المعنى بين لغتين. أترجم دوما بضمير المتكلم. مرة أنا أتكلم كشرطي، كضحية، كقاضي، كمجرم، كرجل عنيف، أو طفل عاجز. الترجمة بضمير المتكلم تثقلني بما ليس مني. و علي دائما ان تكون مشاعري حيادية جامدة. في هذا الحقل اختبرت أعماق الآخرين وسيرهم ومخاوفهم عن قرب. تعرفت بعمق على المجتمع.

كيف نتخلص من المحمول السلبي وقصص الآخرين وصداها الحزين في رأسنا بعد العمل؟

كغريبة أنقل لساني للعمل والكتابة الابداعية والصحافية بين لغتين متناقضتين من حيث الأسلوب والبناء والقواعد، وأتكلم بضمير الأنأ. في نهاية النهار أذهب لوحدي الى شقتي في سكاربرو. تعود الى ذهني رجفة الخوف في شفاه تلك المتقدمة على اللجوء وهي تنتظر قرار القاضي، وهل سيقبلها لاجنة أم سيرفض. أتذكر دموع الفرح والغبطة في وجوه عائلة حصلت على اللجوء. شفاه وقلوب وتاريخ من العنف والمآسي يتكرر أمامي. حتى أنني تعلمت بعض الشنائم الحديثة باللغتين الى جوار المصطلحات

القانونية والطبية. كترجمة في حقل معقد "لست مجرد أداة" كما قالت لي مرة موظفة فظة. وللتخفف من ذلك الثقل أمارس الرياضة والمشي حين يكون الطقس ملائماً، أكتب الشعر والقصة والمقالات بالعربية. أرسم، وألتقط صوراً فوتوغرافية أقاسمها مع الأصدقاء. أحياناً أكتب ما ليس للنشر، كي أتخلص من ثقل الحكايات المرة، ثم أمزق المسودات كلها. مقتطفات من هذه الفقرة نشرت بالانكليزية في مجلة "رايت" الصادرة عن اتحاد كتاب كندا. شتاء 2019. الاصدار 46.

- الترجمات المنشورة في الصحافة العربية

في كتاب لي بعنوان : حوارات على مرايا الهجرة، قدمتُ بانوراما ثقافية عن خريطة الابداع الكندي بما فيه الإصدارات والروايات وبعض الترجمات المختارة بعناية. وكذلك تضمن الكتاب حوارات جرت بالانكليزية وترجمتها الى العربية. مثال الحوار مع المفكر الكندي الروائي جون رالستون سول، صاحب كتاب "انهيار العولمة" وكذلك حوار مترجم مع شاعرة ومحامية من الكنديين الأوائل (الهنود الحمر) وحوار مترجم مع كاتبة امريكية سوداء، بالإضافة الى المقالات التي كتبت عن كتابات مفكرين وباحثين في العلوم الاجتماعية والفلسفة والنقد والأدب.

كوني شاعرة بالدرجة الأولى، وجدتني منحازة خصوصاً لترجمة الشعر من الانكليزية إلى العربية. نشرت نماذج كثيرة في صحافة العالم العربي، الصحافة اللبنانية، الخليجية والعراقية والكندية المهجرية. خصصت الكثير من الترجمات لأدب الكنديين الأوائل وهو مشروع كتاب جاهز للنشر تقريباً. وكذلك كتاب للشعر الكندي. لكن يستحيل أن أعطيه لناشر تاجر يتعامل مع جهدي بخفة واستهلاكية.

لماذا لم تصدر الترجمات الشعرية في كتاب مستقل حتى الآن؟ سأقص عليكم بعض التجارب كما حدثت تماماً.

1- حين أنجزت القسم الأعظم من مختارات الشعر الكندي، اتصلت بإدارة اتحاد كتاب كندا كي استفسر عن حقوق الترجمة، وقابلت رئيسة الاتحاد، فأخبرت بأنه يجب أن ابحت عن كل شاعر وأطلب الإذن بالترجمة. وكان هذا محبطاً ولم أفعل. وأعرف أن هناك تشديد كبير على حقوق الترجمة، وأنا حذرة لأنني هنا.

2- ترجمت مرة نصاً من مجموعة سردية للكاتبة الكندية مارغريت أتوود. وحين التقيت بها في إطار جلسة حوار معها وتوقيع كتاب عام 2006، أخبرتها عن رغبتني في ترجمة كتابة قصصية قصيرة لها. فكتبت لي الايميل على (كلينكس-بيضاء) وقالت اكتبني لي لاحقاً. في اليوم التالي كتبت لها ايميل أشرح لها رغبتني، فوصلني الرد وأحالته لي إلى وكيل أعمالها في انكلترا.

حين كاتبت الوكيل، وصلني رد بعد شهر، يحيلني إلى المترجم الحصري لها في مصر. حين كتبت إلى الجهة المصرية المعنية بترجمة أتوود، لم يصلني رد. وأصبحت بالإحباط. عدت منذ عام لأطرق الباب نفسه، بلغني أن مارغريت أتوود لديها وكيل آخر لترجمة أعمالها وهو خليجي على ما أعتقد. ويبدو لي أن شراء حقوق الترجمة يخضع لمزايدات ورهانات ليست في نطاق اهتمامي. ولأنني أعيش في كندا، وهناك قوانين صارمة فيجب أن أعمل ما يمليه قانون الملكية والحقوق، ولذلك توقفت. وأنا أفضل أن أشتغل في الترجمة الفورية وأقبض ثمن أتعابي في اليوم نفسه أو خلال فترة أقصاها اسبوعين. وبذلك يمكنني أن أدفع فواتير السكن والأكل والشراب والمواصلات ومشاهدة بعض المعارض الفنية والمتاحف ودور الأوبرا والسينما.

في حوار جرى معي مؤخراً في تورنتو، سألني مدير الجلسة: لماذا لم يصدر لك رواية مترجمة أو عمل أدبي مترجم كي يحكم القارئ على مهنتك، أهو الخوف من النقد أم ماذا؟! بالطبع، مثل هذا السؤال الذي يحمل سلبية مبطنة بقصدية أو بجهل، لا يمكنني الرد عليه إلا بقول كل ما سبق. وبأنني في النهاية لا أكتب ولا أترجم من أجل النقاد أو خوفاً منهم بل هناك متعلقات كثيرة، آخرها هو الخوف من المسؤولية.

- التحديات وكيفية التغلب عليها

أثناء العمل كترجمان أو ترجمة قد يواجه المترجم إشكالات عديدة مع الأشخاص الذين يتعامل معهم في نفس المكان، أو أونلاين كما يحدث مؤخراً. لقد انقلنا في كندا للترجمة (عبر زوم – او برامج تقنية أخرى) من البيت. لم نعد نذهب إلى مكاتب العمل. وهنا نتعرض لإشكالات تخص، التقنيات والتكنولوجيا ومشاكل الانترنت. والتي تحتاج إلى حد أدنى من معرفة استخدام هذه الأجهزة وفي بيوت خالية من الضوضاء والضجيج، مع ضرورة الحفاظ على سرية مجريات الجلسة وخصوصية الأفراد. وأسرد هنا مثالا آخر ما حدث معي أثناء جلسة ترجمة. كان هناك مشكلة في الصوت من قبل المكتب الذي أعمل بالتواصل معه. لم يستطع المحامي والزبون حل القضية التقنية، فوضعوا اللوم على جهة المترجمة. وبعد محاولات عدة لتصحيح الموقف، لم اشعر بارتياح، وطلبت في النهاية عدم العمل مع ذلك المكتب لأنه لا يوفر لزبائنه الوضع الأمثل للتواصل عن بعد. مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذاكرة الترجمة قصيرة جداً. ما أن أنتهي من الجملة، نادراً ما أذكر حرفياً ماذا نطق لساني. أضف إلى ذلك، حين يكون هناك أي عامل نفسي يبعث على التوتر، فذلك سوف يؤثر على نوعية العمل. يجب أن يكون المترجم واثقاً من نفسه ويتكلم إذا شعر بأن الجو العام فيه إشكال. وأيضاً يجب أن يقف للدفاع عن نفسه إذا تجاسر أحد الأطراف على التعامل مع المترجم بفوقية أو عدم لباقة. نعم، يحدث ذلك، ويحدث من قبل الشخص الذي يتكلم العربية أحياناً، ويحدث أيضاً من قبل شخص له منصب أعلى

من سلطة الترجمانة. في حالات عديدة، وقفت شخصياً للدفاع عن نفسي، ولتنبيه الطرف الآخر الذي قد تكون نبرته أو طريقه علاجه للموقف غير لائقة. الندية والاحترام المتبادل مطلوب، ولكن البعض يتجاوز أحياناً بقصد أو بدونه.

- نصائحك لمترجمي المستقبل. هل لدي نصائح للترجمان أو للمترجمين الجدد؟
أعتقد هذه المسيرة التي قدمتها أعلاه تمكن كل فرد من استنباط النصيحة كما يرى بين السطور . باختصار أقول: كي تؤدي عملك كمترجم سواء شفاهياً أو تحريرياً، يجب أن تكون على استعداد لتطوير نفسك كل يوم وتكون القراءة شريك أيامك. يجب الالتزام بالأمانة وعدم تحريف النصوص لأي سبب كان.

في الترجمة الفورية، سيواجهك من يخالفك دينياً، وستواجه من لا تتفق معه في توجهه الجنسي، أو حديثه عن طائفته ودينك وقناعاتك بشكل سلبي. ستسمع ما لا تحب وتعرف ولكن عليك الأمانة، ثم الأمانة ثم الحياد والصدق، دون حذف، دون تشويه، دون تحسين للكلام الذي يقال، أو الذي تترجمه ورقياً. ولا تنسى أن تمزق كل المسودات التي لديك والتي تكتب عليها الملاحظات أثناء تأدية الترجمة التعااقبية. المحافظة على خصوصية الآخرين وأسرار حياتهم، أيضاً يدخل في نطاق القسم ورفع اليمين على أن نكون صادقين في تأدية المهمة.

كلما قرأنا ، كلما عرفنا، كلما استطعنا حيازة المرونة المطلوبة للانتقال من لغة إلى أخرى والتكلم بلسان الآخر بطلاقة لنقل الفكرة والمعنى بوضوح إلى المستمع.

اللغات جسور وكندا بلد تجتمع فيه لغات العالم قاطبة
المهجر أو النفي واللجوء إلى الآخر للبحث عن الأمان والعيش الكريم، سيرة طويلة ومع ذلك نجد في الجانب العربي تقاعساً في دراسة هذا الحقل وأثره في رحلة الحضارة المدنية المعاصرة. في كندا وجامعاتها هناك حقل لدراسات الشتات (ديسبورا). وهذه حمولة ثقافية وفكرية سوسيولوجية وسيكولوجية تضع الآداب الحديثة تحت مجهر التحليل للخلوص إلى معرفة مغايرة للساند. خلال تجربتي الميدانية تمت استضافتي في عدد من الجامعات الكندية للحوار مع الطلبة حول اللغة والمنفى، المكان الجديد ومصاعب الرحلة، الحرية والرقابة والقمع في البلاد العربية وسوريا، وذلك يقع في حقل الدراسات الإنسانية وآدابها.

وخلال التجربة لاحظت في البدايات ذلك التهيب والقلق من الحديث بلغة غير اللغة الأم فيها "لكنة" ليست انكليزية خالصة. والخوف من العثرات الذي يؤثر على الإداء بصورة أو بأخرى. أذكر أنني في أيام الهجرة الأولى كنت أتردد في طرح أي سؤال حين أذهب لحضور أمسية أدبية. كنت أخاف أن

أخطئ، أخجل من لكنتي السورية-الانكليزية، أخشى أن يكون سؤالاً في غير مكانه، وإلى أن تعلمت أن أعتقل خوفاً وأحرر لساني وأطلقه في قلب العالم وهذا الشتات اللعين الثمين. المعرفة تحررنا من الخوف الكامن في داخل رأسنا وتمكننا من الوصول إلى الآخر بلغته وتلك سلطة اللغة الإيجابية الحضارية. أمل أن تكون هذه الشهادة وثيقة تجيب على بعض أسئلة الجيل القادم الذي قد يستخدم الذكاء الاصطناعي في الترجمة مستقبلاً، من يدري!

المترجم ليس قاموساً والقاموس الآلي لا ينوب عن لسان وفكر المترجم واجتهاده.

كتبت الشهادة بتاريخ 30 مارس 2024

شهادة للمشاركة في كتاب (نصائح الى المترجمين) لجامعة البصرة، بدعوة من الدكتور كاظم علي صدر الكتاب في شهر اوغست 2024 عن دار أبجد العراقية ودور أخرى مصرية وعربية. الكتاب ضمن مشروع تشرف عليه جمعية المترجمين العراقيين لإصدار 100 كتاب.



نساء تابعات.. ونساء ثارات على التابوهات



هنا ترجمة أقتبسها من مقال طويل كتبه عن سيرة الحركة النسوية الثورية في كندا. ومن سياق الكتاب الذي حمل عنوان: عشرة آلاف وردة للناشطة النسوية الكندية جودي ريبك. يظهر فيها الجانب الآخر من معاناة المرأة مع المجتمع وتناقضات النظر إلى المرأة. وكنت قد حضرت حفل توقيع الكتاب عام 2006 وتحدث مع محررة الكتاب الناشطة النسوية، الباحثة جودي ريبك والتقطت صوراً للمناسبة في مدينة تورنتو، كندا.

"لماذا نحن جزء من حركات تحرير المرأة؟
الإجابة على هذا السؤال جاءت في الكتاب بهذه الصورة التفصيلية القاسية التي تكاد تنطبق على نساء الشرق والغرب على حد سواء، مع اختلاف مراحل انجاز هذه الحريات او الحقوق، بعضها أو جزء منها: هذه ترجمتي:
" لأن عمل المرأة لا ينتهي أبداً ولأنه غير مدفوع الأجر، ولأنه ممل، ولأنه تكراري، ولأننا أول من نطرد من الأشغال حين نعمل خارجاً، ولأن ما نظهر عليه يكون أكثر أهمية مما نقدمه كعمل، ولأننا اذا تغرضنا للاغتصاب، فإن ذلك غلطنا نحن ويجب أن نضرب ونعامل بالسوء، وإذا ضربنا من المفترض أن نخفي ذلك ونتغاضى عن الفاعل أما اذا رفعنا أصواتنا فذلك لأننا "منحطات" . وإذا استمتعنا بالممارسة الجنسية فأننا من صنف المرضى بعشق الجنس، أما اذا أعربنا عن عدم رغبتنا بالجنس فذلك لأننا "باردات" وإذا أحببنا امرأة فذلك لأنه لا يوجد رجل " حقيقي" . وإذا سألنا الطبيب كثيراً من الأسئلة فهذا لأننا نرثرات، وإذا توقعنا أن نحصل على رعاية وحضانة أطفالنا فذلك يعني أننا أنانيات، وإذا وقفنا من أجل حقوقنا فهذا يعني أننا " وقحات وتنقصنا الأنوثة"

وإذا تغاضينا عن هذا فأنا نكون نساء تقليديات وضعيفات. وإذا كنا في مرحلة الزواج، فإن خروجنا هو فقط لصيد الرجال، وإذا لم نتزوج نكون غير طبيعيات، ولأننا لم نستطع بعد أن نحصل على مانع حمل مناسب. وأما الرجال فأنهم يستطيعون الصعود الى القمر. وإذا لم نرغب بذلك أو كانت لدينا الرغبة في الحمل فيجب أن نشعر بالذنب مخافة الاجهاض و... لكل هذا ولأسباب كثيرة أخرى نحن جزء من الحركة التحريرية النسوية"

2

حالات شرقية ومهجرية

من خلال ملاحظاتي أعتقد أن: زوجة البعثي في الشرق، بعثة للضرورة. زوجة المتدين، متدينة أكثر منه. زوجة السلفي الملتحي، سلفية وتلتحف بعباءات وأردية وأقنعة وبراقع وتشكر الله على أنه اختارها لتكون هناك.

زوجة اللامتدين، متدينة أمام الآخرين والقبيلة ولا دينية حين ترغب أو حين تذهب إلى أوروبا للتسوق والسياحة.

زوجة الشيعي، شيوعية، وأحيانا تعود إلى ميولها الدينية الصارمة كي تضبط إيقاع البيت على سنة جدتها وأمها وتفرض طقوسها الدينية على الزوج والأولاد.

إن ناقشته في شكواه يقول لك: ماذا أفعل... أدمر بيتي وعائلتي!

زوجة الملحد، متدينة في العلن، وفي السر لا دينية.

زوجة الإرهابي، لا أدري - ربما تكون مثله أو ضحيته الأولى!

زوجة الحرامي، الديكتاتور، سارق الشعب وسارق أملاك الشركة، تراها متدينة أمام الآخرين ولكنها

تغمض عينيها عن سرقاته إذا كانت تجلب المال والرفاه بغض النظر عن قذارة المصدر، وتدعي أنها

لا تسمع ولا ترى. وتلك تحديدا حين تهاجر، تبدأ بالبذخ وإعداد الولائم لدعوة الأصحاب كي يتفجروا

على مقتنيات بيتها وطريقة تلوين أظافرها، وماركة الأحذية والثياب الفارحة لديها. بذخ مسروق

منهوب من هناك.

زوجة السيد سين، تقول أنها من أنصار زوجها بغض النظر عما في رأسه من أفكار ونساء يساريات

ويمينات وأملاك. على المرأة الطاعة والاستمتاع بذلك. بالنتيجة وللأسف لن يتحرر المجتمع الشرقي

لقرون قادمة إن لم تكف النساء عن التبعية العمياء للمنظومة البطيركية ولمخلفات النظرية

الذكورية.

متحررات ونسويات ورجال من أنصار الحرية للجميع بغض النظر عن الجنس
أما النساء المتحررات من التبعية الواضحة يحدث أن ينتظرن رجلاً ينصرهن كي يصل الصوت إلى
المنبر المناسب ويترك الأثر . وهناك زواجات لا يشبهن الأزواج في شيء ، يقفن على مسافة واضحة
من ايدولوجيا الرجل الذي يمثل الوصاية كالأب أو الأخ أو رجال العشيرة ، ومن ثم الزوج . يعيشن حياة
خائفة مزدوجة ، غريبات حتى عن أنفسهن وسعيدات باداء الدور التقليدي . البعض منهن ، يستيقظ
ويحدث انقلاباً إيجابياً ثورياً في الأسرة . والبعض ينام على جرحه مؤقتاً أو حتى الأبد .
وهناك أزواج يريدون للمرأة أن تحقق في حياتها النجاح والتقدم الذي يليق بها وبمعزل عن رقابة
وقناعة وإيمان الرجل وتلك قلة تستحق ألف وردة .
أعتقد إن الجيل الجديد من نساء ورجال سيقطب المعادلات كلها باتجاه التسطيح الاستهلاكي أو باتجاه
الخلق الابداعي المدني القائم على احترام الذات الفردية وطريقة اختيارها ما يغذي قلبها وعقلها
وقناعاتها الشخصية .
الهجمة الحالية على كل مقومات الفكر الإنساني ، شاهد عيان لا يخفى على أحد .
ومن احتمالات أفعال الجيل الجديد أنه سيعيش بطريقته إلى حد بعيد وسيعجز الآباء عن فرض إرادتهم
على البنت والولد ، وتلك قد تكون سلبية إذا كانت نشأة الأولاد ركيكة وقد تكون إيجابية ، إذا كان الأولاد
في حضن أسري متنور ومتفهم للاختلاف وقابل للجديد .

هل صادفت في طريقك شخصية أو أكثر ينطبق عليها الوصف؟
شخصياً ، صادفت الكثير من هذه الوجوه والأقنعة في أسفاري وجلسات العمل وفي الإطار الاجتماعي .



7	إهداء
9	مقدمة
15	هذا الكتاب
19	الفصل الأول: مارجریت أتوود كما عرفتها
20	1 - تخريب أسطورة ديونسييس وبنلوبى على يد مارغريت أتوود
24	2 - مارغريت أتوود تسرد قصص الإعتلال الأخلاقي
28	3 - مارغريت أتوود وعقوبات وأدبيات استدانة المال وعدم الإيفاء به تاريخياً
32	4 - مارغريت في مواجهة مع جورج اورويل والفيلسوفة هيباتيا
36	5 - كيف تم تكريم الأيقونة مارغريت أتوود في كندا
40	6 - بانوراما مارغريت أتوود في الشعر والسرد والحوار والنقد والبيئة
45	الفصل الثاني: أفكار ملونة
46	1 - ديكتاتورية المثقف وهزيمة المفكر في الحوار المعاصر
50	2 - الحرية في الشرق رومانسية وطوباوية
56	3 - حول الشعر ما بعد إنخيدوانا
60	4 - الكتابة كفعل تنوير واختراق للظلام
64	5 - هرمية الثقافة والهويات البطيركية
68	6 - حين تصبح المرأة لساناً للسلطة، بثينة شعبان نموذجاً
72	7 - الاستعمار الناعم والخبيث
77	الفصل الثالث: أضواء على الكتابة
78	1 - شذرات وأفكار على مائدة الأدباء والبرابرة
82	2 - كتاب ممنوع في كندا عن أطفال فلسطين وإسرائيل
86	3 - أغنية ليليث ، الذكورة والأنوثة في الكائن الواحد، سرقات أم تناص
94	4 - تجربة نشر الكتاب الأول في المهجر
98	5 - سجنينة طهران، مارينا نعمة والزواج من السجنان في الدولة الإيرانية الإسلامية
104	6 - كتاب تحت الحصار، وحق اللجوء
110	7 - المهاجر العربية والاقتلاع في الرواية المهجرية الكندية

- 114 8 - الهوية والانتماء الجديد بأصوات مهاجرات من العالم
- 190 9 - خطاب نقدي للحكومة من قبل رئيسة اتحاد كُتاب كندا
- 194 10 - الطلاق وحضانة الأطفال في المحاكم العائلية الكندية
- 198 11 - التباس الهوية الجنسية ورواية حازت على جوائز كندية مهمة
- 132 12 - ماذا تحكي لوحات الفنان التشكيلي العراقي هاشم حنون على جدران المعرض في تورنتو
- 138 13 - يان مارتل روائي كندي يقوم بحملة تثقيف رئيس الوزراء الكندي
- 140 14 - سيرة الحركة النسوية الكندية، أين بدأت وإلى أين، تسردها جودي ريبك
- 146 15 - رواية النساء المضطهدات والماتفيسنو، الحكاية والفيلم
- 150 16 - الذكاء الاصطناعي والمعجم الإنساني وصولاً إلى نوبل
- 154 17 - أفكار على سياج الرأسمالية العالمية
- 158 18 - هل يحدث في الشرق الانتقال السلمي للسلطات
- 162 19 - لماذا خانت أليس مونرو ميثاق الأمومة وابنتها القاصر...فضيحة ما بعد وفاة الأم

167 الفصل الرابع : أيقونات الفكر والأدب العالمي

- 168 1 - المفكر الإيطالي الروائي امبرتو إيكو في تورنتو
- 172 2 - لويس بورخيس ناقداً وباحثاً في جذور القصة الإنكليزية
- 176 3 - وول سوينكا في كندا يتحدث عن الرقابة والإبداع مع أزار نفيسي وآخرين
- 180 4 - رواية يتيمة تفوز بجائزة مرموقة في امريكا... نلي هاربر لي
- 186 5 - سيرة كاتب نسي كيف يقرأ ويكتب بعد تأليف عدد من الروايات
- 190 6 - روحانيات وصوفيات فضل الشتاء في الشمال الأمريكي
- 196 7 - توني موريسون في الرواية والنقد الإنكليزي
- 202 8 - الحجاب والبرقع والاندماج مع الثقافات الأخرى، أراء نسوية من العالم
- 208 9 - الحياة السرية للملابس الداخلية السورية وتصميمات الإثارة ،ما بعد سميرا اميس
- 214 10 - المحاضرة الأخيرة في حياة عالم ينهشه السرطان
- 218 11 - الصراع من أجل الحب في عصر الانقراض وتلوث البيئة
- 222 12 - الهوية والهجرة في عيون كاتبة هندية إنكليزية- جومبا لاهيري
- 228 13 - ما محتوى كتاب السر الذي بيع منه ملايين النسخ حول العالم
- 232 14 - كيف تربح جائزة نوبل وتصبح مليونيرا

- 236 15 - لماذا نقرأ الأدب...جولة مع الناقدة ويندي ليسر
- 240 16 - الأثر السيכולوجي للقراءة والكتابة كما يراها علم النفس
- 244 17 - ما الذي شدني في كتاب بعنوان: مت فارغا!
- 248 18 - أفكار ملونة عن الجنة والجحيم عند جون ملتون
- 252 19 - مع الكاتب البرتغالي الكندي ألبرتو ماتغويل وجهها لوجه في تورنتو
- 258 20 - سيمون دو بوفوار في رواية عن المراهقة...هل عشقت قبل جون بول سارتر
- 262 21 - عوالم وقصائد الشاعرة غابرييلا ميسترال وجائزة نوبل
- 269 الفصل الخامس : أسرار المحبرة
- 270 1 - جويس منصور وجائزة غريفن الشعرية العالمية
- 274 2 - نحكم أيها الرجال ولكن...
- 278 3 - المقابر والمجازر في جداريات من الإرجنتين إلى فلسطين
- 282 4 - لماذا ينتحر الأصدقاء بعد العودة إلى الوطن...وداعا كريم
- 288 5 - اجلس هنا واقرا معي ...
- 294 6 - غرفة الكتابة وبيتي الصغير في كندا
- 300 7 - السينما والفيلم الفلسطيني في كندا
- 306 8 - من سرق تمثال الشاعر تاراس تشفشنكو
- 310 9 - أنا وحببات الرز في معرض المدينة
- 314 10 - الاشتباك والتقاطع بين المثقف والسلطة
- 318 11 - ليالي المرقص الكندي في الخارج
- 322 12 - الكتابة من حضن الأمومة شعراً وسرديات
- 332 13 - تأملات في مترو تورنتو...الكلاب وأنا
- 334 14 - مشروع دراسة دماغ الإنسان وأمراض الزهايمر والخرف
- 338 15 - استضافتي للحديث عن الكتابة والترجمة من قبل جامعة البصرة العراقية
- 346 16 - حين أصبحت جدة في زمن الكورونا. معابر الكتابة والعمل
- 350 17 - حكايات وشغب وبعض أسرار المحبرة
- 354 18 - منعطفات بين المقبرة والمطارات والى مدرسة الكتابة الإبداعية
- 359 19 - هل قتل تولستوي أنا كارنينا...ومن قتل أمي
- 368 20 - كتابة الخوف والرغبة

372

21 - أسفار الترجمانة

380

22 - نساء تابعات.. ونساء ثائرات على التابوهات

رقم الإيداع الدولي - ISBN

978-1-326-16861-2

